

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي - جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا - قسم الكتاب والسنة

لقد طالبت به الطالب أثناء المناقشة إضافة
جميعه في الدعوة (في الدعوة) في الدعوة
ولا أرى ذلك سراً ما لا بد من هذا الأمر
أخذت جراحاً هاماً لغناء الأداة من له الموضحة

المستوى ٣ طالب به
د. محمد وليد سيد ولد حبيب
وانا كذلك أرى ما رأى شيخ محمد
محمد الحضر الناجي صاحب
آداب الحوار

لقد طلبت به الطالب أثناء المناقشة إضافة
جميعه في الدعوة (في الدعوة) في الدعوة
في حيز التسجيل من المذكرة للرؤوس
من الكتب في الفصول

إشارة لصارم ليد في ضوء الكتاب والسنة
١٤١٤/٥/٢



بحث مقدم لنيل درجة الماجستير
بقسم الكتاب والسنة

٢٢٨٢

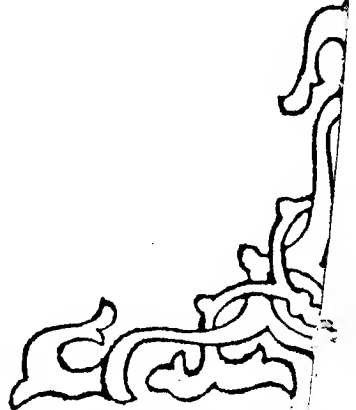
إعداد

الطالب / يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي
١٤١٧

إشراف

الدكتور / محمد ولد سيدي ولد حبيب

١٤١٣ هـ



مقدمة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله... أما بعد

فلا يزال الوحي المنزل - الكتاب والسنة - دائم لا ينضب معنيه، ولا تنقضي عجائبه، ولا تقف عن حد فوائده، ولا ينتهي البحث فيه والاستنباط منه، ذلكم أنه من عند الله الباقي الذي لا يحول ولا يزول، ولأنه - أي الوحي - صالح لكل زمان ومكان، ولا تزال الأيام والدهور تثبت ذلك وتؤكد، وتدلل عليه وتؤيده.

فسبحان الله! ما من قضية ولا حادثة، ولا مسألة ولا مشكلة، إلا وبيانها في الكتاب والسنة - بالقول أو بالفعل - : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١)

ومن جرب العيش في ظل القرآن، تلاوة وتدبرا، وأمعن النظر في سنة رسول الله ﷺ تفهما وتفكرا، وجد مصداقية هذه الآية ولا بد، ولقد أحسن أبوذر - رضي الله عنه - في التعبير عن ذلك حين قال : (لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يتقلب في السماء طائر إلا ذكرنا منه علما) (٢)

وبحمد الله فإن منهج هذا الدين واضح كل الوضوح، فقد تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، فلا طلاس ولا غموض فيه، سواء في جانب العقيدة والإيمان، أو الدعوة والعبادة، أو السلوك والأخلاق، أو النظر والاستدلال، أو غيرها.

- وحيث إن الحوار [وهو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر بصورة متكافئة ويغلب عليه الهدؤ والرغبة في الوصول إلى الحق والبعث عن التعصب والخصومة] (٣)

١ - النحل: ٨٩

٢ - أخرجه أحمد في المسند : (١٦٢/٥)

٣ - سيأتي مبحث مستقل للتعريفات وشرحها - بإذن الله تعالى -

(ب)

حيث إنه مما يدخل دخولا أصليا تحت منهج الدعوة، وحيث إن له أصولا وضوابط وآدابا تدخل ضمن منهج السلوك والأخلاق، ونظرا لدور الحوار وأهميته، من حيث كونه :

- ١ - وسيلة ناجحة في دعوة الناس إلى هذا الدين القويم.
 - ٢ - طريق مختصر لتوحيد الأمة الإسلامية، وتقريب وجهات نظر علمائها ودعاتها.
 - ٣ - سبيل للقضاء على كثير من الخلافات والحزازات القائمة بين فئات مختلفة من المسلمين.
 - ٤ - فرصة سانحة للدفاع عن الدين ورد شبهات الطاعنين.
- إلى غير ذلك من المهام والوظائف، والثمرات والفوائد، التي يمكن أن نجنيها عن طريق الحوار.

وحيث إن كل تلك المهام لا يمكن تحقيقها إلا بقواعد وأصول عامة، وآداب وأخلاق رفيعة، مستنبطة من الكتاب والسنة تساعد في نجاح الحوار، وتحافظ على جوهره، وتضمن استمراره - بإذن الله تعالى - وتقضي على كثير من سلبياته، وتنقيه من الأخطاء والشوائب، التي يمكن أن تعصف به فتعطله عن سيره، أو تهوي به في مكان سحيق.

وحيث إن جانب «منهجية الحوار: أي الأصول والقواعد الرئيسية العامة» التي تضبط مسار الحوار، سواء كان ذلك بالنصوص الشرعية، أو القواعد الأصولية، أو المقدمات المنطقية، أو الأدلة العقلية، قد بحث قديما وحديثا ضمن موضوعات وكتب أصول الفقه والمنطق ونحوها، أو في بحوث مستقلة تتعلق بمناهج الجدل وأصول الاستدلال أو غيرها(١).

-
- ١ - لا يكاد يخلو كتاب في أصول الفقه إلا وفيه بيان لهذا الجانب، وأما الكتب التي أفردته بالتأليف فمنها: (استخراج الجدل من القرآن لابن الحنبلي، وكتاب الجدل لأبي الوفاء بن عقال الحنبلي، تاريخ الجدل لأبي زهرة، آداب البحث والمناظرة للشنقيطي، مناهج الجدل للالمعي، ضوابط المعرفة للميداني، وغيرها)

(ت)

لذا فقد آثرت أن يكون موضوع رسالتي هو : «آداب الحوار في ضوء الكتاب والسنة» ليحقق الجانب الآخر في قضية الحوار، إذ هو موضوع يعنى بطريقة إدارة الحوار، والقواعد السلوكية والصفات الخلقية التي ينبغي مراعاتها - قبل وأثناء وبعد - الحوار، والتي تساهم مساهمة فعالة في تحقيق أهدافه، وتساعد في تقدمه وفلاحه. - مع أن هناك تداخلا وتقاربا بين الجانبين -، فقد يكون من الأصول العامة والقواعد المنهجية، ما يصلح أن يكون أدبا للحوار، لتعلقه بالجانب السلوكي، أو بطريقة الحوار أو نحوها، فأذكره هنا في بحثي بهذا الاعتبار؛ (أي باعتبار كونه منهجا أو أسلوبا أو أصلا للحوار، يحتاج إلى أن ينضبط بآداب معينة، ويفتقر إلى سلوكيات خاصة، ليقدم من خلالها للطرف الآخر، في قالب من الأدب الرفيع، والخلق الفاضل، فيكون أدعى لقبوله واقتناعه)، وعند ذلك نجمع بين التأثير على العقل بالأصول والمناهج، والتأثير على العاطفة بالآداب والأخلاق والسلوكيات.

وحيث إنه قد كثرت - في الآونة الأخيرة - وسائل طرح موضوع أدب الحوار، واختلفت في ذلك المناهج والطرق، وتعددت الوسائل والأساليب، وتباينت الجهات التي تبنته - وفي بعضها نظر وريبة سيأتي التفصيل فيها -، فقد أيقنت أن الطريق الأقوم، والسبيل الأفضل - ولاشك - هو منهج الكتاب والسنة: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (١)

ولذلك فقد حاولت - على قدر فهمي وطاقتي - أن أوصل «آداب الحوار» تأصيلا علميا شرعيا، وأن أربطه بنصوص الوحي مباشرة، وتحقيقا لهذا الغرض فقد حرصت على استقراء وتتبع حوارات القرآن، والتدبر والنظر في آياته، ويسر الله لي قراءة «الكتب الستة» - كاملة تقريبا -، وأن أجمع ما وجدته من الآثار والسير مما له علاقة بأدب الحوار، وبحمد الله فإنه - إن شاء الله - لم يفتني مما التزمت به - القرآن والسنة «الكتب الستة» - إلا القليل النادر،

(ث)

أو ما تركته عمدا لضعفه أو تكراره أو وجود ما يغني عنه مما هو أصرح وأوضح.

ولكثرة النصوص والأدلة في الكتاب والسنة في هذا الموضوع، ولكثرة نماذج الحوارات فيهما، فقد آثرت القرب الشديد من نصوص الكتاب والسنة ومعانيها، والبعد عن التفصيلات والتفريعات، والفلسفات - من كلام البشر - والتي ربما تذهب بروح النص ورويقه، إلا ما لزم من التعليقات اليسيرة والبيان المختصر، وشرح العلماء واستنباطاتهم.

وتبعا لذلك فقد استخدمت في هذا البحث ما يزيد على (سبعمائة) آية، - عدا المكرر - وقد تكرّر عدد لا بأس به منها، حسب مناسباتها ودلالاتها. كما أنني استعملت من السنة ما يزيد على (مائتين وأربعين) حديثا - بدون المكرر - وأكثر من (تسعين) أثرا، ومن مجموع تلك الآيات والاحاديث والآثار أكثر من (مائتين وأربعين) نموذجا تتضمن صورا للحوار وأمثلة له، وهي تتسم بالآداب التي هي موضوع البحث، ولله الحمد والمنة.

واتماما للفائدة فقد ذكرت عددا من القصص والأحداث والأقوال في سير السلف، مما له علاقة بأدب الحوار.

ولكون «أدب الحوار» موضوعا - معاصرا - يمد إلى الواقع بصلة كبيرة، بل ربما كان من موضوعات الساعة، فقد استفدت كثيرا من بعض المراجع المعاصرة، ففي التفسير مثلا: «تفسير السعدي»، «في ظلال القرآن»، ونحوهما، كما استفدت من عدد من الأشرطة والمقالات، وبعض كتابات وتجارب مفكرين غربيين، حسب ما يقتضيه المقام.

أما عن منهجي في الرسالة فألخصه في النقاط الآتية :

١ - أجمع واستقرىء النصوص المتشابهة، المتفرقة في كتاب هذه الأمة وسنة نبيها ﷺ (وأعني بالسنة هنا: «الكتب الستة» وقد أذكر شيئا من غيرها كالموطأ والمسند وغيرهما، إن لم يكن في هذه الكتب)، وأضيف إليها بعض السير والأحداث والمواقف، مما له علاقة بموضوع الرسالة.

(ج)

٢ - ثم ارتب هذه النصوص ترتيبا موضوعيا حسب الآداب التي تضمنتها ودلالاتها.

٣ - ومن ثم أدرس هذه النصوص وأحللها واستخرج منها مظاهر لي فيها من «آداب الحوار» مستنيرا بشروح العلماء وأقوالهم في تلك النصوص.

٤ - ولما كانت النصوص بتلك الكثرة، فقد كثرت على الآداب المستنبطة منها، حتى زادت على «أربع وخمسين» أدبا، فرأيت اختصارها وجمع بعضها إلى بعض - ما أمكن - فخلص لدي «أربعون» أدبا في أربعين مبحثا - إضافة إلى أربعة مباحث عامة - فاحترت في تقسيمها وتصنيفها على الأبواب، حتى أشار علي بعض الفضلاء بتقسيم الآداب إلى أربعة أصناف: (نفسية، علمية، لفظية، عامة) بحيث أنظر إلى كل أدب وتعلقه بأقرب صنف من هذه فالحقه به - مع وجود تداخل واشتراك كبير بينها - فقد يكون الأدب له تعلق بأكثر من جانب، وعندها أذكره في أقرب تلك الأبواب، وقد إشير إليه في الأبواب الأخرى.

٥ - قسمت الأبواب إلى مباحث، بحيث جعلت كل أدب من الآداب «مبحثا مستقلا»، وفي كل مبحث : اذكر المقصود بالأدب وأهميته، ومن ثم أدلته مرتبة بذكر نصوص القرآن أولا، ثم السنة، ثم الآثار والأقوال والقصص - هذا في الغالب - وأحيانا قد أخالف هذا الترتيب، مراعاة لدلالة النص وصراحتها، وقربها من القضية التي أكون بصدها.

٦ - لما وجد بعض التداخل في الأبواب، وشيء من المنازعة في الأدلة، إذ يصلح الدليل أن يكون شاهدا في أكثر من موضع، فقد آثرت أن أبسط الكلام في الأبواب المتقدمة: بذكر النصوص كاملة بتخريجها وأقوال العلماء فيها، وذلك لأكتفي بعد ذلك بالإشارة إلى ما أحججه منها في الأبواب المتأخرة.

٧ - ما أستدل به من أحاديث - غالبا - هو صحيح مقبول غير مطعون فيه، واكتفي بتخريجه هنا من الكتب المذكورة، بدون تفصيل أو إطالة الهوامش بذكر الأقوال في كل حديث أو الحكم على الرجال - إلا ما لزم منها واحتاج إلى زيادة بيان -، وقد اعتمدت في اختياري لهذه الأحاديث المقبولة على تصحيح

(ح)

الأئمة المعترين من أصحاب الكتب أنفسهم، وغيرهم كابين حجر والذهبي والهيثمي والحاكم والنوي وغيرهم ، ورجعت أيضا إلى حكم بعض المعاصرين كاللبناني وأحمد شاعر والأرناؤوط وغيرهم، جزاهم الله عن الأمة خير الجزاء.

أما عن أبواب الرسالة - بعد هذه المقدمة - فهي خمسة أبواب :الأول منها تمهيدى، وأربعة للآداب وما يتعلق بها، وتفصيل ذلك على النحو الآتى :
القسم الأول : تمهيد

الباب الأول : مدخل إلى الحوار

المبحث الأول : تعريفات : الحوار، الجدل، المناظرة، المحاجة، ودلالاتها اللغوية والشرعية، والفروق بينها.

المبحث الثانى : أهمية الحوار وأهدافه

المبحث الثالث : بين يدي الموضوع، وفيه قضايا:

أ - أصول وقواعد في موضوع الحوار

ب - حكم الجدل والحوار

ج - أركان الحوار، ويدخل تحته الكلام عن :

١ - شروط المحاور المسلم.

٢ - شروط المحاور غير المسلم.

٣ - موضوعات الحوار.

المبحث الرابع : الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار.

المبحث الخامس : في الكلام عن الخلاف وأنواعه، وعلاقته بالحوار، وفيه

قضايا :

١ - علاقة الخلاف بالحوار، وبيان أنه لا حوار إلا مع وجود خلاف حقيقي أو

صورى.

٢ - أنواع الخلاف.

٣ - أسباب الاختلاف.

(خ)

٤ - ضرورة وجود الخلاف مع التحذير منه شرعا، والتوفيق بين ذلك.

القسم الثاني: «آداب الحوار»

الباب الثاني : آداب الحوار النفسية

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تهيئة الجو المناسب للحوار .

المبحث الثاني : الإخلاص وصدق النية .

المبحث الثالث : الإنصاف والعدل، والتفريق بين الفكرة وصاحبها .

المبحث الرابع : التواضع وحسن الخلق .

المبحث الخامس : الحلم والصبر .

المبحث السادس : الرحمة والشفقة بالخصم، والحرص على اقناعه .

المبحث السابع : العزة والثبات على الحق .

المبحث الثامن : حسن الاستماع .

المبحث التاسع : المحبة رغم الخلاف .

المبحث العاشر : الهدؤ والثقة بالنفس .

المبحث الحادي عشر : احترام الطرف الآخر .

المبحث الثاني عشر : الجرأة والغضب لنصرة الحق .

الباب الثالث : آداب الحوار العلمية

وفيه مباحث :

المبحث الأول : العلم .

المبحث الثاني : البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الاتفاق .

المبحث الثالث : التدرج والبدء بالأهم .

المبحث الرابع : الدليل .

المبحث الخامس : الوضوح والبيان .

المبحث السادس : الصدق والأمانة .

المبحث السابع : التثبيت .

(د)

المبحث الثامن : الرد على الشبه بما يناسبها.

المبحث التاسع : ضرب الأمثلة.

المبحث العاشر : العدول عن الإجابة باستخدام المعارض وأسلوب الحكيم.

المبحث الحادي عشر : تأكيد القضية وتقريرها.

المبحث الثاني عشر : الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ.

المبحث الثالث عشر : الاحتمالات.

المبحث الرابع عشر : التحدي والإفحام وإقامة الحجة على الخصم.

الباب الرابع : آداب الحوار اللفظية.

وفيه مباحث :

المبحث الأول : العبارة المناسبة وحسن العتاب.

المبحث الثاني : التذكير والوعظ.

المبحث الثالث : التعريض والتلميح بدل التصريح.

المبحث الرابع : أدب السؤال.

المبحث الخامس : ذكر المبررات عند الاعتراض.

المبحث السادس : طلب الإنظار وعدم الاستعجال.

المبحث السابع : ثناء المحاور على نفسه أو على خصمه بالحق.

المبحث الثامن : مباغته الخصم وقطع الطريق عليه.

المبحث التاسع : محاذير لفظية.

الباب الخامس : آداب ومباحث عامة تتعلق بالحوار

وفيه مباحث :

المبحث الأول : الوقت المناسب.

المبحث الثاني : التزام المحاور بما يدعو إليه.

المبحث الثالث : الفراسة وحسن التصرف.

المبحث الرابع : مراعاة الألفهام والعقول.

المبحث الخامس : الحذر والمداراة.

(ذ)

المبحث السادس : توقع المخالفة برغم الإقتناع.

المبحث السابع : أساليب وطرق في الإستدلال.

المبحث الثامن : محاذير عامة.

المبحث التاسع : مناظرات وحوارات: (نماذج تطبيقية).

وبذلك تنتهي مباحث الرسالة، ويتلوها الخاتمة وأهم النتائج ومقترحات، ومن ثم ذكر المراجع والمصادر، ثم فهارس : الآيات والأحاديث والأعلام والموضوعات، وبعد، فإنني - من خلال بحثي هذا - مدين لأناس كثير، أجد نفسي عاجزا عن شكرهم، فمنهم من أعانني برأيه ومشورته واقتراحاته، ومنهم من ساعدني بجهده ووقته، ومنهم من ساهم معي بدعائه وتشجيعه، فلجميع أولئك أقول : «جزاكم الله عني خيرا، واسأل الله أن يجعل ما قدمتموه لي في موازين حسناتكم، وبارك الله في أعماركم وأهليكم وأولادكم» وأخص بالشكر والثناء، مشرفي الفاضل : الشيخ الدكتور: محمد الحبيب، الذي أعانني بكل مذكرت وزاد عليه بصبره وحلمه، وحسن تعامله ولطفه، فأسأل الله أن يبارك فيه، ويضاعف له الأجر والثوبة، إنه سميع مجيب.

وأخيرا : فإنني لا أدعي - في بحثي - العصمة والبشر محل النقصان، -إلا من عصم الله - والخطأ والنسيان من لوازم الإنسان(١)، فما كان من صواب فبتوفيق الكريم المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله هو المستعان، وعليه وحده التكلان.

أسأل الله أن يوفقنا جميعا للسداد، وأن يثبتنا على الصواب والرشاد، والحمد لله رب العباد.

١ - هاتان العبارتان مقتبسستان من مقدمة الكرمانى فى شرحه للبخارى: (٦/١) بتصرف يسير

القسم الأول : تمهيد

الباب الأول :
«مدخل إلى الحوار»

الباب الأول : مدخل إلى الحوار

وفيه اذكر مقدمات لا بد منها مما له تعلق بموضوع الحوار وآدابه ومباحثه على النحو الآتي : -

المبحث الأول : تعريفات:الحوار، الجدل، المناظرة، المحاجة، ودلالاتها اللغوية والشرعية والفروق بينها،

المبحث الثاني : أهمية الحوار وأهدافه،

المبحث الثالث : بين يدي الموضوع وفيه قضايا :

أ - أصول وقواعد في موضوع الحوار،

ب - حكم الجدل والحوار،

ج - أركان الحوار ويدخل تحته الكلام عن :

١ - شروط المحاور المسلم،

٢ - شروط المحاور غير المسلم،

٣ - موضوعات الحوار،

المبحث الرابع : الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار،

المبحث الخامس : الكلام عن الخلاف وأنواعه وعلاقته بالحوار وفيه قضايا:

١ - علاقة الخلاف بالحوار وبيان أنه لحوار إلا مع وجود خلاف حقيقي أو صوري،

٢ - أنواع الخلاف

٣ - أسباب الاختلاف

٤ - ضرورة وجود الخلاف مع التحذير منه شرعا، والتوفيق بين ذلك،

المبحث الأول : تعريفات

قبل البدء في الكلام عن آداب الحوار وما يتعلق به، لابد من التعريف بمعنى الحوار ودلالاته اللغوية والشرعية والتفريق بينه وبين المصطلحات الأخرى المقاربة له، كالجدال، والمناظرة والمحاجة.

أما الحوار: فأصله من الحور (بفتح الحاء وسكون الواو) وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، قال لبيد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع
والمحاورة : مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة، وهم يتحاورون أي :
يتراجعون الكلام، واستحار الدار: استنطقها، من الحوار الذي هو الرجوع (١)
[قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ (٢) أي : يرجع إلى ربه]. وقال
في الصحاح : حار يحور حورا وحؤورا: رجع ، يقال حار بعد ما كار. والمحار
: المرجع. وقال الشاعر :

نحن بنو عامر بن ذبيان والناس كهام محارهم للقبور.
والمحاورة : المجاورة، والتحاور: التجاوب. ويقال كلمته فما أحر إلي جوابا،
وما رجع إلي حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا، أي مارد جوابا.
واستحاره، أي: استنطقه (٣).

وأحر عليه جوابه: رده. وأحرت له جوابا وما أحر بكلمة، والاسم من
المحاورة؛ الحوير، تقول: سمع حويرهما وحوارهما (٤).

١ - لسان العرب: (٢١٧/٤-٢١٩)

٢ - الإنشاق: ١٤

٣ - الصحاح للجوهري: (٦٣٨/٢-٦٤٠)

٤ - لسان العرب: (٢١٨/٤)

وقال في القاموس المحيط: والمحاورة والمحورة والمحورة الجواب كالحوير والحوار ويكسر، والحيرة والحويرة ومراجعة النطق، وتجاوزوا تراجعوا الكلام بينهم، والتجاوز التجاوب (١).

إذا فالحوار هو تراجع الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة والرد، وقد ورد الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع فقط وهي: قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُ لَصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (٣) وقوله عز وجل ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٤).

ويظهر من هذه الثلاثة المواضع أن الحوار فيها هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، والأخذ والرد فيه، حيث فسر الطبري قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ في الآيتين بقوله: وهو يخاطبه ويكلمه (٥)، وفسر الزمخشري قوله: ﴿يُحَاوِرُهُ﴾: أي يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع، وسألته فما أثار كلمة (٦).

وكذلك فسر الطبري قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ فقال: إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتجاوزانه (٧)، وقال الزمخشري في قوله ﴿تُجَادِلُكَ﴾: وقرئ تحاورك: أي تراجعك الكلام، وتجادلك: أي تسائلك (٨).

١ - القاموس: (١٦/٢)

٢ - الكهف: ٣٤

٣ - الكهف: ٣٧

٤ - المجادلة: ١

٥ - الطبري: (٢٤٦-٢٤٧/١٥)

٦ - الكشاف: (٤٨٤/٢)

٧ - الطبري: (٦/٢٨)

٨ - الكشاف: (٦٩/٤)

فتبين من ذلك أن الحوار في القرآن اطلق على تراجع الكلام والمخاطبة والمجاوبة فيه.

أما إطلاقه في السنة فقد جاء في عدة أحاديث منها قوله ﷺ: «وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ أَوْ قَالَ : عُدُوَّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ» (١) قال النووي: حار عليه وهو معنى رجعت عليه أي رجع الكفر عليه، فباء وحار ورجع بمعنى واحد (٢) وفي صحيح مسلم أيضا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ، يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكُونِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ» ومعنى الحور بعد الكون: أي الرجوع من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية (٣)

وفي البخاري : كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ... الحديث (٤) وغير ذلك مما ورد فيه مادة حور، ويظهر في جميع تلك المواضع أن أصل إطلاق مادة (حور) على الرجوع ومنه الحوار والمحاورة بمعنى مراجعة الكلام وتداوله، كما تقدم في المعنى اللغوي.

إذا يتلخص لدينا مما سبق: أن الحوار في اللغة : هو الرجوع والمجاوبة. وفي الإصطلاح : مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين. وعرفه بعضهم بأنه (نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب) (٥) وهو ضرب من الأدب الرفيع، وأسلوب من أساليبه (٦).

١- جزء من حديث رواه مسلم كتاب الإيمان (٧٩/١) رقم ١١٢، ورواه أحمد (١٦٦/٥)

٢ - شرح النووي: (٥٠/٢)

٣ - رواه مسلم: كتاب الحج (٩٧٩/٢) رقم ٤٢٦ (وانظر التعليق عليه ص ٩٧٩)، ورواه ابن ماجه كتاب الدعاء (١٢٧٩/٢) رقم ٣٨٨٨، والترمذي كتاب الدعوات (٤٩٩/٥) رقم ٣٤٣٩، والنسائي كتاب الاستعاذة (٢٧٢/٨٥) رقم (٥٤٩٨)، وأحمد (٨٢/٥)

٤ - رواه البخاري: كتاب التفسير رقم (٤٦٤٠)

٥ - اصول الحوار- اصدار الندوة العالمية للشباب ص ٦

٦ - مناهج الجدل - د. زاهر الالمعي ص ٣٠

أما المجادلة فهي من [الجدل وهو شدة الفتل، وجدلت الحبل أجده جدلا إذا
شدت فتله وفتلته فتلا محكما، ومنه قيل: لزمام الناقة الجديل] (١) فالجديل هو

الزمام المجدول من آدم ومنه قول امرئ القيس :

وَكَشَّحَ لَطِيفٍ كَالْجَدِيلِ مُخَصَّرٍ وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُدَّلِّ.

وغلام جادل: مشتد، وجدل الحب في سنبله : قوي. قال الأصمعي : الجادل من ولد

الناقة الراشح وهو الذي قوي ومشى مع أمه] (٢).

[والأجدل : الصقر، صفة غالبية، وأصله من الجدل الذي هو الشدة. والجدالة :

الأرض لشدتها، وقيل: هي أرض ذات رمل دقيق. قال الراجز:

قَدْ أَرْكَبُ أَلَاةَ بَعْدَ أَلَاةٍ وَأَتْرُكُ الْعَاجِزَ بِالْجِدَالَةِ] (٣).

[والجدل ويكسر الذكر الشديد وقصب اليدين والرجلين وكل عضو وكل عظم

مؤخر لا يكسر ولا يخلط به غيره] (٤).

والجدل: اللد في الخصومة والقدرة عليها (٥) [وجادله: أي خاصمه، مجادلة

وجدالا : والاسم الجدل، وهو شدة الخصومة] (٦) [ورجل جدل إذا كان أقوى

في الخصام، والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة.

ويقال: إنه لجدل إذا كان شديد الخصام. وإنه لمجدول وقد جادل] (٧)

إذا فأصل مادة الجدل في اللغة تدل على الشدة والقوة، ويقصد بالجدل شدة

الخصومة واللد فيها مع القدرة عليها.

١ - لسان العرب: (١١/١٠٣)

٢ - الصحاح: (٤/١٦٥٣)

٣ - لسان العرب: (١١/٢٠٤)

٤ - القاموس المحيط: (٣/٣٥٧)

٥ - لسان العرب: (١١/١٠٥)

٦ - الصحاح: (٤/١٦٥٣)

٧ - لسان العرب: (١١/١٠٥)

وأما الجدل في الإصطلاح فهو دفع المرء خصمه عن افساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة (١) وقال صاحب المصباح المنير - بعد أن عرفه لغة - (ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها) (٢).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في المجادلة: [وهي في اصطلاحهم - أي المناظرة - المنازعة لا لإظهار الحق بل لإلزام الخصم] (٣).

لذا فقد ورد لفظ الجدل في القرآن : تسعة وعشرين مرة، كلها في سياق الذم، إلا في ثلاثة مواضع: أحدها في سورة النحل ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٤) والموضع الثاني في سورة العنكبوت ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٥)، والموضع الثالث في سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (٦) (٧).

أما بقية المواضع في القرآن فإما أن تكون في سياق عدم الرضا عن الجدل وإما عدم جدواه أو يفقد شرطاً أساسياً كطلب الحق، أو يكون بغير علم أو نحوه (٨) ومن الآيات في ذلك : قوله تعالى : ﴿وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (٩)، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (١٠).

١ - التعريفات للجرجاني: ص ٧٨

٢ - المصباح المنير: ص ٣٦

٣ - آداب البحث والمناظرة: (٧٥/٢)

٤ - سورة النحل: ١٢٥

٥ - سورة العنكبوت: ٤٦

٦ - سورة المجادلة: ١

٧ - انظر كتاب استخراج الجدل من القرآن الكريم لابن الحنبلي ص ٥١-٥٢

٨ - انظر أصول الحوار: ص ٩

٩ - سورة الكهف: ٥٦

١٠ - سورة الحج: ٨

وقوله ايضا : ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ اَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ اِلَّا جَدَلًا﴾ (١) وقوله عز وجل : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (٢) وغير ذلك من المواضع.

أما في السنة فقد بوب الأئمة يرحمهم الله في كتبهم بما يدل على كراهية الجدل، إذ أن الأصل فيه الخصومة والشدة فمن ذلك ما بوب به الإمام أبو داود في سننه في كتاب السنة قال : باب النهي عن الجدل في القرآن وذكر فيه قول النبي ﷺ : «المراء في القرآن كفر» (٣) وكذا تبويب ابن ماجة في مقدمة السنن: (باب إجتنب البدع والجدل)، وذكر فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ فقال: «ياعائشة: إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عناهم الله فاحذروهم» (٤) وذكر حديث: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ» ثم تلا هذه الآية ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٥).

فهذه الأحاديث تدل على معنى الجدل بالباطل واللد في الخصومة، على انه قد وردت نصوص أخرى أطلقت فيها المجادلة على المحاوراة ونحوها. فمن ذلك قوله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ (٦)، فأطلق الجدل والحوار على شيء واحد وهو مراجعة الكلام بين النبي ﷺ وخولة بنت ثعلبة رضي الله عنها.

-
- ١ - سورة الزخرف : ٥٨
 - ٢ - سورة الأنعام : ١٢١
 - ٣ - أبو داود كتاب السنة: (١٩٩/٤) رقم ٤٦٠٣
 - ٤ - ابن ماجة في المقدمة: (١٨/١-١٩ رقم ٤٧، وبمعناه: البخاري: التفسير ٤٥٤٧، مسلم: العلم: (٢٠٥٣/٤) رقم ١
 - ٥ - ابن ماجة في المقدمة: (١٩/١) رقم ٤٨، والترمذي كتاب تفسير القرآن (٣٧٩/٥) رقم ٣٢٥٣
 - ٦ - سورة المجادلة : ١

ومثله قول النبي ﷺ : «مَا مُجَادَلَةٌ أَحَدِكُمْ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا، بِأَشَدِّ مُجَادَلَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ...» الحديث» (١)

فبين الحديث أن المجادلة قد تكون في الحق، وهي عندئذ غير مذمومة.

والخلاصة : أن الجدل لم يؤمر به ولم يمدح في الكتاب أو السنة على إطلاقه، وإنما الممدوح منه ما قيد بالحسنى أو بالحق كما في قوله تعالى : ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢) وقوله : ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣). وأن الأصل في الجدل أنه مذموم ما لم يقيد، كما تدل الآيات والأحاديث التي اطلق فيها.

ومن ذلك تبين الفرق بين الحوار والجدل، إذ أنهما يلتقيان في كونهما حديثاً أو مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان في أن الجدل فيه لد في الخصومة، وشدة في الكلام، مع التمسك بالرأى والتعصب له. وأما الحوار فهو مجرد مراجعة الكلام بين الطرفين دون وجود خصومة بالضرورة، بل الغالب عليه الهدوء والبعد عن التعصب ونحوه. فالحوار أعم من الجدل من هذا الوجه، ولذلك لم اختر كلمة الجدل عنواناً للبحث.

أما المناظرة : فهي من النظر وهو : تأمل الشيء بالعين وقد نظرت إلى الشيء. والنظر: الانتظار (٤) والتناظر : التقابل يقال: تناظرت الداران: تقابلتا، ونظر إليك الجبل: قابلك. والنظر: الفكر في الشيء تقديره وتقيسه منك. فالنظر يقع على الأجسام والمعاني: فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني. والانتظار: التأخير والإمهال.

١ - النسائي في كتاب الإيمان (١١٢/٨) رقم ٥٠١٠، ابن ماجه في المقدمة (٢٣/١) رقم ٦٠

(وانظر صحيح النسائي للألباني رقم ٤٦٣٧)

٢ - سورة النحل : ١٢٥

٣ - سورة العنكبوت : ٤٦

٤ - الصحاح (٨٣٠/٢)

والمناظرة: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتياه (١).
والتناظر: التفاوض في الأمر، ونظيرك: الذي يراؤضك وتناظره، وناظره من
المناظرة، والنظير: المثل، ويقال: ناظرت فلانا أي صرت نظيرا له في
المخاطبة، وناظرت فلانا بفلان أي جعلته نظيرا له (٢).

أما مادة نظر في القرآن فقد جاءت بمعنى التأمل بالعين كما في قوله تعالى:
﴿ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ ﴾ (٣) وقوله: ﴿ تَسْرُ النَّاظِرِينَ ﴾ (٤) وقوله: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ
فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (٥) وغيرها كثير.

كما جاءت بمعنى التأخير والإمهال كما في قوله تعالى: ﴿ فَانْظُرْ إِلَى مِيسِرَةٍ ﴾ (٦)
وقوله: ﴿ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِيَّاهُ ﴾ (٧)، وجاءت بمعنى الفكر والتقدير كما في قوله
تعالى: ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ (٨) وكذلك الآيات التي تأمر بالنظر
والتأمل في مخلوقات الله كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ
خُلِقَتْ ﴾ (٩) وقوله: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ (١٠)
ونحوها. ولم ترد المناظرة في القرآن بمعنى الحوار والجدال، وقد استعملت
مادتها في السنة بالمعاني التي ذكرت في القرآن.

١ - لسان العرب: (٢١٧/٥)

٢ - نفس المصدر (٢١٩/٥) وانظر القاموس المحيط (١٥٠/٢)

٣ - الأنعام: ٩٩

٤ - البقرة: ٦٩

٥ - الأعراف: ١٠٨

٦ - البقرة: ٢٨٠

٧ - الأحزاب: ٥٣

٨ - النمل: ٣٣

٩ - الغاشية: ١٧

١٠ - العنكبوت: ٢٠

والحاصل : أن المعنى الاصطلاحي للمناظرة يرجع إلى النظير والمقابل في المخاطبة والكلام، أو إلى النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين اظهارة للصواب (١) وعلى المعنى الثاني فهي ممدوحة، وقريبة من معنى الحوار، إلا أن المناظرة أدل في النظر والتفكر، كما أن الحوار أدل في مراجعة الكلام وتداوله (٢) .

وهناك لفظ المحاجة وهو يطلق في اللغة على التخاصم والجدال، ويقال: رجل محجاج أي جدل، والتحاج: التخاصم (٣) والحجج: القصد والكف والقُدوم والغلبة بالحجة وكثرة الاختلاف والتردد (٤) بخلاف الحجة التي هي : البرهان، تقول حاجه محجة أي غلبه بالحجة. وفي المثل «لج فحج» (٥) . والصحيح أن الحجة هي : تدافع به الخصم وبمعنى آخر هي : (الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وإنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد) (٦) .

وقد جاء في القرآن لفظ الحجة أو التحاج عشرين مرة، اطلق بمعنى التخاصم والجدال في بعضها كما في قوله تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (٧) وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾ (٨) قوله ايضا ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾ (٩)

١ - انظر : التعريفات للجرجاني : ص ٢٥ ، كشف الظنون (١ / ٣٩)

٢ - انظر رسالة الحوار مع أهل الكتاب للباحث خالد القاسم ص ١١٥

٣ - لسان العرب (٢ / ٢٢٦ - ٢٢٨)

٤ - القاموس المحيط (١ / ١٨٨) بتصريف

٥ - الصحاح (١ / ٣٠٤)

٦ - لسان العرب : (٢ / ٢٢٨)

٧ - آل عمران : ٦٦

٨ - غافر : ٤٧

٩ - الانعام : ٨٠



وجاءت بمعنى البرهان أو ما دفع به الخصم؛
 كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ (١) وقوله:
 ﴿وَالَّذِينَ يَحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٢)
 وكذا جاءت في السنة بالمعنى الأول في بعض المواضع كما في حديث: «احتج
 آدم وموسى» (٣) وحديث: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ» (٤) وجاءت بالمعنى الثاني في
 مواضع كما في حديث: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» (٥) وقوله في الحديث: «فَحَجَّ آدَمُ
 مُوسَى» (٦) أي غلبه بالحجة والبرهان، فتبين بذلك أن المحاجة تطلق لغة
 وشرعا على التخاصم والجدال وهي عندئذ مذمومة، وتطلق الحجة على البرهان
 والدليل وما يرد به على الخصم، فإن كانت حقا وصحيحة فهي ممدوحة مطلوبة
 كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ (٧) وإن كانت بالباطل فهي
 مذمومة كما في قوله تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ (٨) مع أن الغالب في إطلاق
 المحاجة الذم وذلك بالنظر إلى المقصد وهو دفع الخصم بغض النظر عن الحق، وكذا
 فإن كثيرا من المفسرين يفسر المحاجة بالجدال وكذلك العكس، كما
 يفسرونها بالخصام.

فالتطري رحمه الله يقول في معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (٩)

-
- ١ - الأنعام : ٨٣
 - ٢ - الشورى : ١٦
 - ٣ - البخاري كتاب الأنبياء رقم ٣٤٠٩، مسلم كتاب القدر (٢٠٤٢/٤) رقم ١٥، الترمذي كتاب
 القدر (٤٤٤/٤) رقم ٢١٣٤
 - ٤ - البخاري كتاب التفسير رقم ٤٨٥٠، ومسلم كتاب الجنة (٢١٨٦/٤) رقم ٣٦.
 - ٥ - مسلم كتاب الطهارة (٢٠٣/١) رقم ١، الترمذي كتاب الدعوات (٢٣٧/٥) رقم ٣٥١٧ النسائي
 كتاب الزكاة (٤/٥) رقم ٢٤٣٧
 - ٦ - تقدم تخريجه آنفا
 - ٧ - الأنعام : ٨٣
 - ٨ - الشورى : ١٦
 - ٩ - البقرة : ٢٥٨

(يعني الذي خاصم إبراهيم ٠٠٠ حاجه فخاصمه في ربه(١) وكذا يقول ابن

الجوزي: (حاج بمعنى خاصم (٢)

وفي قوله تعالى ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ (٣) يقول

الطبري في معنى حاجوك: أي (خاصموك فيه بالباطل(٤) ويقول ابن كثير في

الآية نفسها: أي (جادلوك في التوحيد(٥)، ويقول ابن الجوزي ايضا في نفس

الآية : (حاجوك :اي جادلوك وخاصموك) (٦) وفي قوله تعالى : ﴿أَتَحَاجُّونِي فِي

اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ (٧) قال الطبري :يقول اتجادلونني في توحيدي الله(٨) وقال

ابن كثير: (أي:أتجادلونني في أمر الله(٩)، فنجد أن هؤلاء المفسرين فسروا

المحاجة بالجدال والمخاصمة، وكان ذلك على وجه الذم والمقت. كما أن

بعضهم قد عكس الأمر حين فسر الجدال بالمحاجة كما فعل ذلك ابن كثير في

تفسير قوله تعالى : ﴿أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ (١٠)

حيث قال : (أي: أتحاجوني في هذه الأصنام) (١١)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا

يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ (١٢) (أي:حاججتنا فأكثرت من ذلك(١٣).

١ - الطبري (٢٣/٣)

٢ - زاد المسير (٣٠٧/١)

٣ - آل عمران : ٢٠

٤ - الطبري: (٢١٤/٣)

٥ - ابن كثير: (٣٥٤/١)

٦ - زاد المسير (٣٦٣/١)

٧ - الأنعام : ٨٠

٨ - الطبري (٢٥٢/٧)

٩ - ابن كثير (١٥٢/٢)

١٠ - الأعراف : ٧١

١١ - ابن كثير: (٢٢٥/٢)

١٢ - هود : ٣٢

١٣ - ابن كثير (٤٤٣/٢)

والخلاصة : أن الحجة قد تمدح وقد تدم، وذلك بحسب إطلاقها، لأنها تطلق على البرهان الصحيح، كما تطلق على الشبهة الفاسدة كما سبق بيانه، وأما المحاجة فإنها في الغالب مذمومة إذ القصد منها دفع الخصم ورده، لا لبيان الحق، وهي قريبة من معنى الجدل والمخاصمة.

ومما سبق يتبين علاقة - المناظرة والجدال والمحاجة - بالحوار، إذ كلها تشترك معه في أنها مراجعة في الكلام ومداولة له بين طرفين، فهي تدخل في معنى الحوار من هذه الجهة، ثم تفترق المناظرة في دلالتها على النظر والتفكر، والجدال والمحاجة في دلالتها على المخاصمة والمنازعة.

المبحث الثاني : أهمية الحوار وأهدافه

أولا - أهمية الحوار :

بعد أن تبين لنا معنى الحوار والمقصود به، فقد ظهرت الحاجة إليه وضرورة استعماله، فإذا كان المسلم يسعى لنشر دعوته من خلال وسائل وطرق، فإن وسيلة الأولى المتقدمة على غيرها، هي وسيلة الكلمة والحوار، ذلك أن الكلمة رسالة وأمانة، رسالة يجب أن تقال وتؤدى، وأمانة يجب أن يراعى فيها كل ما من شأنه أن يفي بوصولها، فالكلمة الطيبة سلاح المؤمن في أداء رسالته النبيلة^(١)، سواء في ابتداء عرض ودعوة الناس إليها، أو في الدفاع عنها وتفنيد الشبه المثارة حولها، كما أنها سبيل الداعية في التعامل مع أمثاله الدعاة، خاصة إذا تباينت الآراء، واختلفت وجهات النظر.

لذلك يمكن أن يقال: (إنه بمقدار ما يكون الداعية متمكنا من فن الحوار، محيطا بآدابه واساليبه، يكون أقدر على النجاح في دعوته، ولذلك كان لابد من دراسة هذا الموضوع والعناية به وتأصيله، ومن ثم الرجوع إليه بين الحين والآخر، ليحاكم الداعية طريقته في النقاش وأسلوبه في عرض الدعوة، فيحسن أداءه ويصلح أخطائه، ليتحقق له بذلك الهدف والغاية من كلامه وحواره)^(٢). ويمكن معرفة أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية :-

أولاً:- كثرة استعمال الحوار في الكتاب والسنة، وكثرة وقوعه من الأنبياء، بل تكراره واستخدامه في التاريخ كله فلا يخلو متزمان، ولم يستغن عنه نبي ولا عالم ولا داعية، وكما هو واقع في الدنيا فهو موجود في الآخرة كذلك، بل في

١ - سيأتي إن شاء الله مبحث مستقل حول الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار

٢ - أصول الحوار بتصرف: ص ٥

الجنة والنار، ففيهما حوار وجدال ومحاجة ومخاصمة، كما سيأتي أمثله إن شاء الله.

ويكفي دليلا على هذه الكثرة أنني قد اوردت في هذا البحث أكثر من مائتي نص من القرآن والسنة، تعرض نماذج مختلفة من الحوار، هذا عدا ما تركته لتكراره أو للإختصار، ومما يبين كثرة وقوعه من الأنبياء - عدا النماذج المذكورة في ثنايا البحث - انكار قوم نوح^{عليه السلام} حين قالوا ما ذكره الله عنهم في قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ (١)، كما ينبغي أن يعلم أن الحوار يرد كثيرا وإن لم تستعمل مادته، وإنما قد تستعمل كلمة «قال» التي وردت في القرآن سبعا وعشرين وخمسمائة مرة (٢) ونحوها من الكلمات الدالة على وجود الحوار، ولا بأس من الإشارة إلى بعض نماذجه في القرآن، بإختصار وبدون ذكر الآيات لأن كثيرا منها سيأتي إن شاء الله تعالى.

فمن نماذجه ما دار بين الله تعالى وملائكته في موضوع خلق آدم عليه السلام (٣)، ومنها ما دار بين موسى^{عليه السلام} وقومه في ذبح البقرة (٤) ومنها ما دار بين الله سبحانه وتعالى وإبراهيم^{عليه السلام} حين طلب أن يريه كيف يحيي الموتى (٥)، ومنها قصة موسى عليه السلام وطلبه رؤية ربه عز وجل (٦)، وقصة عيسى^{عليه السلام} مع الحواريين في طلبهم للمائدة (٧)، ومنها حوار صاحب الجنتين في سورة الكهف (٨).

١ - هود : ٣٢

٢ - اصول الحوار : ص ٩

٣ - البقرة : ٣٠ - ٣٢

٤ - البقرة : ٦٧ - ٧١

٥ - البقرة : ٢٦٠

٦ - الاعراف : ١٤٣

٧ - المائدة : ١١٢ - ١١٣

٨ - الكهف : ٣٢ - ٤٣

وقصة موسى عليه السلام الخضر في السورة نفسها (١)، وقصة قارون مع قومه (٢)، وقصة داود مع الخصمين (٣)، وحكاية بلقيس مع قومها ومع سليمان عليه السلام (٤) إضافة إلى حوار نوح وإبراهيم وهود وشعيب وغيرهم عليهم السلام مع اقوامهم، كما في سورة الأعراف وهود والأنبياء والشعراء ونوح وغيرها، والأمثلة كثيرة جدا في الكتاب والسنة، وكلها تدل على أهمية الحوار وخطورته (٥)، وإضافة إلى كثرة استعماله كما تقدم، فإن أثره الإيجابي في الواقع، اكبر دليل على أهميته ودوره فكم من كافر قد دخل الإسلام عن طريق الحوار، وكم من مبتدع ضال رجع عن بدعته بسبب الحوار والمناظرة، وكم من عاص تاب إلى ربه، ورجع إلى عقله بعد محاورته، ومن ذلك الحوار الذي كان سببا في إسلام عمر بن الخطاب والحوار الذي كان سببا في إسلام عمير بن وهب، وحوار ابن عباس مع الخوارج الذي كان سببا في رجوع ألفين منهم عن بدعتهم، ومن ذلك الحوارات المصيرية الحاسمة الكثيرة التي كانت سببا في كبت الفتن، وتوحيد الكلمة، وإنهاء النزاع والخلاف كالحوار الذي كان بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة، والذي انتهى بمبايعة أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة، والحوارات التي كانت بين عبدالرحمن بن عوف وأصحاب الشورى بعد وفاة عمر رضي الله عنه، وحوار أبي بكر وعمر في قتال المرتدين، وكذا حوارهما في جمع القرآن وغيرها هذا عدا المناظرات العلمية الكثيرة التي كانت تجرى بين الصحابة أو بين العلماء في مسائل مختلفة، والتي بينت أرجح

١ - الكهف : ٦٦-٨٢

٢ - القصص : ٧٦

٣ - ص : ٢١

٤ - النمل : ٢٨

٥ - أصول الحوار : ص ١٠

الأقوال في كثير من تلك المسائل كمناظرة ابن عباس وابن الزبير في حكم المتعة ، ومحاورة عائشة وعروة في رؤية النبي ﷺ لربه، ومناظرة الشافعي واسحاق في كراء منازل مكة، وكذا مناظرتهما في طهورية جلود الميتة بعد دبرها. ومناظرة الإمام أحمد في خلق القرآن، ومناظرة الشيخ الكبير لأحمد بن أبي داود ، ومناظرة صاحب الحيدة، وغير ذلك كثير (١)، وعلى كل حال فإن أثر هذه الحوارات والمناظرات أكثر من أن يحصر، وهذا يدل على أهمية الحوار وضرورته والحاجة إلى طرح هذا الموضوع وتهذيبه ببيان أصوله وآدابه، وضوابطه وطرقه.

ثانيا - إن أقوال علماء الأمة في أهمية المناظرة، وضرورة استخدامها، له صلة كبيرة بموضوع الحوار، إذ إن المناظرة قريبة من الحوار، كما تقدم في التعريفات (٢)، وتشترك معه في الغاية منها وهو الوصول إلى الحق، وإظهار الصواب. لذلك فأرى أنه لا بأس من إيراد بعض تلك الأقوال، لنستشف منها أهمية الحوار وضرورته. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى «فكل من لم يناظر أهل الألفاظ والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن اعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين» (٣).

وقال صاحب شرح الكوكب المنير ما نصه : «قال أبو محمد الجوزي في الإيضاح: اعلم وفقنا الله وإياك أن معرفة هذا العلم لا يستغنى عنه ناظر، ولا يتمشى بدونها كلام مناظر، لأن به تتبين صحة الدليل من فسادة تحريرا وتقريراً، وتتضح الأسئلة الواردة من المردودة أجمالاً وتفصيلاً، ولولاه لأشتبه التحقيق في المناظرة بالمكابرة ولو خلى كل مدع مدعى ما يرومه على الوجه الذي يختار،

١ - سيأتي تفصيل للمناظرات والحوارات في ثنايا البحث وفي بحث آخر مستقل إن شاء الله تعالى.

٢ - انظر: (المبحث السابق - تعريف المناظرة)

٣ - الفتاوى (٢٠/١٦٤-١٦٥)

ولو مكن كل مانع من ممانعة ما يسمعه متى شاء، لأدى إلى الخبط وعدم الضبط، وإنما المراسم الجدلية تفصل بين الحق والباطل، وبين المستقيم من السقيم فمن لم يحط بها علما كان في مناظرته كحاطب ليل^(١)

وقال في كشف الظنون بعد أن ذكر تعريف علم المناظرة وموضوعه والغرض منه: [وقال ابن صدر الدين في الفوائد الخاقانية: (وهذا العلم كالمنطق يخدم العلوم كلها لأن البحث والمناظرة عبارة عن النظر من الجانبين في النسبة بين الشئيين اظهارا للصواب، والزاما للخصم، والمسائل العلمية تتزايد يوما فيوما، بتلاحق الأفكار والأنظار، فلتفاوت مراتب الطبائع والأذهان لا يخلو علم من العلوم عن تصادم الآراء وتباين الأفكار وإدارة الكلام من الجانبين للجرح والتعديل والرد والقبول، وإلا لكان مكابرة غير مسموعة، فلا بد من قانون يعرف مراتب البحث على وجه يتميز به المقبول عما هو المردود، وتلك القوانين هي علم آداب البحث] انتهى (٢).

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في كلامه عن المناظرة: (حكمها: فأقل مراتب حكمها الجواز، إن كانت على الوجه المطلوب وقال بعضهم باستحبابها. وقيل إن القدر الذي يلزم لابطال شبه خصوم الحق فرض كفاية، وليس ببعيد والله اعلم) (٣).

قلت : إذا كان هذا كلام بعض الأئمة في علم الجدل والمناظرة، مع ماورد عن غيرهم من كراهية أو تحريم لهما لتعلقهما بالمنطق فإن الحوار المفيد الهادىء، البعيد عن الخصومة والتعصب يدخل من باب أولى في ثناء العلماء وتقرير أهميته - خاصة وأن الحوار يحقق الهدف والغاية التي من اجلها مدح أولئك العلماء الجدل والمناظرة، ألا وهو التوصل إلى الحق، واظهار الصواب ورد الشبه وإبطالها ، كما سيتبين ذلك جليا عند الكلام عن اهداف الحوار إن شاء

١ - شرح الكوكب المنير: (٤/٣٦١)

٢ - كشف الظنون: (١/٣٩)

٣ - آداب البحث والمناظرة: (٢/٤)

الله تعالى.

ثالثاً:- لقد ظهرت في الآونة الأخيرة ندنة جديدة، حيث يكثر المنافقون من العلمانيين واعوانهم من طرح موضوع الحوار والدعوة اليه، بكتابة المقالات، واجراء الندوات والتحقيقات في الصحف والمجلات، ويهدفون من وراء ذلك إلى اهداف خبيثة مأكرة، منها مثلاً: اسكات صوت الحق الذي يجاهدهم باللسان، ويغلظ عليهم بفضح مؤامراتهم وكشف ألعيبهم استجابة لقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١) فيقصدون بالدعوة الى الحوار الهادئ والأدب فيه؛ اظهار الدعاة والمصلحين بمظهر سوء الأدب والتعصب والتشنج وعدم التفاهم، في الوقت الذي يظهرون فيه أنفسهم بدعاة الحوار والمراعين لأدب الخلاف.

ويهدفون ايضاً : إلى الوصول إلى المرحلة التي يطرحون فيها كل قضايا الشريعة للنقاش والحوار، دون التسليم أو الإعتراف بالأصول والأسس التي لا تقبل الخلاف أصلاً، ودون الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة أو إلى أقوال علماء هذا الدين في القديم والحديث، كما ستوضح الأمثلة .

ومع علمنا بأن هؤلاء العلمانيين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فهم حين يرد عليهم أو يفضحون أو تكشف مؤامراتهم ويبين نفاقهم، ويكتب عن سوء نواياهم وتربصهم بالإسلام واهله، عندها يدعون إلى الحوار الهادئ ويطرحون أدب الخلاف في الإسلام، وآداب الاجتهاد في الشريعة، وينقلون النصوص والأقوال من كتب السلف في ذلك ، فهم عندئذ يؤمنون بالكتاب ويرجعون إلى هدي

الإسلام، أما حين يكتبون هم ويتكلمون فلا يتورعون عن الكذب والافتراء والتلفيق والطعن في الدين ونبذ العلماء والدعاة، تصريحاً أو تلميحاً، دون مراعاة لأدب الحوار، أو احترام الرأي الآخر عند الاجتهاد. وأما في دعواتهم الهدامة - كالدعوة إلى فصل الدين عن الحياة، وموالاته أعداء الله، والدعوة إلى تحرير المرأة فهم عند ذلك يعرضون عن الكتاب، ويعتبرون الرجوع إليه تخلفاً ورجعية، وأن أحكامه قد عفا عليها الزمن ولا تناسب العصر، وأن الأحكام والفتاوى في هذا الجانب ستتغير بتغير الزمن.

أقول: مع علمنا بذلك كله فإننا لا نستنكر عليهم الكلام في أدب الحوار، أو الدعوة إلى التأدب عند الاختلاف، لأن الحق أحق أن يتبع، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها (١)، ولكنني أتمثل في هذا الموقف قول النبي ﷺ «نَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ بِمُوسَىٰ مِنْكُمْ» (٢).

فأهل الإسلام وعلمائهم ودعاتهم وطلبة العلم فيه، أحق بالكلام في أدب الحوار وحكم الاجتهاد وفقه الخلاف، وأولى بدراسة واستنباط هذه الآداب من نصوص الكتاب والسنة، والاستفادة من تجارب الأنبياء والعلماء والدعاة الذين سبقوهم بإحسان.

وتصديقا لهذا أذكر أمثلة معاصرة - باختصار - تثبت أن امثال هؤلاء إذا ما فضحوا وكشف أمرهم ورد عليهم أهل الهدى، كانت أجوبتهم في الصحف والمجلات مقالات في أدب الحوار، أو أدب الاجتهاد والخلاف في الشريعة الإسلامية :

١ - هذا معنى حديث أخرجه الترمذي : كتاب العلم : (١٥/٥) برقم ٢٦٨٧، ابن ماجه، كتاب

الزهد : (١٣٩٥/٢) برقم ٤١٦٩

٢ - جزء من حديث أخرجه البخاري: كتاب الصوم رقم ٢٠٠٤، ومسلم كتاب الصوم : (٧٩٦/٢)

رقم (١٢٨).

- فعندما كشف بعض مخططات العلمانية ومكرها: من دعوة إلى تحرير المرأة وتقديم مطالبات تدفع عجلة الانحلال عندها ثار جمع من الغيورين لإنكار هذه الدعوات ، وفصح تلك المؤامرات، فكان الرد على المنكرين بمقال حول الحوار والاجتهاد يقول فيه كاتبه : (والحوار الذي يدور حول القضايا المفتوحة يجب أن يتم في جو هادئ، بعيد عن التشنج والإنفعال، بعيدا عن استعداد السلطة على الرأي الآخر، وبعيدا عن الاتهامات التي تلقى جزافا وبلا مبالاة..... إلى أن يقول: ولا يزال تغير الفتوى بتغير الزمان من الأمور الاجتهادية حيث لا نصوص قاطعة، من الملامح التي تمتاز بها شريعتنا الغراء^(١)) وفي رسالة كتبها نفس صاحب المقال يؤكد فيها : (أن أمور التقاليد لا يجب أن تكون جزءا من الشريعة، وأن أمور الشريعة قابلة للنقاش، وأن الفتاوى تتغير، وليست وحيا منزلا... ثم يقول: واننا نتطلع إلى مرحلة يكون كل شيء فيها قابل للنقاش) (٢).

ومرة ثالثة فهو يكتب مقالا بعنوان «من آداب الاجتهاد والاختلاف في الإسلام» يخلص فيه إلى أن المجتهد ليس له أن يلزم غيره بفتواه ثم قال : (ترى متى يتعلم المسلمون المعاصرون من اسلافهم العظام شيئا من أدب الاجتهاد وأدب الخلاف ؟!) (٣) فهذا الكاتب يدافع عن دعاة التغريب ويرو الفتاوى التي صدرت فيهم - بطريق غير مباشر- بالدعوة إلى الحوار مرة ، وإلى تعلم أدب الاجتهاد والخلاف مرة أخرى وهكذا .

١ - انظر صحيفة الشرق الأوسط العدد: ٤٣٧١ الجمعة ١٤١١/٤/٢٩هـ

٢ - نص هذه الرسالة موجود في ملحقات مذكرة د. محمد سعيد القحطاني في الرد على الكاتب وعنوانها: «يكون الدين كله لله»

٣ - انظر مجلة الإمامة العدد : ١١٣٣ الاربعاء ١٤١١/٥/١٨، وقد تعقبه د. صالح الفوزان بالرد عليه في العدد ١١٣٥ من نفس المجلة.

- ومثال آخر وهو ما طرحته بعض الصحف في زاوية «مناظرة» وتحت عنوان قضية الحوار كمبدأ في الإسلام وخلطت فيه الحابل بالنابل، حتى أن بعض من كتب في هذا الموضوع يرى أن الحوار جزء من الديمقراطية (١) وأن الخلاف في حوار المسلمين يحسم من خلال فكرة الأغلبية، إلى غير ذلك من مثل هذه الآراء والأفكار (٢).

وخلاصة الكلام : فإن مما يبين أهمية ودراسة موضوع الحوار وآدابه، أن الموضوع أصبح كلاً مباحاً لكل متكلم، فالواجب على أهل الإسلام من العلماء والدعاة وطلبة العلم من أهل السنة والجماعة، أن يُعَنِّوا بمثل هذا الموضوع فيبحثوا فيه ويتكلموا، فهم أحق بذلك وأولى، وألا يتركوه لمخلط أو مغرض.

رابعاً مما يبين أهمية الموضوع أيضاً: ما يظهر في هذه العصور المتأخرة مع كثرة الخلاف من خروج الحوار بين المسلمين عن أهدافه وغاياته، وما يطرأ عليه غالباً من سوء الأدب وحدة الكلام، وربما تطور إلى تبادل التهم والسب والشتيم، بل أصبح من مميزات الحوار في - كثير من الأحيان - في عالمنا الإسلامي، بما في ذلك الحوار بين الجماعات الإسلامية، ومن ظواهره المؤلمة: رفع الصوت والتعالي فيه والصراخ والتهويل وتحميل الألفاظ مالا تحتمله، وإطلاق الأحكام على قائلها بالكفر والفسق والضلال والعداوة للإسلام أو التربص بالسنة وأهلها، وكذلك وصف الطرف الآخر بأوصاف لا تليق كـ جاهل - سخيف - حقير... أو أنه ليس أهلاً للحوار، وربما قيل عنه عميل لأعداء الإسلام، أو أخطر من اليهود والنصارى، وربما تعدى هذا الأمر إلى الحكم على النيات، وما تكنه الصدور، هذا عدا الخطأ في الأمور الشكلية أو الفنية، كعدم اختيار الوقت والمكان المناسبين، وعدم مراعاة ظروف الطرف

١ - الديمقراطية: مصطلح معناه حكم الشعب للشعب (انظر «مذاهب فكرية معاصرة» لمحمد قطب

ص ١٧٨)

٢ - انظر صحيفة الشرق الأوسط الأعداد: ٤٥٤٧-٤٥٥٣

الآخر ونفسيته ومنزلته، أو الإستئثار بالكلام، وأخذ زمام الحديث بالقوة، وكأننا طبقنا نصيحة ديل كارينجي حين قال: [إذا كنت تريد أن ينفذ الناس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك، فهناك «الوصفة»: لا تعط أحدا فرصة الحديث.. تكلم بغير انقطاع عن نفسك، وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث فلا تنتظر حتى يتم حديثه: إنه ليس ذكيا مثلك ولا أريبا، فلماذا تضع وقتك في الإستماع إلى حديثه السخيف !! اقتحم عليه الحديث واعترضه في منتصف كلامه] (١) إلى غير ذلك من السلبيات والمساوئ التي تطرأ على الحوارات بين المسلمين والمسلمين، وربما بين أهل السنة وأهل السنة، والتي تستدعي دراسة هذا الموضوع وتأصيله واستنباط آدابه من كتاب هذه الأمة وسنة نبيها ﷺ وتجارب علمائها ومفكرها.

خامسا:- ان هذا الموضوع له تعلق كبير بغنون أخرى مستقلة كـ «فن الجدل» وفن « البحث والمناظرة»، وقد ذكر العلماء آدابا لتلك الفنون مما يستفاد منه في الحوار، ويحتاج إلى جمع وترتيب من جديد، كما أنه قد شاع في العصر الحديث تخصص يتصل بهذا الموضوع، وهو فن العلاقات العامة، وانشأت لدى الدوائر والمؤسسات أجهزة خاصة بالعلاقات العامة، المسؤولية الأساسية لهذه الأجهزة هي حسن الاتصال بالآخرين لإقناعهم بآراء معنية، أو تصحيح أفكارهم نحو قضية أو غير ذلك، وعلى أهمية هذا الفن والتركيز عليه في العصر الحديث، وتأليف كتب خاصة به، يمكن أن يقال إنه فن قديم، لكنه أخذ شكلا أكثر تحديدا أو تخصيصا ودقة (٢).

ولذلك فدراسة هذا الموضوع واستنباط الآداب المتعلقة به، يساعد في إثراء

١ - «كيف تكسب الأصدقاء» - ديل كارينجي ص ٩٧

٢ - أصول الحوار: ص ٥

هذه العلوم، وفي احياء ما اندثر من تلك الآداب التي تمثلها الأنبياء والعلماء، ومحاولة السير على نهجهم فيها: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَ﴾ (١)

ثانيا : اهداف الحوار

ان معرفة اهداف الحوار، لها اهمية كبيرة في دراسة هذا الموضوع، إذ أن هدف الحوار هو ثمرته المطلوبة وإن الهدف من الحوار يحدد موضوعاته وأساليبه وآدابه، وعليه فإن الحكم على الحوار إنما يكون بمعرفة أهدافه، لأن الأمور بمقاصدها، كما ان معرفة الأهداف هي التي تحدد مدى نجاح الحوار، لأن نجاح كل شيء متعلق بتحقيقه لأهدافه المحددة، اضافة إلى أن تحديد الاهداف هي الخطوة الأولى في كل عملية يريد ان يقوم بها الانسان.

لذلك فلا بد من تحديد اهداف الحوار، ومعرفة الغاية منه، والاهداف التي يمكن تحديدها للحوار - في رأيي - هي :

١ - الدعوة : وأعني بذلك دعوة الآخرين واقناعهم، سواء دعوة الكفار إلى الإسلام، وهو هدف وغاية مطلوبة، أو دعوة المبتدعين إلى السنة، أو دعوة غيرهم إلى الحق، وأقل ما يتحقق من هذا الهدف هو اقامة الحجة على الخصم، وبراء الذمة امام الله عز وجل لذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكر الجدل بالتي هي أحسن في ضمن وسائل الدعوة حيث قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢) قال ابن كثير: [أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب] (٣) وعليه فالحوار الهادئ المراعى فيه الأدب الرفيع، يمكن أن يكون مفتاحا للقلوب، وطريقا إلى الأفتدة، ومحققا لنتائج كثيرة، قد يخسرها الشخص إذا لم يسلك سبيل الحوار، أو إذا لم يراع فيه الضوابط والآداب.

١ - الأنعام : ٩٠

٢ - النحل : ١٢٥

٣ - ابن كثير : (٢/٥٩١)

وبالنظر إلى تاريخ الدعوة والدعاة من الأنبياء والصحابة والعلماء ومن سار على نهجهم، فإن الحوار قد حقق اهداف الدعوة وكانت له آثاره الجيدة من دخول الناس في دين الله عز وجل، أو رجوع الضالين عن ضلالهم (١) وغير ذلك فحقق الغايتين: اعني إستجابة الناس وتقواهم، والإعذار إلى الله عز وجل، وهما الغايتان المذكورتان في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبُّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٢).

ومن المعلوم ان مهمة الداعية هي بذل الأسباب في هداية الناس ودلائهم إلى الخير، ولا بد ان يواجه في ذلك التواءات النفوس وخلافهم معه في الرأي، فاذا لم يكن لديه من الإلمام بآداب الحوار والإختلاف الشيء الكافي لكي يصبر ويستمر في دعوته، فقد ينفر الناس منه وهو يسعى لجمعهم وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

والخلاصة : أنه إذا كانت للداعية مجموعة من الطرق والوسائل يسعى من خلالها إلى نشر دعوته بين الناس، فإن عليه ان يتذكر دائما أن أدواته الأولى المقدمة على ما سواها هي الحوار .

٢ - من أهم اهداف الحوار: الوصول إلى الحق، وترجيح أحد الآراء المطروحة، وتضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر. فإننا نعيش في عصر كثرت فيه الخلافات مصداقا لقوله ﷺ «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً» (٣)، وليست المشكلة في وجود الخلاف، فإن وجوده أمر طبيعي كما قال عز وجل ﴿... وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (٤)، (٥) ولكن المشكلة في ما يؤدي إليه الخلاف من فرقة وتباغض وتناحر وتضارب ، عندما

١ - انظر ماسبق بيانه من أمثلة عند ذكر اهمية الحوار.

٢ - الاعراف ١٦٤

٣ - ابو داود كتاب السنة (٢٠٠/٤) رقم ٤٦٧٠، الترمذي كتاب العلم (٤٤/٥) رقم ٢٦٧٦.

٤ - هود: ١١٨-١١٩

٥ - سيأتي مزيد كلام عن الخلاف ان شاء الله تعالى.

يعجز المختلفون عن التفاهم بالمحاورة أو يغفلون عن ضرورة الالتقاء لتقريب وجهات النظر أو يقللون من قيمة الحوار، ويرون ألا فائدة منه أصلاً، وهو خطأ يقع فيه كثير من المختصمين والمختلفين، ذلك هو أن يتصور كل واحد منهم أنه لابد من اقناع الخصم بالرأي الذي يتبناه، أو لابد من ترجيح رأيه وتخطئة رأي محاوره، وإلا فلا جدوى من الحوار ولا داعي له، ولا يتصور أن الحوار إذا لم يحسم قضية الخلاف بترجيح رأي معين فإنه يقرب وجهات النظر، ويضيّق هوة الخلاف، بل يحدد الخلاف ويحصره في حيز ضيق، ويساعد في تقارب القلوب وتفهم الأفكار، مما يكون له أثر في التماس العذر للطرف الآخر في حمله لرأيه، وخاصة إذا كان الخلاف بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، فإن تفهم هذه الأمور مؤكد في حقهم إذ إنه يؤدي إلى تحقيق وحدة الأمة المنشودة وكما أن الحوار يعتبر ناجحاً إذا انتهى أحد الطرفين إلى قول الطرف الآخر واتفقا على موقف واحد، فذلك يعتبر الحوار ناجحاً أيضاً إذا توصل الطرفان إلى أن كلا القولين صحيح وسائغ، أو هو في الإطار الذي يسعه الخلاف، وعندها يمكن أن يقال [واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية].

٣ - ومن أهم غايات الحوار: بيان الباطل الذي عليه الخصم، والرد على الشبهات والطعون الموجهة ضد الحق والصواب وذلك لإقامة الحجة على المخالف، ولإظهار الباطل على حقيقته حتى يحذره الآخرون، ولتستبين طرق الضلالة كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١)، وحتى يختار كل واحد أحد الطريقين عن بينة ووضوح: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (٢).

وكذلك فإن كشف الشبهات، وتفنيده الأباطيل، يزيل الغشاوة التي ربما تكون على الأعين، وكما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله: (أن كثيراً من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون إلى أجوبة عليها) (٣)،

١ - الأنعام ٥٥

٢ - الأنفال ٤٢

٣ - الجواب الصحيح: (١/٧٦)

وكذلك فإن كثيرا من المختلفين يمنعهم من التسليم بالحق والرجوع إلى الصواب، شبهات وشكوك وأباطيل، تحتاج إلى جواب وتفنيد وإبطال، والحوار يحقق هذا الهدف، فبه يمكن إزالة كل شبهة، وتفنيد كل باطل. ولذلك فقد اهتم القرآن بهذا الهدف فذكر كثيرا من شبهات الكفار من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين ورد عليها بأوضح برهان، وأقوى حجة (١)، بل تكفل الله بالآيتين بالحق الواضح البين أمام كل حجة وشبهة يأتي بها الكفار، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٢) قال ابن كثير رحمه الله: [«ولا يأتونك بمثل» أي حجة وشبهة، «إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا»: أي ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم] (٣) والشاهد أن من الأهداف التي يحققها الحوار: بيان الباطل، وكشف الزيف، واستبانة سبيل المجرمين، وكذلك الرد على الشبه والأباطيل، إسكاتا للطاعنين، وبيانا للحائرين.

٤ - تحقيق أهداف أخرى مشروعة: فهناك مصالح أخرى وأهداف كثيرة يمكن تحقيقها عن طريق الحوار، وهي ليست رئيسية ثابتة، ولكن تتنوع وتختلف باختلاف القضايا والمحاورين: فمثلا - قد يكون الحوار مع كافر ويقصد منه اظهار عزة الإسلام وقوة حجته، وذلك ليزداد المؤمنون ايمانا ويقينا وتمسكا، ويكون الهدف هو تثبيت بعض المؤمنين على الايمان، أو زيادة اطمئنانهم إلى الحق بومن الأمثلة كذلك: أن يكون الحوار لهدف تعليم السامعين، كما كان في حديث جبريل الطويل، حيث كان الحوار بين جبريل والنبي ﷺ عن الإسلام والايمان والإحسان وأشراف الساعة، بهدف تعليم الصحابة، ولذلك قال ﷺ في آخر الحديث «فإنَّه جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» (٤)، إلى غير ذلك من الأمثلة، والأهداف المشروعة التي يمكن تحقيقها بالحوار.

١ - انظر رسالة الحوار مع أهل الكتاب ص ١٢٣

٢ - الفرقان : ٣٣

٣ - تفسير ابن كثير (٣/٣١٧-٣١٨)

٤ - مسلم كتاب الإيمان (١/٣٦) رقم ٢١ باب داود كتاب السنة (٤/٢٢٢) رقم ٤٦٩٥

المبحث الثالث : بين يدي الموضوع

وسأعرض في هذا المبحث إلى النقاط الرئيسية التالية :

أولاً : أصول وقواعد في موضوع الحوار

ثانياً : حكم الجدل والحوار

ثالثاً : أركان الحوار ويدخل تحته الكلام عن :

١ - شروط المحاور المسلم.

٢ - شروط المحاور غير المسلم

٣ - موضوعات الحوار

أولاً : أصول وقواعد في موضوع الحوار

أ - أصل الموضوع في القرآن

إن موضوع الحوار قد تعرضت له آيات القرآن في مواضع شتى، وبأساليب مختلفة، ففي بعض الآيات تظهر الدعوة إلى الحوار أو إلى شيء من مستلزماته وأصوله، وفي نصوص آخر حث على التزام آداب عامة للحوار ، وفي قسم منها بيان آداب خاصة من آداب الحوار، وفي قسم منها نماذج وأمثلة للحوار.

فمن النصوص العامة التي وضعت مقومات الحوار وأصوله وشروط الانتفاع به قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَارِكُمْ ثُمَّ تَقُولُوا هَذَا مَا كُنَّا نَقُولُ ﴾ (١) ،

تأتي هذه الآية رداً على المشركين الذين طعنوا في النبي ﷺ دون تدبر أو تفكير فاتهموه بالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى كما في الآيات قبلها ﴿ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ وَأَنْ يَقُولُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا جَاءَهُمْ مِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٢)

١ - سبأ : ٤٦

٢ - سبأ : ٤٣

فأقام الله عز وجل هذه الموعظة العظيمة التي من أخذها بجميع مقوماتها فلا بد أن يصل إلى الحق، وهذه المقومات هي :

١ - القيام لله تعالى ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ (١) وهو الإخلاص والتجرد في طلب الحق (٢) وهذا شرط أساسي لكل عمل، وبدونه يفسد العمل ولا يوفق فيه صاحبه ولا يبارك له فيه، فالإخلاص في البحث عن الحق والصدق في طلبه شرط للوصول إلى ذلك الحق، وعندما يغيب الإخلاص ينعدم الانقياد إلى الحق ولو كان مثل فلق الصبح، لأن من تعلق قصده بغير وجه ربه عز وجل ثقل عليه الانقياد للحق وقصرت همته عن بلوغه والعمل به، وعندما يوجد الإخلاص في القصد والصفاء في النية والتجرد لاتباع الحق، يسهل على صاحبه الانقياد له عند ظهوره، ولو على لسان مخالفه، لأنه يعلم أن الرجوع إلى الحق خير من التماسي في الباطل (٣).

وهذا الأصل يدخل تحته عدد من الآداب كتصحيح النية، وحسن الاستماع ، والتسليم بالخطأ، والرجوع إلى الحق والتواضع وتجنب الكذب والمراوغة ، والأمانة، والإنصاف والعدل والهدوء وضبط النفس ، وعدم الغضب وتجنب الهزء والسخرية بالطرف الآخر وغير ذلك كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

٢ - مراجعة النفس على انفراد أو مع الآخرين ﴿مَثْنَى وَفِرَادَى﴾ (٤) والالتزام بهذا الشرط يقضي على عامل مهم من العوامل التي تغطي الحق أو تشوه وجهه، وذلك في مثل الأجواء الجماعية والجماهير الجاهلة، والتي غالبا ما تتصف بالغوغائية والتقليد الأعمى واتباع كل ناعق من رؤوس الضلال، مما قد يؤدي بطالب الحق المخلص إلى اتباع الأكثرية من الناس، متهما نفسه،

١ - سبأ : ٤٦

٢ - سيأتي مزيد من الكلام عن الإخلاص عند ذكر الآداب إن شاء الله تعالى

٣ - انظر رسالة «قل انما اعظكم بواحدة» لعبدالعزیز الجليل ص ٨-١٣

٤ - سبأ : ٤٦

ظانا أن الحق مع الأكثرية (١) .

وهذا الأصل أيضا يدخل تحته عدة أمور تجب مراعاتها، كمرعاة الجو المحيط بالحوار، والظروف النفسية والاجتماعية للطرفين والتعارف قبل الحوار، والتحدى والافحام، والمحافظة على هدف الحوار والوصول إلى نتيجته وسيأتي تفصيله بمشيئة الله تعالى .

٣ - التفكير فيما يقوله المخالف : ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (٢) وهذا الأصل هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق بعد الالتزام بالشرطين السابقين، فالتفكير والعلم وإمعان الرأي هو المتمم لهذا المنهج الإلهي للوصول إلى الحق، وتبين الهدى من الضلال، لأن أداة التفكير الأساسية هي العلم (٣) بحال القضية المختلف فيها ومعرفة ملابساتها، والمقصود بالتفكير هو البحث عن الأدلة الشرعية العلمية والتحقق من ثبوتها ودلائلها على المراد، والجاهل بذلك كله لا يستطيع الوصول إلى الحق فيوجهه التقليد الأعمى دون فكر أو نظر .

ويدخل تحت هذا الأصل عدد من الآداب العلمية كالبيان وحسن العرض والتثبت والتوثيق، والبدء بمواطن الاتفاق وطلب الدليل والمبادرة به، والتسليم بالحق، والبدء بالأهم، وغير ذلك مما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . وتظهر أهمية تلك المقومات والأصول في كلام علماء التفسير رحمهم الله تعالى - عن هذه الآية فمن ذلك :

قال الطبري رحمه الله : (وقيل : إنما قيل «إِنَّمَا أُعْظِكُمْ بِوَاحِدَةٍ» وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى، «مثنى» يقول : يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصارقان على المناظرة، هل علمتم بمحمد ﷺ جنونا قط، ثم ينفرد كل واحد منكم، فيتفكر ويعتبر فردا هل كان ذلك به، فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم) (٤)

١ - رسالة «قل إنما أعظكم بواحدة» ص : ١٤

٢ - سبأ : ٤٦

٣ - سيأتي تفصيل لآداب الحوار العلمية إن شاء الله

٤ - الطبري : (٢٢/ ١٠٤ - ١٠٥)

ويقول الزمخشري: [والمعنى : إنما أعظمكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في امر محمد ﷺ وما جاء به، اما الإثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية، حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه، وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها، ويعرض فكره على عقله وزهده وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم، والذي أوجب تفرقهم مثني وفرادي أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول، مع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب] (١)

فظاهر من كلام الطبري رحمه الله وكذلك الزمخشري أن الآية فيها دعوة وإشارة إلى المناظرة والمحاورة مع مراعاة الأصول والمقومات التي تحقق الهدف وتثمر النتيجة، كما أشار غيرهما إلى نفس المعنى، ومن ذلك قال ابن الجوزي: [والمعنى : أن التي أعظمكم بها : قيامكم وتشميركم لطلب الحق، وليس بالقيام على الأقدام، والمراد بقوله: «مثني» أي يجتمع اثنان فيتناظران في أمر رسول الله ﷺ والمراد بـ «فرادي» بأن يتفكر الرجل وحده، ومعنى الكلام: ليتفكر الإنسان منكم وحده وليخل بغيره، وليناظر وليستشر، فيستدل بالمصنوعات على صانعها، ويصدق الرسول على اتباعه] (٢).

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله في الآية [أي بخصلة واحدة أشير عليكم بها وأنصح لكم في سلوكها، وهي طريقة نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلي ترك قولكم من دون موجب لذلك وهي: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى﴾ أي تنهضوا بهمة ونشاط وقصد لاتباع الصواب وإخلاص لله،

١ - الكشف: (٢٩٤/٢)

٢ - زاد المسير: (٤٦٥/٦)

مجتمعين ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفرادى كل واحد يخاطب نفسه بذلك (١) ومن أحسن من وضع هذه الأصول وفصل في بيان تلك المقومات: سيد قطب رحمه الله، وسأنقل كلامه على طوله لأهميته وجمال عباراته، قال رحمه الله : [وهنا يدعوهم دعوة خالصة إلى منهج البحث عن الحق، ومعرفة الافتراء من الصدق، وتقدير الواقع الذي يواجهونه من غير زيف ولا دخل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ (١٠٠٠ الآية) إنها دعوة إلى القيام لله، بعيدا عن الهوى، بعيدا عن المصلحة، بعيدا عن ملابسات الأرض، بعيدا عن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب، فتبعد به عن الله، بعيدا عن التأثير بالتيارات السائدة في البيئة، والمؤثرات الشائعة في الجماعة، دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط، لا مع القضايا والدعاوى الرائجة، ولا مع العبارات المطاطة، التي تبعد القلب والعقل من مواجهة الحقيقة في بساطتها، دعوة إلى منطق الفطرة الهادىء الصافى، بعيدا عن الضجيج والخلط واللبس، والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة، وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة، منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب والغواشي والمؤثرات، وعلى مراقبة الله وتقواه.

وهي : «واحدة» إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق، القيام لله لا لغرض ولا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجته، التجرد، الخلو، ثم التفكير والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجردون.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خَمْسَةِ ذُرِّيَّاتٍ وَفَرَادَى﴾ مثنى ليراجع أحدهما الآخر، ويأخذ معه ويعطي في غير تأثير بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارىء، ولا تتلبث لتتبع الحجة في هدوء، وفرادى مع النفس وجهالوجه في تمحيص هادىء عميق، [ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ] فما عرفتم به إلا العقل والتدبر والرزانة.

وما يقول شيئاً يدعو إلى التظن بعقله ورشده إن هو إلا القول المحكم القوي المبين [(١)] .

وبعد هذه الأقوال من أولئك المفسرين رحمهم الله حول هذه الآية الكريمة، تبين أن القرآن اعتنى بموضوع الحوار وأشار إليه، ووضع أصوله ومقوماته العامة، التي ينطلق من خلالها الباحث عن الحق .

وقريب من هذا ما قاله المفسرون في قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢) . حيث قال الطبري رحمه الله : [«وجادلهم بالتي هي أحسن»] يقول : وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها، ان تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك [(٣)] .

وقال الزمخشري : [«وجادلهم بالتي هي أحسن»] بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف [(٤)] .

وقد تقدم قول ابن كثير رحمه الله في الآية إلى أنه : (من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب) (٥)

وقد بين الشوكاني رحمه الله أساليب وطرق الدعوة المذكورة في الآية حيث قال : [ثم أمر سبحانه رسوله أن يدعو أُمَّته إلى الإسلام فقال : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ ، وحذف المفعول للتعميم لكونه بعث إلى الناس كافة، وسبيل الله هو الإسلام ﴿بالحكمة﴾ : أي بالمقالة المحكمة الصحيحة، قيل : هي الحجج القطعية المفيدة لليقين، ﴿والموعظة الحسنة﴾ : وهي المقالة المشتمة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسه حسنة باعتبار انتفاع السامع بها ، قيل : الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات

١ - الظلال (٥/٢٩١٤)

٢ - النحل : ١٢٥

٣ - الطبري (١٤/١٩٤)

٤ - الكشف (٢/٤٣٥)

٥ - ابن كثير (٢/٥٩١)

مقبولة، قيل : وليس للدعوة إلا هاتان الطريقتان، ولكن الداعي قد يحتاج مع الخصم الألد إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل، ولهذا قال سبحانه ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة، وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محقا وغرضه صحيحا، وكان خصمه مبطلا وغرضه فاسدا [١]

فلا تخلو الآية من اشارة عامة إلى قضية الحوار، وتنبيه على ضرورة مراعاة الأدب الحسن فيه، وقد أجاد سيد قطب رحمه الله حين قال في بيان الآية ما نصه [والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنوع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة، فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه، وفي الموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق والموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ، وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له وتقبيح، حتى يطمئن إلى الداعي، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها،

والجدل بالحسنى هو الذي يطمئن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل ان ذاته مصونة وقيمته كريمة وان الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والإهداء إليها في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصر رأيه وهزيمة الرأي الآخر [١] (١) .

والخلاصة: أن هاتين الآيتين قد وضعتا أسس موضوع «آداب الحوار» وأصلتا قواعده ومقوماته، لينطلق منها الداعية لنشر دعوته، وليتوصل الحائر الى الصواب من خلالها، هذا عدا ما جاء في كتاب الله تعالى من الآيات الكثيرة في نصوص عامة لها علاقة بأدب الحوار، كالأمر بطيب القول وحسن الخلق، والقول الحسن، ونحوها مما سيأتي الإشارة إلى شيء منها في مبحث « الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار» .

ب - أصول وقواعد مهمة في موضوع الحوار :

إذا كان لابد من التفريق بين «أصول الحوار» و «آداب الحوار» - ففي رأيي - أن الأصول هي عبارة عن القواعد الرئيسية الثابتة التي تضبط مسار الحوار، وأما الآداب فهي طريقة الحوار، والقواعد السلوكية التي ينبغي مراعاتها قبل الحوار أو اثنائه أو بعده، والتي تساعد في نجاح الحوار، مع أن هناك تداخلا وتقاربا بين الأصول والآداب فقد يكون من الأصول ما هو أدب يساعد في إنجاح الحوار، ولذلك فإنني أشير إلى بعض الأصول المهمة وأترك بقيتها إلى مواضعها عند ذكر آداب الحوار .

الأصل الأول : تحديد الهدف، وأن يكون هو الوصول إلى الحق ، لا لإظهار الغلبة والمجادلة في الباطل، ويدخل ضمن تحديد الهدف أيضا تحديد القضية التي حولها الحوار، فإن كثيرا من الحوارات تتحول إلى جدل عقيم سائب ليس له نقطة محددة ينتهي إليها .

فلا بد من التجرد في طلب الحق، والحذر من التعصب والهوى، ويكفي مثلاً في ذلك ما يروى عن الإمام الشافعي أنه قال: (ما ناظرت أحداً إلا تمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه)^(١)

وقول الإمام الغزالي في الإحياء عند ذكره لعلامات طلب الحق: (أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق)^(٢) كما يكفي مثلاً في تحديد القضية التي حولها الحوار ما فعله ابن عباس رضي الله عنه في مناقشته للخوارج، وذلك أنه سألهم أول مرة: ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟ فذكروا مسائلهم الثلاث، ثم أخذها مسألة مسألة، وبعد انتهائه من كل مسألة يقول لهم: أخرجت من هذه؟ فيقولون: نعم ثم ينتقل إلى غيرها وهكذا^(٣).

- الأصل الثاني: الاتفاق على أصل يرجع إليه، والأصول المرجعية عند المسلمين هي الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف، وقد أمر الله بالرد إليه وإلى رسوله في عدة آيات كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾^(٤) وقوله ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٥) قال العلماء: معناه إلى الكتاب والسنة^(٦) فالرد إلى الكتاب والسنة هو الذي يدرؤا النزاع بين المتحاورين، ويقضي على الخلاف بين المتنازعين، وبهما

١- انظر معنى هذا القول في سير أعلام النبلاء: (١٠/٢٩٩)

٢- الإحياء: (١/٥٧)

٣- القصة أخرجها: أحمد في المسند (١/٣٥٢)، البيهقي في السنن الكبرى (٨/١٧٩)، ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/٢١٦) والحاكم في المستدرک (٢/١٥٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني وأحمد ببعضه ورجالهما رجال الصحيح (٦/٢٤٤) وصححه أحمد شاكر في تخريجه للمسند برقم (٣١٨٧).

٤- الشورى: ١٠

٥- النساء: ٥٩

٦- انظر رياض الصالحين: (باب الأمر بالمحافظة على السنة) ص ٨٦

يعرف مراد الله سبحانه وتعالى ومراد رسوله ﷺ . ولهذا كثيرا ما ينقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية كلاما ملخصه : أنه متى تنازع المسلمون في مسألة، وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ﷺ، فأبي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه، ثم يبين سبب ذلك: وهو أن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل (١).

فالإتفاق على منهج التلقي والنظر والاستدلال قبل البدء في أي نقاش - خاصة إذا كان علميا - يضبط مسار الحوار ويوجهه نحو النجاح، إذ أن الاختلاف في المنهج ابتداء سيؤدي إلى الدوران في حلقة مفرغة، لأن استدلالات المخالفين من المبتدعة وغيرهم لاحصر لها وطرقهم لا تنضبط وهي سيالة لا تقف عند حد (٢). وقد ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله بعضاً من هذه المناهج غير المنضبطة والتي تناقض هذا الأصل، اذكر منها بإختصار (٣) :

١ - منهج الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وهذا المنهج مرفوض وباطل، وإذا لم يتفق الطرفان على رفضه فلن يفلح الحوار في أداء نتيجة.

٢ - منهج رد الأحاديث التي لا توافق الهوى أو المذهب، أو رفض الاستدلال بخبر الآحاد مثلاً، وهو منهج مرفوض أيضاً عند أهل السنة، وسبب في فشل الحوار.

٣ - منهج التغالي في تعظيم المشائخ والإحتجاج بأقوالهم والتعصب لآرائهم وإن خالف الكتاب والسنة وهو باطل أيضاً، ويفضي إلى مزيد من النزاع والخلاف. إلى غير ذلك من مناهج باطلة، إذا تلبس بها أحد المتحاورين فلا يستقيم لهما حوار.

١ - انظر الفتاوى : (٣/٣٤٧ ، ٢٠/١٦٣)

٢ - بدر التمام في اختصار الاعتصام ص ٨٩

٣ - الاعتصام (١/٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٥٨)

ومما يذكر أن الشيعة كتبوا إلى مفتي الديار السعودية سابقا الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - يطلبون منه أن يعقد معهم مجلسا للحوار فهم الشيخ ألا يرد عليهم أصلا، فأشار عليه الشيخ عبدالرزاق عفيفي ألا يهمل طلبهم، لأنهم عندئذ سيعتبرون ذلك نوعا من النكول عن المناظرة، وضعف الحجة، فالأولى أن يكتب لهم بالموافقة على المناظرة، شريطة أن يكون هناك أصل يرجع إليه، وأن يكون هذا الأصل هو القرآن الكريم وصحيح البخاري وصحيح مسلم، فكتب لهم بذلك فلم يردوا عليه بعد ذلك (١) .

فالخلاصة : لابد من تحديد أصول يرجع إليها عند الاختلاف، وبذلك ينضبط الحوار، ويتحدد مساره .

الأصل الثالث : عدم مناقشة الفرع قبل الاتفاق على الأصل، لأن الحوار حينئذ يتحول إلى جدل عقيم لا طائل تحته، إلا في حالات إستثنائية كأن يكون الطرف المقابل كافرا و يناقش في قضية فرعية، فعندها ينبغي نقله إلى الأصل وإرجاعه إليه ومناقشته فيه، أو أن يناقش في الفرع بالحجج القاطعة وإفحامه بها، وربما إذا اقتنع بالفرع أن يرجع إلى الأصل . فلا بد من البدء بالأهم من الأصول وضبطها والاتفاق عليها، ومن ثم الإنطلاق منها لمناقشة الفروع والحوار حولها، وقد شنع الإمام ابن الجوزي رحمه الله على من يحفظ الفروع ويضيع الأصول إلى أن قال : (فالله الله في تضييع الأصول ومن إهمال سرح الهوى، فإنه إن أهملت ماشية نفشت في زروع التقى ٠٠ الخ ما قال) (٢)

١ - ذكر القصة موثقة الشيخ سلمان العودة في شريط «أدب الحوار» [نقلا عن الشيخ عبدالعزيز

بن باز، والشيخ عبدالله بن قعود، ونقلت له موثقة عن الشيخ عبدالله ابن حميد] .

٢ - صيد الخاطر : ص ١٥٦

ثانياً: حكم الجدل والحوار

إن الداعي إلى بحث هذه القضية والكلام عنها، هو ما جاء عن بعض السلف من كراهية الجدل والتحذير منه، وحيث إن الجدل هو نوع من الحوار، ويتفق معه في بعض معانيه، فربما اشتبه الأمر على أناس فأنكروا الحوار والجدال والمناظرة احتجاجاً ببعض تلك النصوص التي تحذر من الجدل وتنهاي عنه، كما أنه ربما بالغ أناس في استعمال الجدل والمحاورة وغلوا فيها وخرجوا عن الحد المشروع منها بحجة النصوص والأدلة التي تبيح الجدل والمناظرة (١).

ولذلك فخلاصة هذا المبحث هو التوفيق بين الأدلة الظاهرة التعارض ، أي بين النصوص التي تأمر بالجدال وتحث عليه والأدلة التي تنهى عنه وتحذر منه، وذلك بعد سرد هذه الأدلة وبيان مواضع الإستشهاد فيها:

أما النصوص التي تأمر بالجدال وتحث على المناظرة والحوار فمنها :

١ - قوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢) وقد تقدم الكلام عنها وذكر أقوال المفسرين فيها (٣) وبيان أن الآية تدعو دعوة صريحة إلى الحوار والجدال الحسن والمناظرة إذا احتاج الأمر إليها، وأن ذلك وسيلة مستقلة من وسائل الدعوة إلى الله عز وجل .

٢ - قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (٤)، ووجه الدلالة فيها أن الله تعالى أمر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن من الرفق واللين والإنصاف ونحوه (٥)، وقد رجح الطبري وغيره أن الآية تدعو إلى ذلك وإنها محكمة وليست منسوخة ومما قاله رحمه الله : (لامعنى لقول من قال نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال، وزعم أنها منسوخة، لأنه لاخبر

١ - انظر مناهج الجدل للألمعى - «بحث الجدل الممدوح والمذموم» : ص ٤٩

٢ - النحل : ١٢٥

٣ - انظر الكلام عن أصل الموضوع في القرآن المتقدم .

٤ - العنكبوت : ٤٦

٥ - مناهج الجدل ص ٥٣

بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل (١).

٣ - هناك آيات، اقرت فيها المجادلة والحوار والمناظرة مما يدل على جوازها وإباحتها ومنها: قوله تعالى في ذكر رد قوم نوح عليه **﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا**

فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ (٢) فنسب الجدل إلى نوح عليه السلام، ولم ينكره القرآن.

- وقوله تعالى في قصة صاحب الجنتين: **﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾** (٣) وذكر هذا الكلام،

والتعبير بلفظ المحاورة يدل على إقرارها وإثباتها.

- وقوله تعالى: **﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ**

يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٤) وهذه الآية تقر المجادلة والحوار

كما هو ظاهر منها.

٤ - وهناك أحاديث تقر المجادلة والمحاورة والمحاجة منها :

قوله **ﷺ** : «ما مُجَادِلَةٌ أَحَدِكُمْ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا، بِأَشَدِّ مُجَادِلَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ» (٥).

ومنها حديث: «احتج آدم وموسى... إلى قوله فحج آدم موسى» (٦)

ومنها ما جاء في أنه كانت بين أبي بكر وعمر محاورة... الخ الحديث (٧)

وهذه الأحاديث الثلاثة يظهر منها إقرار ما جاء فيها من الألفاظ التي لم تنكر

فدل على مشروعيتها وإباحتها. ومثلها ما كان من حوارات بين النبي **ﷺ**

١ - الطبري (٣/٢١) وانظر ابن كثير (٤/١٥٣)

٢ - هود: ٣٢

٣ - الكهف: ٣٧

٤ - المجادلة: ١

٥ - تقدم ذكره في التعريفات: ص ٩

٦ - تقدم ذكره في التعريفات: ص ١٢

٧ - تقدم ذكره في التعريفات: ص ٥

وأصحابه، مثل الذي حصل بينه وبين السعديين في غزوة الأحزاب حول اعطاء غطفان ثلث ثمار المدينة، حيث استشارهما في ذلك فقالا: يا رسول الله! أمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئا تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من لجانِب فأردت أن أكسر من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لانعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ: "أَنْتَ وَذَاكَ" فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا (١)

ومثل ذلك ما حصل بينه وبين عمر من مجادلة في الحديبية، وذلك حين جرى الصلح ولم يبق إلا الكتاب، فوثب عمر فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال بلى قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر يا عمر الزم غرضه فإنني أشهد انه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أأست برسول الله؟ قال بلى، قال أو لسنا بالمسلمين، قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني (٢) ومن ذلك مناظرة عمر رضي الله عنه مع اليهود، حيث كان لعمر أرض بأعلى المدينة، فكان يأتيها، وكان ممره على طريق مدراس اليهود، وكان كلما دخل عليهم سمع منهم، وأنه دخل عليهم ذات يوم، فقالوا: يا عمر ما في أصحاب محمد ﷺ أحد أحب إلينا منك، إنهم يمرون بنا فيؤذوننا، وتمر بنا فلا تؤذينا، وإننا لنطمع فيك، فقال لهم عمر: أي يمين فيكم أعظم؟ قالوا: الرحمن الذي أنزل

١ - البداية والنهاية لابن كثير (١٠٦/٤) ومن أسفاده د. الأرمي في كتابه «السيرة النبوية الصحيحة» ٤٧١/٢

٢ - البداية والنهاية لابن كثير (١٧٠/٤) وأحمد (٣٢٥/٤)، وأصله في البخاري: الشروط ٢٧٣١

التوراة على موسى بطور سيناء، فقال لهم عمر : فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء، أتجدون محمداً ﷺ عندكم، فأسكتوا، فقال : تكلموا ما شأنكم فوالله ما سألتكم وأنا شاك في شيء من ديني، فنظر بعضهم إلى بعض، فقام رجل منهم فقال: أخبروا الرجل، لتخبرنه أو لأخبرنه، قالوا: نعم، انا نجده مكتوباً عندنا، ولكن صاحبه من الملائكة الذي يأتيه بالوحي هو جبريل، وجبريل عدونا، وهو صاحب كل عذاب أو قتال أو خسف، ولو أنه كان وليه ميكائيل إذناً لآمننا به، فإن ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث، فقال لهم عمر: فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أين مكان جبريل من الله؟ قالوا : جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، قال عمر فأنشدكم أن الذي هو عدو للذي عن يمينه عدو للذي عن يساره، والذي هو عدو للذي عن يساره عدو للذي هو عن يمينه، وأنه من كان عدوهما فإنه عدولله، ثم رجع عمر ليخبر النبي ﷺ فوجد جبريل قد سبقه بالوحي، فدعاه النبي ﷺ فقرأه عليه، فقال عمر: والذي بعثك بالحق، لقد جئتكم وما أريد إلا أن أخبركم^(١)، إلى غير ذلك من الحوارات التي سيأتي ذكر شيء منها في ثنايا البحث، والتي تقر الجدل والمحاورة.

هـ - يمكن الاستدلال على مشروعية الجدل بالحسنى والمحاورة بما وقع من كثير من السلف من المناظرات والحوارات ومنها :المحاورة التي كانت بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة والتي انتهت بمبايعة أبي بكر خليفة للمسلمين بعد الخلاف والجدال الطويل الذي كان بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة من جانب وبين سعد بن عبادة والحباب بن المنذر من جانب آخر^(٢)، ومنها مناقشة ابن عباس رضي الله عنه للخوارج، وكان ذلك بعلم الصحابة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم ينكره أحد أو يعترض عليه^(٣).

١ - تفسير الطبري (٤٣٤/١)، جامع بيان العلم لابن عبد البر (١٢٤/٢)

٢ - تاريخ الطبري (٢٤٤-٢٤١/٢)

٣ - تقدم ذكرها آنفاً (انظر ص ٣٧)

إلى غير ذلك من المناظرات العلمية الكثيرة التي وقعت بين الصحابة أو بين العلماء والفقهاء على مر التاريخ، والتي تشير إلى مشروعية الجدل والمناظرة، وتبين اباحة الحوار وجوازه، بل ربما استحبابه ووجوبه أحياناً.

٦ - كما يمكن الاستدلال بأقوال الأئمة والعلماء وحثهم على المناظرة والجدال بالحسنى، وخاصة إذا كان ذلك لدفع الشبهات وردّها، وقد تقدم ذكر تلك الأقوال في المبحث الثاني عند بيان أهمية الحوار (١)، ونعيد منها كلام شيخ الإسلام - رحمه الله - لأهميته حيث قال: (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن اعطى الإسلام حقه ولا وفى بموجب العلم والإيمان ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد بكلامه العلم واليقين) (٢)، ومثله كلام الإمام ابن القيم - رحمه الله - عند ذكره للفوائد من قصة وفد نجران فقال: (ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة فليول ذلك إلى أهله وليخل بين المطي وحاديها والقوس وباريها) (٣).

فهذه خلاصة ما يمكن الاستدلال به على مشروعية الجدل بالحسنى واباحة الحوار والمناظرة.

وأما النصوص التي يظهر منها التعارض مع ما سبق، والتي تحذر وتنهى عن الجدل فيمكن تلخيصها في الآتي:

١ - هناك آيات عديدة يظهر فيها كراهية الجدل في قضية معينة، أو بأسلوب معين وقد يستدل بها في كراهية الجدل مطلقاً لذلك فسأذكرها ثم يأتي الجمع بينها وبين ما سبق من الإباحة والجواز، فمنها:

١ - انظر الفقرة الثانية من أهمية الموضوع .

٢ - الفتاوى (١٦٤/٢٠-١٦٥)

٣ - زاد المعاد بتحقيق الارناؤوط (٦٣٩/٣)

قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ (١)
 وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (٢)
 وقوله عز وجل : ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي
 الْبِلَادِ﴾ (٣)
 وقوله ايضا : ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ، فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
 عِقَابِ﴾ (٤)
 وقوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ
 فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ (٥)
 وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ (٦)
 وقوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ
 دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (٧)
 وقوله سبحانه : ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ (٨)
 وأمثالها كثير من الآيات التي تشعر بخطر الجدل المذكور فيها والوعيد
 الشديد لمن تعاطاه.

٢ - وهناك بعض الأحاديث التي تحذر من الجدل وتبين كراهيته ومنها :
 قوله ﷺ : « الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ » (٩)

١ - النساء: ١٠٧

٢ - الأنعام: ١٢١

٣ - غافر: ٤

٤ - غافر: ٥

٥ - غافر: ٥٦

٦ - غافر: ٦٩

٧ - الشورى: ١٦

٨ - الشورى: ٣٥

٩ - تقدم تخريجه في التعريفات ص ٨

وقوله ايضا «مَاضِلٌ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ» ، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَاضِرْبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (١) (٢)

ومثله حديث عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ١٠٠ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٣) فقال يا عائشة : «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمْ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ» (٤) وقوله عليه السلام : «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُ الْخَصِمُ» (٥).

ومما يدل على أفضلية ترك الجدال وكراهيته، قوله ﷺ «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا» الحديث (٦).

٣ - مما يستدل به على كراهية الجدال: ما أثر عن بعض السلف من أقوال تنهى عنه أو تحذر منه ومن ذلك (٧) :

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : «كفى بك إثما أن لاتزال مماريا»
وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : «من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل».

وقال مسلم بن يسار : «إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم، وعندها يبتغي الشيطان زلته».

١ - الزحرف : ٥٨

٢ - تقدم ذكره في التعريفات : ص ٨

٣ - آل عمران : ٧

٤ - تقدم ذكره في التعريفات : ص ٨

٥ - البخاري: كتاب المظالم ٢٤٥٧، مسلم كتاب العلم (٢٠٥٤/٤) رقم ٥، الترمذي: كتاب التفسير

(٢١٤/٥) رقم ٢٩٧٦، النسائي كتاب القضايا (٢٤٧/٨-٢٤٨ رقم ٥٤٢٣)

٦ - أخرجه أبو داود: كتب الأدب (٢٥٤/٤) رقم ٤٨٠٠، الترمذي : كتاب البر (٣٥٩/٤) رقم

١٩٩٦، (وصححه النووي في رياض الصالحين ص ٢٨٩)

٧ - انظر إحياء علوم الدين للغزالي (١٢٦/٣)

وقال الإمام مالك رحمه الله : «ليس هذا الجدل من الدين في شيء»
وقال بلال بن سعد : «إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه فقد تمت
خسارته»^(١).

وقال الأحنف بن قيس : «كثرة الخصومة تنبت النفاق في القلب»^(٢)
وقال الشافعي : «المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن»^(٣)
وللجمع بين ماتقدم من تعارض ظاهر حول الجدل والمناظرة، فإن قصارى القول:
أن انكار الجدل وزمه مطلقاً فيه تعسف ومكابرة للحق والواقع، كما أن قبوله
والدعوة إليه مطلقاً فيه أيضاً تعسف ومكابرة، فقد وردت نصوص من الكتاب
والسنة تأمر بالجدل وأخرى تنهى عنه، فعلمنا يقيناً أن الجدل الذي تأمر به
هذه النصوص غير الجدل الذي تنهى عنه، لأن نصوص القرآن ونصوص السنة
الصحيحة لا تتعارض في حقيقة الأمر»^(٤).

إذاً فالجدل نوعان : جدال ممدوح وإليه تصرف نصوص الإباحة والجواز، وهو
ماكان لنصرة الحق وتبليغ الدعوة، وجدال مذموم، وعليه تحمل أدلة النهي
والكراهة، وهو ماكان بباطل وبغير علم ولنصرة الباطل والهوى.
ويؤيد هذا الجمع، ويدل على هذا التقسيم : كلام العلماء في تلك النصوص ومن
ذلك :

قول الرازي عند تفسيره للآية ﴿مَاجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٥) قال
: (الجدال نوعان : جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل، أما الجدال
في تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام ، قال تعالى لمحمد ﷺ :

١- المصدر السابق : ١٤٦/٣

٢ - انظر أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/١٢٩)

٣ - سير أعلام النبلاء (١٠/٢٨)

٤ - انظر مناهج الجدل في القرآن للألمعي ص ٥٠ بتصرف يسير

٥ - غافر: ٤

﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١) وقال حكاية عن الكفار إنهم قالوا لنوح عليه السلام: ﴿يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ (٢) .

وأما الجدل في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية، حيث قال تعالى : ﴿مَا يَجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٣)، وقال ﴿مَاضِرْبُوهُ لَكُمْ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٤)، وقال ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (٥) . الخ كلامه (٦) .

وقال عند تفسيره للآية: ﴿مَاضِرْبُوهُ لَكُمْ إِلَّا جَدَلًا﴾ (٧) (إن الآيات الكثيرة دالة على أن الجدل موجب للمدح والثناء، وطريق التوفيق أن تصرف تلك الآيات إلى الجدل الذي يفيد تقرير الحق، وأن تصرف هذه الآية إلى الجدل الذي يوجب تقرير الباطل) (٨) .

فظاهر من كلام الرازي تقسيمه للجدال إلى ممدوح ومذموم، وتوفيقه بين النصوص المتعارضة، ويدل على ذلك أيضا قول القرطبي رحمه الله عند الآية ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ (٩) قال : (وفي الآية دليل على المنع من الجدل لمن لاعلم له، والحظر على من لا تحقيق عنده) . وقد ورد الأمر بالجدال لمن علم وأيقن فقال تعالى : ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١٠) . الخ كلامه (١١) .

١ - النحل: ١٢٥

٢ - هود: ٣٢

٣ - غافر: ٤

٤ - الزخرف: ٥٨

٥ - غافر: ٥

٦ - الفخر الرازي (١٩٧/٧)

٧ - الزخرف: ٥٨

٨ - الرازي (٣٠٧/٧)

٩ - آل عمران: ٦٦

١٠ - النحل: ١٢٥

١١ - تفسير القرطبي: (٧٠/٤) بتصرف

فدل كلامه على تقسيم الجدل إلى ممنوع مذموم ومأمور به ممدوح، وقد شدد ابن حزم - رحمه الله - في الرد على من أبطل الجدل فقال : (وبالجملة فلا اضعف ممن يروم إبطال الجدل، ويريد هدم جميع الاحتجاج بالاحتجاج، ويتكلف فساد المناظرة بالمناظرة، لأنه مقرر على نفسه أنه يأتي بالباطل، لأن حجته هي بعض الحجج التي يريد إبطال جملتها، وهذه طريق لا يركبها إلا جاهل ضعيف، أو معاند سخي، والجدل الذي ندعو إليه هو طلب الحق ونصره وإزهاق الباطل وتبينه (١)).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسير الآية: ﴿مَاجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٢) : أي ما خصم في دفع آيات الله وتكذيبها إلا الذين كفروا، والمراد الجدل بالباطل والقصد إلى إحضار الحق كما في قوله تعالى ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (٣)

فأما الجدل لاستيضاح الحق ورفع اللبس والبحث عن الراجح والمرجوح وعن المحكم والمتشابه ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن، وردهم بالجدل إلى المحكم فهو من أعظم ما يتقرب المتقربون، وبذلك أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب... الخ كلامه (٤).

ومثله قد أشار إليه الزمخشري عند الآية نفسها حيث قال : (سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر، والمراد الجدل بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إحضار الحق وإطفاء نور الله، وقد دل على ذلك في قوله : ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾)

١ - الأحكام لابن حزم : (٢٦/١)

٢ - غافر : ٤

٣ - غافر : ٥

٤ - فتح القدير (٤٨١/٤)

فأما الجدل فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقابلة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنهما فأعظم جهاد في سبيل الله (١) (١)

والخلاصة : إنه قد تبين مما سبق أن حكم الجدل والحوار والمناظرة، يرجع إلى القصد منه والغرض من استعماله : فإن كان بالحق وللوصول إلى الهدى والصواب، ولكشف الباطل ودحض الشبهات فهو مباح جائز وربما كان واجبا إن كانت الحاجة ملحة إليه، وأما إن كان جدالا بالباطل لرد الحق ودفع الحجة أو للوصول إلى الباطل فهو مذموم محرم، كما دلت النصوص والأقوال على تقرير ذلك والله أعلم.

ثالثا: أركان الحوار :

للحوار ثلاثة أركان رئيسية لا يتصور وجود حوار بدونها وهي :

١ - المحاور

٢ - المحاور (الطرف الآخر)

٣ - موضوع الحوار

وكل ركن منها يحتاج إلى نوع من البيان على النحو الآتي :

أولا : المحاور : وحيث إن الموضوع هو : آداب الحوار في الكتاب والسنة، فالأصل أن يكون المحاور مسلما منضبطا بمنهج هذا الدين، وعليه فهناك شروط يجب توفرها في المحاور المسلم، ويمكن أن يستكملها قبل أن يتصدى للحوار، وسيأتي إن شاء الله ذكر وتفصيل أكثر لهذه الشروط عند ذكر الآداب ، ولكن

أخص بالذكر بعض الشروط الأساسية والضرورية للمحاور المسلم وهي :

١ - الإخلاص : أي أن يكون حوارهم في سبيل الله ، ونصرة لدينه، وإعزازاً لكلمته، مجرداً من الأهواء والشهوات النفسية، أو النظر إلى الأغراض

الشخصية، بعيدا عن حب الرياء والسمعة وحب الظهور، ونحوها من العجب والكبر والغرور، وبذلك ينجح الحوار ويؤدي ثمرته.

وقد تقدم ذكر هذا الشرط عند الكلام عن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ (١٠٠) الآية (١) وسيأتي مزيد بيان له إن شاء الله تعالى.

٢ - العلم : فلا بد أن يكون حوارهم عن علم وبصيرة، إذ إن الجاهل يفسد أكثر مما يصلح، وقد ذم الله المجادل بغير علم كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (٢) وقال سبحانه ﴿فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ (٣) قال القرطبي رحمه الله : (في الآية دليل على المنع من الجدل لمن لا علم له) (٤) وكذا قال ابن كثير: (هذا انكار على من يحاج فيما لا علم له به) (٥).

والعلم اللازم للمحاور في أي قضية يشمل العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في المسألة المختلف فيها والعلم بما ينقض الرأي المخالف لهما، ومعرفة الشبهات والرد عليها، وكذا العلم بحال الخصم ومنزله وظروفه، والعلم بأدب المناظرة والحوار، فكل ذلك ضروري فيمن يتصدى لمسؤولية الحوار.

٣ - الإلتزام بأدب الحوار: فالمحاور المسلم منضبط في أقواله وأفعاله، وفي كلامه وحركاته، بمنهج الكتاب والسنة، ومنها منهج الآداب والسلوك والأخلاق، فضلا عن أن الأدب في الحوار يضمن استمراره، وتحقيق ثمرته ويفتح قلب الطرف الآخر لقبول الحق والرجوع عن الباطل (٦)

١ - سبأ: ٤٦

٢ - الحج: ٨

٣ - آل عمران: ٦٦

٤ - الجامع لأحكام القرآن (٧٠/٤)

٥ - ابن كثير (٣٧٢/١)

٦ - تقدم الكلام عن أهمية واهداف الحوار في المبحث الثاني من هذا الباب.

وبالجملة فهذه الشروط وغيرها يشدد فيها، ويتأكد توافرها في الحوارات المعدة والمرتبة ترتيباً مسبقاً، أما إذا عرض الحوار من غير ترتيب مسبق، فعلى المسلم ألا يمتنع عنه إن رأى فيه المصلحة، ورأى في نفسه القدرة على ذلك حتى ولو لم تكتمل فيه الشروط، لأن الأصل تبليغ العلم ودعوة الناس إلى الهدى وإقامة الحجة على المخالف.

ثانياً - المحاور (الطرف الآخر) : وهو إما أن يكون مسلماً، فشروطه هي شروط المحاور السابقة، إلا أنه قد يكون معرضاً أو مقصراً فيشترط ألا يلجأ إلى الحوار معه إلا بعد تجريب أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، وبعد التأكد من أن الحوار لا يزيده إعراضاً أو إصراراً وعناداً.

أما إذا كان المحاور غير مسلم أصلاً كأن يكون كتابياً فهذا شرطه عدم الظلم لقوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (١) والمعنى : أن الذين ظلموا منهم لا يجادلون بل ينتقل معهم إلى القتال (٢) أو أن الذين ظلموا منهم يجادلون مع الإغلاظ عليهم، ولا يكون الجدل معهم بالحسنى (٣)، وهذا مرده إلى المصلحة فمتى كان الجدل أجدى لزم ولو كان مع الإغلاظ والشدّة، فإن لم يجد أو لم تكن المصلحة فيه أصلاً فإنهم يقاتلون، وليس المقصود الإمتناع عن الحوار مع الظالمين منهم مطلقاً واتخاذهم منهجاً مطرداً فهذا يخالف منهج النبي ﷺ، فقد حاور اليهود في المدينة مع ظلمهم وكتبتهم للحق، وتلبسهم للحق بالباطل وحاور نصارى نجران، كما يخالف منهج علماء الأمة وسلفها الصالح الذين حاوروا وجادلوا الظلمة من أهل الكتاب (٤).

١ - العنكبوت: ٤٦

٢ - انظر الطبري: (١/٢١)، ابن كثير (٤١٥/٣)

٣ - فتح القدير: (٢٠٥/٤)

٤ - رسالة الحوار مع أهل الكتاب، بتصرف ص ١٧٧

وبالنظر إلى المتحاورين، فإنه يمكن تقسيم الحوار في القرآن إلى خمسة أصناف على النحو الآتي:

- ١ - حوار بين الله عز وجل وأحد من خلقه: كما في حوارهم مع الملائكة في خلق آدم (١) وحواره مع عيسى في آخر سورة المائدة (٢) ونحو ذلك.
- ٢ - حوار بين مؤمن وكافر: كما في حوار الرسل مع أقوامهم، وكما في قصة مؤمن آل فرعون (٣) وكما في حوار مؤمني الجن مع قومهم (٤).
- ٣ - حوار بين مؤمن ومؤمن: كما في قصة موسى مع الخضر (٥)، وقصة الملائكة مع داود (٦) ونحوها.
- ٤ - حوار بين الكفار: كما في حوار فرعون مع الملائكة (٧)، وكما في تخاصم أهل النار (٨) ونحو ذلك.

٥ - حوار بين إنسان من البشر وحيوان: كما في قصة سليمان مع الهدهد (١٠)

ثالثاً - موضوعات الحوار :

إن الضابط في الموضوع الذي ينبغي أن يتناوله الحوار هو ما يحقق هدفاً مشروعاً، ومصلحة معتبرة، وعليه فكل موضوع يؤدي إلى نتيجة منهي عنها، فلا يجوز طرحه للحوار.

١ - البقرة : (٣٠ - ٣٢)

٢ - المائدة : ١١٦-١١٧

٣ - غافر : ٢٨-٤٤

٤ - الاحقاف : ٢٩-٣٢

٥ - الكهف : ٦٦-٨٢

٦ - ص : ٢١-٢٤

٧ - الشعراء : ٣٤-٣٧

٨ - غافر : ٤٧ - ٤٨

٩ - سبأ : ٣١-٣٣

١٠ - النمل : ٢٠ - ٢٨

ولاشك أن موضوعات الحوار في الكتاب والسنة، جاءت محققة للأهداف المشروعة، لذلك فإني أذكر أبرز تلك الموضوعات على سبيل المثال، وعلى وجه الاختصار :-

١ - الدعوة إلى التوحيد : فقد أخذ هذا الموضوع حيزا كبيرا من نصوص الكتاب والسنة، وكذا من نماذج الحوارات الواردة فيهما، وقد تعددت طرق طرحه فتارة يكون بالدعوة إلى توحيد الله وبيان أهمية ذلك التوحيد، وتارة يكون بالنهي والزجر عن الشرك والإلحاد، وأحيانا يكون حول إثبات وجود الخالق ووحدانيته، أو في ربوبيته وألوهيته... إلى غير ذلك، ويكون القصد هو الدعوة إلى توحيد الله والنهي عن الشرك، والأمثلة على هذا الموضوع كثيرة جدا أذكر منها:-

- محاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود بن كنعان في إثبات ربوبية الله عز وجل، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

- الحوار مع أهل الكتاب ودعوتهم إلى التوحيد كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٢).

ومثل ذلك حوار عيسى عليه السلام مع النصارى كما في الآية ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٣).

١ - البقرة: ٢٥٨

٢ - آل عمران: ٦٤

٣ - المائدة: ٧٢

- الحوار مع عيسى عليه السلام حول هذه القضية كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۖ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ﴾ (١) الآية (١٠٠)

- حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر ودعوته إلى التوحيد، وترك عبادة الأصنام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ﴾ ومن ثم حاجته لقومه كما في الآيات الآتية بعدها ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ اتَّخِذُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۖ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۖ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۖ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۖ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ﴾ (٢) الآية (١٠٠)

- اضافة إلى دعوة الرسل لأقوامهم، وبدئهم بأمر التوحيد، وإصرارهم على كلمة واحدة هي ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (٣) كما هو واضح من قصصهم في سورة الأعراف وهود والشعراء وغيرها. ومن أبرز تلك الحوارات ما كان بين إبراهيم عليه السلام وقومه كما في سورة الأنبياء. قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۖ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۖ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۖ﴾ (٤) الآية (٥١)

١ - المائدة: ١١٦-١١٧

٢ - الأنعام: ٧٤-٨٣

٣ - الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وفي غيرها من السور

٤ - الأنبياء: ٥١-٥٦

أما الأمثلة من السنة فمنها : حديث معاذ المشهور وفيه : «هل تدري ما حق الله على العباد ؟ قال قلت : الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» الحديث (١) .

- ومثله حديث ضمام بن ثعلبة وفيه : «قال يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال : صدق، قال : فمن خلق السماء ؟ قال : الله، قال: فمن خلق الأرض ؟ قال الله، قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال: الله، قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آله أرسلك ؟ قال : نعم» الحديث (٢) .

وغيرها من النصوص التي تدل على عناية الكتاب والسنة بهذا الموضوع، وطرحه في الحوار والمناقشة .

٢ - الرسل والرسالات : ومع الدعوة إلى التوحيد هناك حوارات وجدال طويل حول اثبات الرسالات والدعوة إلى تصديق الرسل، فما من نبي إلا ويجادله قومه حول هذه القضية، وينفون نبوته - إلا من رحم الله - ولذلك فقد أخذ هذا الموضوع حيزاً من حوارات الرسل ومن نماذجها:-

- مجادلة قوم نوح عليه السلام : قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٣) . فواضح من الآيات أن أكثر الحوار كان حول إثبات أنه رسول من رب العالمين، وكذلك فيه الدعوة إلى التوحيد .

١ - البخاري كتاب العلم ١٢٨ ، مسلم كتاب الإيمان (٥٨/١) رقم ٤٨

٢ - البخاري كتاب العلم ٦٣ ، النسائي كتاب الصوم (١٢٢/٤) رقم ٢٠٩٢

٣ - الاعراف : ٥٩-٦٣

- مجادلة قوم هود عليه السلام:

قال تعالى ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ، وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً، فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ (الآيات ١-١٠)

وواضح أيضا من خلال الآيات تأكيد هود عليه السلام على أنه رسول من رب العالمين، وأن مهمته هي إبلاغ الرسالة والنصح لأمته مع مافي الآيات من الدعوة إلى التوحيد كذلك.

- وكذلك الحال في مجادلة قوم صالح عليه السلام : إذ أنه دعاهم إلى التوحيد وإلى الإيمان به فكان جوابهم عليه ما ذكره الله في قوله : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢)

- ومن أقوى الحوارات وأطول الجدالات ما جاء في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝﴾ (الآيات ٣-١٠)

١ - الاعراف : ٦٥-٧٢

٢ - الاعراف : ٧٥- ٧٩

٣ - الاعراف : ١٠٤-١٠٦

إلى غير ذلك من قصص الأنبياء وحواراتهم مع أقوامهم حول الموضوع نفسه، مع ملاحظة أن هذه الآيات هي ماجاء في سورة الأعراف فقط، وهناك مثلها - وفي الموضوع نفسه - في سور أخرى كسورة هود والشعراء والأنبياء وغيرها. أما من السنة فالنصوص متعددة في إثبات الرسالة، لأن كل حوار مع المشركين مرده إلى إنكار النبوة والرسالة ومن الأمثلة :

- ماجاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١) خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاء، فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ فقالوا : محمد، فاجتمعوا إليه، فقال : يا بني فلان يا بني فلان، يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف، فاجتمعوا إليه، فقال: أرايتكم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا ماجربنا عليك كذبا، قال : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فقال أبو لهب تبا لك، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام فنزلت ﴿تَبَّتْ يُدَا أُبِّيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (٢X٣).

ففي هذا الحدث وما دار فيه من حوار دعوة واضحة إلى الإيمان بالنبى ﷺ وتصديقه في رسالته.

- ويصلح مثالا لهذا أيضا ما تقدم من حديث ضمام بن ثعلبة وفيه قول ضمام للنبي ﷺ: أسألك بربك ورب من قبلك آله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : اللّهُمَّ نَعَمْ. الحديث (٤)

ومثله حديث أبي جري جابر بن سليم حيث قال : رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه، لا يقول شيئا إلا صدروا عنه. قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا رسول الله ﷺ - قلت : عليك السلام يا رسول الله، مرتين ، قال : لاتقل عليك السلام فإن عليك

١ - الشعراء : ٢١٤

٢ - المسد : ١

٣ - الطبري : (١٩١/١٩)، وأخرجه البخاري التفسير: ٤٧٧٠، ومسلم كتاب الإيمان (١/١٩٤) رقم ٣٥٥٥ والترمذي كتاب التفسير (٤٥١/٥) رقم ٣٣٦٣

٤ - تقدم تخريجه أنفا (الطرس ٥٦)

السلام تحية الميت، قل: السَّلامُ عَلَيْكَ . قال : قلت : أنت رسول الله ؟ قال: أنا رسول الله الذي إذا أصابَكَ ضرٌّ فدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فدَعَوْتَهُ أُنبَتَهَا لَكَ وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ وَفَلَاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ ٠٠٠٠ الحديث (١)

إلى غير ذلك من النماذج والأمثلة التي تشير إلى أن موضوع الرسل والرسالات كان من أهم موضوعات الحوار في الكتاب والسنة.

٣ - البعث : لقد أخذ موضوع البعث واليوم الآخر اهتماما كبيرا وحجما واسعا في نصوص الكتاب والسنة، وذلك لعلاقته المباشرة بالتوحيد والإيمان بالله ولكثرة اعتراض المشركين عليه وانكارهم له والآيات في هذا الموضوع أكثر من أن تحصر، فلا تكاد تخلو سورة مكية من التعرض لهذا الموضوع بأسلوب أو بآخر، كما في سورة الانعام ويونس والنحل والاسراء ومريم والمؤمنون والنمل والروم والسجدة ويس والصفات وق، هذا عدا السور التي سميت باسم يوم القيامة كالواقعة والتغابن والحاقة والقيامة والغاشية والزلزلة والقارعة، وعدا السور التي كان موضوعها الرئيسي هو هذا الموضوع، كالمعارج والنبأ والتكوير والإنفطار والإنشقاق والطارق والتكاثر ونحو ذلك.

ومن نماذج الحوار في هذا الموضوع :

قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢)

١ - أخرجه أبو داود : كتاب اللباس (٥٥/٤) رقم ٤٠٨٤، الترمذي كتاب الإسئذان (٧٢/٥) رقم

٢٧٢٢ (انظر صحيح أبي داود للألباني رقم ٣٤٤٢)

٢ - الإسراء: ٤٩ - ٥٢

- وكذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ١٠٠﴾ الى آخر السورة (١).

وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات ما يوضح القضية وملابساتها، حيث (قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقتادة: جاء أبي ابن خلف لعنه الله إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول : يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال ﷺ : «نعم يبعثك الله ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار ونزلت هذه الآيات من آخر سورة يس (٢٨)» (٢).

وذكر الطبري عن سعيد بن جبير قال : (جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته بيديه، فقال : يا محمد أيبعث الله هذا حيا بعدما أرم! قال: نعم يبعث الله هذا، ثم يبعثك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم قال: ونزلت الآيات) (٣).

- ومثله ما تكرر من تعجب المشركين من أمر البعث ، وجدالهم فيه كما في سورة الصافات حيث قال تعالى ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مِنْ خَلْقِنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أُنَا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ١٠٠﴾ (٤).

١ - يس : ٧٧-٨١

٢ - ابن كثير (٣/٥٨١) وانظر الرواية التي بعدها .

٣ - الطبري: (٢٣/٣٠-٣١)، ورواه الحاكم كتاب التفسير (٢/٤٢٩) وقال هذا حديث صحيح على

شرط الشيخين ولم يخرجاه .

٤ - الصافات: ١١-١٩

وفي السورة نفسها تذكر قصة القرين المنكر للبعث قال سبحانه : ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ، يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ، إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ، أِنَّا لَمَدِينُونَ ، قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ، فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ، قَالَ تَاللَّهِ إِنِ كُنْتُ لَتَرْدِينِ ، وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ، أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۝﴾ (١)

إلى غير ذلك من النماذج والأمثلة، ويكفي لبيان حجم هذا الموضوع أن نعلم أن القرآن قد ركز على أربعة أدلة (٢) رئيسية لاثبات البعث كثيرا ماكرر في ثنايا السور، وخاصة المكية، وهذه الاستدلالات الأربعة هي :-

١ - الاستدلال بخلق السموات والارض وما فيهما، إذ أن الذي خلق هذه الأجرام العظيمة قادر على أن يخلق الإنسان الضعيف الصغير كما قال سبحانه : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

٢ - الاستدلال بإحياء الأرض الميتة: وأن الذي أحياها هو الذي يحيى الموتى، والذي يخرج منها النبات هو الذي يخرج الناس من قبورهم كما قال سبحانه : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤) ومثلها قوله سبحانه : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥)

١ - الصافات: ٥١-٦١

٢ - انظر أضواء البيان للشنقيطي والتتمة لعطية سالم (٧/٩)

٣ - غافر: ٥٧

٤ - فصلت: ٣٩

٥ - الاحقاف: ٣٣

وكذلك قال عز وجل عن نزول الماء من السماء ﴿وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مِثْلًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (١).

٣ - الاستدلال بالخلق الأول، وأن الذي خلق الإنسان أول مرة قادر على أن يخلق مرة أخرى، بل إعادة الخلق أهون كما قال سبحانه ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (٢) وقال عز وجل : ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ. بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٣).

٤ - الاستدلال بإحياء الموتى بالفعل في الدنيا، وأن الذي فعل ذلك أمامكم وأحيا بعض الموتى قادر على أن يحيي الناس كلهم في الآخرة، كما في قصة قتل بني إسرائيل (٤)، وقصة عزيز (٥) وطيور إبراهيم عليه السلام (٦) وكلها في سورة واحدة، ومنه نوم الإنسان ثم بعثه كما في قوله عز وجل ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ (٧) . ومن الأمثلة كذلك ماجاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٨) حيث صح من حديث خباب بن الارت رضي الله عنه قال : (جئت العاص بن وائل السهمي اتقاضاه حقا لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت : لا، حتى تموت ثم تبعث. قال غواني لميت ثم مبعوث ؟ قلت نعم ، قال: إن لي هناك مالا وولدا فأقضيك فنزلت الآية) (٩) . والأمثلة كثيرة متعددة، واكتفي بما ذكرت خشية الإطالة.

١ - ق: ١١:

٢ - الروم: ٢٧

٣ - ق: ١٥:

٤ - البقرة: ٧٢-٧٣

٥ - البقرة: ٢٥٩

٦ - البقرة: ٢٦٠

٧ - الأنعام: ٦٠

٨ - مريم: ٧٧

٩ - أخرجه البخاري كتاب التفسير رقم ٤٧٣٢، الترمذي : كتاب التفسير (٣١٨/٥) رقم ٣١٦٢

٤ - موضوعات مختلفة : اضافة إلى تركيز الكتاب والسنة على الموضوعات السابقة، فإن هناك حوارات متعددة حول موضوعات مختلفة متفرقة، وسأضرب بعض الأمثلة من القرآن ، وأما بالنسبة للسنة فإن أمثلتها لاتحصر، وسيأتي ذكر كثير منها في ثنايا البحث، ومن أمثلة القرآن :

حوار الله مع الملائكة في خلق آدم عليه السلام : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٠٠ إلى قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (١).

- قصة الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى ، وحوارهم الطويل مع نبيهم حول القتال في سبيل الله (٢)

حوار صاحب الجنتين كما في سورة الكهف قال تعالى : ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا . قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۚ﴾ (٣) الآيات (٣)

حوار موسى مع الخضر كما في السورة نفسها (٤)
حوار مؤمن آل فرعون مع قومه، ودعوتهم إلى الايمان، مع الدفاع عن موسى عليه السلام، كما في سورة غافر (٥) إلى غير ذلك من الموضوعات والأمثلة والنماذج المتعددة.

١ - البقرة : ٣٠-٣٣

٢ - البقرة: ٢٤٦-٢٤٩

٣ - الكهف : ٣٢-٤١

٤ - الكهف : ٦٦-٨٢

٥ - غافر : ٢٨-٤٤

المبحث الرابع : الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار

حيث إن الحوار يغلب عليه الهدوء، والرغبة في التوصل إلى الحق، والبعد عن الخصومة والعناد، فالواجب أن يختار له أطيّب الكلام واللين، مما يكون مفتاحاً للقلوب، واقرب إلى القبول والتسليم، وكما قيل: القول اللين يغلب الحق البين^(١)، فربما كانت الكلمة الطيبة، وحسن العبارة وطيب القول عاملاً أساسياً في نجاح الحوار والوصول إلى نتيجته، وقطف ثمرته، كما أن سوء العبارة وفحش القول وبذاءة اللسان - في الغالب - سبب في فشل الحوار، وعدم التوصل إلى الهدف منه، لذلك كان لابد من بيان مبدأ الكلم الطيب، وتقديم التي هي احسن لعلاقته الوطيدة بأدب الحوار وذلك من خلال النصوص المستفيضة في تقرير هذا المبدأ في الكتاب والسنة.

فمن ذلك قول الله - سبحانه - مخاطباً بني إسرائيل ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٢) أي قولوا لهم قولاً حسناً وكلموهم طيباً ولينوا لهم جانباً ويشمل ذلك كل خلق حسن رضىه الله (كما ذكره ابن كثير) ويشمل كل خير وحسن ومنفعة، كلين القول والصدق والنصيحة^(٣).

قال الحسن : لين القول من الأدب الحسن الجميل، والخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله وأحبه^(٤).

وقال محمد بن علي بن الحسين في معنى الآية : كلموهم بما تحبون أن يقولوا لكم^(٥) . وقد ضرب الله للكلمة الطيبة مثلاً بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، والتي تؤتي ثمارها باستمرار، فكلمة الخير تثمر الخير دائماً (سواء كان المقصود بها كلمة التوحيد، أو كل كلمة خير طيبة)

١ - ليس هذا على إطلاقه وإن كان المعنى له نصيب من الصحة في الواقع شاهد .

٢ - البقرة: ٨٣

٣ - انظر : ابن كثير (١/١٢٠)، مختصر المنار (١/٧١)، فتح القدير (١/١٠٨)

٤ - الطبري (١/٣٩٢)

٥ - زاد المسير (١/١١٠)

فقال سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۝١٠٠﴾ (١).

(عن عطية العوفي قال : ذلك مثل المؤمن، لا يزال يخرج منه كلام طيب، وعمل صالح يصعد اليه) (٢) قال في الكشف : والكلمة الطيبة كلمة التوحيد، وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة (٣) كما وصف الله عباده المؤمنين الذين يدخلهم الجنة بقوله عز وجل ﴿وَهُدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ (٤) فالهداية إلى الطيب من القول والهداية إلى صراط الحميد تذكر في مشهد النعيم الدائم في الآخرة فهي نعمة الطائفة واليسر والتوفيق (٥).

ولما للكلمة الطيبة، والقول الحسن من أثر في النفوس، ووقع في القلوب، وابتعاد عن نزغ الشيطان وإيقاعه بين المؤمنين أمر الله عباده ان يدفعوا بالتي هي أحسن ويقدموها قال تعالى ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٦)، وقال تعالى :

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ . وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (٧) ومثلها قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٨).

١ - ابراهيم : ٢٤-٢٥

٢ - الطبري : (٢٠٤/١٣) ، زبدة التفسير من فتح القدير : ص ٣٣٣

٣ - الكشف : (٣٧٩/٢)

٤ - الحج : ٢٤

٥ - الظلال (٢٤١٥/٤)

٦ - الاسراء : ٥٣

٧ - المؤمنون : ٩٦-٩٧

٨ - فصلت : ٣٤-٣٦

ومجمل معنى الآيات الثلاث أن الله يأمر عباده أن يقول بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة، (روى مبارك عن الحسن قال : « التي هي أحسن » أن يقول له مثل قوله، ولكن يقول له : يرحمك الله، ويغفر الله لك) (١) ، وأن يدفعوا إساءة المسييء بالصفح، والفحش بالسلام، والمنكر بالموعظة، والغضب بالصبر، فإذا فعلوا ذلك صار الذي بينهم وبينه عداوة - من ملاطفته وبره - كالصديق القريب. قال ابن كثير: (قال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس قال: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم) (٢).

وقال سيد قطب تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ على وجه الإطلاق وفي كل مجال فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه، بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيئ يتلوها، فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء. والكلمة الطيبة تأسوا جراح القلوب، تندي جفافها، وتجمعها على الود الكريم. ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ يلتبس سقطات فمه وعثرات لسانه، فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه، والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات وتقطع عليه الطريق وتحفظ حرم الأخوة آمنة من نزغاته ونفثاته (٣). بل إن الله سبحانه وتعالى أمر بتقديم التي هي أحسن حتى في الجدل الذي غالبا ماتكون فيه الخصومة والعناد، ذلك أن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدى القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ (٤).

١ - زاد المسير (٤٧/٥)

٢ - انظر : ابن كثير (١٠١/٤)

٣ - الظلال (٢٢٣٤/٤)

٤ - الظلال (٢٢٠٢/٤)

قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١) . قال ابن كثير : (أَي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن خطاب) (١٠٠٠) الخ (٢) ونهى عن جدال أهل الكتاب من اليهود والنصارى - اعداء هذا الدين - إلا بالجميل من القول لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة (٣) فقال سبحانه : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (٤) .

عن مجاهد قال في معنى الآية : إن قالوا شرا فقولوا خيرا ، إلا الذين ظلموا منهم فانتصروا منهم (٥) . وكفينا دليلا على أهمية الكلمة الطيبة، وضرورة القول اللين، وخاصة في أمر الدعوة والخطاب، أن الله امر بها موسى وهارون - عليهما السلام - في مواجهة الطاغية فرعون : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٦) .

والآيات في هذا المعنى متعددة، واما تقرير ذلك في السنة فقد جاء عن طريقين احدهما : الأمر بها والحث عليها وبيان فضله من خلال أقواله ﷺ .
وثانيهما : تطبيق ذلك عمليا من خلال معاملته ومعاشرته ﷺ .
فمن الأول قوله ﷺ : «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» (٧)
وقوله « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » (٨)

١ - النحل : ١٢٥

٢ - ابن كثير (٥٩١/٢)

٣ - الطبري : (١/٢١) ، زبده التفسير ص ٥٢٧

٤ - العنكبوت : ٤٦

٥ - الطبري (١/٢١)

٦ - طه : ٤٤

٧ - جزء من حديث طويل متفق عليه (البخاري كتاب الجهاد رقم ٢٨٩١ مسلم كتاب الزكاة ٦٩٩/٢ رقم ٥٦)

٨ - متفق عليه (البخاري كتاب الأدب رقم ٦٠٢٣ ، مسلم كتاب الزكاة (٧٠٤/٢) رقم ٥٦٨

(قال ابن بطال : طيب الكلام من جليل عمل البر.)

وقال ايضا : (وجه كون الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به قلب الذي يعطاه ويذهب ما في قلبه، وكذلك الكلام الطيب فأشتبها من هذه الحيثية) (١) فقد جعل النبي - عليه السلام - الكلمة الطيبة وسيلة للوقاية من النار، كما جعلها في مقام الصدقة المحسوسة بالمال، وهذا يدل على أهميتها وأثرها البالغ في النفوس. كما جعل الأصل بالنسبة للمسلم ألا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرا أو طيبا وإلا فالصمت أولى وأسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (٢)

- وحيث إن طلاقة الوجه وانبساطه وبشاشته من القول الحسن والخلق الجميل وله أثره الملموس في موضوع الحوار، وقد أشار إليه النبي ﷺ وجعله من الصدقة والمعروف فقال : «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ تَلَقَّ أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ» (٣)

- وقال أيضا : «وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ» (٤). وهو الذي يقول عنه عبد الله بن الحارث بن جزء: (مارأيت أحداً أكثر تبسما من رسول الله ﷺ) (٥). (وقد ذكر الذهبي في ترجمة ابن قدامة قال: قال الضياء كان الموفق لا يناظر أحدا إلا وهو يبتسم) (٦).

١ - الفتح : (٤٤٨/١٠)

٢ - أخرجه البخاري كتاب الأدب رقم ٦٠١٨، مسلم كتاب اللقطة (١٣٥٣/٣) رقم ١٤، الترمذي كتاب البر (٣٤٥/٤) رقم ١٩٦٧، ابن ماجة الأدب (١٢١١/٢) رقم ٣٦٧٢

٣ - أخرجه مسلم كتاب البر (٢٠٢٦/٤) رقم ١٤٤، الترمذي كتاب البر (٣٤٧/٤) رقم ١٩٧٠.

٤ - أخرجه الترمذي كتاب البر (٣٣٩/٤) رقم ١٩٥٦ (وصححه الألباني برقم ١٦٠٥)

٥ - أخرجه الترمذي كتاب المناقب (٦٠١/٥) رقم ٣٦٤١، احمد (١٩٠/٤)

٦ - سير أعلام النبلاء (١٧٠/٢٢)

- وأما ما ورد من فعله وحسن معاملته ولين قوله وطيب كلامه ﷺ فهو كثير جدا
ويكفي ذكر بعض الأمثلة هنا، وستأتي في ثنايا البحث نماذج أخرى بمشيئة الله
تعالى:

- الحديث الأول : حديث عائشة في لعن اليهود قالت : دخل رهط من اليهود على
رسول الله ﷺ فقالوا : السام عليكم . قالت عائشة : ففهمتها فقلت : وعليكم
السام واللعنة . قالت : فقال رسول الله ﷺ «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ
فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ :
قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ» (١)

- الحديث الثاني : حديث الأعرابي الذي بال في المسجد: فعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال : (دخل أعرابي المسجد ورسول الله ﷺ جالس . فقال:
اللهم اغفر لي ولمحمد ولا تغفر لاحد معنا، فضحك رسول الله ﷺ وقال :«لقد
احتظرت واسعا » ثم ولى حتى إذا كان في ناحية المسجد فشج يبول . فقال
الأعرابي بعد أن فقه: فقام إلي بأبي وأمي . فلم يؤنب ولم يسب فقال :«إِنَّ هَذَا
الْمَسْجِدَ لَا يَبَالُ فِيهِ وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَلِلصَّلَاةِ» ثم أمر بسجل من ماء فأفرغ
على بوله» (٢)

قال ابن حجر رحمه الله : (وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف
إذا لم يكن ذلك منه عنادا، ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه . وفيه رأفة
النبي ﷺ وحسن خلقه) (٣).

١ - أخرجه البخاري كتاب الأدب رقم ٦٠٢٤، الترمذي كتاب الإستئذان (٦٠/٥) رقم (٢٧٠١)

٢ - أخرجه البخاري في كتاب الوضوء رقم ٢٢٠، ابن ماجه كتاب الطهارة (١٧٦/١) رقم (٥٢٩)

٣ - الفتح : (٣٢٥/١) (ورفع فشج : أي فرج بين رجله، يقال فشج البعير إذا فرج بين رجله ليبول (انظر تعليق علي بن مسلم : ٢٢٠٥/٤)

الحديث الثالث: حديث معاوية بن الحكم وفيه قال : وبيننا أنا مع رسول الله ﷺ في الصلاة، إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله، فحذقني القوم بأبصارهم، فقلت : واثكل أمياه، مالكم تنظرون إلي ؟ قال : فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يسكتوني، لكني سكنت. فلما انصرف رسول الله ﷺ دعاني بأبي وأمي هو، ما ضربني ولا كهرني ولا سبني بما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، قال : «إِنَّ صَلَاتَنَا هَذِهِ ، لَا يَصْلَحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ» (١)

ولعل هذه الأحاديث كافية في بيان المقصود من لين قوله وطيب كلامه ﷺ فهو يأمر عائشة بالرفق في القول حتى مع اليهود، بل حتى وهم يسبون ويؤذون فلا يرضى بالشتم ولا يقر الفحش في القول ، فلم يكن ﷺ فاحشا ولا متفحشا، وهو يرفق بالأعرابيين غاية الرفق، فلا يسب ولا يزجر بل يعلم بالكلم الطيب وينهى أصحابه عن الزجر والشدّة، ويأمرهم بالتخفيف والتيسير مطلقا حيث كان يقول : «يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِّرُوا» (٢) وفي المقابل فقد حذر ﷺ ونهى عن الفحش وبذاءة اللسان لما له من الأثر السيء على المجتمع المسلم فقد قال ﷺ : «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ، ولا البذيء» (٣) ومعلوم خطر سيء الكلام، وفحش القول، فربما كانت كلمة سيئة أو قولة غير مسئولة سببا في مصائب عظام، أو طريقا إلى الدمار، كما قال الشاعر :

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب مبدؤها كلام

ولذلك فقد قال ﷺ : «ما كان الفحش في شيء إلا شأنه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه» (٤)

فليحذر المحاور كل الحذر من زلات اللسان، وسقطات الكلام، فقد تؤدي بحواره إلى الفشل والضياع.

ومن خلال عرض الآيات والأحاديث السابقة تبين ما للكلمة الطيبة من أهمية وخصوصا في موضوع الحوار الهادئ الذي يرجى منه الوصول الى الحق.

١ - أخرجه مسلم: كتاب المساجد (٣٨١/١) رقم ٣٣، أبو داود : كتاب الصلاة (٢٤٢/١) رقم ٩٣٠، النسائي في كتاب السهو (١٤/٣) رقم ١٢١٨.

٢ - أخرجه البخاري : كتاب العلم ٦٩، مسلم : كتاب الجهاد (١٣٥٨/٣) رقم ٦

٣ - أخرجه الترمذي : كتاب البر (٣٥٠/٤) رقم ١٩٧٧، أحمد : (٤٠٥/١)

٤ - أخرجه الترمذي : كتاب البر (٣٤٩/٤) رقم ١٩٧٤، ابن ماجه كتاب الزهد (١٤٠٠/٢) رقم ٤١٨٥، أحمد : (١٦٥/٣)

المبحث الخامس : في الكلام عن الخلاف وأنواعه وبيان علاقته بالحوار

وسأبين في هذا المبحث القضايا الآتية :-

١ - علاقة الخلاف بالحوار، وبيان أنه لحوار إلا مع وجود خلاف حقيقي

أوصوري

٢ - أنواع الخلاف

٣ - أسباب الخلاف

٤ - في ضرورة وجود الخلاف مع التحذير منه، والتوفيق بين ذلك.

١- أما عن الخلاف فإن من سنن الله عز وجل في خلقه، أن جعلهم مختلفين، ففوق الخلاف أمر مسلم به بين كل البشر، فهم مختلفون في ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم، وفي مدركاتهم وفي عقولهم وأفهامهم وأشكالهم، (١) قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (٢)، قال الرازي (والمراد افتراق الناس في الأديان والأخلاق والأفعال) (٣)، ولكن من رحمة الله عز وجل أنه على رغم وجود التباين وقابلية الناس للإختلاف إلا أن طريق الحق واضح أبلغ (فقد بعث الله رسوله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق، فبين هذا الدين بيانا شافيا كافيا لايحتاج بعده إلى بيان، لان الهدى بمعناه ينافي الضلالة بكل معانيها، ودين الحق بمعناه ينافي كل دين باطل لا يرتضيه الله عز وجل) (٤)، وجعل الله عز وجل الرد إليه وإلى رسوله عند التنازع والإختلاف، وعندئذ ينتهي الخلاف وينفض التنازع، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (٥)

١ - أدب الخلاف: (صالح بن حميد ص ١٢ بتصرف)

٢ - هود: ١١٨-١١٩

٣ - الرازي: (٩٧/٥)

٤ - الخلاف بين العلماء لابن عثيمين: ص ٥

٥ - النساء: ٥٩

وقد تقدم قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فإذا تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ﷺ، فأبي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه ٠٠٠ وقال في موضع آخر: وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فكل واحد منهم عقل (١)٠ وحث إن الخلاف هو) منازعة تجرى من المتعارضين لتحقيق حق، أو لإبطال باطل (٢) فمتى وجد نوع من الخلاف حقيقيا كان أو صوريا، فإن في الغالب ينتج عنه الحوار والمناقشة الذي بواسطته يحسم الخلاف، فكل قضية تطرح للحوار والمناظرة، فلا بد وأن يوجد فيها خلاف أصلا، وهذا يبين أهمية الحوار والجدال والمناظرة، إذ بدونها ينمو الخلاف ويستمر النزاع، فينتج الفشل، ويظهر التنافر، ومن هنا تظهر العلاقة الوثيقة بين الخلاف والحوار ويظهر أهمية الكلام عن الخلاف عند طرق موضوع الحوار وآدابه، وكذلك فإن (الإحاطة بمواطن الخلاف في القضية المطروحة والإلمام بأنواع الاختلاف، وما يجوز فيه وما لا يجوز، مهم للمحاور حتى لا تتسع دائرة الخلاف فتحصل الفرقة والتناحر حول مسألة قد يسع فيها الخلاف والاجتهاد، وكذلك الإلمام بأسباب الاختلاف بين علماء الأمة واعذارهم في ذلك يقرب من العدل والإنصاف وإحتمال المخالف (٣)٠

٢ - أما أنواع الخلاف فيمكن تقسيمه إلى ثلاثة أنواع على النحو التالي :-
أ - خلاف محمود ممدوح : وهو ما أملاه الحق، وقصد به احقاق الحق، وابطال الباطل، كمخالفة المشركين وأهل الكتاب والرد على أهل البدع والفسوق والمجون، والتصدي لأهل الزيغ والنفاق والضلال، والوقوف أمام هجمات الملحدين والمستشرقين والعلمانيين وغيرهم، فإن مخالفة أولئك مطلب شرعي،

١ - انظر الفتاوى: (٣/٣٤٧، ٢٠/١٦٣) وانظر معالم الانطلاقة الكبرى لمحمد المصري ص ٦٥-٧٨

٢ - أدب الخلاف : ص ١٢

٣ - رسالة «قل إنما أعظكم بواحدة» ص ٣٥

والرد عليهم واجب ديني، وموافقتهم والتآلف معهم محرم ممقوت (١)
 ب - خلاف مذموم : وهو ما أملاه الهوى، وكان بالباطل لدحض الحق وإلحاق
 الباطل، كما هو حال أهل البدع والأهواء ومجادلتهم لأهل السنة، وتعمدهم بجانب
 الصواب، فإن الخلاف الواقع منهم خلاف مذموم باطل لا يقره الشرع، إذ
 الواجب اتباع الحق، والبعد عن التعصب والهوى، وهو ما عبر عنه الإمام
 الشافعي «بالإختلاف المحرم» وبينه بقوله : (كل ما أقام الله به الحجة في كتابه
 أو على لسان نبيه منصوصا بينا، لم يحل الإختلاف فيه لمن علمه) (٢).

ج - خلاف سائغ جائز : وهو ما كان في فرعات تقبل الاجتهاد، وقابلة للنقاش،
 كإختلاف الفقهاء والعلماء في المسائل الاجتهادية فهذا جائز مالم يخرج عن
 حده، أو يؤدي إلى الفرقة والتنازع، ويدخل تحت هذا النوع ما سمي باختلاف
 التنوع وهو على نوعين : [احدهما : ان يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة
 غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد
 المسمى، وثانيهما : ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل
 التمثيل لا على سبيل الحصر] (٣).

٣ - وأما الكلام عن أسباب الخلاف فإنه طويل جدا . وقد كتب فيه العلماء
 قديما وحديثا، لذلك فسأضطر إلى الإختصار فيه، والاقتصار على أبرز الأسباب،
 وقبل ذلك أذكر ببعض القواعد المهمة في هذا الجانب فمنها :-

(١) - [ان الإيمان الحق والاعتصام بدين الله تعالى المنزل، كما أنزله يقتضي
 الوحدة والاتفاق، وترك الإهتداء به يورث الإختلاف والشقاق، قال تعالى ﴿فَإِنْ
 ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَآمَنَنتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ (٤) وقال
 سبحانه : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٥)] (٦)

١ - انظر : الرد على المخالف د . بكر أبو زيد ص ٤٧، أدب الخلاف لابن حميد ص ١٥، أدب
 الإختلاف في الإسلام د . طه جابر ص ٣.

٢ - الرسالة للشافعي : ص ٥٦٠

٣ - مقدمة أصول التفسير لابن تيمية بتصرف : (الفتاوى: ١٣/٣٣٣-٣٣٧)

٤ - البقرة: ١٣٧

٥ - البقرة: ١٧٦

٦ - تفسير المنار (١/١١٣) بتصرف يسير .

فإهمال الشريعة أو الأخذ ببعض الدين وترك البعض هو أم المصائب ومنبع النزاع والشقاق.

(٢) - [أن هذا الدين قد أكمله الله عز وجل وأتمه، وقد بينه رسوله ﷺ بياناً شافياً كافياً، وقد كان عليه السلام هو مرد الصحابة عند الاختلاف والتنازع، فيحكم بينهم فيما يختلفون فيه من معاني القرآن أو من الأحكام التي لم تكن شرعت، ولكن بعد وفاته ﷺ، اختلفت الأمة في أحكام من الشريعة، التي لاتقضي على أصول الشريعة، ولا تطعن في مصادرها، ولكنه اختلاف له أسبابه (١) وسيأتي ذكر شيء منها بعد قليل، والمقصود أن اختلاف الصحابة والتابعين أو العلماء بعدهم لم يغير شيئاً من الدين، ولم يتعرض لشيء من أصول الشريعة، بل الذكر محفوظ بتمامه وكماله قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢)، ولم يكن سبب الخلاف أبداً هو ضياع شيء من الدين أو نقصان أمر من الشريعة.

(٣) - أن نعلم يقيناً أنه لا يوجد أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة، ومن ذوي العلم الموثوق بعلمهم وأمانتهم ودينهم يتعمد مخالفة ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإنهم متفقون إتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الكتاب والسنة، وكل من اتصف بالعلم والديانة فلا بد أن يكون رائده الحق، على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الهدى ﷺ، ويمكن أن يحدث منهم الخطأ كما يحدث من غيرهم - لأن الإنسان كما وصفه الله عز وجل بقوله ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ (٣) فإذا وجد لأحدهم قول يخالف نصاً من الكتاب أو السنة فلا بد له من عذر في تركه (٤)، وهذا ما سيأتي ذكره في شرح الأسباب.

١ - الخلاف بين العلماء لابن عثيمين ص ٥-٧ بتصرف يسير

٢ - الحجر: ٩

٣ - النساء: ٢٨

٤ - انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص ٦

(٤) - إن كثيرا من الخلافات التي وجدت وكانت لها أسباب انتهت وتلاشت بمجرد زوال أسبابها، فما إن يتبين الحق للطرف المخالف، أو يظهر النص الشرعي والدليل القطعي، إلا ويفرح به المختلفون، ويرجع إليه المتنازعون وهذه ميزة تميز بها أهل السنة، وظهرت جلية في خلافاتهم حتى مع خصومهم، حتى روي عن الإمام الشافعي أنه قال: ^(١) (ما ناظرت أحدا إلا وددت أن الله أظهر الحق على لسانه)، وروي عن الإمام أحمد قوله: (خذ الحق ممن جاء به). وقد ذكر صاحب العواصم من القواصم (١) أمثلة لهذا الأمر، وخاصة مما كان بين الصحابة من خلاف وانتهى بمجرد ورود النص ومعرفة الحق، كخلافهم في أمر الخلافة ومكان دفنه ﷺ وتقسيم تركته ونحو ذلك وكلها انتهت بسماعهم للأحاديث القاضية فيها. والله الحمد والمنة.

وهناك أسباب عامة للخلاف، وأسباب خاصة للخلاف بين العلماء، أما

الأسباب العامة فيمكن تلخيصها في ثلاثة عوامل (٢) :

(١) - الجهل

(٢) - اتباع الهوى

(٣) - التعصب

أولا - أما العامل الأول وهو الجهل، فإنه من أسباب التفرقة والخلاف المذموم، وقد حذرنا الله من الجهل عندما ذكر صفة أهل الكتاب وأن من أسباب العداوة بينهم نسيان العلم كما قال تعالى: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (٣).

----- ﴿نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ ص ٣٧

١ - انظر العواصم من القواصم ص ٤٣-٥١

٢ - انظر الإعتصام للشاطبي (١٧٢/٢-١٨٢)، مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين د. محمد العبد

- طارق عبد الحليم ص ٤١

٣ - المائدة: ١٤

وقال سبحانه عن الأمم السابقة: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ (١) والخوض : هو (بالاعتقاد الباطل والتكلم به) (٢)، وكذلك فإن الله تعالى نهى عن الكلام والاتباع بغير العلم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (٣) وقد أخبر رسول الهدى ﷺ أن سبب الضلال هو الجهل حيث قال : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُدُورِ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جَهْلَاءَ. فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» (٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (والجهل والظلم هما أصل كل شر كما قال سبحانه ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٥) (٦) وقد ذكر الشاطبي أن من أسباب الخلاف: (أن يعتقد الإنسان في نفسه أو يعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين - ولم يبلغ تلك الدرجة - فيعمل على ذلك، ويعد رأيه رأياً وخلافه خلافاً) (٧) ثم بين السبب الذي يرجع إليه التفرق فقال : (وهو الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم) (٨) وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية على بعض أنواع الجهل الذي ينشأ عن الاختلاف والضلال ، فقال في بيان اسباب الاختلاف : (ويكون سببه تارة جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه ، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر،

١ - التوبة : ٦٩

٢ - اقتضاء الصراط المستقيم ص : ٢٣

٣ - الإسراء : ٣٦

٤ - أخرجه البخاري كتاب الإعتصام رقم ٧٣٠٧، احمد (٢٠٣/٢)

٥ - الأحزاب : ٧٢

٦ - اقتضاء الصراط المستقيم : ٣٢

٧ - الإعتصام : (١٧٢/٢)

٨ - الإعتصام (١٨٢/٢)

أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو في الدليل، وإن كان عالما بما مع نفسه من الحق حكما ودليلا (١٧) والمقصود أن الجهل سبب رئيسي للخلاف والتفرق، ولذلك فإن من أهم شروط المحاور وآدابه العلم بالأمر المختلف فيه، ومعرفة أدلة الشرع في القضية المطروحة للنقاش.

ثانياً:- أما العامل الثاني من عوامل الاختلاف العامة فهو اتباع الهوى : (والهوى هو ميل النفس إلى نيل شهوة تلائم طبعها، أو اتباع شبهة توافق عقلها) (٢٨) وقد ذكره الإمام الشاطبي فقال : (والثاني من اسباب الخلاف اتباع الهوى ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء، لانهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الإفتقار اليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك) (٣٨).

وقد جاءت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة بدم الهوى فمن ذلك قوله تعالى : ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٤) وقال سبحانه ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (٥).

قال الشاطبي : (ولم يأت في القرآن ذكر الهوى إلا في معرض الذم، حكى ابن وهب عن طاووس أنه قال : ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه) (٦) وفي الحديث مارواه الامام أحمد بسنده عن ابي برزة قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ مِمَّا أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضَلَّاتِ الْهَوَىٰ» (٧)

١ - اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٣٢).

٢ - مقدمة في اسباب اختلاف المسلمين ص ٤٦

٣ - الاعتصام : (١٧٦/٢)

٤ - ص: ٢٦

٥ - الفرقان : ٤٣

٦ - الاعتصام : (١٨٠/٢)

٧ - مسند أحمد (٤٢٠/٤)

وقال شيخ الإسلام بعد أن ذكر بدعة الخوارج وبدايتها : (فكان مبدأ البدع هو الطعن في السنة بالظن والهوى، كما طعن ابليس في أمر ربه برأيه وهواه) (١) وقد ذم السلف الأهواء وأهلها وأقوالهم في ذلك كثيرة جداً، ذكر منها الشاطبي : (عن عبدالرحمن بن مهدي أن رجلاً سأل ابراهيم النخعي عن الأهواء : أيها خير ؟ فقال : ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير ما هي إلا زينة الشيطان، وما الأمر إلا الأمر الأول، يعني ما كان عليه السلف الصالح، وخرج عن الثوري أن رجلاً أتى إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : انا على هواك، فقال له ابن عباس: الهوى كله ضلالة أي شيء؟ أنا على هواك (٢)، وذكر في موضع آخر عن بعض السلف أنه كان يقول : (ما كان عبد على هوى تركه إلا إلى ما هو شر منه) (٣) إلى غير ذلك مما جاء في التحذير من الأهواء والبدع. والمقصود أن أصل الزيغ والضلال، ومنشأ التفرق والاختلاف يكون بترك الحق الواضح البين، واتباع المتشابه الذي يتفق مع الأهواء كما قال سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (٤).

وهناك ضوابط يستطيع المسلم من خلالها أن يتحقق من بعده عن الهوى، أو يتقي الوقوع في مهاويه، أو يستنقذ نفسه منه إن كان قد ابتلي منه بشيء، اذكرها باختصار (٥) :-

١ - الفتاوى (٣/٣٥٠)

٢ - الإعتصام (٢/١٨٠)

٣ - الإعتصام (١/١٢٣)

٤ - آل عمران ٧:

٥ - باختصار وتصرف عن مقدمة اسباب اختلاف المسلمين ص ٦٢-٧٨

١ - اتباع الكتاب والسنة وجعلهما الأساس والمصدر، وعدم تحكيم العقل فيهما أو عرض نصوصهما عليه فإن كل ذلك دافعه الهوى.

٢ - اتباع منهج السلف في النظر والاستدلال: فإن للسلف منهجا قويا في ذلك، وقد خالفه أهل الهوى فتفرقت بهم السبل، ومن طرق الزائغين التي ينبغي تجنبها في النظر والاستدلال ما يلي :

أ - اتباع المتشابه وعدم رده للمحكم -

ب - عدم جمع أطراف الأدلة.

ج - الإحتجاج بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة.

د - عدم رد الفروع الجزئية إلى القواعد الكلية.

فالمقصود الحذر من مسالك أهل الهوى في هذا الأمر، والرجوع إلى منهج أهل القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم والإهتمام بأقوالهم وفتاواهم.

٣ - اعتبار المتغيرات الواقعية : فحيث أن الأحكام والفتاوى الشرعية تبني على أمرين معاً وهما :

١ - الحكم الشرعي الأصلي

٢ - الواقع المراد تطبيق الحكم الشرعي عليه، وهو ما يسميه علماء الأصول تحقيق المناط فإن عدم تطبيق الحكم على واقعه الصحيح هو من طرق أهل الهوى، بل من تحريف الكلم عن مواضعه، يقول الشاطبي : تحريف الأدلة عن موضعها : ان يرد دليل على مناط فيصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهما أن المناطين واحد، وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه، والعياذ بالله، ويغلب على الظن أن من أقر بالأسلام، ويذم تحريف الكلم عن مواضعه، لا يلجأ إليه صراحا إلا مع اشتباه يعرض له، أو جهل يصده عن الحق، مع هوى يعميه عن أخذ الدليل مأخذه، فيكون بذلك السبب مبتدعا(١).

٤ - التقوى والإخلاص والتجرد: فإن التقوى مع الإخلاص ضد الهوى ولا يلتقيان في عبد أبداً. فإن من اتقى الله وأخلص نيته وجرد قصده لله عز وجل، هداه الله إلى الحق، وارشده إلى الهدى والصواب، وليس علم من اتقى وأخلص، كعلم من كان علمه عن جفاف قلب أو سوء طوية، ولذلك فإن الله عز وجل قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (١) وقال سبحانه: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (٢).

ثالثاً - أما العامل الثالث من أسباب الخلاف فهو التعصب: وقد ذكره الشاطبي - رحمه الله - بقوله: (والثالث من أسباب الخلاف: التصميم على اتباع العوائد وإن فسدت أو كانت مخالفة للحق: وهو اتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ، واشباه ذلك، وهو التقليد المذموم (٣) وجناحا التعصب: ضعف النفس وجهل العقل (٤)، وهو ظاهرة ذميمة تؤدي إلى التفرق والتعادي، وهو من خصال أهل الكتاب التي تكون في هذه الأمة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ قَالُوا: نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ (٥) (فوصف اليهود بأنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور النبي فلما جاءهم من غير طائفة يهودونها لم ينقادوا له، وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة في العلم أو الدين أو إلى رئيس معظم عندهم، فإنهم لا يقبلون من الدين - لا فقها ولا رواية إلا ما جاءت، به طائفتهم (٦)

١ - البقرة: ٢٨٢

٢ - الأنفال: ٢٩

٣ - الاعتصام (٢/ ١٨٠)

٤ - مقدمة في اختلاف المسلمين ص ٨٠

٥ - البقرة: ٩١

٦ - اقتضاء الصراط المستقيم ص ٨ بتصرف

ولذلك حذر الإثمة والعلماء من هذا المسلك الخطير، إذ (أن الحق يستحيل أن يكون وقفاً على فئة معينة دون غيرها، والمنصف من دقق في المدارك غاية التدقيق)(١) ومن كلامهم رحمهم الله في ذم التقليد والتعصب ما أورده الإمام ابن القيم - رحمه الله - في (أعلام الموقعين) ومما ذكره : (قال ابن مسعود : لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن، وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر. وقال ابو داود: قلت لأحمد : الأوزاعي هو أتبع من مالك ؟ قال : لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعي بعد الرجل فيه خير، وقال أبو يوسف : لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا (٢) وقال شيخ الإسلام رحمه الله : (فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة - كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك - كان من أهل البدع والضلال والتفرق) (٣) فهذا فيمن تعصب للأشخاص بلا علم ولا عدل، وأما كلامه فيمن يغلو في التعصب في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد فقد قال : (من وإلى موافقة وعادى مخالفة، وفرق بين جماعة المسلمين، وكفر وفسق مخالفة دون موافقة في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلاف)(٤)

فالمقصود أن التعصب والتقليد المذموم، من أكبر أسباب الخلاف وأخطرها، والتي يجب على المسلم أن يحذرهما ويتركها.

١ - انظر مقدمة اختلاف المسلمين ص ٨٣

٢ - انظر اعلام الموقعين : (٢/١٣٥، ١٣٩، ١٤٠)

٣ - الفتاوى (٣/٣٤٧)

٤ - نفس المصدر (٣/٣٤٩)

تلك أهم العوامل العامة التي تسبب الخلاف وتؤدي إلى التفرق، أما الأسباب الخاصة بالخلاف بين العلماء فيمكن إيجازها وتلخيصها فيما يلي^(١):-

١ - أن يكون الدليل لم يبلغ هذا المخالف الذي أخطأ في حكمه، أو بلغه على وجه لا يطمئن به.

٢ - أن يكون الحديث قد بلغه ولكنه نسيه.

٣ - أن يكون الدليل بلغه ولكن فهم منه خلاف المراد.

٤ - أن يكون قد بلغه الدليل لكنه منسوخ ولم يعلم بالناسخ.

٥ - أن يعتقد أنه معارض بما هو أقوى منه من نص أو إجماع.

٦ - أن يأخذ بالحديث الضعيف، أو يستدل استدلالاً ضعيفاً.

فهذه بعض الأسباب الظاهرة، وقد قال شيخ الإسلام بعد ذكر أسباب الخلاف: (وفي كثير من الأحاديث يجوز أن يكون للعالم حجة في ترك العمل بالحديث لم نطلع نحن عليها، فإن مدارك العلم واسعة، ولم نطلع على جميع مافي بواطن العلماء، والعالم قد يبدي حجة وقد لا يبديها، وإذا أبدأها فقد تبلغنا وقد لا تبلغنا، وإذا بلغتنا فقد ندرك موضع احتجائه وقد لا ندركه سواء كانت الحجة صواباً في نفس الأمر أم لا) (٢).

٤ - أما عن وجود الخلاف مع التحذير منه والتوفيق بين ذلك فبيانته كالآتي :-

لقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن تختلف آراء الناس في صغير الأمور وكبيرها، سواء في أمور الدين أو الدنيا، وسبب ذلك أنهم خلقوا مختلفين في الفهم والعلم، كما خلقوا مختلفين في الأمزجة والميول والرغبات، وفي الضعف والقوة والصبر على العلم والعمل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (٣).

١ - انظر رفع الملام ص ٦-١٨، الخلاف بين العلماء لابن عثيمين ص ٩-٢٤

٢ - رفع الملام ص ١٨

٣ - هود: ١١٨-١١٩

قال الإمام الشاطبي: وذلك الاختلاف في الآراء والنحل والأديان والمعتقدات المتعلقة بما يسعد الإنسان به أو يشقى في الآخرة والدنيا (١)، كما بين الله عز وجل في كتابه أن الخلاف واقع حيث قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ (٢) وقال عز وجل: ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ (٣) ومما يدل على ضرورة وجود الخلاف أن الله عز وجل بين لنا المرجع عند وقوعه، وطريقة الخروج منه فقال سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (٤) وقال أيضا: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (٥). واخبر سبحانه أنه إنما أنزل الكتب لتقضي على الخلاف الواقع بين الناس فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (٦) وقال: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (٧) وغيرها من الآيات.

كما أخبر ﷺ بوقوع الخلاف في قوله: «وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا» (٨)، كما أن واقع الأمة يشهد بذلك فقد اختلف صحابة رسول الله ﷺ في مسائل متعددة، كاختلاف أبي بكر وعمر على عهد ﷺ وكانت بينهما محاوراة، حتى بلغ أمرها للنبي عليه السلام وشق ذلك عليه ٠٠ إلى أن قال ﷺ في نهاية الحديث «٠٠ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي» (٩).

١ - الاعتصام (١٦٥/٢)

٢ - يونس ١٩

٣ - البقرة: ٢٥٣

٤ - الشورى: ١٠

٥ - النساء: ٥٩

٦ - البقرة: ٢١٣

٧ - النحل: ٦٤

٨ - تقدم ذكره في أول هذا الباب ص: ٢٦

٩ - تقدم ذكره في أول هذا الباب أيضا ص: ٥٠

كما اختلفا بعد ذلك في قتال المرتدين وجمع القرآن وغير ذلك، واختلف الصحابة في تعيين الخليفة بعد رسول الله ﷺ ، وفي ذلك قال عمر رضي الله عنه: «فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف» (١) كما اختلفوا في غسله ومكان دفنه وميراثه ﷺ ونحو ذلك. كما اختلف من بعدهم من التابعين ومن الأئمة والعلماء وغيرهم، ولا يزال الخلاف إلى اليوم، فهو واقع ظاهر مشاهد.

أما النصوص التي تنهي عن الخلاف وتحذر منه فكثيرة جدا ومنها:-
قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (٢) وقال عز وجل : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (٣) وكذلك ماجاء في بيان عاقبة المختلفين كقوله سبحانه : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٤).

- ومنها قوله ﷺ لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهم - حين بعثهما إلى اليمن : «يَسْرًا وَلَا تَعْسَرًا ، وَبَشْرًا وَلَا تَتَفَرَّا ، وَتَطَاوَعًا وَلَا تَخْتَلِفَا» (٥) وفي حديث القراءات قال ﷺ : «لَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا» (٦) ومن ذلك ايضا قول علي رضي الله عنه : «اقضوا كما كنتم تقضون، فإنني أكره الاختلاف» (٧)

١ - أخرجه البخاري كتاب الحدود رقم ٦٨٣٠

٢ - آل عمران: ١٠٥

٣ - الأنفال: ٤٦

٤ - البقرة: ١٧٦

٥ - أخرجه البخاري كتاب الجهاد رقم ٣٠٣٨، مسلم كتاب الجهاد (١٣٥٩/٣) رقم ٧٠٧

٦ - أخرجه البخاري كتاب الأنبياء رقم ٣٤٧٦

٧ - أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة رقم ٣٧٠٧

وقول ابن مسعود رضي الله عنه في مسألة قصر الصلاة في الحج «الخلاف شر» (١) ونحو ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب، والجمع بين كونه واقعاً لامحالة وموجوداً، وبين ما جاء في التحذير منه، يتلخص في النقاط الآتية :-

- ١ - إن وجوده يرجع إلى أصل خلق الناس مختلفين في أفهامهم وعقولهم وطبائعهم فلا بد أن ينتج عنه اختلاف الآراء والأقوال والقلوب.
- ٢ - إن وجوده لا يعني استحبابه أو طلبه ، بل هو كسائر الصفات والطبائع المذمومة، مع كونها جبلية في الإنسان كالظلم والجهل والهلع والطمع ونحوها.
- ٣ - إن الله عز وجل الذي خلق الناس مختلفين، لم يتركهم هملاً باختلافهم، بل قد دلهم على طريق الخلاص من الخلاف وهو الرجوع إليه سبحانه وتعالى.
- ٤ - إن كثيراً من الخلافات ترجع إلى عوامل معينة معروفة، قد بينها الشرع وحذر منها، حتى لا يقع الخلاف، وهي الجهل والهوى والتعصب ونحوها، وإن من تجنبها وابتعد عنها سلم من الخلاف.
- ٥ - إن الخلاف أنواع، ومنها ما هو سائغ جائز، وربما كان رحمة لبعض الناس، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: (والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يفض إلى شر عظيم) (٢) ونقل قول بعض العلماء : (الإجماع حجة قاطعة والخلاف رحمة واسعة) (٣) فتبين بذلك أن وجود الخلاف أمر طبيعي، وأن من اتبع منهج الله أمكنه تلافيه. والله أعلم.

١ - أخرجه أبو داود كتاب المناسك (٢٠٦/٢) رقم ١٩٦٠

٢ - الفتاوى : (١٥٩/١٤)

٣ - الفتاوى : (٨٠/٣٠)

القسم الثاني : «آداب الحوار»

- آداب الحوار النفسية
- آداب الحوار العلمية
- آداب الحوار اللفظية
- آداب ومباحث عامة تتعلق بالحوار

الباب الثاني

«آداب الحوار النفسية»

الباب الثاني : آداب الحوار النفسية

وأعني بها الآداب التي تتعلق بنفسية المحاور وشخصه، وبنفسية الخصم كذلك، فهناك ظروف نفسية قد تطرأ على الحوار فتؤثر عليه تأثيراً سلبياً، فينبغي مراعاة ذلك حتى ينتج الحوار ويحقق غايته، وأجمل ذكر هذه الآداب ثم اشرع في تفصيلها على الترتيب:

- ١ - تهيئة الجو المناسب للحوار
 - ٢ - الإخلاص وصدق النية
 - ٣ - الإنصاف والعدل والتفريق بين الفكرة وصاحبها
 - ٤ - التواضع وحسن الخلق
 - ٥ - الحلم والصبر
 - ٦ - الرحمة والشفقة بالخصم والحرص على اقناعه
 - ٧ - العزة والثبات على الحق
 - ٨ - حسن الإستماع
 - ٩ - المحبة رغم الخلاف
 - ١٠ - الهدؤ والثقة بالنفس
 - ١١ - احترام الطرف الآخر
 - ١٢ - الجرأة والغضب لنصرة الحق
- وعليه فسأجعل كل أدب منها مبحثاً، أبين فيه المقصود به مع ذكر أدلته من الكتاب والسنة، والله الموفق،

المبحث الأول : تهيئة الجو المناسب للحوار

ينبغي للمحاور أن يهيء نفسية محاوره قبل الدخول معه في مناقشة القضايا وذلك أدعى لقبول الحوار والوصول إلى نتيجته وحتى لايفاجأ الخصم أو يواجه بما يكره من أول مرة، فيكون ذلك عائقا أمام اقتناعه وإذعانه.

ومن الجوانب التي ينبغي مراعاتها مثلا: الجو النفسي والمؤثرات المحيطة بالحوار، فلا بد من الابتعاد عن الأجواء الجماعية والغوغائية، لأن الحق قد يضع في مثل هذه الأجواء، حيث التقليد الأعمى والتبعية للأكثرية، وبقدر ما يقل المتحاورون أو السامعون في الحوار بقدر ما ينقادون الى الحق عند ظهوره، كما ينبغي مراعاة الجو الحسي، من حيث البرودة والحرارة والإتساع والضيق ونحوها لأن وجود ما يؤدي في جو الحوار يؤثر على طبيعة النقاش ونتيجته، ومثله إختيار المكان الهادئ، وإتاحة الزمن الكافي للحوار، فلا تصلح أماكن الضجيج كالأسواق والمدارس ونحوها للحوار، وذلك لضيق الوقت ولوجود ما يشغل.

كما ينبغي مراعاة الطرف النفسي والاجتماعي للطرف الآخر، فلا يصلح أبدا أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق الجسدي بسبب تعب أو جوع أو غيره، أو يعاني من إرهاق نفسي كهم أو غم أو حزن، لأن هذه الظروف حتما ستؤثر على الحوار إما ببطئه قبل تمامه أو حدوث إنفعالات وغضب وتوتر يؤدي بالحوار إلى الفشل الذريع(١).

ومن الوسائل في تهيئة الجو المناسب للحوار :

- ١ - التعارف بين الطرفين : فمن الضروري جدا أن يعرف كل محاور الطرف المقابل له معرفة دقيقة، وأن يعلم شيئا عن ظروفه وبيئته ،

١ - انتهى ملخصا من رسالة «قل إنما أعظكم بواحدة» للشيخ عبدالعزيز بن ناصر الجليل

وقدره ومنزلته، وعلمه وأحواله، إذ أن هذا يفيد كثيرا في تحديد الأسلوب المناسب والإستعداد اللازم، كما أنه يعين على فتح قلبه، والقرب منه وضبط أعصابه، وهنا إما أن يبدأ المحاور بالتعريف بنفسه، أو بسؤال محاوره.

فمن الشواهد للأول: ماجاء في قصة الملائكة مع إبراهيم - عليه السلام - حين أوجس منهم خيفة فعرفوه بأنفسهم وبسبب مجيئهم ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ (١)

قال الطبري رحمه الله في قوله: «قالوا لا تخف»: (قالت الملائكة لما رأت ما بإبراهيم من الخوف منهم لا تخف منا، وكن آمنا فإننا ملائكة ربك أرسلنا إلى قوم لوط) (٢).

ومنه ماجاء في قصة الملائكة مع لوط - عليه السلام - قال تعالى عنهم ﴿قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ (٣) فهام الملائكة يعرفون لوطا بأنفسهم قبل أن يأمره بإخراج أهله.

قال ابن المنير في تعليقه على الكشف: (أما لوط فلم يشعر أنهم ملائكة حتى أعلموه بذلك ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ فأول ما أعلموا به أنهم رسل) (٤).

ولعل من شواهد ذلك أيضا ما قاله الملك الذي أرسل إلى مريم ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (٥) فأخبرها عن حقيقته، ثم أعلمها بمهمته.

ولعل منه أيضا ما بدأ الله به في إرساله لموسى - عليه السلام - حيث قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ (٦)

١ - هود: ٧٠

٢ - الطبري: (٧١/١٢)

٣ - هود: ٨١

٤ - الكشف: (٢٨٠/٢)

٥ - مريم: ١٩

٦ - طه: ١١-١٢

قال الزمخشري : «تكرير الضمير في ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ لتوكيد الدلالة، وتحقيق المعرفة وإمطة الشبهة» (١).

ومثله قال ابن الجوزي : «إنما كرر الكناية، لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإزالة الشبهة، ومثله ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (٢) (٣)».

ومنه أيضا ما وجه الله به موسى وهارون عند اتیانهما فرعون، بأن يبدها بتعريفه بنفسيهما ومهمتهما، حيث قال تعالى : ﴿فَأَتَيْنَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (٤)، وكذلك قوله تعالى في يس : ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مَّرْسَلُونَ﴾ (٥).

ومن أمثله حديث عمرو بن عبسة السلمي حين قدم مكة يبحث عن النبي ﷺ ، فلما لقيه وعرفه مال إلى الإسلام فأمره النبي ﷺ - بالرجوع إلى قومه حتى يسمع بظهور الإسلام، فجاء إلى النبي ﷺ في المدينة - بعد ذلك - فدخل عليه فقال : يا رسول الله : أتعرفني ؟ قال : نعم أنت الذي لقيتني بمكة (٦).

- ومن الشواهد لذلك أيضا ما سيأتي في حديث جابر بن سليم رضي الله عنه ، ومن الشواهد للثاني - أي سؤال الطرف الآخر عن نفسه، أو عن اسمه، أو قومه أو مهمته :

ما جاء في سؤال إبراهيم للملائكة - على قول بعض العلماء - في قوله تعالى : ﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمٍ مُنْكَرُونَ﴾ (٧) فأخبرهم بأنه لا يعرفهم (٨).

وكما قال الزمخشري في كلامه عن الآية (٩)، أو كان هذا سؤالا لهم كأنه قال : أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم (٩).

١ - الكشف : (٥٣١/٢)

٢ - الحجر : (٨٩)

٣ - زاد المسير (٢٧٣/٥)

٤ - طه : ٤٧

٥ - يس : ١٤

٦ - أخرجه مسلم : صلاة المسافرين (٥٦٩/١) رقم ٢٩٤، أحمد : (١١١/٤)، ابن ماجه : (٨٥/١) رقم ١٦٥

٧ - الذاريات : ٢٥

٨ - الطبري : (٢٠٦/٢٦)

٩ - الكشف : (١٨-١٧/٤)، وانظر : زبدة التفسير للأشقر ص ٦٩٣، زاد المسير (١٢٧/٤).

ومنه حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : (إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال : «من القوم؟ أو من الوفد؟ قالوا ربيعة قال : مرحباً بالقوم أو بالوفد، غير خزايا ولا ندامى» (١) .

قال ابن حجر : (قال ابن أبي جمره: في قوله: «من القوم» دليل على استحباب سؤال القاصد عن نفسه ليعرف فينزل منزلته (٢) .

وقال العلامة صديق حسن خان: وفيه دليل على استحباب تأنيس القادم، وقد تكرر ذلك من النبي ﷺ، ففي الحديث : «مرحبا بأُم هانيء» وفي قصة عكرمة ابن أبي جهل: «مرحبا بالراكب المهاجر» وفي قصة فاطمة: «مرحبا بابنتي» وكلها صحيحة (٣) .

وأخرج أبو داود عن أبي جرى جابر بن سليم قال : رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه، لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه، قلت: من هذا ؟ قالوا : هذا رسول الله ﷺ قلت : عليك السلام يارسول الله «مرتين» . قال : «لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل السلام عليك، قال: قلت أنت رسول الله ﷺ ؟ قال : أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرٌّ فدعوتَه كشفَه عنك، وإن أصابك عامُ سنة فدعوتَه أنبتَها لك، وإذا كنت بأرضٍ فقراء أو فلاة فضلت راحلتك فدعوتَه ردها عليك» (٤) .

فهذا الصحابي سأل عن النبي ﷺ أولاً ليعرف من هو، ثم تثبت منه ثانياً، فكان جوابه عليه السلام بما يناسب حال السائل مما كان مفتاحاً لقلبه حيث طلب من النبي ﷺ أن يعهد إليه ويوصيه كما في تمام الحديث، ومما يؤكد هذه القضية ويبين أهميتها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال

١ - أخرجه البخاري: الإيمان ٥٣، مسلم: الإيمان (٤٦/١) رقم ٢٣، أحمد (٢٢٨/١)

٢ - الفتح : (١٣١/١)

٣ - عون الباريء لحل أدلة البخاري (١٨٥/١)

٤ - أخرجه أبو داود: اللباس (٥٥/٤) رقم ٤٠٨٤، والفظ له، الترمذي : الإستئذان (٧٢/٥)

رقم ٢٧٢٢، أحمد (٦٥/٤)

لهم أيكم محمد؟ - والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم - فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل : ابن عبدالمطلب فقال له النبي ﷺ : قد أجبتك فقال الرجل إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك فقال : سل عما بدا لك فقال أسألك بربك ورب من قبلك آله أرسلك إلي الناس كلهم ؟ فقال اللهم نعم. قال أنشدك بالله: آله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال: اللهم نعم قال: أنشدك بالله: آله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : اللهم نعم، قال أنشدك بالله آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فنقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبي ﷺ : اللهم نعم فقال الرجل : آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر(١).

فهذا ضمام بن ثعلبة - رضي الله عنه - يسأل عن النبي ﷺ أولا ليتعرف عليه ثم يناديه ليلفت إنتباهه وليثبت منه، وكذلك يعرف بنفسه وبقبيلته، ومهمته حيث إنه رسول قومه. وقد أحسن في سؤاله وتثبته وفهمه وتبليغه حتى قال عمر رضي الله عنه : (ما رأيت أحدا أحسن مسأله ولا أوجز من ضمام(٢)). وقد جاء في بعض روايات الحديث أنه عرف بنفسه أولا قبل أن يسأل عن شيء كما في رواية كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: (جاء رجل من بني سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ - وكان مسترضعا فيهم فقال : أنا وافد قومي ورسولهم(٣)). فتبين من خلال النصوص السابقة أهمية التعارف بين الطرفين، ودوره في تسهيل البدء في الحوار واستمراره والوصول إلى نتيجته وثمرته.

١ - أخرجه البخاري : العلم ٦٣، النسائي الصيام (١٢٢/٤) رقم: ٢٠٩٢ وتقدم

٢ - الفتحة : (١٥١/١)

٣ - ذكرها ابن حجر في الفتحة : (١٥٣/١)

٢ - طرح أسئلته في غير موضوع الحوار لتهيئة نفسية الطرف الآخر:

إن مما يساعد على سهولة البدء في الحوار ويضمن سيره نحو الأفضل : أن يطرح المحاور عددا من الأسئلة عن أي أمر عام ليس له علاقة مباشرة بموضوع الحوار، حيث إن هذا يعطي الطرف المقابل فرصة للتأقلم مع جو الحوار كما أنه يكسب المحاور خبرة بطبيعة الطرف الآخر، من خلال حديثه ونبرات صوته وحصيلته العلمية وميولاته، ويحبذ أن تكون الأسئلة مناسبة غير محرجة، وأن تكون إيجابية، فالمتحدث اللبق هو الذي يحصل في مبدأ الأمر على أكبر عدد من الإجابات «بنعم» (١).

ومن شواهد ذلك في القرآن : ما بدأ الله به من سؤال موسى عن العصا، وذلك قبل أن يرسله إلى فرعون، حيث قال تعالى ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٠٠﴾ إلى قوله ﴿إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٢) الآيات، قال الزمخشري في كلامه عن الآية : (وقالوا : إنما سألته ليبسط منه ويقلل هيئته) (٣).

وقال ابن الجوزي في بيان الفائدة من سؤال الله تعالى لموسى ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ وهو يعلم - (٠٠ القول الثاني: انه لما اطلع الله تعالى على مافي قلب موسى من الهيبة والاجلال حين التكليم، أراد ان يؤانسـه ويخفف عنه ثقل ماكان فيه من الخوف، فأجرى هذا الكلام للإستئناس) (٤).

ولعله يشبهه أسلوب القرآن في كثير من المناسبات حيث يبدأ السياق بطرح سؤال ما كقوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٥).

١ - انظر كتاب «كيف تكسب الأصدقاء» - كارينجي ص ١٥٤

٢ - الآيات : طه: ١٧- ٢٤

٣ - الكشف : (٢/٥٣٣)

٤ - حكاة أبو سليمان الدمشقي (زاد المسير : ٥/ ٢٧٨) بتصرف

٥ - الذاريات : ٢٤

فبدأ الحديث عن إبراهيم بالسؤال تنويها بهذا الحديث وتهيئة للأذهان (١) ومن شواهد ذلك أيضا أسئلته ﷺ للصحابة في أكثر من موضع بقصد استحضار أذهانهم ولفت أنظارهم : - ومنه حديث عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه : (ذكر النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه - أو بزمامه - قال : أي يوم هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى قال: فأني شهر هذا، فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس بذي الحجة ؟ قلنا : بلى قال: فَإِنَّ يَمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبُ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبْلَغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى مِنْهُ (٢) وفي الفتح عن القرطبي قال: (سؤاله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهمهم وليقبلوا عليه بكليتهم وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه (٣) وقال النووي : (هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظم مرتبة هذا الشهر والبلد واليوم (٤) - فالنبي ﷺ - طرح هذه الأسئلة الواضحة الإجابة، إذ ليس المقصود منها تعليمهم اجابتها فهم يعلمون في أي يوم وفي أي شهر وفي أي بلد يحجون، ولكن أراد لفت انتباههم وتهيئة نفوسهم لما سيأتي من الكلام وهو أسلوب لطيف لتفريغ ذهن المستمع وأقرب إلى إنصاته واستعداده للحوار.

ومن نماذج المشهورة أيضا ماجاء بعد نزول قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٥) حيث صعد النبي ﷺ على الصفا ونادى بطون قريش حتى اجتمعوا،

١ - الظلال : (٣٣٨٢/٦)

٢ - أخرجه البخاري : العلم (٦٧)، مسلم : القسامة (١٣٠٥/٣) رقم ٢٩

٣ - الفتح : (١٥٩/١)

٤ - مسلم بشرح النووي (١٦٩/١١)

٥ - الشعراء: ٢١٤

فقال : (أرأيتم لو أخبرتم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ماجربنا عليك إلا صدقا قال : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ) (١) فهو ﷺ يسألهم ليقررهم بصدقه، ويهيئهم لقبول ما يخبرهم به من أمر الغيب (٢) كما يشهد لذلك رواية الإمام مسلم لحديث ضمام ابن ثعلبة. وقال فيه : (يا محمد! أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك. قال : صدق ، قال : فمن خلق السماء ؟ قال الله قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله، قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : الله، قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آله أرسلك ؟ قال : نعم (٣) الحديث.

قال النووي : (هذه جملة تدل على أنواع من العلم. قال صاحب التحرير (هذا من حسن سؤال هذا الرجل وملاحظة سياقته وترتيبه فإنه سأل أولا عن صانع المخلوقات من هو ثم أقسم عليه به أن يصدقه في كونه رسولا للصانع ثم لما وقف على رسالته وعلمها أقسم عليه بحق مرسله. وهذا ترتيب يفتقر إلى عقل رصين، ثم إن هذه الأيمان جرت للتأكيد وتقدير الأمر لا لافتقاره إليها كما أقسم الله تعالى على أشياء كثيرة، هذا كلام صاحب التحرير (٤)

فهذه كلها أسئلة غير مقصودة لذاتها. وليست في صلب موضوع الحوار وإنما طرحت للتقرير والتدرج والتهيئة، فبان من هذا أن طرح مثل هذه الأسئلة قبل البدء والدخول في الحوار أدب جميل يحسن بالمحاور مراعاته ليكون الحوار ناجحا.

١ - أخرجه البخاري : التفسير (٤٧٧١)، مسلم الإيمان (١٩٣/١) رقم ٣٥٥، أحمد (٢٨١/١).

٢ - الفتح (٥٠٣/٨)

٣ - تقدمت الإشارة إليه آنفا

٤ - شرح النووي : (١٧٠/١)

٣ - استعمال مقدمات أخرى - غير مناسب - قبل الدخول في موضوع الحوار :
قد يكون الطرفان متعارفين ولا حاجة لإعادة التعارف بينهما، كما قد يكون الوقت ضيقا لا يتسع لطرح الأسئلة، أو لاحتاج الوضع إلى مقدمات طويلة عن طريق الأسئلة المعروفة الإجابة (كما تقدم) وإنما يحتاج الوضع إلى كلمات أو عبارات سريعة تهيء نفسية الطرف الآخر وتلفت انتباهه فلذلك لا بأس بأن يبدأ المحاور بمقدمات لطيفة قبل الدخول في موضوع الحوار.

ومن شواهد ذلك في القرآن ما جاء في دخول الملائكة على إبراهيم وبدئهم بتبشيرهم بغلام عليم. مما أفرحه وزوجه، وازهد عنه الروح والفرح، فشرع بعدها في الحوار والجدال كما أخبر الله تعالى عنه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ وَامْرَأَتَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۝١٠٠﴾ الآيات إلى قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (١). قال الزمخشري: (والمعنى: أنه لما أطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشري بدل الغم فرغ للمجادلة) (٢) - وقال سيد قطب رحمه الله: ما ملخصه: (وهكذا عجلوا له البشري... وبعد أن اطمأن إلى الملائكة، وثابت نفسه وأطمأنت للبشري راح يستطلع سبب مجيئهم وغايته) (٣).

إذا فقد كان للبشري والكلام الذي صحبها، أثر واضح على نفسية إبراهيم عليه السلام، ودور ملموس في تهيئته للحوار.
وقد يكون من هذا الباب أيضا أمر الله لموسى بأن يخلع نعليه، تهيئة له وإعدادا، قال سيد قطب (٤): (وبعد اعلانه بالتكريم والاختيار، والاستعداد

١ - هود: ٦٩-٧٤

٢ - الكشف: (٢/٢٨٢)

٣ - الظلال: (٤/٢١٤٨)

٤ - الظلال: (٤/٢٣٣١)

والتهيؤ بخلع نعليه يجيء التنبيه للتلقي ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (١) وقريب من ذلك شكوى زكريا إلى ربه، ووصفه لحاله وشيخوخته وخشيته على الدعوة من بعد وفاته، وكان ذلك منه قبل أن يدعو الله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (٢٠٠) إلى قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (٢٠٢).

فظهر من خلال الآيات السابقة: أن البشرى لإبراهيم، والأمر بخلع النعلين لموسى، لم يكن من صلب موضوع الحوار، وإنما كان مقدمة له، وكان له أثره الظاهر في فتح باب الحوار.

ومن أدلته أيضا ما تقدم من قول ضمام للنبي ﷺ (٢٠٠) «إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك» قال الحافظ ابن حجر: (وظهر عقل ضمام في تقديمه الاعتذار بين يدي مسألته، لظنه أنه لا يصل إلى مقصوده إلا بتلك المخاطبة) (٣).

فكان هذا الكلام من ضمام في غاية الأدب والاعتذار، والتقديم لموضوع الحوار، حتى قال له النبي ﷺ: «سَلْ مَا بَدَا لَكَ» فكانت مقدمة لطيفة شرحت صدر النبي ﷺ له، وكان بعدها ذلك الحوار الطويل الشيق.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في احتجاج آدم وموسى عليهما السلام، حيث قال موسى: «انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، واسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاما. قال آدم: فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (٤)؟

١ - طه: ١٣

٢ - مريم: ٤- هـ (وانظر الظلال: ٢٣٠٢/٤)

٣ - الفتح: (١٥١/١)

٤ - طه: ١٢١

قال : نعم، قال : أفتلومني على أن عملت عملا كتبته الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال ﷺ : «فحج آدم موسى» (١)

فواضح من هذا الحوار المقدمة الطويلة التي وضعها موسى عليه السلام - قبل أن يعاتب آدم أو يحاوره، حيث إنه ذكره بنعم الله عليه من خلقه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسجاد الملائكة له، وإسكانه الجنة، ثم عاتبه بخطيئته، وكان رد آدم أبلغ وأقوى، وتمثل فيه هذا الأدب بصورة أوضح، حيث أثنى على موسى وذكره بنعم الله عليه، كما قد فعل موسى - ثم استدرجه بسؤاله عن زمن كتابة الله للتوراة، وتقريره بأن ذلك كان قبل أن يخلق الله آدم بأربعين سنة، ثم سأل عن الآية التي أخبر الله فيها عن معصيته، وأقر موسى بها، وكان كل ذلك من آدم كالمقدمات لما ذكره بعد ذلك من العتاب والرد على موسى، فكان ردا قويا مرتبا مؤدبا، أقره عليه رسولنا ﷺ - حيث قال : «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى».

ومن المقدمات اللطيفة التي تهيء جو الحوار: ما كان من مقدمة معاوية بن الحكم السلمي حيث قال : (قلت يا رسول الله : إنا حديث عهد بجاهلية، فجاء الله بالاسلام، وإن رجالا منا يتطيرون) (١٠٠) الحديث (٢).

فهذا الصحابي يضع مقدمة مختصرة يصف فيها حال قومه، وقرب عهدهم بالجاهلية، ثم مجيء الاسلام ودخولهم فيه، ليسأل بعد ذلك عن بقايا ومخلفات من تلك الجاهلية، وحكمها في الاسلام.

ومن أجمل المقدمات التي استعملت لتهيئة نفسية المحاور، ما كان من فعل المصطفى ﷺ، حيث كان يهيء جو الحوار والحديث، ويلفت انتباه السامع إليه، ولو بكلمة أو كلمتين، كما جاء في حديث معاذ، حيث كان رد النبي ﷺ فقال : (يا معاذ بن جبل!، فأجاب: لبيك يا رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال :

١ - تقدم ذكره في أول البحث «التعريفات» ص: ١٢

٢ - تقدم تخريجه في مبحث الكلمة الطيبة ص: ٧٠

يا معاذ بن جبل فقال : لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ بن جبل! قال : لبيك رسول الله وسعديك. قال : «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ ٠٠٠٠ الحديث(١)». فنرى من هذا الحديث أن النبي ﷺ يهيء نفسية معاذ رضي الله عنه لإخباره بأمر عظيم، ولا يزيد على مناداته باسمه حتى إذا استجاب وانتبه وفرغ سمعه، سكت عليه الصلاة والسلام، ثم يسير ساعة ثم يعود ويناديه ويلفت إنتباهه، وفي المرة الثالثة وبعد أن يتأكد من انصات معاذ وتهيئته، يدخل معه في موضوع الحوار ويبدؤه بسؤال، حتى يشد الإنتباه أكثر، ثم يسر إليه بذلك الأمر العظيم. فيعيه معاذ ويفهمه تماما، ويرسخ في ذهنه ويتذكره إلى وفاته.

ومما استنبطه الحافظ في شرحه لحديث الإفك هذا الأدب حيث قال : (وفيه استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام(٢) وأخذه من كلام عائشة في بداية عرضها للقصة وذكرها لما كان يفعله ﷺ من القرعة بين نسائه وأن الحادثة كانت بعد نزول الحجاب(٣) الخ(٣).

ولعل هذه النماذج كافية في بيان المقصود من أهمية وضع المقدمات، وبيان دورها في بدء الحوار، وأثرها البالغ في تذليل نفسية الطرف الآخر وتقريب وجهات النظر.

١ - أخرجه البخاري: العلم ١٢٨، مسلم الإيمان (٥٨/١) رقم ٤٨

٢ - التفح (٤٧٩/٨).

٣ - سيأتي الحديث وتخريجه إن شاء الله. (انظر ص ١٢٥)

المبحث الثاني : الإخلاص وصدق النية

لابد من توفر حسن النية وسلامة القصد، والإخلاص لله في الحوار والمناظرة، وأن يكون الحوار لحراسة الشريعة والذب عنها، ولدلالة الناس على الهدى وتثبيتهم عليه، وكشف أحوال المندسين بينهم^(١) ولا ينبغي أن يدخل الداعية في حوار مالم يكن متأكدا من أن نيته لله عز وجل، متخلصا من قصد الرياء والسمعة، بعيدا عن قصد الظهور على الخصم، أو التفوق على الآخرين، أو الانتصار للنفس، وبز النظر أو انتزاع الإعجاب والثناء^(٢) فإن من (تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد، كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياء، وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصا له الدين، كان من المجاهدين في سبيل الله، من ورثة الأنبياء، خلفاء الرسل)^(٣)

وهذا الأدب قد يكون في النظر سهل الإعتبار والمأخذ، ولكنه عند التطبيق والتدقيق عزيز المنال، صعب المدرك، فكم من الناس يظهر أنه يدعو إلى الحق وهو يدعو إلى نفسه، ويريد العلو والانتصار لشخصه أو لشيخه أو غير ذلك^(٤). ويمكن للمحاور أن يصحح نيته قبل الدخول في الحوار، وذلك بمسائلة النفس عن الغرض من الحوار وهل هو إرادة الحق فحسب، أو أن هناك أغراضا أخرى كحب الظهور وافحام الخصم، أو أن يرى الناس مكانه، أو تحقيقا لشهوة الكلام ثم وبعد التأكد من صحة النية فعليه أن ينظر هل هناك مصلحة وفائدة من الحوار في هذه القضية، أم أنها ستكون سببا في شقاق ممقوت وخلاف مذموم، وفرقة وتباغض، أو سببا في إثارة فتنة، أو فتح باب للشر يمكن الاستغناء عنه.

١ - انظر : الرد على المخالف؛ بكر أبو زيد ص ٤٥

٢ - أصول الحوار ص ١٩

٣ - الفتاوى : (٢٣٥/٢٨)

٤ - أدب الخلاف لابن حميد ص ٥٠

فإذا وجد شيء من الأغراض الفاسدة أو احتمالاً لمفسدة، فعلى المحاور أن يحجم عن الحوار، حتى تتجرد نيته تماماً لله عز وجل، ويتأكد أنه يريد الحق، وأن المصلحة في دخول الحوار وأجراء المناظرة.

ولذلك فإن المفترض في المحاور المسلم المخلص لله عز وجل أن يفرح إذا ظهر الصواب على لسان مخالفه، وقد تقدم ما روي عن الإمام الشافعي قوله : (مناظرت أحداً إلا تمنيت لو أن الله أظهر الحق على لسانه) (١) فيكون المهم هو صحة الفكرة وظهور الحق، فليست الأفكار ملكاً لأحد بعينه، وليس الصواب حكراً على شخص دون آخر، والفرح بانتشار الفكرة الصحيحة ولو بجهود الغير، وظهورها على لسان الآخرين، دليل على الصدق مع الله عز وجل، وعلى التخلص من حظوظ النفس، يقول سيد قطب رحمه الله (٢): (إن الفرح الصافي هو الثمرة الطبيعية لأن نرى أفكارنا وعقائدنا ملكاً للآخرين، ونحن بعد أحياء، إن مجرد تصورنا لها أنها ستصبح - ولو بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض - زادا للآخرين ورياء، ليكفي لأن تفيض قلوبنا بالرضى والسعادة والإطمئنان) ثم يمثل لمن يريد احتكار الأفكار، وامتلاك الحقائق، بقوله: (التجار وحدهم هم الذين يحرصون على العلاقات التجارية لبضائعهم كي لا يستغلها الآخرون، ويسلبوهم حقهم من الربح، أما المفكرون وأصحاب العقائد فكل سعادتهم في أن يتقاسم الناس أفكارهم وعقائدهم ويؤمنوا بها إلى حد أن ينسبوها لأنفسهم لا إلى أصحابها الأولين)

والكلام في موضوع الإخلاص طويل جداً، وذلك لأهمية الموضوع ومنزلته، حيث إنه أحد شروط قبول العمل كما هو معروف، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٣).

١ - انظر معناه في سير اعلام النبلاء: (٢٩/١٠)

٢ - افراح الروح ص ١٤-١٥

٣ - الكهف: ١١٠

قال ابن كثير رحمه الله: [﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾: ما كان موافقا لشرع الله «ولا يشرك بعبادة ربه أحدا» وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله ﷺ (١)».

وعليه فكل عمل لابد له من نية، وإنما أجره جزاؤه على حسب تلك النية، كما قال ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (٢) ومن هذه الأعمال الفاضلة التي تحتاج إلى صدق النية، ويتأكد فيها الإخلاص : الحوار والمناظرة، إذ إن النفس تهوى العلو والانتصار، وترفض الخضوع والانكسار - ولو كان أمام الحق الأبلج - فهو أمر عسير إلا على من يسره الله عليه، وإن مما يقدح في الإخلاص وينافيه الرياء والسمعة وطلب الشهرة والرغبة في العلو والانتصار، والتعصب والعجب والغرور والتكبر، والافتخار والبغي واحتقار الآخرين وإظهار الشماتة بهم ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (٣)، ولذلك كان أمر الإخلاص عسيراً، إذ قد يسلم المحاور من مرض من تلك الامراض، فيقع في آخر أعظم منه، فنسأل الله الإخلاص في القول والعمل، ونعوذ بالله من أمراض القلوب ومداخل الشيطان.

أما النصوص الواردة في ضرورة الإخلاص في الحوار فمنها :-

ما جاء في دعوة الأنبياء لأقوامهم، وصدقهم فيها، وابداء النصيح لهم ، ومن ذلك قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبْلُغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحَ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤)،

١ - تفسير ابن كثير (١٠٨/٣)

٢ - البخاري غي كتاب بدء الوحي برقم ١، مسلم: كتاب الإمامة (١٥١٥/٣) رقم ١٥٥٥، أبو داود: كتاب الطلاق (٢٦٩/٢) رقم ٢٢٠١، الترمذي: كتاب فضائل الجهاد (١٧٩/٤)، النسائي كتاب

الطهارة (٥٨/١) رقم ٥٧٥

٣ - الإسراء: ٣٨

٤ - الأعراف: ٦١-٦٢

ومثله قول هود عليه السلام ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُم نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (١) قال ابن كثير رحمه الله : (وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل البلاغ والنصح والأمانة) (٢).

فهؤلاء رسل الله المؤيدون بالوحي، يظهر نصحتهم وإخلاصهم وحسن مقاصدهم، بل يجهدون في النصح والبلاغ، قال الشوكاني رحمه الله (يقال نصحته ونصحت له، وفي زيادة اللام دلالة على المبالغة في امحاض النصح. قال الأصمعي : الناصح: الخالص من الغل، وكل شيء خلس فقد نصح، فمعنى أنصح هنا : أخلص النية لكم عن شوائب الفساد) (٣).

وقال الزمخشري : نحوا مما تقدم: (وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة مع امحاض النصيحة، وأنها وقعت خالصة للمنصوح له، مقصودا بها جانبه لاغير، فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا، ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله تعالى، ورسله عليهم السلام) (٤).

وإذا كان الرسل عليهم السلام قد نصحوا وأخلصوا، فإن من تمام الإخلاص طلب الأجر من الله عز وجل، وعدم سؤال أحد من الناس مالا ولا أجرا على الدعوة والنصح والإيمان، وهذا ماقاله الرسل منذ أن بعثوا وفور أن أرسلوا، فقد قال نوح عليه السلام ما ذكره الله عنه في قوله ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (٥) وقالها هود عليه السلام ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦).

١ - الأعراف: ٦٧-٦٨

٢ - ابن كثير: (٢/٢٢٤)

٣ - فتح القدير: (٢/٢١٦)

٤ - الكشف: (٢/٨٦)

٥ - هود: ٢٩

٦ - هود: ٥١

ومثل ذلك ما ذكره الله في مواضع أخر عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، حيث قال كل واحد منهم لقومه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) ونحو ذلك في معنى تلك الآيات.

فإعلان هذا الأمر دليل على الإخلاص، وقطع للطريق على المغرضين المشككين، يقول الزمخشري في بيان معنى قوله ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (٢) (أي: مانصحتكم إلا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا) (٣) وقال في موضع آخر: (ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول، لأن شأنهم النصيحة، والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها إلا حسم المطامع، ومادام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع) (٤).

فينبغي على المحاور أن يقصد وجه الله أولاً، ثم يبين قصده وهدفه من حوار، وخاصة إذا كان الخصم معانداً مستكبراً، ثم عليه أن يساعد خصمه في طلب الإخلاص وتصحيح النية والقصد، والبعد عن الاستغلال السيء للحوار، قال سيد قطب - رحمه الله - في تعليقه على آيات الشعراء ما نصه: «لثم يطمئنهم من ناحية الدنيا وأعراضها، فما له فيها من أرب بدعوتهم إلي الله، وما يطلب منهم أجراً جزاء هدايتهم إليه، فهو يطلب أجره من رب الناس الذي كلفه دعوة الناس. وهذا التنبيه على عدم طلب الأجر يبدو أنه كان دائماً ضرورياً للدعوة الصحيحة، تمييزاً لها مما عهدته الناس في الكهان ورجال الأديان من استغلال الدين لسلب أموال العباد. وقد كان الكهنة ورجال الدين المنحرفون دائماً مصدر ابتزاز للأموال بشتى الأساليب، فأما دعوة الله الحق فكان دعاتها دائماً متجردين، لا يطلبون أجراً على الهدى، فأجرهم على رب العالمين» (٥).

١ - الشعراء: (١٠٧-١٠٩، ١٢٥-١٢٧، ١٤٣-١٤٥، ١٦٢-١٦٤، ١٧٨-١٨٠)

٢ - يونس: ٧٢

٣ - الكشاف: (٢/٢٤٦)

٤ - الكشاف: (٢/٢٧٥)

٥ - الظلال: (٥/٢٦٠٧)

ومن أدلة ذلك أيضا ما جاء في قول شعيب عليه السلام لقومه ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا
الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١) والمعنى :
(أي ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي
من المقاصد الخاصة لي وحدي، شيء بحسب استطاعتي) (٢) فقد بين عليه
السلام مقصده، وغاية ما يريده والسعي إليه، ونفى عن نفسه أي مقصد آخر، أو
غرض دنيوي، وهذا تحقيق الإخلاص.

ومن الشواهد على هذا الأدب ما تقدم ذكره (٣) من الاستدلال بقوله تعالى ﴿قُلْ
إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ (٤) الآية. فهذه الآية نص في المناظرة
والحوار، وأهمية الإخلاص لله فيهما، وضرورة طلب الحق وحده، كما قال
الزمخشري في معنى الآية أي (أن تقوموا لوجه لله خالصا) (٥) وقال الشيخ
السعدي رحمه الله: (أي تنهضوا بهمة ونشاط وقصد لاتباع الصواب وإخلاص
لله) (٦) وكما قال سيد قطب: (وهي «واحدة» إن تحققت صح المنهج واستقام
الطريق. القيام لله لا لغرض ولا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة... التجرد...
الخلوص... ثم التفكير والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه
القائمون لله المتجردون) (٧).

ومن شواهد أيضا ما علق به سيد قطب رحمه الله على قصة الملأ من بني
اسرائيل وقولهم لنبيهم ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٨)

١ - هود: ٨٨

٢ - تفسير السعدي: (٣٨٤/٢)

٣ - انظر تفصيل الكلام عن الآية في المبحث الثالث من الباب الأول.

٤ - سبأ: ٤٦

٥ - الكشف: (٢٩٤/٣)

٦ - تفسير السعدي (١٩٨/٤)

٧ - الظلال : (٢٩١٤/٥)

٨ - البقرة: ٢٤٦

حيث قال : (وهذا الوضوح وهذا الحسم هو نصف الطريق إلى النصر، فلا بد للمؤمن أن يتضح في حسه أنه على الحق وأن عدوه على الباطل، ولا بد أن يتجرد في حسه الهدف... في سبيل الله... فلا يغشيه الغش الذي لا يدري معه إلى أين يسير.

وقد اراد نبيهم أن يستوثق من صدق عزيبتهم، وثبات نيتهم، وتصميمهم على النهوض بالتبعة الثقيلة، وجدهم فيما يعرضون عليه من الأمر... الخ كلامه (١). وكذلك تعليقه رحمه الله على قصة موسى مع فرعون وسحرته، ونصحه عليه السلام لهم قبل الدخول معهم في الجدال والتحدى قال الله تعالى : ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ (٢) حيث قال رحمه الله : (والكلمة الصادقة تلمس بعض القلوب وتنفذ فيها. ويبدو أن هذا الذي كان، فقد تأثر بعض السحرة بالكلمة المخلصة، فتلجلج في الأمر) (٣).

وإذا كان أمر الأخلاص بالأهمية التي ظهرت، فإنه لأبأس بالنسبة للمحاور أن يتأكد من نية محاوره وسلامة قصده، ومثال ذلك ما أخرجه الترمذي عن قيس بن كثير قال : قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال : ما أقدمك يا أخي ؟ فقال : حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ قال : أما جئت لحاجة ؟ قال : لا، قال : أما قدمت لتجارة ؟ قال : لا، قال : أما جئت إلا في طلب هذا الحديث ؟ قال : فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ... الحديث» (٤).

١ - الظلال : (٢٦٦/١)

٢ - طه : ٦١

٣ - الظلال : (٢٣٤١/٤)

٤ - الترمذي : كتاب العلم (٤٨/٥) رقم ٢٦٨٢ (وانظر صحيح الترمذي للألباني : رقم ٢١٥٩) ، ابن

ماجة في المقدمة (٨١/١) رقم ٢٢٣

وقريب منه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله . قال : آله ! ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : والله ! ما أجلسنا إلا ذاك ، قال : أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلة من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا مني ، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه . فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومن به علينا ، قال : آله ! ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال : أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم . ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة) (١) .

ففي الحديثين ما يدل على أهمية الإخلاص وتأكده ، وكذلك فيهما أن للمحاور أن يذكر محاوره ويتأكد من نيته وسلامة قصده ، كما فعل أبو الدرداء ومعاوية ، اقتداء برسول الهدى ﷺ . ولا مانع من أن يحث المحاور خصمه ويرغبه في الصدق مع الله ، والإخلاص له والتجرد ، وترك الرياء والسمعة وغيرها من الأمراض القلبية ، والشهوات الخفية ، ومن الشواهد التي تدل على امكانية الترغيب في صدق النية والحث عليها ما جاء في قصة الأعرابي الذي آمن وأتبع النبي ﷺ ، فلما كانت غزوة وغنم النبي ﷺ سبيا فقسم له فأعطوه فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال : ما هذا ؟ قال : قسمته لك ، قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكنني اتبعتك على أن أرمى هاهنا وأشار إلى حلقه بسهم ، فأموت فأدخل الجنة . فقال : إن تصدق الله بصدقك ، فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو فأتي به النبي ﷺ يحمل قد أصابه بسهم حيث أشار ، فقال النبي ﷺ : أهو هو . قالوا نعم . قال : صدق الله فصدقوه (٢) . إلى آخر الحديث .

١ - مسلم : كتاب الذكر والدعاء (٢٠٧٥/٤) رقم ٤٠ ، أحمد : (٩٢/٤) النسائي كتاب القضاة

(٢٤٩/٨) رقم ٥٤٢٦

٢ - النسائي : كتاب الجنائز (٦٠/٤) رقم ١٩٥٣ (انظر صحيح النسائي للألباني رقم ١٨٤٤) .

ولعل هذه الأمثلة كافية في بيان الأدب المقصود، وهو الإخلاص والتجرد لله عز وجل قبل وأثناء وبعد الحوار، وتجنب كل ما من شأنه أن يخدش الإخلاص أو يقدح في سلامة القصد، إذ إنه قد يحبط العمل ويضيع الثمرة والنتيجة، والمناظرة والحوار بدون نية حسنة مضرة بالمحاور (ذكر الذهبي عن ابن بطة قال : سمعت البربهاري يقول : المجالسة للمناصحة فتح باب الفائدة، والمجالسة للمناظرة غلق باب الفائدة)(٣) والله أعلم.

المبحث الثالث : الإنصاف والعدل والتفريق بين الفكرة وصاحبها

إن العدل والإنصاف مع الخصم، مبدؤ مهم صعب جليل، وإن المفترض في المسلم أن يكون عادلاً منصفاً، حيث إن منهج هذا الدين هو الأمر بالعدل والنهي عن الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (١)، والعدل مطلوب في القول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ (٢) كما هو مطلوب في الحكم: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (٣)، ولو اتبع المسلمون هدي دينهم في هذا الأمر لما وقع كثير من المسلمين فيما وقعوا فيه من الظلم والاختلاف والنزاع والشقاق وکیل التهم والتشهير وتتبع العثرات وكشف الزلات ونسيان الحسنات ونحوه مما لا يستفيد منه إلا الشيطان وأولياؤه. ومن تمام الإنصاف قبول الحق من الخصم والتفريق بين الفكرة وصاحبها، وأن يبدي المحاور اعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة، والمعلومات الجديدة التي يوردها خصمه وهذا الإنصاف له أثره الإيجابي لقبول الحق، ويضفي على المحاور روح الموضوعية (٤).

وإنما كان الإنصاف والعدل صعباً، لما اتصف به الإنسان من الجهل والظلم: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٥) فأكثر الناس مجبول على عدم الإنصاف إلا من رحم الله ولذلك قال الإمام الشعبي رحمه الله: (والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة، وأخطأت مرة لأعدوا علي تلك الواحدة) (٦).

١ - النحل: ٩٠

٢ - الأنعام: ١٥٢

٣ - النساء: ٥٨

٤ - انظر رسالة «إذا قلت فاعدلو» للجليل ص ٤٢ وأصول الحوار ص ٤٢

٥ - الأحزاب: ٧٢

٦ - سير أعلام النبلاء: (٣٠٨/٤)

وقد ذكر العلماء ضوابط وقواعد في العدل والإنصاف : فمن ذلك قول عبد الله بن المبارك رحمه الله : (إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوىء، وإذا غلبت المساوىء على المحاسن لم تذكر المحاسن) (١) .

وذكر عن حاتم الأصم أنه قال : (معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي، قالوا : وما هي ؟ قال : أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي لا تتجاهل عليه . فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فقال : (سبحان الله ما كان أعقله من رجل) (٢) .

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته (٣) :

وتعزّ من ثوبين من يلبسهما	يلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه	ثوب التعصب بثست الثوبان
وتحل بالإنصاف أفرح حلة	زينت بها الأعطاف والكتفان

ولاشك أن الآيات والأحاديث، والأمثلة والنماذج والسير كثيرة جدا في تقرير هذا المبدأ وتأصيله، وهناك نصوص عامة تأمر بالعدل والإنصاف في الحوار وغيره ومنها :-

قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (٤) ، ومثلها قوله سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا . اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٥)

١ - نفس المصدر : (٣٩٨/٨)

٢ - الرد على المخالف: نقلا عن ابن الجوزي: ص ٦٠

٣ - الكافية الشافية لابن القيم: ١٩

٤ - النساء: ١٣٥

٥ - المائدة: ٨

وخلاصة معنى الآيتين : أن الله عز وجل يرشد المؤمنين إلى أن يكون من أخلاقهم وصفاتهم القيام بالقسط أي العدل، وأن يقولوا الحق ولو على أنفسهم أو أحد من أقاربهم، كما أنه يحذرهم من أن تحملهم العداوة والبغضاء لقوم على ظلمهم وجورهم، ويزجرهم عن اتباع الهوى في الشهادة ونحوها (١) .

قال الزمخشري عند تفسيره للآية الثانية المذكورة آنفا: (وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه واحباؤه) (٢) . فالآيات تفرض العدل في جميع الأحوال، كما تحذر الظلم وتحرم الجور في جميع الأوقات، إذ قد مضت سنة الله العادلة في خلقه بأن (جزاء ترك العدل، وعدم إقامة القسط في الدنيا، هو نزل الأمة وهوانها، واعتداء غيرها من الأمم على استقلالها، ولجزاء الآخرة أنزل وأخزى وأشد وأبقى) (٣) .

وكما يروى عن شيخ الإسلام قوله: إن الله ينصر الأمة العادلة ولو كانت كافرة ويذل الأمة الظالمة وإن كانت مسلمة^④ . ولذلك كان المسلمون بهداية القرآن ونهجه هم (أعدل الأمم وأقومها بالقسط وصدق على سلفهم قوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾) (٤) ، ثم خلف من بعد أولئك السلف خلف نبذوا هداية القرآن وراء ظهورهم، حتى صارت جميع الأمم تضرب المثل بظلم حكامهم وسوء حالهم، وتفخر عليهم بالعدل، بل صار الذين ليس لهم من الإسلام إلا اسمه يلتمسون من تلك الأمم القسط وما يهدي إليه من العلم (٥) .

١ - انظر الطبري: (١٤١/٦، ٣٢١/٥)

٢ - الكشف: (٥٩٨/١)

٣ - مختصر تفسير المنار: (٢٩٣/٢) ④ انظر الإِسْقَامَة: ٢٤٧/٢

٤ - الأعراف: ١٨١

٥ - مختصر المنار (١٩٩/٢)

ومن الآيات في ذلك ما جاء في الوصايا العشر في آخر سورة الأنعام ومنها قوله تعالى ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (١) والمعنى: أي قلتم بقول في خبر أو شهادة أو جرح أو تعديل بين الناس ، فتكلمتم فقولوا الحق بينهم واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا، بل تحروا الصواب، وراعوا الصدق فيمن تحبون ومن تكرهون، وراعوا الإنصاف وعدم الميل إلى طرف دون آخر، ولا تتعصبوا لقريب ولا على بعيد، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو، فإن ذلك من الظلم المحرم (٢).

ومن نماذج الإنصاف في القرآن ما جاء في وصف أهل الكتاب وذكر بعض مثالبهم كما في قوله تعالى ﴿ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَمَا تُلْقُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَآؤُا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٣) ثم انصف الله عز وجل المتقين منهم بقوله ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (٤) الآيات ومثلها إنصافهم في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤْدِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤْدِهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ (٥) الآية (٥).

قال في الظلال عند الآية الأولى: (وهذا غاية الإنصاف والعدل للقلة الخيرة منهم، التي وعدها الله بالوعد الصادق لهم : أنهم لن يبخسوا حقاً، ولن يكفروا أجراً مع الإشارة إلى أن الله سبحانه - علم أنهم من المتقين) (٦).

١ - الأنعام: ١٥٢

٢ - باختصار وتصرف عن الطبري : (٨٦/٨) وفتح القدير: (١٧٨/٢)، وتيسير الكريم الرحمن : (٨٦/٢).

٣ - آل عمران: (١١٢)

٤ - آل عمران: ١١٣

٥ - آل عمران: ٧٥

٦ - بتصرف يسير عن الظلال (٤٥٠/١)

ومن صور الإنصاف في كتاب الله عز وجل ما جاء في محاوراة بعض المعاندين، وإنصافهم ومعاملتهم بالعدل، الذين قال الله عنهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَمَا أُوتِيَ مُوسَى، أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ (١) فلقد كانت تلك شبهتهم وهذه حيلتهم، ومع ذلك فقد أنصفوا حيث قال تعالى: ﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا بِكِتَابِ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢) قال سيد قطب رحمه الله : وهذه نهاية الإنصاف، وغاية المطاولة بالحجة (٣).

ومن نماذج الإنصاف والاعتدال، الإنصاف في محاوراة المشركين الطويلة، والتي تبدأ بتقريرهم بربوبية الله عز وجل ثم تضع الفريقين المتحاورين في الميزان العادل، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٤) وليس بعد هذا من عدل، قال الزمخشري بعد الآية : (وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موافق أو مخالف (٥) قال لمن خطب به قد أنصفك صاحبك (٦) وقال في الظلال: (وهذه غاية النصفة والاعتدال والأدب في الجدل، أن يقول رسول الله ﷺ - للمشركين: إن أحدنا لا بد أن يكون على هدى، والآخر لا بد أن يكون على ضلال، ثم يدع تحديد المهتدي منهما والضال، ليثير التدبر والتفكر في هدؤ، لاتغشى عليه العزة بالإثم، والرغبة في الجدل والمحال، فإنما هو هاد ومعلم، يبتغي هداهم وارشادهم لا إزلالهم وإفحامهم، لمجرد الإزلال والإفحام.

١ - القصص: ٤٨

٢ - القصص: ٤٩

٣ - الظلال (٢٦٩٩/٥)

٤ - سبأ: ٢٤

٥ - في الأصل (من موال أو مناف) وفي الحاشية (من موافق أو مخالف)، الكشف (٢٨٩/٢).

٦ - الكشف (٢٨٩/٣)

ثم قال : الجدل على النحو المذهب الموحى أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام، المستكبرين على الإذعان والإستسلام، وأجدر بأن يثير التدبر الهادئ والإقتناع العميق. وهو نموذج من أدب الجدل ينبغي تدبره من الدعاة (١). ولم يقتصر الأمر عند ذلك الإنصاف في الحوار ولكن زيادة في العدل يقول لهم ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا أَجْرَمَنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢). وذكر في الكشف: (هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول، حيث أسند الإجرام إلى النفس وأسند العمل إلى المخاطبين التزاما للعدل والإنصاف) (٣).

ومن أمثلة الإنصاف في الحوار، محاورة مؤمن آل فرعون لقومه ومنها قوله ﴿اتَّقُوا رَبَّ إِنِّي أَخَذْتُ مِنَ اللَّهِ بِعَهْدٍ وَأَنَا كَاذِبٌ﴾ (٤). فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم. إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (٤).

وجه الإستدلال في الآية : (إن هذا الرجل المؤمن قد سلك مع قومه طريق الإنصاف في القول، وأتاهم من جهة المناصحة، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال ﴿وَأَن يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ (٥) وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه، وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد، ولكنه اردفه: ﴿يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ (٥) ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا، فضلا أن يتعصب له أو يرمي بالحصا من ورائه، وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾ (٦).

١ - الظلال (٢٩٠/٥)

٢ - سبأ: ٢٥

٣ - الكشف بتصرف (٢٨٩/٣)

٤ - غافر: ٢٨

٥ - غافر: ٢٨

٦ - انظر الكشف (٤٢٥/٣)

وقد ذكر سيد قطب رحمه الله وجهها في الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ (١) ثم قوله ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ ونص كلامه: (ثم يفرض لهم أسوأ الفروض، ويقف معهم موقف المنصف أمام القضية، تمشياً مع أقصى فرض يمكن أن يتخذه: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ وهو يحمل تبعة عمله، ويلقى جزاءه، ويحتمل جريرته، وليس هذا بمسوغ لهم أن يقتلوه على أية حال!!

وهناك الاحتمال الآخر، وهو أن يكون صادقاً، فيحسن الاحتياط لهذا الاحتمال، وعدم التعرض لنتائجه: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾. وإصابتهم ببعض الذي يعدهم هو كذلك أقل احتمال في القضية، فهو لا يطلب اليهم أكثر منه. وهذا منتهى الإنصاف في الجدل والإفحام (٢).

ويظهر تقرير مبدأ الإنصاف واضحاً، وتثبيت مبدأ التفريق بين الفكرة وصاحبها في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً. وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٣) فعلى أن قوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (إنه من تصديق الله تعالى لقولها (٤)): فإن هذا فيه انصاف للقائلة وهي بلقيس، حيث صدقها الله عز وجل وقبل قولها، وقد كانت آنذاك كافرة.

إلى غير ذلك من أمثلة القرآن وأدلته، أما الشواهد من السنة فهي كثيرة جداً وعليه فسأذكر بعضها، مع اختصار الأحاديث، وذكر موضع الشاهد فيها:

- حديث حاطب بن أبي بلتعة في فتح مكة وإرساله لأهل مكة بمسير النبي ﷺ اليهم، وإفشائه لسره، ومع ذلك فإن موقف النبي ﷺ منه كان موقف المنصف العادل، حيث إنه (تثبت من أمره عن طريق الوحي المنزل عليه، ثم استدعى

١ - غافر: ٢٨

٢ - الظلال: (٣٠٧٩/٥)

٣ - النمل: ٣٤

٤ - انظر زاد المسير (١٦٩/٦)

حاطباً وسأله لمعرفة سبب فعلته وظروفه وملابساته، ثم عمد إلى وزنه بميزان العدل حيث جمع حسناته وسيئاته، فانغمرت سيئته في بحر حسناته (١)، وهذا في غاية الإنصاف، ونص الشاهد من الحديث: (فقال النبي ﷺ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قال حاطب: واللّه ما بي أن لا أكون مؤمناً باللّه ورسوله ﷺ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع اللّه بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع اللّه به عن أهله وماله. فقال النبي ﷺ: صَدَقَ، وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا. فقال عمر: انه قد خان اللّه والمؤمنين، فدعني فلاضرب عنقه. فقال: "أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟" فقال: "لَعَلَّ اللّٰهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ" فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ - أَوْ فَقَدْ غَفِرَتْ لَكُمْ - فدمعت عينا عمر وقال: اللّه ورسوله أعلم (٢).

وفي الحديث بيان واضح لمعنى الإنصاف وتطبيقه العملي الصادر من مشكاة النبوة، فإن فعلة حاطب التي فعلها تسمى في عصرنا «الخيانة العظمى»، وحكمها الإعدام في «الميدان» لمن ثبت تورطه فيها، ولكن الهادي البشير يقرر حاطباً ويتثبت منه، ويكشف عذره ويسأل عن مبرر فعلته، ثم يصدقها فيما قال، ثم يزيد على ذلك فينهي عن إيدائه بكلمة أو تجريح «صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً»، ثم يذكر الصحابة بحسنات حاطب وخيره الكثير، وهذا مبلغ من العدل لا يبلغه إلا من شرح اللّه صدره، وليت كثيراً من دعاة الإسلام يعون مثل هذا الدرس من قصة حاطب رضي اللّه عنه، ويعطفون على أخطاء إخوانهم، ويزنوها بميزان الشرع العادل المنصف، بدلا من التجريح والتشهير والفضح والشماتة، أو المبالغة في ذكر الخطأ وجمع السيئات كلها، والضرب على ذكر شيء من الحسنات، وفي مثل هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم رحمه اللّه: (والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل فإنه يحمل أدنى الخبث،

١ - رسالة «إذا قلتم فاعدلوا» ص ٣٩

٢ - أخرجه البخاري المغازي (٣٩٨٣)، مسلم: فضائل الصحابة (١٩٤١/٤) رقم ١٦١

ومن هذا قول النبي ﷺ لعمر : «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، وقد ارتكب مثل ذلك الذنب العظيم، فأخبر ﷺ أنه شهد بدرا فدل على أن مقتضى عقوبته قائم لكن منع من ترتيب أثره عليه ماله من المشهد العظيم فوقعت تلك السقطة العظيمة مغفرة في جنب ماله من الحسنات ١٠٠ إلى أن قال: وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطهرهم أنه من له ألوف من الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها، حتى إنه ليختلج داعي عقوبته على إساءته، وداعي شكره على إحسانه فيغلب داعي الشكر داعي العقوبة كما قيل :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع^⑤
وقال آخر :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا فأفعاله اللائي سررن كثير أهـ (١)
ومن أمثلة الإنصاف في السنة ما جاء في حديث أبي هريرة الطويل، الذي فيه أن النبي ﷺ وكله بحفظ زكاة رمضان، فأتاه آت فجعل يحثو من الطعام، فأمسك به ثم خلى سبيله ثم عاد الثانية والثالثة إلى أن قال في الثالثة : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله به قال : قلت : ما هن ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢) حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال له : «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال : لا، قال : ذاك شيطان» (٣)

فهذا رسول الله ﷺ لا يمتنع من تصديق أعدى الأعداء، - وهو الشيطان - وقبول الحق منه، مع أنه كثير الكذب، فهذا تفريق بين الفكرة الصحيحة التي أخبر بها الشيطان، وبين صاحبها - العدو الكذاب.

١ - مفتاح دار السعادة لابن القيم ص ١٩٢

٢ - البقرة: ٢٥٥

٣ - أخرجه البخاري كتاب الوكالة (٢٣١١)

⑤ - هذا البيت لا يعرف قائله كما ذكر ذلك ابن خميس في كتاب الشوارد : ٣١٩/١ هـ دار الإمامة للبعث والرحمة والنشر ١٣٩٤ هـ

وقد اشار ابن حجر رحمه الله إلى قريب من هذه الفائدة فقال : وفي الحديث من الفوائد أن الشيطان قد يعلم ما ينتفع به المؤمن، وأن الحكمة قد يتلقاها الفاجر فلا ينتفع بها وتؤخذ عنه فينتفع بها (١).

ومن نماذج الإنصاف أيضا ما جاء في صحيح مسلم عن عبدالرحمن ابن شماس (٢) قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء فقالت : ممن أنت ؟ فقلت : رجل من أهل مصر، فقالت : كيف كان صاحبكم لكم (٣) في غزاتكم هذه ؟ فقال : ما نقمنا منه شيئا إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة، فقالت : أما إنه لا يمنعي الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي، أن اخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به » (٤).

فعائشة رضي الله عنها لاتمتنع عن قول الحق والثناء على من قتل أخاها، بذكر دعاء النبي ﷺ لمن رفق بأمتة، وهذا من أدبها وأمانتها وإنصافها، قال النووي في تعليقه على الحديث : (فيه أنه ينبغي أن يذكر فضل أهل الفضل ولا يمتنع منه لسبب عداوة ونحوها) (٥).

١ - فتح الباري : (٤/٤٨٩) بتصرف يسير

٢ - قال في التهذيب : (عبدالرحمن بن شماس بن ذئب بن احور المهري أبو عمرو المصري . قال العجلي : مصري تابعي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات . قال يحيى بن بكير مات بعد المائة ١٠٠) تهذيب التهذيب لابن حجر : (٦/١٩٥) بتصرف

٣ - قيل هو عمرو بن العاص، وقيل هو معاوية بن خديج التجيبي (انظر : إكمال إكمال المعلم على صحيح مسلم للأبي (٥/١٧٣))

٤ - مسلم : كتاب الامارة (٣/١٤٥٨) رقم ١٩، أحمد (٦/٦٢)

٥ - شرح النووي : (١٢/٢١٢)

ومن الشواهد لهذا الأدب ما كان من إنصاف ابن عباس لعائشة رضي الله عنهم، حيث إنه كان على خلاف معها ولكن لم يمنعه ذلك من أن يشهد لها بالعلم، ويأخذ عنها الحق، وقصة ذلك أن سعد بن هشام بن عامر (١) أتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله ﷺ فقال ابن عباس : ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : من ؟ قال : عائشة فأتتها فسألها، ثم اتتني فأخبرني بردها عليك، فذهب فسألها، ثم عاد إلى ابن عباس فحدثه بحديثها، فقال له : صدقت. لو كنت أقر بها (٢) أو أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني به. قال : قلت : لو علمت أنك لا تدخل عليها ما حدثتك حديثها (٣).

ومن الأمثلة في ذلك إنصاف عائشة رضي الله عنها لحسان بن ثابت مع أنه كان ممن وقع في أمر الإفك وتكلم به، فقد أخرج البخاري عن هشام عن أبيه قال : ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت : لا تسبه فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ (٤) وأخرج عن مسروق قال : دخلنا لعائشة رضي الله عنها وعندها حسان بن ثابت. إلى قوله : فقلت لها : لم تأذني له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٥) فقالت : وأي عذاب أشد من العمى؟ قالت له : إنه كان ينافح - أو يهاجي - عن رسول الله ﷺ (٦).

١ - قال في التهذيب (سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني ابن عم أنس. قال النسائي : ثقة. وذكر البخاري انه قتل بأرض مكران على أحسن احواله. وقال ابن سعد : كان ثقة ان شاء الله تعالى وذكره ابن حبان في الثقات)، التهذيب: (٤٨٣/٣).

٢ - وفي رواية ابي داود (لو كنت أكلمها): كتاب الصلاة (٤١/٢) رقم ١٣٤٢

٣ - مسلم : كتاب صلاة المسافرين (٥١٢/١) رقم ١٣٩، ابو داود: كتاب الصلاة (٤١/٢) رقم ١٣٤٢، النسائي: كتاب قيام الليل (١٩٩/٣) رقم ١٦٠١، وأحمد: (٥٤/٦).

٤ - البخاري كتاب المغازي (٤١٤٥)، مسلم كتاب التوبة (٢١٣٧/٤) رقم ٥٧، أحمد (١٩٧/٦).

٥ - النور: ١١

٦ - البخاري كتاب المغازي (٤١٤٦)

فعائشة رضي الله عنها لم تنس لحسان ما كان له من الفضل والخير، ومنه دفاعه ومنافحته عن النبي ﷺ، فتنز خطاه ووقوعه في عرضها، بدفاعه عن الدين والرسول - عليه السلام - وهذا من العدل والقسط والإنصاف.

ومن الأدلة لهذا الأدب إنصاف علي رضي الله عنه لأبي بكر، والإعتراف بفضله وسابقيته، مع ما وجد بينهما من خلاف وكذا بين أبي بكر وفاطمة في مسألة الميراث (فلما توفيت دفنها زوجها ليلا ولم يؤذن بها أبابكر، وصلى عليها. وكان علي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن اثتنا، ولا يأتنا أحد معك، كراهة لمحضر عمر، فقال عمر: لا والله، لاتدخل عليهم وحدك. فقال أبو بكر: وما عسيتهم أن يفعلوا بي؟ والله لآتينهم. فدخل عليهم أبوبكر، فتشهد علي فقال: إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبا، حتى فاضت عينا أبي بكر. فلما تكلم أبوبكر قال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب الي أن أصل من قرابتي... فلما صلى أبوبكر الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه ثم استغفر، وتشهد علي فعظم حق أبي بكر، وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكارا للذي فضله الله به (١).

[قال في الفتح: قال القرطبي: من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الإحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانا، لكن الديانة ترد ذلك، والله الموفق] (٢).

١ - البخاري كتاب المغازي: (٤٢٤٠)

٢ - الفتح: (٤٩٥/٧)

ومن امثلة الإنصاف كذلك، ما كان من اعتدال أبي بكر وإنصافه للأنصار، مع ما وجد من خلاف في مسألة الخلافة حيث قال خطيب الأنصار : (أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم - معشر المهاجرين - رهط، وقد دفت(١) دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا(٢) من أصلنا وأن يحضنونا(٣) من الأمر... الى قوله: فقال : أبوبكر : ماذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش... الخ الحديث(٤))

فاعتراف أبي بكر رضي الله عنه للأنصار بفضلهم ومكانتهم دليل علي عدله وإنصافه.

ومن تمام الإنصاف أن يطلبه المحاور من خصمه، ويقرره بصدق فكرته وصحة كلامه، ومن أمثلة ذلك ما روي في قدوم المقدام بن معد يكرب على معاوية فقال معاوية للمقدام : اعلمت أن الحسن بن علي توفي ؟ فرجع المقدام، فقال له رجل أتراها مصيبة ؟ قال له : ولم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره فقال : «هذا مني وحسين من علي» فقال الأسدي - رجل من بني أسد من أهل قنسرين - : جمة أطفأها الله عزوجل، قال : فقال المقدام: أما أنا فلا أبرح اليوم حتى أغيبك واسمعك ما تكره، ثم قال : يا معاوية ، إن أنا صدقت فصدقني، وإن أنا كذبت فكذبني، قال : أفعل، قال : فأنشدك بالله هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الذهب؟ قال : نعم، قال : فأنشدك بالله هل سمعت رسول الله ﷺ ينهي عن لبس الحرير؟ قال : نعم، قال : فأنشدك بالله هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها ؟ قال : نعم،

١ - بدال مهملة والفاء :أي عدد قليل . الفتح (١٥١/١٢)

٢ - بخاء معجمة وزاي : أي يقتطعوننا عن الأمر وينفردوا به دوننا(الفتح ١٥١/١٢)

٣ - بحاء مهملة وضاد معجمة : أي يخرجونا الفتح (١٥٢/١٢)

٤ - البخاري كتاب الحدود ٦٨٣٠

قال : فوالله لقد رأيت هذا كله في بيتك يا معاوية، فقال معاوية : قد علمت أنني لن أنجو منك يا مقدام... الخ الحديث(١).

وموضع الشاهد كما هو ظاهر النص في قول المقدام : (إن أنا صدقت فصدقني وإن أنا كذبت فكذبني)، فهذا انصاف للخصم، مع قوة في الحجة، وجراءة في الحق.

ومن أعجب أمثلة الانصاف التي بلغها الصحابة رضوان الله عليهم، حتى عند وجود الخلاف بينهم، ما رواه البخاري عن ابن أبي مليكة(٢) من قصة ابن عباس مع ابن الزبير ومما قاله فيها : (وكان بينهما شيء فغدوت على ابن عباس فقلت : أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتحل ما حرم الله ؟ فقال : معاذ الله... إن الله كتب ابن الزبير وبني أمية محلين، وإني والله لا أحله أبدا... قال : قال الناس بايع لابن الزبير فقلت : وأين بهذا الأمر عنه(٣)، أما أبوه فحواري النبي ﷺ يريد الزبير، وأما جده فصاحب الغار - يريد أبا بكر -، وأما أمه فذات النطاق، يريد أسماء... وأما خالته فأم المؤمنين يريد عائشة، وأما عمته فزوج النبي ﷺ، يريد خديجة، وأما عمه النبي ﷺ فجدة، يريد صفية، ثم عفيف في الإسلام، قارئ للقرآن، والله إن وصلوني وصلوني من قريب، وإن ربوني ربوني اكفاء كرام... الخ كلامه(٤).

فهذا من حسن إنصاف ابن عباس رضي الله عنه لابن الزبير، فمع الخلاف القائم بينهما لم يمنع ذلك من ذكر شرف ابن الزبير وأسلافه والثناء على

١ - أخرجه بهذا اللفظ أبو داود، كتاب اللباس (٦٧/٤) رقم ٤١٣١، النسائي : كتاب الفرع

والعتيرة(١٧٦/٧) رقم ٤٢٥٥ (انظر صحيح النسائي للألباني رقم ٣٩٦٨)

٢ - هو عبدالله بن عبدالله بن أبي مليكة زهير بن عبدالله بن جدعان، كان قاضيا لابن الزبير ومؤذنا له، يكنى أبا محمد، وثقه ابوزرعة وأبو حاتم والعجلي وابن حبان، مات سنة سبع عشرة ومائة، انظر التهذيب : (٣٠٦-٣٠٧/٥)

٣ - بعني بالأمر الخلافة والمعنى : أي ليست بعيدة عنه لماله من الشرف والصفات... انظر الفتح (٣٢٨/٨)

٤ - البخاري كتاب التفسير ٤٦٦

جميل صفاته، ويزيد العجب ما جاء في الرواية الآخرة التي ذكرها ابن أبي مليكة حيث قال : (دخلنا على ابن عباس فقال : ألا تعجبون لابن الزبير قام في أمره هذا فقلت : لأحاسبن نفسي له، ما حاسبته لأبي بكر ولا لعمر، ولهما كانا أولى بكل خير منه ٠٠ الخ كلامه) (١) ٠

قال الحافظ في الفتح (وقوله: «لأحاسبن نفسي» ٠٠ أي لاناقشنها في معونته ونصيحته، قاله الخطابي. وقال الداودي: معناه لأذكرن من مناقبه ما لم أذكر من مناقبهما، وإنما صنع ابن عباس ذلك لاشتراك الناس في معرفة مناقب أبي بكر وعمر بخلاف ابن الزبير فما كانت مناقبه في الشهرة كمناقبهما، فأظهر ذلك ابن عباس وبينه للناس انصافاً منه له، فلما لم ينصفه هو رجع عنه) (٢) هـ.

وبعد هذا فإنني أشير إلى أمثلة سريعة فيها العدل والقسط والإنصاف، ولا تخلو من دلالة قريبة أو بعيدة على هذا الأدب الفاضل فمن ذلك:

ماروي أنه كان لرجل على رسول الله ﷺ حق، فأغلظ عليه، فهم به الصحابة فقال النبي ﷺ : «إن لصاحب الحق مقالاً» ثم قال : اشترؤا له سناً، قالوا : ما نجد إلا خيراً من سنه، قال : فأعطوه إياه، «فإن خيركم أحسنكم قضاء» (٣) ٠ فهذا فيه إنصاف النبي ﷺ وإعذاره للرجل صاحب الحق، ثم زيادة على ذلك إحسانه في قضاء الحق الذي عليه.

ومنه ما جاء في قول الرجل للنبي - عليه السلام - : يا رسول الله! اتق الله، فقال: «ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله» قال : ثم ولي الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال : لا. لعله أن يكون يصلي

١ - البخاري كتاب التفسير ٤٦٦

٢ - انظر الفتح : (٣٢٧/٨-٣٢٨)

٣ - مسلم كتاب المساقاة (١٢٢٥/٣) رقم ١٢٠

قال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه مالميس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ : «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس. ولا أشق عن بطونهم» الخ (١)

وهذا فيه معاملة النبي ﷺ للرجل بالعدل، وقبول كلامه، والنظر إلى اعماله الأخرى كالصلاة مثلا، وأخذه بظاهره، وكل ذلك من الإنصاف.

ومنه ما روي في تأويل أبي بكر رضي الله عنه للرؤيا التي قصها رجل للنبي ﷺ، وبعد انتهاء أبي بكر من تأويلها قال : أي رسول الله لتحدثني أصبت أم أخطأت، فقال : «أصبت بعضا وأخطأت بعضا» (٢). فلم يمنع النبي ﷺ حبه لأبي بكر، وقربه منه أن ينصفه ويخبره بصوابه وخطئه.

ومن ذلك أيضا: إنصاف عائشة رضي الله عنها لسعد بن عباد رضي الله عنه، حيث احتملته الحمية فقام يدافع عن تكلم بالإفك ردا على سعد بن معاذ الذي قال : يارسول الله، والله أنا اعذرك منه - يعني ممن تكلم بالإفك - إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من اخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك. قالت عائشة : فقام سعد بن عباد وهو سيد الخزرج - وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية - فقال : كذبت لعمر الله، والله لا تقتله ولا تقدر على ذلك» الخ الحديث (٣).

فتناء عائشة على سعد بن عباد وذكرها لصلاحه قبل أن يقول قولته، ومعرفة عذره، دليل على الإنصاف، والنظر إلى ماضي الخصم ومعرفة ظروفه وملابساته. ومن آخر هذه النماذج انصاف عمرو بن العاص للروم، وذلك حين بلغه قول النبي ﷺ : «تقوم الساعة والروم أكثر الناس» فقال لمن حدثه : أبصر ما تقول. قال أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال: «لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالا أربعا:

١ - مسلم كتاب الزكاة (٧٤٢/٢) رقم ١٤٤

٢ - أخرجه مسلم: الرؤيا (١٧٧٧/٤) رقم ١٧، أبو داود: السنة (٢٠٦/٤) رقم ٤٦٣٢،

أحمد (٢٣٦/١) الترمذي كتاب الرؤيا (٥٤٢/٤) رقم ٢٢٩٣، ابن ماجه كتاب تعبير الرؤيا

(١٢٨٩/٢-١٢٩٠) رقم ٣٩١٨

٣ - البخاري كتاب الشهادات ٢٦٦١، مسلم : التوبة (٢١٣٤/٤) رقم ٥٦، أحمد (١٩٦/٦)

إنهم لأحلم الناس عند فتنة، واسرعهم افاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويقيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك(١)

فلم يمنع عمراً ما بين المسلمين والروم من عداوة وقتال، أن يذكر بعض ما فيهم من خصال حسنة جميلة.

هذا بعض ما جاء في الكتاب والسنة، من أدلة وشواهد وأمثلة ونماذج تقرر مبدأ العدل والإنصاف، وتفرق بين الفكرة وصاحبها، ولعل من المفيد أن أختتم هذا المبحث بحوار لطيف بين معاوية والمسور بن مخرمة، في تقرير مبدأ الإنصاف وتعلمه وتطبيقه، حيث وفد المسور على معاوية فقضى حاجته، ثم خلا به، فقال : يامسور ما فعل طعنك على الأئمة ؟ قال : دعنا من هذا وأحسن. قال : لا والله، لتكلمني بذات نفسك بالذي تعيب علي. قال مسور: فلم اترك شيئاً أعيبه عليه إلا بينت له. فقال : لا أبرأ من الذنب، فهل تعد لنا يامسور ما تلي من الإصلاح في أمر العامة، فإن الحسنة بعشر أمثالها، أم تعد الذنوب، وتترك الإحسان؟ قال : ما تذكر الا الذنوب

قال معاوية : فإننا نعتزف لله بكل ذنب أذنبناه، فهل لك يامسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلكك إن لم تغفر ؟ قال : نعم. قال : فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحق مني، فوالله ما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكن والله لا أخير بين أمرين بين الله وبين غيره، إلا اخترت الله على ماسواه، وإنني لعلی دين يقبل فيه العمل ويجزى فيه بالحسنات، ويجزى فيه بالذنوب إلا أن يعفو الله عنها، قال فخصمني، قال عروة : فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه(٢).

فهذا الحوار يضع قواعد مهمة في الإنصاف وضرورته ومنها :

١ - سماع كلام الخصم وانتقاداته بصدر رحب وتقبلها بقبول حسن

١ - مسلم كتاب الفتنة (٢٢٢٢/٤) رقم ٣٥

٢ - سير أعلام النبلاء : (٣/١٥٠-١٥١)

٢ - الاعتراف بالخطأ والتسليم بالحق الذي يظهره الخصم
٣ - وزن الحسنات والسيئات، وعدم النظر إلى الأخطاء فقط، ونسيان الحسنات.

٤ - تذكر معائب النفس وأخطائها، واعذار الخصم كعذر النفس.
وعلى كل حال فلا بد من (تناول الفكرة المطروحة للحوار والنقاش بالبحث والتحليل والنقد والتزكية بعيداً عن صاحبها حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية تناقش فيها تصرفات الاشخاص ونواياهم، ولكن في بعض الاحوال ينبغي تناول أصحاب الافكار أنفسهم بالجرح والتعديل حسب مقاييس أهل السنة، وذلك عندما نخشى ضلالتهم أو تأثر الناس بأفكارهم، ولكن كل ذلك ينبغي أن يتم بإخلاص وتجرد، وعدل وإنصاف (١) والله اعلم.

١ - انظر رسالة: «قل إنما أعظكم بواحدة» ص ٣٤ بتصرف يسير.

المبحث الرابع : التواضع وحسن الخلق

ينبغي للمحاور أن يتحلى بحسن الخلق عموماً، وبالتواضع على وجه الخصوص، إذ إن ذلك من هدي هذا الدين، ومن خلق الرسول الكريم ﷺ، كما أن التزام الأدب له دور كبير في إقناع الطرف الآخر، وقبوله للحق وإذعانه للصواب، فكل من يرى من محاوره توقيراً وتواضعاً، ويسمع كلاماً طيباً، ويلمس خلقاً فاضلاً فإنه لا يملك إلا أن يحترم محاوره ويتبنى فكرته، ويخضع لرأيه، أو على أقل تقدير يفتح قلبه لاستماع الرأي الآخر، ويعرضه على عقله بطيب نفس ورحابة صدروسة أفق.

لذلك فقد جاءت النصوص الكثيرة المتعددة في الأمر بالتواضع وخفض الجناح وحسن الخلق، والنهي عن الكبر والعجب والغرور وسوء الخلق، وقبل عرض تلك الأدلة والشواهد، أذكر ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى في التواضع، قال : (التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة، وقال : أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله) (١)

أما بالنسبة لنصوص الكتاب والسنة حول هذا الأدب، فمن الواضح أنها ذات شقين، فقسم منها يرغب في حسن الخلق والتواضع وما يتعلق بهما، وقد تقدم شيء منها عند الكلام عن الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار، وقسم يحذر من سوء الخلق والعجب والغرور والتكبر ونحوها، وعليه فسيكون الكلام على الشقين كما يلي :

أولاً: ما يتعلق بالأمر بحسن الخلق والتواضع :

إن النصوص العامة في هذا الأدب كثيرة جداً، كما أن الأمثلة والنماذج والأقوال متعددة، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ومثلها قوله

١ - سير أعلام النبلاء (٩٩/١٠)

٢ - الشعراء: ٢١٥

سبحانه: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) والتعبير بخفض الجناح كناية عن التواضع والتذلل للمؤمنين واللين معهم والرفق بهم وذلك أن (الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب) (٢)، ولما كان هذا الخطاب موجهاً لرسول الهدى ﷺ (فقد كان كذلك مع المؤمنين طوال حياته، وكان خلقه القرآن، وكان هو الترجمة الحية الكاملة للقرآن الكريم) (٣) حتى قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) وقال في الآية الأخرى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٥)

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تعليقه على الآية: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِأَنْ تَتَّبِعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦) ما نصه: (فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعى اتباعه، الاقتداء به، أن يكون كلاً على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة، غليظ القلب، فظ القول، فظيعة؟ وإن رأى منهم معصية، أو سوء أدب، هجرهم ومقتهم، وأبغضهم. لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق. وقد حصل من هذه المعاملة، من المفاسد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقراً لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، وقد رماه بالنفاق والمداهنة، وذكر نفسه ورفعها، وأعجب بعمله. فهل يعد هذا إلا من جهله وتزيين الشيطان وخدعه له) (٧)

١ - الحجر: ٨٨

٢ - الكشاف: (١٣١/٣)

٣ - الظلال: (٢٦٢٠/٥) بتصرف يسير

٤ - القلم: ٤

٥ - آل عمران: ١٥٩

٦ - الشعراء: ٢١٥

٧ - تفسير السعدي: (٤٨٩/٣)

ومن الآيات التي تشير إلى صفة التواضع، ما ذكره الله في وصف قوم من المؤمنين فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (١) الآية، فقلوله ﴿أذلة﴾ من قول القائل : ذل فلان لفلان، إذا خضع له واستكان (٢) والمعنى : أي يظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين ويظهرون الشدة والعظمة والترفع على الكافرين (٣).

وهذه صفات المؤمنين الكامل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه، كما قال تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٤) (٥)، والذلة في الآية لا تنافي الحزم والقوة في الحق، وليس فيها المذلة والمهانة.

يقول سيد قطب رحمه الله غي الآية : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾:

(هي صفة مأخوذة من الطواعية واليسر واللين .. فالمؤمن ذلول للمؤمن .. غير عصي عليه ولا صعب .. هين لين : ميسر مستجيب .. سمح ودود .. وهذه هي الذلة للمؤمنين).

وما في الذلة للمؤمنين من مذلة ولا مهانة، إنما هي الأخوة، ترفع الحواجز، وتزيل التكلف وتخلط النفس بالنفس، فلا يبقى فيها ما يستعصى وما يحتجز دون الآخرين (٦).

١ - المائدة : ٥٤

٢ - انظر الطبري: (٢٨٦/٦)

٣ - فتح القدير: (٥١/٢)، الكشف: (٦٢٣/١)

٤ - الفتح: ٢٩

٥ - ابن كثير (٧٠/٢)

٦ - الظلال (٩١٩/٢)

إذا فلا بد للمحاور أن يكون قويا متواضعا، حازما ليناً، يعطي كل موقف حقه، ويؤثر على كل خصم بما يناسبه.

ومن الشواهد القرآنية التي يستأنس بها في أمر التواضع والتأدب، ما جاء في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام حيث إن موسى عليه السلام مع فضله وعلمه ومنزلته، إلا أنه لم يمتنع من اتباع الخضر والتعلم منه: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (١).

ومن أدلة التواضع القولية ما قاله ﷺ: «إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد» (٢). وقال ﷺ: «مَنْ قَصَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِغَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» (٣) قال النووي في معناه: (فيه وجهان : أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه، والثاني : أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا) (٤).

ومن الأدلة القولية في حسن الخلق قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حين قدم مع معاوية إلى الكوفة، فذكر رسول الله ﷺ فقال : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً. وقال : قال رسول الله ﷺ «إِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا» (٥)

١ - الكهف: ٦٦

٢ - مسلم كتاب الجنة (٢١٩٩/٤) رقم ٦٤، أبو داود الأدب (٢٧٥/٤) رقم ٤٨٩٥، ابن ماجه الزهد (١٣٩٩/٢) رقم ٤١٧٩

٣ - مسلم كتاب البر (٢٠٠١/٤) رقم ٦٩

٤ - شرح النووي: (١٤٢/١٦)

٥ - البخاري بكتاب الأدب رقم ٦٠٢٩ مسلم كتاب الفضائل (١٨١٠/٤) رقم ٦٨، الترمذي كتاب البر (٣٤٩/٤) رقم ١٩٧٥ أحمد (١٦١/٢)

ومثله قوله عليه الصلاة والسلام : «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذي» (١).

وقال عليه السلام : «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم» (٢) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، والمقصود أن الكتاب والسنة قد أصلا قضية التواضع وحسن الخلق، وجعل ذلك مبدأ يسير عليه المحاور وغيره، وقد سار عليه رسول الهدى ﷺ، فطبق ذلك عمليا، ومن صور تطبيقه لهذا الأدب الرفيع، والتزامه بهذا الخلق الكريم مايلي :

ماصح في البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتطق به حيث شاءت» (٣)

فهذا الفعل من نبي الأمة وقائدها غاية في التواضع وخفض الجناح، وقمة في الرحمة والتذلل، التي لا تكون إلا من أخلاق النبوة، قال الحافظ في الفتح في تعليقه على الحديث : (وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الاماء أي أمة كانت، ويقول : حيث شاءت أي من الأمكنة. والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست من مساعدتها في تلك الحاجة لمساعد على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ) (٤)

ولعل الاعجب من هذا ما أخرجه الإمام أحمد عن أنس : «أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت : يا رسول الله إن لي حاجة. فقال : يا أم فلان انظري إلى أي الطريق شئت فقام معها يناجيهما حتى قضت حاجتها» (٥)

١ - الترمذي كتاب البر (٣٦٢/٤) رقم ٢٠٠٢، أبو داود كتاب الآداب (٢٥٣/٤) رقم ٤٧٩٩، أحمد

(١٦٢/٢) وصحح بعض طرقه ابن حبان رقم ١٩٢١، ١٩٧٤

٢ - أبو داود كتاب الآداب (٢٥٣/٤) رقم ٤٧٩٨ وصححه ابن حبان رقم ١٩٢٧

٣ - البخاري كتاب الآداب ٦٠٧٢

٤ - الفتح (٤٩٠/١٠)

٥ - أحمد (٢٨٥/٣)، (وانظر شمائل الرسول لابن كثير ص ٧٥)

ومن تلك الصور الرائعة للتواضع مذكرته عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عما كان يصنعه النبي ﷺ في أهله ؟ فقالت : (كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة) (١).

فتظهر صورة التواضع في خدمة معلم البشرية لأهله، وقد ذكر ابن حجر رحمه الله : أنه قد جاء في بعض الروايات أن عائشة رضي الله عنها قالت (كان يخط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمر ما يعمر الرجال في بيوتهم) وفي بعضها قالت : كان يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، ثم ذكر قول ابن بطال: من أخلاق الأنبياء التواضع، والبعد عن التنعم، وامتهان النفس ليستن بهم ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة (٢).

ومن قبيل هذا الخلق أيضا: (أن أنس بن مالك رضي الله عنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال : كان النبي ﷺ يفعل (٣) ولاشك في أن مثل هذا الفعل من نبي الهدى ﷺ - (فيه طرح رداء الكبر وسلوك التواضع ولين الجانب) (٤) ولعل من الشواهد على هذا الجانب ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي رفاعة قال : انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب قال فقلت : يا رسول الله! رجل غريب، جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي فأتى بكربي، حسبت قوائمه حديدا، قال فقعد عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى إلى خطبته فأتم آخرها (٥) قال النووي رحمه الله : (فيه استحباب تطف السائل في عبارته وسؤاله العالم، وفيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم وخفض جناحه لهم) (٦).

١ - البخاري كتاب الأدب ٦٠٣٩ ، أحمد (٢٠٦، ١٢٦، ٤٩/٦)

٢ - انظر الفتح : (٤٦١/١٠)

٣ - البخاري كتاب الإستئذان ٦٢٤٧ ، مسلم كتاب السلام (١٧٠٨/٤) رقم ١٥

٤ - انظر الفتح (٣٣/١١)

٥ - مسلم كتاب الجمعة (٥٩٧/٢٠) رقم ٦٠

٦ - شرح النووي (١٦٥/٦)

وإن مما يدل على الخلق القويم الذي كان عليه رسول الهدى ﷺ ما قاله عنه أنس رضي الله عنه قال : (خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف، ولا: لم صنعت؟ ولا ألا صنعت؟) (١)

فهذا الخلق النبيل، والمعاملة اللطيفة، واستئلاف خاطر الخادم بترك معاتبته (٢)، من التواضع وحسن الخلق.

ومن الحوارات التي ظهر فيها تواضع النبي ﷺ ما رواه ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : (كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء خبر من احبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد! فدفعته رقة كاد يصرع منها . فقال : لم تدفعني فقلت : الا تقول يا رسول الله! فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ : «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي» فقال اليهودي : جئت أسألك . فقال له رسول الله ﷺ «أينفعك شيء إن حدثتك؟» قال أسمع بأذني . فنكت رسول الله ﷺ بعود معه . فقال : «سل» (٣) الخ (٣)

فتنازل النبي ﷺ مع اليهودي وموافقته في قوله، ورضاه بأن يناديه باسمه المجرد - مع أنه رسول الله وإن رغم أنف اليهودي -، وعدم اصراره على أن يعترف له اليهودي برسالته ومنزلته، شاهد على التواضع وحسن الخلق.

وإذا كان هذا حال القدوة الإمام، وتلك شمائله وأخلاقه، فينبغي من اتباعه أن يجعلوا هذه الأدب معلما لهم في حياتهم كلها، وسمة بارزة في حواراتهم ومناظراتهم، ليفتحوا قلوب محاوريتهم، وليصلوا إلى مقصودهم في هداية الناس وارشادهم وهكذا كان اتباعه من الصحابة واتباعهم، فقد اهتموا بهديه، واستنوا بسنته قولاً وعملاً، وهذه بعض الأمثلة عنهم :

١ - البخاري كتاب الأدب ٦٠٣٨، مسلم كتاب الفضائل (١٨٠٤/٤) رقم ٥١، أحمد ١٠١/٣ الترمذي

كتاب البر (٣٦٨/٤) رقم ٢٠١٥، أبو داود كتاب الأدب (٢٤٧/٤) رقم ٤٧٧٤

٢ - انظر الفتح (٤٦٠/١٠)

٣ - مسلم كتاب الحيض (٢٥٢/١) رقم ٣٤

ماحكته عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك حيث قالت فيه :«ولكن والله ماظننت أن يُنزل في شأني وحياً، ولأننا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري»(١) .

فهذه الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، وهي أم المؤمنين الطاهرة المطهرة، لا ترى نفسها شيئاً، وقد كان لها من المنزلة والفضل والمكانة عند رسول الله ﷺ ما كان، ولكن يأبى أتباع سيد المتواضعين إلا أن يتواضعوا، فرضي الله عنهم أجمعين .

ومن ذلك ايضاً ما كان من حال أبي هريرة رضي الله عنه، حيث إنه ربما استخلفه مروان على المدينة، فيركب حماراً ببردة، وفي رأسه خلبة من ليف، فيسير، فيلقى الرجل، فيقول: الطريق! قد جاء الأمير(٢) .

ومثله ما جاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما، حيث إنه ربما اشترى قتاباً بدرهم(٣) وحمله على ظهره وهو أمير الكوفة(٤) . وقد روى مثل ذلك عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، وآثارهم في ذلك معلومة، ولقد بلغ الأمر بهم وبأتباعهم أن كانوا يربون الناس على التواضع وحسن الخلق، وترك الكبر والغرور والترفع ومن شواهد ذلك:

روي أن يزيد بن عبد الملك أقبل إلى مجلس مكحول، فهموا أن يوسعوا له، فقال مكحول: دعوه يتعلم التواضع(٥) .

وروي أيضاً أن المهلب مر على مالك بن دينار متبختراً، فقال : أما علمت انها مشية يكرها الله إلا بين الصفيين؟ فقال المهلب أما تعرفني؟ قال : بلى،

١ - أخرجه البخاري : كتاب التفسير ٤٧٥٠ (انظر تحريجه من: ١٢٥)

٢ - انظر سير أعلام النبلاء: (٦١٤/٢) . والنجية: السيفة، والمعنى: قطعة من ليف (انظر الصحاح: ١/١٢٢)

٣ - القت : الفصفصة، وهي الرطبة من علف الدواب (لسان العرب: ٧١/٢)

٤ - سير أعلام النبلاء (٤٢٣/١)

٥ - نفس المصدر (١٥٠/٥)

أولك نطفة هذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة، فأنكسر
وقال : الآن عرفتني حق المعرفة (١) .

ولعلي أكتفي بهذه الشواهد والأمثلة والنماذج فهي كافية في بيان المقصود
وتقرير القضية، وتأسيس مبدأ التواضع وحسن الخلق، وإظهار أهميته ودوره
بالنسبة للحوار .

ثانيا - مايتعلق بالتحذير من سوء الخلق والعجب والغرور والتكبر:

إن من سمات هذا الدين أنه دين الفطرة، وهو يتعامل مع البشر على هذا
الأساس، ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقَيِّمُ﴾ (٢) والله الذي خلق الإنسان وفطرته، هو أعلم سبحانه بما يصلحه
ويناسب طبيعته البشرية، فمع أن الإنسان ربما يميل بفطرته إلى الكنود
والاستعلاء، والجحود والتكبر، فإن الله عزوجل قد أمره بالتواضع ، ونهاه عن
الغرور والتكبر، ووجه عزته وعلياه لتكون بالحق على الباطل وبالإيمان على
الكفر: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣) وقال سبحانه في
وصفه للمؤمنين: ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٤) .

كما أن من منهج هذا الدين الجمع بين الترغيب والترهيب، والمقابلة بين
المأمور به والمنهي عنه، فحيث أمر بالإيمان فقد نهى عن الكفر وأمر بالتوحيد
ونهى عن الشرك، وبالعديل ونهى عن الظلم، وبالبر ونهى عن الإثم...
وهكذا املتضح الصورة، ويكون البديل حقا واضحا، ومن ذلك أمره بالتواضع
وحسن الخلق، ونهيه عن سوء الخلق والتكبر .

١ - انظر سير أعلام النبلاء : (٣٦٣/٥)

٢ - الروم : ٣٠

٣ - آل عمران : ١٣٩

٤ - المائدة : ٤٤

(والمحاور أجدر الناس بالبعد عن الكبر بشتى صورته، فإن الطرف الآخر إذا رأى منه ازدراء له واحتقارا، بالقول أو الفعل، فإن ذلك ينفره منه، ويؤدي إلى كراهته وكراهة ما عنده من الحق، لأن الناس جبلوا على محبة المتواضعين وكراهة المتكبرين)(١)

والنصوص في الكتاب والسنة في هذا الأمر متنوعة، فمنها ما هو عام في التحذير من الكبر، وبيان خطره وأثره على الفرد، ومنها ما يبين ضرورة الخوف منه وأثره على الأمم والشعوب عامة، ومنها ما يذكر شيئا من مظاهره وصوره، وسأذكر لكل نوع من هذه أدلة وأمثلة مختصرة:

فأما ما يتعلق بالتحذير العام منه، وبيان خطره وعاقبته على شخص المتكبر فمن شواهد ذلك:

قوله تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢) .

فيخبر الله تعالى بأن الدار الآخرة ونعيمها المقيم جعلها الله لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوا في الأرض أي تكبرا عن الحق، وترفعوا على خلق الله وتعازما عليهم وتجبرا بهم ولا فسادا فيهم(٣).

أخرج ابن جرير الطبري بسنده عن علي رضي الله عنه قال: إن الرجل ليعجبه من شراك فعله أن يكون أجود من شراك صاحبه، فيدخل في قوله ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ (٤) (٥).

١ - انظر رسالة الحوار مع أهل الكتاب ص ١٧١ بتصرف

٢ - القصص: ٨٣

٣ - انظر الطبري (١٢٢/٢٠)، ابن كثير (٤٠٢/٣)

٤ - القصص: ٨٣

٥ - الطبري (١٢٢/٢٠)

قال الشيخ السعدي رحمه الله : ﴿الَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا﴾ (أي : ليس لهم إرادة فكيف العمل للعلو في الأرض، على عباد الله، والتكبر عليهم وعلى الحق) ﴿ولا فسادا﴾ وهذا شامل لجميع المعاصي، فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض، ولا الفساد، لزم من ذلك أن تكون إرادتهم مصروفة إلى الله، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح (١)، وإذا كان هذا هو جزاء المتواضعين، فأما المستكبرون فعاقبتهم وخيمة، إذ لا يحبهم الله عز وجل ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢)، بل لهم منزل في النار والعياذ بالله: ﴿الْيَسَّ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٣)، ومأواهم جهنم وبئس المأوى والمصير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٤)، ومع ذلك فلا تفتح لهم أبواب السماء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (٥)، ولهم بعد ذلك عذاب اليم: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفَوْا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٦).

وأما جزاؤهم في الدنيا فمنه الطبع على القلب، والضلال والبعد عن الهدى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جُبَّارًا﴾ (٧) وقال سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ (٨).

١ - تفسير السعدي (٤/٤٤)

٢ - النحل: ٢٣

٣ - الزمر: ٦٠

٤ - غافر: ٦٠

٥ - الاعراف: ٤٠

٦ - النساء: ١٧٣

٧ - غافر: ٣٥

٨ - الاعراف: ١٤٦

ومن هذا الباب ايضا ما أخبر به المصطفى ﷺ إن قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » الحديث (١) وفي رواية لمسلم : « لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء » (٢).

وفي معناه قوله ﷺ : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » (٣).

فهذه عاقبة الكبر، إذ إن أصحابه هم أهل النار، ومع هول ما في النار وشدة عذابها فانها لا تريدهم فهي تحتج لذلك عند ربها، فقد صح في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « احتجت النار والجنة . فقالت هذه : يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه : يدخلني الضعفاء والمساكين . فقال الله عز وجل، لهذه : أنت عذابي اعذب بك من أشاء، وربما قال : اصيب بك من أشاء، وقال لهذه : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها » (٤).

- وزيادة في عذاب المتكبرين، ومزيذا في إهانتهم ما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام : « يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور النذر، تطوهم الناس لهوانهم على الله تعالى » (٥).

ولذلك فإن الكبرياء بإطلاقها لا تليق إلا بالعزیز الجبار المتكبر سبحانه وتعالى، وما كان للمخلوق أن ينازع خالقه في شيء من ذلك، وإلا فله العذاب المهين :

١ - أخرجه مسلم كتاب الإيمان (٩٣/١) رقم ١٤٧، ابو داود كتاب اللباس (٥٨/٤) رقم ٤٠٩١،

الترمذي كتاب البر (٣٦١/٤) رقم ١٩٩٩

٢ - مسلم برقم ٩١ كتاب الإيمان (٩٣/١)

٣ - أخرجه البخاري كتاب الأدب رقم ٦٠٧١، مسلم كتاب الجنة (٢١٩٠/٤) رقم ٤٦

٤ - أخرجه البخاري كتاب التفسير رقم ٤٨٥٠، مسلم كتاب الجنة (٢١٨٦/٤) رقم ٣٤، أحمد (٢٧٦/٢)

٥ - أخرجه الترمذي كتاب القيامة (٦٥٥/٤) رقم ٢٤٩٢ وحسنه، أحمد (١٧٩/٢) وحسنه العراقي

في تخريج الإحياء (٣٥٧/٣)

قال ﷺ: «قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة ازارى، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار» (١)

- وأخطار العجب والغرور والتكبر متنوعة فمنها عدم الإهتمام إلى الحق، كما تقدم في قوله تعالى عن المتكبرين في الأرض بغير الحق: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ (٢)، ولذلك يقول ابن الجوزي رحمه الله: إن اقتصار الرجل على علمه إذا مازجه نوع رؤية للنفس حبس من إدراك الصواب، نعوذ بالله من ذلك (٣).

ومن آثاره أيضا ما روي عن محمد بن علي بن الحسين قال: ما دخل قلب امرئ من الكبر شيء إلا نقص من عقله مقدار ذلك (٤).

ولذلك فإنه على الشخص (أن يتذكر دائما بأنه انسان، فلا يضع نفسه فوق موضعها، لئلا ينزلق إلى هاوية الغرور البغيض، فتصبح جهوده غير مثمرة، وذهنه متحجرا لا يقبل المعلومات الجديدة، ويفقد بذلك ميزة الاستماع إلى آراء الآخرين (٥)، وإذا كان هذا خطر الغرور والتكبر، وتلك عاقبته وأثره، فلا بد للمحاور خاصة أن يتعرف على صورته ومدخله كي يتجنبها في كلامه أو هيئته أو حركاته وإشاراته، فمن مظاهره وصوره:

١- رد الحق والاستكبار عن قبوله.

٢ - احتقار الناس وازدراؤهم: ويدل على هاتين الصورتين قوله ﷺ «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس (٦).

١ - أخرجه مسلم: كتاب البر (٢٠٢٣/٤)، أبو داود: كتاب اللباس (٥٨/٤) رقم ٤٠٩٠، ابن ماجه: (١٣٩٧/٢) رقم ٤١٧٤، احمد: (٢٤٨/٢)

٢ - الأعراف: ١٤٦

٣ - صيد الخاطر: ص ١١٧

٤ - انظر سير اعلام النبلاء: (٤٠٨/٤)

٥ - لمحات في فن القيادة: ص ٦٠ بتصرف يسير

٦ - تقدم تخريجه آنفا

قال النووي : بطر الحق : دفعه ورده على قائله، وغمط الناس: احتقارهم(١)
فالحديث نص في بيان هاتين الصورتين، كما أن النبي ﷺ قد بين أن رد الحق
من الكبر في (حديث الرجل الذي أكل عنده بشماله فقال له النبي ﷺ) : كل
بيمينك ، قال : لا أستطيع. قال عليه الصلاة والسلام : لا استطعت، ما منعه إلا
الكبر، فما رفعها إلى فيه(٢) كما بين ذم احتقار الناس حيث قال : «بحسب
امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»(٣)

فالواجب على كل طرف في الحوار تجنب الهزاء والسخرية، وكل ما يشعر
باحتقار احدهما للآخر، أو إزدراءه لفكرته ، أو وسمه بالجهل، أو قلة الفهم،
أو التبسمات والضحك التي تدل على السخرية(٤)

٣ - المرح والإختيال في المشي وإسبال الإزار: وهذه الصورة إنما أذكرها
إتماماً للفائدة إذ يستبعد وجودها أثناء الحوار، قال تعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي
الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾(٥).

وقال ﷺ : «بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله
به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»(٦) وفي رواية «بينما رجل يتبختر»(٧) وفي
رواية أخرى «بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض الي
يوم القيامة»(٨) وقال ﷺ : «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا»(٩)
قال في الفتح : (أي جره تكبرا وطغيانا)(١٠)

-
- ١ - رياض الصالحين للنووي ص ٢٨٥
 - ٢ - أخرجه مسلم كتاب الإشرية (١٥٩٩/٣) رقم ١٠٧
 - ٣ - جزء من حديث طويل أخرجه مسلم كتاب البر (١٩٨٦/٤) رقم ٣٢، أبو داود كتاب الأدب (٢٧٢/٤) رقم ٤٨٨٢، الترمذي كتاب البر (٣٢٥/٤) رقم ١٩٢٧، ابن ماجه كتاب الزهد (١٤٠٩/٢) رقم ١٢١٣، احمد (٤٩١/٣)
 - ٤ - انظر رسالة «قل انما اعظكم بواحدة» ص ٣٠
 - ٥ - الإسراء: ٣٧
 - ٦ - أخرجه البخاري كتاب اللباس رقم ٥٧٨٩، مسلم كتاب اللباس (١٦٥٣/٣) رقم ٤٩، النسائي كتاب الزينة (٢٠٦/٨) رقم ٥٣٢٦، احمد (٦٦/٢)
 - ٧ - الرواية لمسلم ٢٠٨٨ اللباس (١٦٥٣/٣)
 - ٨ - الرواية للبخاري : كتاب اللباس (٢٥٨/١٠)
 - ٩ - أخرجه البخاري كتاب اللباس رقم ٥٧٨٨، مسلم كتاب اللباس (١٦٥٣/٣) رقم ٤٨، أبو داود كتاب اللباس (٥٦/٤) رقم ٤٠٨٥، احمد (٣٨٦/٢)
 - ١٠ - انظر الفتح : (٢٥٨/١٠)

٤ - تصغير الخد وثني العطف والإعراض عن الناس :

قال تعالى في وصية لقمان لابنه ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۖ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١)

قال في الكشف : (والمعنى: اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون) (٢).

وقال ابن كثير : (يقول : لاتعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم، ولكن ألق جانبك وابسط وجهك إليهم) (٣). وهذا الفعل له خطره الكبير، وأثره السيء في عدم انجاح الحوار، لذلك فإنه ينبغي للمحاور أن يراقب نفسه اثناء الحوار ويلاحظ حركاته وطريقته في الكلام وغيره، فالآيات تشير (إلى أدب الداعية إلى الله، إذ إن الدعوة إلى الخير لاتجيز التعالى على الناس، أو التناول عليهم باسم هدايتهم أو قيادتهم إلى الخير، أو باسم الحوار والمناقشة) (٤).

ومن هذا الباب أيضا قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۖ ثَانِي عَظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٥)

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (اي :لاوي جانبه وعنقه، وهذا كناية عن كبره عن الحق، واحتقاره للخلق. فقد فرح بما معه من العلم غير النافع، واحتقر أهل الحق، وما معهم من الحق) (٦).

١ - لقمان: ١٨-١٩

٢ - الكشف : (٢٣٤/٣)

٣ - ابن كثير (٤٤٦/٣)

٤ - انظر الظلال (٢٧٩٠/٥) بتصرف

٥ - الحج: ٨-٩

٦ - تفسير السعدي: (٣١٠/٣)

هـ - تزكية النفس والتحدث عنها بالمدح والثناء: فإن ذلك مذموم منهى عنه قال تعالى: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (١) .

فلا ينبغي للمحاور أن يمدح نفسه ويظهرها ويثني عليها ويشكرها، أو يمتن بأعماله (٢) - مالم يكن في ذلك مصلحة راجحة (٣) - إن ذلك يعتبر مدخلا للعجب والغرور والتكبر، كما أنه عقبة أمام اقتناع الخصم وإذعانه، فالنفوس تكابر وتعاقد أمام من كان هذا حاله، كذلك فإن الله عز وجل أنكر هذا على قوم - قيل هم اليهود (٤) - وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٥)

ومن هذا الباب ما جاء في تغيير النبي ﷺ - اسم برة إلى زينب وقال ﷺ: «لَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ» (٦) .

ولعل مما ينبغي للمحاور أن يتفطن له هو أن يتجنب استعمال ضمير المتكلم في حديثه مثل: «أنا قلت وعلمت وأرى وأرجح»، إذا كان في ذلك مضايقة لمحاوره، وكذا استعمال ضمير الجماعة عن نفسه كقوله: «نحن ورأينا كذا وتجربتنا تدل على كذا» ونحو هذا، إذ قد يؤدي هذا إلى مدح النفس والإعجاب بها، كما أن هذا النوع من الحديث يترك انطبعا سلبيا لدى السامع يجعله ينفر من الحوار، والانسان بطبعه يكره من يتعالم عليه وينزله منزلة الجاهل (٧) .

١ - النجم: ٣٢

٢ - انظر ابن كثير: (٢٥٧/٤)

٣ - سيأتي إن شاء الله مبحث حول ثناء المحاور على نفسه بالحق أحيانا

٤ - انظر الطبري: (١٢٦/٥)

٥ - النساء: ٤٩

٦ - أخرجه مسلم: (١٦٨٧/٣) رقم ١٩، أبو داود الأدب (٢٩٠/٤) رقم ٤٩٥٣

٧ - انظر اصول الحوار ص ٥٥، رسالة «قل انما اعظكم بواحدة» ص ٣٠

وإذا كان مدح النفس وتزكيتها ممقوتاً في الحوار، فإن التواضع والإعتراف بالتقصير وعدم العصمة من الخطأ، هو مفتاح لقلب الخصم، وكذا لو انضاف إليها شيء من الثناء على الطرف الآخر بالحق وبحدود، ولذلك فإن من الطرق التي تملك بها زمام الناس دون الإساءة اليهم أو استثارة عنادهم أن يتكلم الشخص عن أخطائه قبل أن ينتقد الشخص الآخر.

٦ - التشدق في الكلام والتعقر في الحديث والتكلف فيه :

ويدل على كراهية ذلك قوله ﷺ « إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون » (١) والثرثار : هو كثير الكلام تكلفاً، والمتشدق : المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصيلاً وتعظيماً لكلامه، والمتفيهق : أصله من الفهق وهو الإمتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه، ويغرب به تكبراً وارتفاعاً، واطهاراً للفضيلة على غيره (٢). ومثله قوله عليه السلام : « إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة » (٣) فالتكلف في الحديث والتعاضم في الكلام مظهر من مظاهر الكبر الممقوت، والذي يجب على المحاور اجتنابه والحذر منه.

١ - أخرجه الترمذي وحسنه كتاب البر (٣٧٠/٤) رقم ٢٠١٨، أحمد : (١٩٣/٤)

٢ - انظر رياض الصالحين للنووي ص ٢٨٩، وسنن الترمذي (٣٧٠/٤)

٣ - أخرجه أبو داود : الأدب (٣٠٣/٤) رقم ٥٠٠٥، الترمذي الأدب (١٤١/٥) رقم ٢٨٥٣، وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه، أحمد (١٦٥/٢) (وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم ٤١٨٥)

٧ - ومن صور التكبر وآثاره : الاستبداد بالرأي، (إذ إن المتكبر المغرور يعتقد أن ما يصدر عنه سداد لاخطأ فيه ، وأن ما يصدر عن الآخرين خطأ لاسداد فيه، ومثل هذا إذا دعي إلى حق عز عليه الإذعان له والرجوع إليه فيبقى مستبدا برأيه مستمسكا بقوله، مما يجعله يعيش حياة غارقا في الأخطاء والسلبات)(١).

ولعل من هذا القبيل استكبار فرعون وعناده ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾(٢). وهذا الاستكبار جعله لا يرى إلا رأيه، ولا يريد أن يرى غيره غير رأيه، ويرى أنه على طريق الهدى والرشاد وهذا - والعيان بالله - غاية الضلال : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(٣) وإذا كان هذا خطر الغرور والعجب والتكبر، وتلك بعض صورته ومدخله، فينبغي الحذر منه والخوف والخشية، إذ يكفي أنه كان سببا في هلاك افراد وأمم وشعوب، فبه هلك ابليس وقارون، وبسببه عذب فرعون وقومه، ولأجله ضل قوم نوح وعاد وغيرهم.

قال سبحانه : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(٤). وقال عز وجل في قصة قارون مع قومه : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ ۝ ١٠٠﴾ إلى قوله : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾(٥).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ، فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ۖ ۝ ٦٠﴾(٦) وقال سبحانه في حكاية نوح عن قومه : ﴿وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾(٧).

١ - انظر آفات الطريق د. السيد محمد نوح (١/١٥٨) بتصرف

٢ - القصص: ٣٩

٣ - غافر: ٢٩

٤ - البقرة: ٣٤

٥ - القصص: ٧٨-٨١

٦ - العنكبوت: ٣٩-٤٠

٧ - نوح: ٧

وقال عن عاد ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً، أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (١)

ولذلك فقد خاف السلف تلك الأمراض القلبية، وأقوالهم وأفعالهم في ذلك كثيرة جدا، لايسع المقام لذكرها ولكن اكتفي بقول مطرف بن عبد الله : (لأن أبيت نائما وأصبح نادما، أحب الي من أن أبيت قائما وأصبح معجبا) (٢) فالمقصود أن التواضع إن كان مطلوبا من عموم الناس، فحاجة المحاور إليه اعظم، والكبر والغرور إن كان محذرا منه منها عته ، فحذر المحاور ينبغي أن يكون أكثر وأكبر، إذ لا يستقيم الحوار، ولا يخضع الخصم بدون التواضع وحسن الخلق.

١ - فصلت: ١٥ - ١٦

٢ - انظر احياء علوم الدين (٣/ ٣٩٠)

المبحث الخامس : الحلم والصبر

إن الكلام عن الصبر وما يتعلق به، كالحلم والعفو وكظم الغيظ وعدم الغضب وعدم الانتصار للنفس ونحو ذلك، مما يطول ذكره وعرضه وذكر أدلته وشواهد، ونمازجه وأمثله، وذلك لأهميته ودوره، حيث إنه (نصف الإيمان، فالإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعاً، منها: الأمر به، والنهي عن ضده، والثناء على أهله، إيجاب محبة الله لهم، وضمنان نصرهم...، وروي عن الإمام أحمد أنه قال : الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً(١)، ولذلك فسأختصر الكلام فيه وأقسمه إلى النقاط الآتية :

١ - فضله ومنزلته :

لقد جاءت النصوص المتعددة في بيان فضله ومكانته غمناها ما دل على عظيم أجره وجليل قدره، حتى يوفى أجر الصابرين بلا حدٍ ولا حصر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) . ومنها ما دل على أن (من صبر على إساءة من إساءة إليه وغفر للمسيء جرمه إليه، فلم ينتصر منه، وهو على الانتصار منه قادر، ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه، فإن ذلك كله من عزم الأمور التي ندب إليها عباده، وعزم عليهم العمل به(٣) قال سبحانه : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٤) .

يقول الشيخ السعدي في تعليقه على الآية : ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) أي : الأمور التي حث الله عليها وأكدها وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر، فإن ترك الانتصار للنفس، بالقول أو الفعل، من أشق

١ - تهذيب مدارج السالكين . عبد المنعم العزي ص ٣٥١ بتصرف

٢ - الزمر : ١٠

٣ - انظر الطبري (٤٠/٢٥) بتصرف

٤ - الشورى : ٤٣

شئ عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه ومغفرته، ومقابله بالإحسان أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليه وجاهد نفسه على الإتيان به، واستعان الله على ذلك، ثم اذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه(١)٠

كما أن من النصوص ما تعد من كظم غيظه وضبط نفسه عن الإنتقام بجزيل الثواب حيث قال ﷺ: «من كظم غيظاً، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره من الحور العين ماشاء»(٢)٠ ومنها ما يدل على تكفير السيئات ومغفرة الذنوب بسبب الصبر كما في قوله عليه السلام: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»(٣) ويكفي الحليم فضلاً أن الله عز وجل يحب هذه الصفة كما يحب الأناة وترك العجلة، ولذلك قال ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»(٤)

وعلى كل حال فإن الرفق عموماً بما في معناه: من الحلم والصبر والتحمل، ممدوح مطلوب، وحيثما وجد فهو زين، وحيثما فقد فهو شين قال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه، ولا ينزع من شئ إلا شانه»(٥)٠

١ - تفسير السعدي (٤/٤٣١)

٢ - أخرجه أبو داود : الأدب (٤/٢٤٨) رقم ٤٧٧٧، الترمذي وحسنه: البر (٤/٣٧٢) رقم ٢٠٢١، ابن ماجة: الزهد (٢/١٤٠٠) رقم ٤١٨٦، احمد (٣/٤٣٨)

٣ - أخرجه البخاري كتاب المرض رقم ٥٦٤١، مسلم : البر (٤/١٩٩٣) رقم ٥٢، الترمذي : الجنائز (٣/٢٨٩) رقم ٩٦٦، احمد (٢/٣٠٣)

٤ - أخرجه مسلم: الإيمان (١/٤٨) رقم ٢٥، أبو داود: الأدب (٤/٣٥٨) رقم ٥٢٢، الترمذي: البر (٤/٣٦٦) رقم ٢٠١١، ابن ماجة: الزهد (٢/١٤٠١) رقم ٤١٨٨، احمد (٣/٢٣)٠

٥ - أخرجه مسلم: البر (٤/٢٠٠٤) رقم ٧٨، أبو داود: الجهاد (٣/٣) رقم ٢٤٧٨، احمد (٦/٥٨)٠

ولهذا فقد حرص السلف على التخلق بهذا الخلق الرفيع، والتأدب بهذا الأدب القويم، ولهم في ذلك أقوال وأخبار وقصص وأحداث، تدل على عنايتهم به واهتمامهم، ومن هذه الأقوال في هذا الباب:

قول المنتصر بالله - أبو جعفر محمد بن المتوكل - حين عفا على أحد الناس فقال: (لذة العفو أعذب من لذة التشفي، وأتبع فعال المقتدر الانتقام) (١) وقال عروة بن الزبير رحمه الله (رب كلمة ذل احتملتها أورثتني عزا طويلا) (٢) وكما قيل أيضا: (الاحتمال قبر المعاييب) (٣)

وقال المستظهر بالله - أبو العباس أحمد بن المقتدى - (الصبر على الشدائد ينتج الفوائد) (٤)، وإلى غير ذلك من الأقوال والآثار وسيأتي إن شاء الله ذكر مزيد من الأمثلة والنماذج.

ولاهمية هذه الخصال وفضلها فإنه يجب على المحاور أن يكون حليما صبوراً، عفواً محتملاً، لا يغضب لأتفه سبب ولا ينفر لأدنى أمر، ولا يستفز بأصغر كلمة وأقل حركة، إذ إن ذلك يؤدي إلى النفرة والابتعاد بين الطرفين ولا يوصل إلى اقناع الخصم أو التأثير عليه.

٢ - ولذلك فقد كان الأمر بهذه الآداب والنهي عن ضدها، وصية الله ورسوله عليه السلام: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالْمُهَلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (٥)، وقال رجل للنبي ﷺ: أوصني. قال «لا تغضب». فردد مراراً، قال: لا تغضب (٦) ومعنى الحديث: اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه، ولا تفعل ما يأمرك به الغضب (٧).

١ - سير أعلام النبلاء: (٤٤/١٢) (والمنتصر بالله: هو محمد بن المتوكل على الله، كان وافر العقل، راغباً في الخير قليل الظلم، عاش ستة وعشرين سنة، ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين، وكانت خلافته ستة أشهر وأياماً. انظر السير: ٤٢/١٢ - ٤٥)

٢ - نفس المصدر (٤٣٦/٤)

٣ - نفس المصدر (١٩٦/٢٠)

٤ - نفس المصدر (٣٩٨/١٩) (والمستظهر بالله: هو أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله، ولد سنة سبع وأربعين ومائة، واستخلف عند وفاة أبيه وله ستة عشر سنة، كان موصوفاً بالسخاء والجود ومحبة العلماء وأهل الدين وتفقد المساكين مع الفضل والنبيل والبلاغة وعلو الهمة وحسن السيرة. انظر السير: ٣٩٦/١٩ - ٤١٢)

٥ - البقرة: ١٥٣

٦ - أخرجه البخاري: الأدب رقم ٦١١٦، الترمذي: البر (٣٧١/٤) رقم ٢٠٢٠ الموطأ في الغضب (٢٤٣/٢) رقم ٣٩، أحمد: (١٧٥/٢)

٧ - انظر الفتح (٥٢٠/١٠) بتصرف

وقد نقل ابن حجر رحمه الله قولاً لطيفاً لابن التين قال : (جمع ﷺ في قوله : «لاتغضب» . خير الدنيا والآخرة، لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق، وربما إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين (١)

ولذلك حث الله على كظم الغيظ والعفو عن الناس، وذلك عندما أثنى على المتصفين بهذه الصفات وعدهم من المتقين ووعدهم بالجنة والمغفرة فقال سبحانه : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

ومعنى الآية : ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أي: الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، وكظم الغيظ بتجرعه وحفظ النفس من أن تمضي ما هي قادرة على إمضائه باستمكانها ممن غاظها، وانتصارها ممن ظلمها، ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ أي: الصافحين عن الناس عقوبة ذنوبهم إليهم، وهم على الانتقام منهم قادرون، فتاركوها لهم (٣).

قال سيد قطب رحمه الله في تعليقه على الآية ما نصه: (كذلك تعمل التقوى في هذا الحقل، بنفس البواعث ونفس المؤثرات. فالغيظ انفعال بشري، تصاحبه أو تلاحقه فورة في الدم، فهو إحدى دفعات التكوين البشري، إحدى ضروراته. وما يغلبه الإنسان إلا بتلك الشفافية اللطيفة المنبعثة من إشراق التقوى، وإلا بتلك القوة الروحية المنبثقة من التطلع إلى أفق أعلى وأوسع من آفاق الذات والضرورات (٤).

١- الفتح (١٠/٥٢٠)

٢ - آل عمران: ١٣٣-١٣٤

٣ - الطبري: (٩٣/٤) بتصرف

٤ - الظلال: (١/٤٧٥)

ولذلك أيضا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بأخذ العفو من أخلاق الناس، ومراعاة طبائعهم وإعذارهم وترك الإغلاظ عليهم(١)، كما في قوله تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٢)

قال الزمخشري : (العفو : ضد الجهد : أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا..... والعرف : المعروف والجميل من الأفعال ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ولا تكافيء السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على ما يسؤك منهم(٣).

فهذه الآية تبين ما ينبغي معاملة الناس به من أخذ وقبول ماسمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفوا مالا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ماله من خلق جميل، ويتجاوز عن تقصيرهم، ويغض الطرف عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف، والمقابلة بما تقضيه الحال، وتنشرح له صدورهم، وهذا الإغضاء عن الضعف البشري، والعطف عليه والسماحة معه، هو واجب الكبار الأقوياء تجاه الصغار الضعفاء(٤)، والآية لما فيها من هذه الإشارات إلى الأخلاق والآداب قال فيها الزمخشري : (وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها(٥) وقال فيها الشيخ السعدي - رحمه الله : (هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم(٦)

١ - انظر الطبري: (١٥٥/٩)

٢ - الأعراف: ١٩٩

٣ - الكشف: (١٣٨/٢)

٤ - انظر تفسير السعدي(١٨٢/٢)، الظلال(١٤١٩/٣) بتصرف

٥ - الكشف (١٣٩/٢)

٦ - تفسير السعدي (١٨٢/٢)

وأجمع من ذلك واتمه ماقاله فيها الإمام القاضي أبوبكر بن العربي : (قال
علمائنا هذه الآية من ثلاث كلمات، قد تضمنت قواعد الشريعة، المأمورات
والمنهيات، حتى لم يبق فيه (١) حسنة إلا أوعتها، ولا فضيلة إلا شرحتها، ولا
أكرومة إلا أفتحتها، وأخذت الكلمات الثلاث أقسام الإسلام الثلاثة : فقوله
﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ تولى بالبيان جانب اللين ونفي الحرج في الأخذ والإعطاء،
والتكليف. وقوله ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ تناول جميع المأمورات والمنهيات، وأنهما
ما عرف حكمه، واستقر في الشريعة موضعه، واتفقت القلوب على علمه، قوله
﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ تناول جانب الصفح بالصبر الذي به يتأتى للعبد كل
مراده في نفسه وغيره. ولو شرحنا ذلك على التفصيل لكان أسفاراً (٢)X٠

٣ - ولعله من خلال الآيتين السابقتين قد تبينت بعض مقتضيات الصبر والحلم،
وما يزيد على مجرد ضبط النفس وملكها عند الغضب أو في الصدمة الأولى،
فإن هذا مطلوب وهو برهان على القوة والشدة كما قال ﷺ : «ليس الشديد
بالصرعة ، انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (٣)X٠ كما أنه دليل على
التخلق بالصبر والإحتمال، قال ﷺ : «انما الصبر عند الصدمة الأولى» (٤)X٠
ولكن يزيد على ذلك العفو والصفح ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ و﴿لْيَصْفَحُوا﴾ (٥) وقال سبحانه :
﴿فَاَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٦) أي الحسن الذي قد سلم من الحقد، والأذية
القولية والفعلية (٧)X٠

- ١ - لعلها : (فيها)
- ٢ - أحكام القرآن لابن العربي : (٢/٨٢٦) [رسمي الروم : مكرمة من اللرم لأعجوبة من لعجب (١/٥٠٩:٢٠٩)]
- ٣ - أخرجه البخاري: الأدب رقم ٦١١٤، مسلم : البر (٤/٢٠١٤) رقم ١٠٧، الموطأ في الغضب (٢/٢٤٣) رقم ٤٠، احمد (١/٣٨٢)X٠
- ٤ - البخاري: كتاب الجنائز (١٣٠٢)، مسلم كتاب الجنائز (٢/٦٣٨، ٦٣٧) رقم ١٥، الترمذي: كتاب الجنائز (٣/٣٠٥) رقم ٩٨٨، النسائي كتاب الجنائز (٤/٢٢) رقم ١٨٧٠، ابو داود : كتاب الجنائز (٣/١٨٩) رقم ٣١٢٤
- ٥ - النور: ٢٢
- ٦ - الحجر: ٨٥
- ٧ - انظر تفسير السعدي : (٣/٤٣)

قال سيد قطب رحمه الله في قوله ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (١) : (وكظم الغيظ هو المرحلة الأولى، وهي وحدها لا تكفي . فقد يكظم الإنسان غيظه ليحقد ويضطعن، فيتحول الغيظ الغائر الى إحنة غائرة، ويتحول الغضب الظاهر إلى حقد دفين . . وإن الغيظ والغضب لأنظف وأطهر من الحقد والضغن . . لذلك يستمر النص ليقرر النهاية الطليقة لذلك الغيظ الكظيم في نفوس المتقين . . إنها العفو والسماحة والإنطلاق . . إن الغيظ وقر على النفس حين تكظمه، وشواظ يلفح القلب، ودخان يغشى الضمير . . فأما حين تصفح النفس ويعفو القلب، فهو الإنطلاق من ذلك الوقر، والرفرفة في آفاق النور، والبرد في القلب، والسلام في الضمير) (٢).

إذا فالصفح والعفو أبلغ من كظم الغيظ ورد الغضب ، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المصير، ومغفرة خطيئته، وطهارة القلب نحوه من أي غل أو حقد أو نحوهما، وهذا انما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، واحتسب أجره عند خالقه، وأيقن بقول ربه عز وجل ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٣)

ويزيد على ذلك الصبر والعفو ما هو أكبر منه وأعظم وهو دفع السيئة بالحسنة، ومقابله فحش الكلام بليته، وسوء الخلق بحسن الأدب، والشدة بالرفق، ورد الكلمة الجارحة بالكلمة الطيبة العذبة، والعبس بالتبسم، والسخرية والإحتقار بالتوقير والإحترام، وهذا مبلغ لا يصل إليه إلا من صبر وكان ذا حظ عظيم ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾ (٤)

١ - آل عمران: ١٣٤

٢ - الظلال : (١/٤٧٥)

٣ - الشورى ٤٠: وانظر تفسير السعدي (١/٢٧١)

٤ - فصلت: ٣٤

وتحقيق ذلك كله انما يكون بتعلمه وتجربته ومرارته وتعويد النفس قبوله، قال ﷺ : «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه» (١) وفي الحديث ايضا «ومن يتصبر يصبره الله» (٢).

٤ - ثم أنتقل إلى ذكر بعض النماذج والأمثلة التي طبق فيها الصبر، وجرب فيها الحلم والعفو، فبانت آثارها، وظهرت نتائجها، فمنها :-
صبر الأنبياء عامة على أذى أقوامهم وسفاهتهم، ومقابلة جهلهم وإستهزائهم بالحسنى والرفق واللين والصفح والإعراض عنهم.

فهذا نوح عليه السلام يكذبه قومه ويتهمونه بالضلال المبين، فيرد عليهم في حلم وهدوء: ﴿قَالَ يَأْقَوْمَ لَيْسَ بِي ضَالَّةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) ومثله هود عليه السلام ويتهم بالسفاهة فلايزيد على نفي هذه التهمة في صبر وحكمة: ﴿قَالَ يَأْقَوْمَ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤) ويوسف عليه السلام يكيد له إخوته ويفرقون بينه وبين أبيه سنين عددا، ثم لما يظهر عليهم ويكشف أمرهم، لا يكتفي بالصفح عنهم بل يزيد على ذلك فيعلن لهم أنه لا يلومهم ولا يثرب عليهم، ولن يعيثرهم بذنبهم، ومع ذلك يدعو لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين (٥)، قال تعالى: ﴿لَا تَنْتَرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦).

١ - أخرجه الخطيب في تاريخه والطبراني في الأوسط وانظر الزوائد للهيتمي:

(١٣٣/١)، (وحسنه الألباني انظر صحيح الجامع الصغير رقم ٢٣٢٨ ج ١ ص ٤٦١)

٢ - جزء من حديث أخرجه البخاري: الزكاة (٣٣٥/٣)، رقم ١٤٦٩، مسلم الزكاة (٧٢٩/٢)

رقم ١٢٤، أبو داود: الزكاة (١٢٥/٢) رقم ١٦٤٤، الترمذي: البر (٣٧٣/٤) رقم ٢٠٢٤، احمد

(١٢/٣)

٣ - الأعراف: ٦١

٤ - الأعراف: ٦٧

٥ - انظر: تفسير السعدي (٤٣٥/٢)

٦ - يوسف: ٩٢

وأما «ذو النون» - يونس عليه السلام فإنه لم يصبر على تكاليف الرسالة، وضاق صدره بقومه، والقى عبء الدعوة، وذهب مغاضباً، ضيق الصدر، حرج النفس، فأوقعه الله في الضيق الذي تهون إلى جانبه مضايقات المكذبين (١) ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢) الآيات. ورحم الله سيد قطب إذ قال: (إنه من السهل على صاحب الدعوة أن يغضب لأن الناس لا يستجيبون لدعوته، فيهجر الناس. إنه عمل مريح، قد يفتأ الغضب، ويهدى الأعصاب. ولكن أين هي الدعوة؟ وما الذي عاد عليها من هجران المكذبين؟

إن الدعوة هي الأصل لا شخص الداعية! فليضق صدره، ولكن ليكظم ويمض. وخير له أن يصبر فلا يضيّق صدره بما يقولون (٣).

ويوضح مدى ما وصل إليه صبر الأنبياء واحتمالهم وعفوهم، قول عبد الله بن مسعود: (كأنني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) (٤).

والأنبياء في ذلك يتبعون ملة أبيهم إبراهيم الذي لقي من أبيه مألقي، وهدده بالرجم والجلد، فما زاد على أن قال لأبيه المعاند ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (٥) الآيات

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تعليقه على الآيات: (وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة، واللين والسهولة، والانتقال من رتبة إلى رتبة، والصبر على ذلك، وعدم السأمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق، بالقول والفعل،

١ - انظر الظلال: (٢٣٩٣/٤)

٢ - الأنبياء: ٨٧.

٣ - الظلال: (٢٣٩٤/٤)

٤ - أخرجه البخاري كتاب قتال المرتدين (٢٨٢/١٢) رقم ٦٩٢٩، مسلم الجهاد (١٤١٧/٣) رقم ١٥٠.

ابن ماجه: الفتن (١٣٣٥/٢) رقم ٤٠٢٥، أحمد (٣٨٠/١)

٥ - مريم: ٤٧.

ومقابلة ذلك، بالصفح والعفو، بل بالاحسان القولي والفعلي (١) .
 وإذا كان ذلك هو صبر الأنبياء، فإن نبينا ﷺ قد كان له حظ من الصبر وافر،
 ونصيب من الحلم والعفو، فهي هو عليه الصلاة والسلام يقسم غنائم حنين
 فيعطي أناسا من أشراف العرب ويؤثرهم يومئذ في القسمة، فيقول الرجل :
 والله إن هذه لقسمة ماعدل فيها، وما أريد فيها وجه الله . فلما بلغت الكلمة
 رسول الله ﷺ فتغير وجهه حتى كان كالصرف (٢) . ثم قال : «فمن يعدل إن لم يعدل
 الله ورسوله! ثم قال : يرحم الله موسى قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر» (٣)
 وقد تقدم مثال واضح على صبره عليه السلام في قصة الأعرابي الذي جبذه
 بردائه جبذة شديدة، حتى أثرت حاشية الرداء في صفحة عنقه ﷺ من شدة
 جبذته، ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه رسول الله
 ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء (٤) .

قال الحافظ في تعليقه على الحديث : (وفي هذا الحديث بيان حلمه ﷺ وصبره
 على الأذى في النفس والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام،
 وليتأسى به الولاة بعده في خلقه الجميل، من الصفح والإغضاء والدفع بالتي
 هي أحسن) (٥)

ومن كريم عفوه ﷺ ما جاء في قصة فتح مكة، حيث إنه قد صفح وغفر لمن آذاه
 وقاتله، وطرده وأخرجه فما إن ظفر عليهم حتى قال : يامعشر قريش، ما ترون إني
 فاعل فيكم؟ قالوا خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم .
 قال : أذهبوا فأنتم الطلقاء، وقال : «نصبر ولانقلب» (٦)

- ١ - تفسير السعدي : (٢٠٦/٣)
- ٢ - الصرف: صبغ أحمر يصبغ به الجلود (انظر التعليق على مسلم: ٧٣٩/٢، وأنظر المصباح المنير: ص ١٢٩)
- ٣ - أخرجه البخاري : المغازي رقم ٤٣٣٦ : الزكاة (٧٣٩/٢) رقم ١٤٠، أحمد (٤١١/١)
- ٤ - أخرجه البخاري : اللباس رقم ٥٨٠٩، مسلم الزكاة (٧٣٠/٢) رقم ١٢٨، النسائي : القيامة (٣٣/٨)، أحمد (١٥٣/٣)
- ٥ - الفتح : (٥٠٦/١٠)
- ٦ - أخرجه أحمد في المسند (١٣٥/٥)، الحاكم (٣٥٩/٢) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن هشام في السيرة (انظر تهذيب السيرة ص ٢٩٢)

وإذا كانت تلك أخلاق القدوة ﷺ - فمما لاشك فيه أن المقتدين به على شاكلته وعلى رأسهم صحابته رضوان الله عليهم الذين تربوا على يده، وعودهم الصبر والتحمل، فما هو خباب رضي الله عنه يقول: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة - فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال: "لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، مادون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع الميشار على مفرق رأسه فينشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون" (١).

قال في الفتح: (قال ابن التين: كان هؤلاء الذين فعل بهم ذلك انبياء أو اتباعهم، قال: وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر، إلى أن قال: وما زال خلق من الصحابة واتباعهم، فمن بعدهم يؤذون في الله، ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم) (٢).

ثم هذا الفاروق رضي الله عنه يطبق مبدأ الحلم والعفو، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما - قال: (قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدينهم عمر رضي الله عنه، وكان القراء اصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ماتعطينا الجزل (٣)، ولاتحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر

١ - أخرجه البخاري: مناقب الأنصار (١٦٤/٧) رقم ٣٨٥٢، أبو داود كتاب الجهاد (٤٧/٣) رقم ٢٦٤٩، أحمد (١٠٩/٥).

٢ - الفتح: (١٦٧/٧)

٣ - الجزل: أي الكثير انظر الفتح (٢٥٩/١٣)

حتى هم به فقال له الحر : يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه: **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** (١) وإن هذا من الجاهلين. والله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله (٢).

كما قد كان معاوية رضي الله عنه مضرب المثل في الحلم، حتى إن كان الرجل ليقول له : والله لتستقيمن بنا يا معاوية أو لنقومنك، فيقول بماذا ؟ فيقولون: بالخشب (٣)، فيقول إذا أستقيم (٤).

ولعل هذه الأمثلة كافية في الدلالة على المقصود، ببيان التطبيق العملي لمعاني الصبر والتحمل، والحلم والعفو وكظم الغيظ ونحوها.

هـ - وإذا كانت تلك منزلة الصبر والعفو، وذلك تطبيقه وأمثله، فإن المحاور المسلم يحتاج أنواعا من الصبر كثيرة، إذ أن الحوار والمناقشات تثير في النفس نوازع متعددة من الانتصار للنفس وللرأي، والقابلية السريعة للإستفزاز، والتعالى على الخصم أو على الحق ونحوها فلا بد من التذكير بالانواع المتعلقة بالحوار ومنها :

(أ) - الصبر على وجود الحوار ومواصلته، والانتهاء منه بالرأي الراجح الصحيح، فإن بعضا من الناس لا يطبق الحوار ولا يرضى بالمناقشة - مع علمه بالحق وتمكنه من إدارة الحوار -، ولكنه يريد أن يأخذ الناس كلامه دية مسلمة وخاصة إذا كان خصمه أقل علما منه أو أصغر سنا أو أضعف تجربة ونحو ذلك. فهذا يحتاج إلى أن يعود نفسه أن يناقشه الآخرون ويبدوا آراءهم، ويراعي أفهامهم، وعليه أن يصبر نفسه مع من هو أقل منه شأنا.

١ - الأعراف: ١٩٩

٢ - أخرجه البخاري (٤٦٤٢) كتاب التفسير

٣ - الخشب : جمع خشيب. وهو السيف الصقيل (انظر القاموس المحيط: ٦٣/١)

٤ - انظر سير أعلام النبلاء: (١٥٤/٣)

(ب) - الصبر على سوء خلق الخصم، من حيث ضيق صدره، وسرعة غضبه، وسعيه للانتصار لنفسه، ورغبته في ظهور رأيه، إذ قد يواجه المحاور من كان على مثل هذه الشاكلة، وعندها لا ينبغي أن يقابل سوءه بالسوء، بل بالرحابة وضبط النفس والتجرد لطلب الحق، ولو لم يستفد الخصم من حوارهِ إلا هذه المعاني الرفيعة، ورؤيته لتطبيقها العملي فتكفيه فائدة ودرسا.

(ج) - الصبر على استهزاء الخصم، وقبح الفاظه، وفحش كلامه، وسوء عبارته، أو نقصه وضعفه وجهله^(١) فهذا يحتاج المحاور أن يدفع بالتّي هي أحسن، ويعود نفسه تحمل ذلك في سبيل إنجاح الحوار وإقناع الخصم ويحتسب أجره عند الله عز وجل.

(د) - الصبر على تفنّج^(٢) الباطل، ووقاحة الطغيان، وانتفاش الشر، وتصغير الغرور والخيلاء، إذ قد يخذل الحق في موضع لظروف وملابسات، وقد يعلو الباطل لحظة من اللحظات، فتحتاج هذه اللحظة إلى الصبر والإحتمال.

(هـ) - الصبر على شهوات النفس ورغائبها في الانتصار والإستعلاء، وإطماعها في العلو والإرتفاع، وضعفها في عدم قبول الهزيمة بسعة صدر، فقد ينفخ الشيطان في المحاور الذي يعلم أن الحق قد ظهر على لسان خصمه، ولكنه لا يعترف به ولا يرضى بقبوله، ويأبى إلا الجدال العقيم، والخصام والعناد، فهذا يحتاج إلى صبر وقوة تكظم الغيظ وتضبط الأعصاب، وتتحكم في الشهوات الخفية للنفس التي يذكّيها الشيطان.

(و) - قد يكون الخصم على الباطل الواضح والضلال المبين، ومع ذلك يكون خصما هادئا حلّما، عفوا صبوراً، وهذا يحتاج إلى نوع من المصابرة، وهو الصبر على طول صبر الخصم وحلمه وهدوئه، إذ قد ينفد صبر المحاور، ويستفزه ذلك الصبر الطويل فيخسر نتيجة الحوار.

١ - انظر مصطلح الصبر: مجلة البيان ٢٧/٢٧-٢٩

٢ - تَفَنّجٌ: أي علوّ وارتفاع، يقال: انتَفَجَ جنباً البعير: أي ارتَفَعَا (لصاح: ٢٤٦/١)

(ز) - ومن أهم أنواع الصبر للمحاور وغيره: الصبر على ضبط النفس في ساعة القدرة والانتصار، واستقبال الظهور على الخصم في شكر وتواضع، وأدب ورحمة، بعيداً عن أمراض القلوب وشهوات النفوس، من الكبر والغرور والإعجاب ونحوها. بعيداً عن الشماتة بالطرف الآخر أو تعييره بهزيمته أو إشعاره بضعفه وعجزه، وهذا نوع من الصبر أصعب من الصبر على الهزيمة، ولا يستطيعه إلا المخلصون الصادقون.

٦ - وإذا كان الصبر مطلوباً، والحلم ممدوحاً والعفو محموداً في الأصل، فإن هناك مواضع وأحوالاً ينبغي فيها الغضب ولا يشرع فيها الحلم، ولكن ليس ذلك استجابة لهوى النفس وميلها وشهواتها، وإنما بالضابط الشرعي المحدد ومن ذلك الغضب إذا انتهك حرمة الله، واعتدي على شرعه، ويدل عليه قول عائشة رضي الله عنها: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) (١) وفي رواية «فإن انتهكت حرمة الله كان أشد الناس غضباً لله» (٢).

قال ابن حجر رحمه الله: (ويؤخذ من ذلك النذب إلى الأخذ بالرخص ما لم يظهر الخطأ، والحث على العفو إلا في حقوق الله تعالى، والنذب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحل ذلك ما لم يفض إلى ما هو أشد منه، وفيه ترك الحكم للنفس وإن كان الحاكم متمكناً من ذلك بحيث يؤمن منه الحيف على المحكوم عليه، لكن لحسم المادة والله أعلم) (٣).

١ - أخرجه البخاري: المناقب رقم ٣٥٦٠، مسلم الفضائل: (١٨١٣/٤) رقم ٧٨، أبو داود: الأدب

(٢٥٠/٤) رقم ٤٧٨٥، الموطأ: حسن الخلق (٢٤١/٢) رقم ٢٣١، أحمد (٣٢/٦)

٢ - الرواية: ذكرها الحافظ في الفتح وسكت عنها (٥٧٦/٦)

٣ - انظر الفتح: (٥٧٦/٦)

٧ - وإكمالا لهذا الموضوع فلا بد من ذكر علاج الغضب، ووسائل القضاء عليه، إذ أن هذا يفيد المحاور الذي يصعب عليه كظم الغيظ والتحكم في النفس عند الإستفزاز، وهذه الطرق دلت عليها نصوص الشرع، وذكرها الأئمة الأعلام، فمن ذلك الإستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فقد ثبت أنه استتب رجلا ن عند النبي ﷺ، وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ : «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» الحديث (١) .

ومن ذلك السكوت عند الغضب لقوله ﷺ : «وإذا غضب أحدكم فليسكت» (٢) ومن ذلك ما قاله ﷺ أيضا : «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع» (٣) . وقد روي كذلك أن مما يسكن الغضب الوضوء، ففي الحديث : «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» (٤) .

ولعل من هذا الباب أيضا أن يتذكر صبر غيره ومالقيه، ويشهد لذلك ما تقدم من قوله ﷺ : «يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر» (٥) . وفي ذلك يقول ابن حجر رحمه الله : «ويعين على ترك الغضب استحضار ما جاء في كظم الغيظ من الفضل، وما جاء في عاقبة ثمره الغضب من الوعيد، وأن

- ١ - أخرجه البخاري: الأدب: ٦١١٥، مسلم، البر (٢٠١٥/٤) رقم ١٠٩، أبو داود الأدب (٢٤٩/٤) رقم ٤٧٨٠، الترمذي: الدعوات (٥٠٤/٥) رقم ٣٤٥٢ .
- ٢ - أخرجه أحمد في المسند : (٢٣٩/١) وصححه أحمد شاكر برقم ٢١٣٦، والالباني في صحيح الجامع : ٦٩٣ .
- ٣ - أخرجه أبو داود : الأدب (٢٥٠/٤) رقم ٤٧٨٢، أحمد (١٥٢/٥) (وانظر مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي: رقم ١٥١٤، صحيح الجامع رقم ٦٩٤) .
- ٤ - أخرجه أبو داود: الأدب (٢٥٠/٤) رقم ٤٧٨٤، أحمد (٢٢٦/٤) .
- ٥ - تقدم تخريجه آنفا .

تنبيه : بعد الإنتهاء من طبع وترقيم الرسالة بدا لي أن انقل ص: (١٦٢، ١٦١) إلى آخر هذا الباب، ولذلك سقطت من الترتيب هنا ووضعت هذا الرقم بأعلى الصفحة (١٦٣-١٦١) للدلالة عليها . عَلَّمَ أَبَا هَاشِمٍ الصَّفَرِيَّ الْمَقْلَبِيَّ تَدَاخَرًا الرَّحْمَنُ (٢٢٥-٢٢٦) مِنْ هُزْمِ لِرِسَالَةٍ .

يستعيز من الشيطان كما تقدم في حديث سليمان بن صرد (١)، وأن يتوضأ كما تقدمت الإشارة إليه في حديث عطية (٢) والله أعلم. وقال الطوفي* : أقوى الأشياء في دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقي، وهو أن لا فاعل إلا الله، وكل فاعل غيره فهو آلة له، فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه اندفع غضبه، لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه جل وعلا وهو خلاف العبودية. قلت: وبهذا يظهر السر في أمره الذي غضب بأن يستعيز من الشيطان لأنه إذا توجه إلى الله في تلك الحالة بالاستعاذة به من الشيطان أمكنه استحضار ما ذكر، وإذا استمر الشيطان متلبسا متمكنا من الوسوسة لم يمكنه من استحضار شيء من ذلك، والله أعلم (٣) وكذلك فقد اطال الغزالي في الكلام عن الغضب وأسبابه، وعلاجه، ومما قاله : (والأسباب المهيجة للغضب هي : الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب، فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها (٤) (٥) ثم ذكر أن الغضب يعالج بمعجون العلم والعمل، وذكر في العلم ستة أمور هي :-

١ - أن يتفكر في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والإحتمال فيرغب في ثوابه، فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ عنه غيظه.

٢ - أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله علي أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه علي يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو.

١ - هو حديث «اني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ١٠٠» وقد تقدم آنفاً.

٢ - هو حديث : «إن الغضب من الشيطان» وقد تقدم أيضا

٣ - انظر الفتح : (٥٢١/١٠)

٤ - انظر الأحياء : (١٨٣/٣)

* - هو سليمان بن عبد الحميد الطوفي الصرمي، نجم الدين، فقيه منبلي ولد بقرية طوف بالعراق، جاور الحرمين وتوفي بفلسطين

سنة ٧١٦ هـ، له مؤلفات عديدة منها : الإكسيرة في قواعد التغيير، البلب في أمور المؤمن، مخفر الترمذي وغيرها. (الإعلام للزركلي : ١٢٨/٢)

٣ - أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه، وهو لا يخلو عن المصائب، فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة.

٤ - أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب، ويتفكر في قبح الغضب في نفسه، ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي، ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء.

٥ - أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الإنتقام ويمنعه من كظم الغيظ، مثل قول الشيطان له: إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في أعين الناس، فيعاتب نفسه على تلك الأنفة واتباع خطوات الشيطان، ويذكر بالخزي والافتضاح على رؤوس الخلائق يوم القيامة.

٦ - أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده، فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله ؟ ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه.

ثم ذكر ما يتعلق بجانب العمل من الاستعاذة والوضوء والجلوس والإضطجاع والسكوت، نحو ما تقدم في الأحاديث (١).

وبعد هذه الإفاضة في أدب الصبر والحلم وكظم الغيظ وعدم الغضب وترك الانتصار للنفس، فإن المحاور يحتاج إلى معرفة تلك الأمور التي تقدمت وغيرها، ليعود نفسه هذه الآداب ويتجنب أضرارها، ليذكر نفسه بفضائلها ويحذر من عواقبها، وليفرق بين ما يؤثر فيه الغضب وما يؤثر فيه الحلم والصبر، وليعالج نفسه إن احتاجت إلى العلاج، كل ذلك حتى يستمر الحوار هادئا مؤدبا، ولتحفظ فيه النفوس وتسان فيه الأعراض، وليؤدي إلى نتيجة مثمرة، وغاية مستحسنة. والله أعلم.

المبحث السادس: الرحمة والشفقة بالخصم والحرص على إقناعه

إن الحوار مبدؤ رفيع ، ووسيلة نبيلة، للوصول إلى غاية حميدة، وهدف سام، والمحاور المسلم المخلص الصادق لا يتصور منه إلا الحرص على إظهار الحق لخصمه، والشفقة عليه من البعد والضلال، والخوف عليه من أن تتفرق به السبل، ورحمته باعتباره إنسانا قامت عليه الحجة، وخاصة إن كان هذا الخصم كافرا، فعندها تتأكد الشفقة والرحمة، إذ الإعراض والمكابرة والتولي عن الحق إلى الكفر أو الشرك، تكون نهايته الخلود في نار جهنم والعياذ بالله.

١ - والتزام هذا الأدب ليس غريبا على المحاور المسلم الذي يدين بدين الرحمة والهدى، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١) فجمع الله غاية رسالته في الرحمة كما في هذه الآية.

والمحاور المسلم يستقي رحمته من رحمة ربه الرحمن الرحيم، الذي قال عن نفسه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٢) وهو سبحانه أرحم من الوالدة بولدها (٣)، وقال ﷺ عن رحمة ربه : «جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» (٤) وقال سبحانه وتعالى في تخصيص رحمته للمؤمنين ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٥).

ولذلك فإن هذه الرحمة الواسعة قد شملت الإنس والجن والبهائم والطيور والجمادات وغيرها، وعلى المسلم أن يرحم متى وجد مجالا للرحمة، ولو أن يشفق على كلب فيرحمه، فلعله بذلك أن يدرك رحمة أرحم الراحمين.

١ - الأنبياء: ١٠٧

٢ - الاعراف: ١٥٦

٣ - هو معني حديث صحيح أخرجه البخاري: ٩٩٩٩ هـ في كتاب الأدب

٤ - أخرجه البخاري : الأدب: ٦٠٠٠، مسلم : التوبة (٢١٠٨/٤) رقم ١٧، الترمذي: الدعوات

(٥٤٩/٥) رقم ٣٥٤١

٥ - الأحزاب: ٤٣

فقد صح في الحديث أن النبي ﷺ قال: «بينما كلب يطيف بركية (١) كاد يقتله العطش، إذ رآته بغى (٢) من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها (٣) فسقته فغفر لها به»، فكيف بمن يرحم إنسانا ذا كبد فإنه «في كل ذات كبد رطبة أجر» (٤)، وكيف بمن يرحم أخاه المسلم، وتكون هذه الرحمة لدينه، وخوفاً عليه من الضلال، وإنقاذاً له من التخبط والاضطراب.

والمحاور المسلم يتمثل الحرص والرحمة والشفقة، اقتداءً بنبيه ﷺ، الذي قال الله في وصفه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥) فهذا نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، الذي يعز عليه ويثقل على طبعه وشعوره المرهف، عنت أتباعه ولقاؤهم مايكرهونه أو يشق عليهم، وهو مع ذلك حريص عليهم، قال في تفسير المنار: (الحرص: شدة الرغبة في الحصول على المفقود، وشدة العناية بحفظ الموجود، وكان عليه السلام حريصاً على اهتداء قومه به، بإيمان كافرهم، وثبات مؤمنهم في دينه، كما قال تعالى له: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٦) ومعنى «بالمؤمنين رؤوف رحيم» أي: شديد الرأفة والرحمة بالمؤمنين كافة، ولذلك وصفه ربه بقوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (٧) (٨).

١ - الركية : بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد التحتانية: البثر مطوية أو غير مطوية (انظر الفتح: ٥١٦/٦)

٢ - البغي : بفتح الموحدة وكسر المعجمة هي الزانية، وتطلق على الأمة مطلقاً (انظر الفتح: ٥١٦/٦)

٣ - الموق : بضم الميم وسكون الواو بعدها قاف هو الخف وقيل مايلبس فوق الخف (انظر الفتح: ٥١٦/٦)

٤ - أخرجه البخاري : الأدب ٦٠٠٩، احمد (٣٧٥/٢)

٥ - التوبة: ١٢٨

٦ - يوسف: ١٠٣

٧ - الأحزاب: ٦

٨ - أنظر مختصر تفسير المنار: (٣٦٩/٣-٣٧٠) بتصرف

ويزيد سيد قطب رحمه الله في بيان هذه الرحمة وذاك الحرص فيقول في معنى ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ «لايلقي بكم في المهالك، ولايدفع بكم إلى الهاوي، فإذا هو كلكم الجهاد، وركوب الصعاب، فما ذلك من هوان بكم عليه، ولا بقسوة في قلبه وغلظة، إنما هي الرحمة في صورة من صورها. الرحمة بكم من الذل والهوان، والرحمة بكم من الذنب والخطيئة، والحرص عليكم أن يكون لكم شرف حمل الدعوة، وحظ رضوان الله، والجنة التي وعد المتقون»(١).

وإن من تمام رحمته ﷺ أنه أمر بالرحمة وأشار إلى فضلها، وحث عليها مبينا أن رحمة الله تدرك برحمة الخلق بعضهم لبعض فمن ذلك قوله عليه السلام: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء»(٢) وقوله أيضا: «من لا يرحم لا يرحم»(٣) ومثله قوله أيضا: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»(٤). بل قد وصف من لم يرحم بأنه شقي فقال عليه السلام: «لاتنزح الرحمة إلا من شقي»(٥).

وقد ذكر الحافظ قول ابن بطلال في تعليقه على حديث «من لا يرحم لا يرحم» حيث قال: (فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهايم، المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب»(٦).

- ١ - انظر الظلال: (١٧٤٣/٣)
- ٢ - أخرجه أبو داود: الأدب (٢٨٧/٤) رقم ٤٩٤١، الترمذي: البر (٣٢٤/٤) رقم ١٩٢٤ وقال حسن صحيح، أحمد (١٦٠/٢)
- ٣ - أخرجه البخاري: الأدب ٦٠١٣، مسلم الفضائل (١٨٠٩/٤) رقم ٦٥، عبدالرزاق في المصنف (٢٩٨/١١) رقم ٢٠٥٨٩
- ٤ - أخرجه البخاري: التوحيد ٧٣٧٦، مسلم الفضائل (١٨٠٩/٤) رقم ٦٦، الترمذي: البر (٣٢٣/٤) رقم ١٩٢٢، أحمد (٤٠/٢)
- ٥ - أخرجه أبو داود: الأدب (٢٨٧/٤) رقم ٤٩٤٢، الترمذي: البر (٣٢٣/٤) رقم ١٩٢٣ وحسنه. أحمد (٣٠١/٢)
- ٦ - انظر الفتح (٤٤٠/١٠)

ولما شهد ﷺ وفاة ابن لبعض بناته، فبكى عليه السلام فقال : سعد بن عباد: اتبكي، فقال : «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» (١).

وقد عرف السلف رحمهم الله سعة رحمة ربهم وأيقنوا برأفته، مصداقا لقوله عز وجل في ذكره لدعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) ومن هذا ماجاء في أن حماد بن سلمة عاد سفيان الثوري، فقال سفيان : أترى الله يغفر لمثلي ؟ فقال حماد : والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي لأخترت محاسبة الله، وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي (٣).

وعلى كل حال فالرحمة أدب مهم جدا في الحوار، إذ يجب على المحاور أن يسعى لهداية الآخرين واستقامتهم ، كما يجب عليه أن ينصح لهم ويجهد، وأن يشفق عليهم ويرحم، إذ ذلك أدعى إلى استجابتهم وأقرب إلى نجاح الحوار.

٢ - وإذا كانت تلك منزلة الرحمة والشفقة، وهذه قيمتها في ميزان الشرع، فإن دورها في الحوار أكد، وحاجته إليها أمس ف (للرحمة كمال في الطبيعة يجعل المرء يرق لآلام الآخرين ويسعى في إزالتها، ويأسى لخطائهم فيتمنى لهم الهدى) (٤) أما قاسي القلب فإنه يسعى للإنتقام، ويتمنى لغيره الأخطاء، ويفرح بها ويرتقبها ويتصيداها، وربما عير بها من غير رحمة ولا شفقة (٥).

فلا بد أن يعلم المحاور أن الحوار وسيلة نبيلة، ينبغي أن تطهر من كل معاني القسوة والغلظة، والفظاظة والشدّة، ولا ينبغي أن يكون الحوار بحال من الأحوال - فرصة للكيد والإنتقام، أو وسيلة لتنفيس الأحقاد، وطريقة لإظهار الغل والحسد، أو لنشر العداوة وبث الكراهة بين الطرفين.

١ - أخرجه البخاري التوحيد ٧٤٤٨، مسلم، الجنائز (٦٣٥/٢) رقم ١١، ابو داود: الجنائز (١٨٩/٣) رقم ٣١٢، النسائي: الجنائز (٢١/٤) رقم ١٨٦٨، ابن ماجه (٥٠٦/١) رقم ١٥٨٨، احمد (٢٠٤/٥).

٢ - الحشر : ١٠

٣ - انظر سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٧)

٤ - انظر خلق المسلم للغزالي ص ٣٤٨

٥ - انظر الحوار مع أهل اكتاب: ص ١٧٢

فالرحمة إذا أدعى إلى تمحيص هدف الحوار وتنقيته وتخليصه، ووضوحه وتبيينه، كما أن وجود الرحمة في قلب المحاور دليل على تجريد الإخلاص لله عز وجل في نشر دينه، وعلامة على الصدق في الدعوة إلى سبيله، فلا ينبغي للمحاور أن ينسى أنه داعية إلى الله عز وجل بحواره ومناظرته، فحواره دعوة، وكلامه دين يدين الله به، ونواياه ومقاصده عبادة وقربة، وحركاته وتصرفاته انعكاس لآيمانه وصورة لإسلامه، وعندها لا يملك إلا أن يشفق ويرحم، ويراعي ويحرص، لتكون عبادته لله عز وجل بالحوار، خالصة محضة، صافية نقية، لا تشوبها شائبة ولا يتطرق إليها نقص أو خلل. وإضافة إلى ذلك فالرحمة جسر بين المحاور والطرف الآخر، ومفتاح لقلبه وعقله، وخاصة عندما يشعر بها ويلمسها، فتخرج ما في نفسه من أمراض الكبر والبطر والحقد والحسد ونحوها، فهي بذلك وسيلة لجمع القلوب وتآليف الأفتدة، وكلما ظهرت الرحمة على المحاور، واتضحت معالمها، كلما انشرح صدر الخصم، واقترب من محاوره، وأوشك على الإذعان والإقتناع، وبمثل هذا المعنى يمتن الله على نبيه عليه الصلاة والسلام، مشيراً إلى أثر رحمة الله في ليله ﷺ، وأثر ذلك في جمع الناس، وتآليف القلوب، فيقول سبحانه : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (١) الآية.

وتأويل الكلام كما قاله الطبري : (فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك، وبمن آمن بك من أصحابك، لنت لهم لتبأعك وأصحابك فسهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به، وأغلظت عليه، لتركك ففارقك، ولم يتبعك، ولا ما بعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم) (٢)

١ - آل عمران: ١٥٩

٢ - انظر الطبري: (١٥١/٤)

وقال ابن كثير رحمه الله - في معنى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: (أي : لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم)(١).

قال قتادة في تذكره لهذه النعمة : (إي والله، لطهره الله من الفظاظة والغلظة، وجعله قريباً رحيماً بالمؤمنين رؤوفاً)(٢)، وإتماماً للرحمة بهم والشفقة عليهم(٣) قال له سبحانه وتعالى ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

وفي تلك المعاني السامية يقول سيد قطب رحمه الله : (فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم، فجعلته ﷺ رحيماً بهم، لبنا معهم. ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولاتجمعت حوله المشاعر. فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم. في حاجة إلى قلب كبير، يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعينهم بهم، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء)(٤).

٣ - ومع أن الرحمة ضرورية ومهمة ، وشأنها عظيم كما تقدم، إلا أن هذه الرحمة والشفقة، وذلك الحرص واللين، لايعني التنازل عن شيء من الدين أو المداينة فيه، أو كتمه وإخفاءه، أو تغييره وتبديله، بل يجب على المحاور المسلم أن يجمع بين الرحمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين الشفقة على محاوره والصدع بالحق وإبطال الباطل، وليعلم أنه من (الرحمة بالآخرين ومن الشفقة عليهم ، أمرهم بما أوجب الله عليهم، وزجرهم عما نهاهم عنه ، فلا تمنعه الرحمة من أداء واجبه ، كما يجب ألا يأخذه الأمر والنهي

١ - ابن كثير: (١/٤٢٠)

٢ - انظر الطبري : (٤/١٥١)

٣ - انظر الكشف (١/٤٧٤)

٤ - الظلال : (١/٥٠٠-٥٠١)

فيتجرد من معاني الرحمة(١)٠

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته :-

اجعل لقلبك مقلتين كلاهما - بالحق في ذا الخلق ناظرتان

فانظر بعين الحكم وإرحمهم بها - إذ لاترد مشيئة الديان

وانظر بعين الأمر واحملهم على - أحكامه فهما إذا نظران(٢)

٤ - وبعد هذا العرض الموجز لأهمية الرحمة ومكانتها، لابد من ذكر بعض نماذجها وشواهدا في الكتاب والسنة، مع أن الآيات والأحاديث في ذكر الرحمة لاتكاد تحصر، إذ إن مادة الرحمة بمشتقاتها قد وردت في القرآن فيما يزيد على «ثلاثمائة وثمان وعشرين» موضعا(٣)، وورودها في السنة لا يحصى ، فهذا دليل واضح على قيمتها وكثرة الإشارة إليها بالأساليب المختلفة، ولذلك فيكفي ذكر بعض الأمثلة مما يكون أقرب إلى موضوع الحوار :-

فمن صور الرحمة وآثار الشفقة ما ظهر من حال نبينا ﷺ حتى عاتبه الله في ذلك ونهاه عن المبالغة في الحرص على من أعرض وتولى، إذ بلغ به الأمر أنه يكاد يهلك نفسه ويقتلها حسرة عليهم وشفقة ورحمة بهم، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (٤) وذلك أن النبي ﷺ كان حريصا على هداية الخلق ساعيا في ذلك أعظم السعي فكان ﷺ يفرح ويسر بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه ﷺ عليهم ورحمة بهم(٥)، حتى يكاد يهلك نفسه مما يحرص عليهم ويحزن (٦)،

١ - الحوار مع أهل الكتاب ص ١٧٣ بتصرف

٢ - الكافية الشافية (النونية) : ٢١

٣ - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٣٠٤-٣٠٩

٤ - الكهف : ٦

٥ - انظر تفسير السعدي (١٤١/٣) بتصرف يسير

٦ - انظر ابن كثير (٣٣١/٣) بتصرف

وهذه الآية كقوله تعالى ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١) وقوله سبحانه ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ (٢) وكلها تدل دلالة واضحة على رحمة النبي ﷺ وحزنه الشديد على من لم يؤمن حرصا منه على الخير، ونصحا لهم، وشفقة عليهم (٣) وقد بلغت هذه الشفقة غايتها عندما سنحت له الفرصة للقضاء عليهم والانتقام منهم، ولكنه الرحيم المشفق لم يرد ذلك، ويؤثر الصبر والتحمل، حتى في أحلك الظروف وأصعبها فما هي عائشة رضي الله عنها تقول له ﷺ : (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد، فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) (٤).

قال الحافظ في الفتح : (وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على قومه، ومزيد صبره وحلمه ، وهو موافق لقوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ (٥) وقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٦) (٧).

١ - الشعراء: ٣

٢ - فاطر : ٨

٣ - انظر تفسير السعدي (٤/٤٥٧) بتصرف

٤ - أخرجه البخاري: بدء الخلق ٣٢٣١، مسلم: الجهاد (٣/١٤٢٠) رقم ١١١

٥ - آل عمران: ١٥٩

٦ - الأنبياء: ١٠٧

٧ - انظر الفتح (٦/٣١٦)

ومن هذا الباب دعاؤه ﷺ لبعض من أعرض وعصى، فقد صح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قدم الطفيل بن عمرو على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله، إن دوسا قد عصت وأبت، فادع الله عليها . فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال : اللهم اهد دوسا، وأت بهم) (١).

وإذا كانت تلك رحمته وشفقته على من كفر وعصى فإن رحمته بمن آمن به وصدقه أوسع وأكبر ومنه قول عائشة رضي الله عنها: إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم (٢) وزاد في رواية مالك «وكان يحب ما خف على الناس» (٣) وفي رواية أحمد «فكان يحب ما خفف عليهم من الفرائض» (٤). وقد نص الحافظ في الفتح على أن الحديث فيه من الفوائد ما كان النبي ﷺ عليه من الشفقة على أمته والرافة بهم (٥). ومثل ذلك أيضا قول عائشة رضي الله عنها أيضا : «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا إنك تواصل، قال : إني لست كهيتكم، إني يطعمني ربي ويسقين» (٦).

ومن صور الحرص على هداية الآخرين وإقناعهم ما جاء في حوار نبي الله إبراهيم مع ربه حيث قال تعالى : ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَتْهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧). فهذا خليل الله عليه السلام يحرص ويرغب في أن يكون لذريته من الخير والهدى والإمامة كما جعل الله له، وهي شفقة الأبوة والنبوة.

١ - أخرجه البخاري : الدعوات ٦٣٩٧، مسلم : فضائل الصحابة (١٩٥٧/٤) رقم ١٩٧٧، أحمد (٢٤٣/٢)

٢ - أخرجه البخاري : التهجد ١١٢٨، مسلم صلاة المسافرين (٤٩٧/١) رقم ٧٧، أحمد (١٦٨/٦)

٣ - الموطأ : (١١١/١) رقم ٢٠٦ باب صلاة الضحى

٤ - المسند (٣٤/٦)

٥ - انظر الفتح (١٤/٣) بتصرف يسير

٦ - أخرجه البخاري : الصوم ١٩٦٤، مسلم : الصيام (٧٧٦/٢) رقم ٦١، الترمذي : الصيام

(١٣٩/٣) رقم ٧٧٨، أحمد (٢٤٢/٦)

٧ - البقرة: ١٢٤

وقريب من ذلك قصة ذلك النبي الذي أشفق على قومه وخشي أن يفرض عليهم القتال حين طلبوه، ثم لا يطيقونه، ولذلك لما قالوا له: ﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ رد عليهم رد المشفق المحذر، قال ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ (١)

ومنه أيضا شفقة الخضر على موسى عليهما السلام - في أن يكلفه الصبر على ما لا يعلمه (٢) حيث قال تعالى في قصتهما: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٣) وكذا شفقة موسى على من في السفينة من أن يفرقوا حيث قال: ﴿أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ (٤) ولم يقل (لتغرقنا)، فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد يقول نفسي نفسي. فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرافة بهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (٥)

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره الله عز وجل في قصة الرجل الذي جاء من أقصا المدينة يسعى، حرصا على نصح قومه، ورغبة في هدايتهم حين سمع مادعت اليه الرسل، وآمن بهم وعلم مارد به قومه عليهم (٦). قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ﴾ (٧) الآيات .

١ - البقرة: ٢٤٦

٢ - انظر الظلال: (٢٢٧٩/٤)

٣ - الكهف: ٦٦-٦٨

٤ - الكهف: ٧١

٥ - انظر تعليق الجرجاني في حاشيته على الكشاف (٤٩٢/٢)

٦ - انظر تفسير السعدي (٢٣٣/٤)

٧ - يس: ٢١-٢٠

يقول سيد قطب رحمه الله في تعليقه على استجابة هذا القلب الحي، وسعيه وحركته وحرصه، مانصه: إنها استجابة الفطرة السليمة لدعوة الحق المستقيمة، فيها الصدق والبساطة، والحرارة، واستقامة الإدراك، وتلبية الإيقاع القوي للحق المبين، فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعدما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق ما يتحدث عنه في مقالته لقومه، وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتا، ولم يقبّع^١ في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره، سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون، وجاء من أقصا المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق، وفي كفهم عن البغى وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين(١) [١].

ومن صور الرحمة والشفقة أيضا ما جاء في حديث عمران بن حصين، قال كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلا من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء^(٢) فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال يا محمد! فأتاه، فقال : ما شأنك؟ فقال : : بم أخذتني وبم أخذت سابقة الحاج(٢) ؟ فقال : (إعظاما لذلك) أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف ، ثم انصرف عنه فناده فقال : يا محمد! يا محمد! وكان رسول الله ﷺ رحيما رقيقا، فرجع إليه فقال : ما شأنك ؟ قال: إني مسلم قال : لو قلتها وأنت تملك أمرك، أفلحت كل الفلاح، ثم انصرف، فناده فقال : يا محمد! فأتاه فقال : ما شأنك ؟ قال إني جائع فأطعمني، وظمآن فأسقني قال : هذه حاجتك، فغدي بالرجلين(٣) ٠٠ الحديث

١ - الظلال : (٢٩٦٣/٥) ٠
 ٢ - سابقة الحاج هي العضباء حيث كانت لاتكاد تسبق (وهي القصيرة اليد : انظر النهاية في
 ٣ - أخرجه مسلم : النذر(٣/١٢٦٢) رقم ٨، ابو داود : الإيمان (٣/٢٣٦) رقم ٣٣١٦ أحمد (٤/٤٣٠)

والأمثلة غير هذه كثيرة متعددة، مما يبين أهمية الرحمة والشفقة بضرورة الحرص والرافة، و أثر ذلك في الحوار.

هـ - ولعله مع وجود الرحمة والشفقة في قلب المحاور فإن ابداءها والتصريح بها للخصم، أدعى لقبوله وتليين موقفه، إذ إنه إذا رأى من محاوره الحرص عليه والرغبة في انقاذه وهدايته، وتبين بذلك هدف المحاور وقصده ونيتة بوضوح فلا بد من أن يؤثر ذلك تأثيرا إيجابيا، فيفتح قلبه للعدل والإنصاف، ويضيق الهوة بين الطرفين، وهذا وحده يعتبر تقدما ومكسبا وخطوة في طريق نجاح الحوار.

ولهذا فقد جاءت أمثلة ونماذج يصرح فيها المحاور لخصمه، بالخوف عليه والحرص والشفقة لتحقيق تلك الاهداف ومن هذه الأمثلة :

قول نوح عليه السلام لقومه وتصريحه لهم بهذا الأمر كما قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١) وفي الآية الأخرى ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) فقد انذر نوح عليه السلام قومه عاقبة الكفر والتكذيب، في اشفاق الأخ الناصح لإخوانه، وفي صدق الرائد الناصح لأهله (٣).

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تعليقه على قول نوح في الآية ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ما نصه ﴿وهذا من نصحه عليه الصلاة والسلام، وشفقته عليهم ، حيث خاف عليهم العذاب الأبدي، والشقاء السرمدى، كإخوانه من المرسلين الذين يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم﴾ (٤).

١ - الاعراف : ٥٩

٢ - هود : ٢٦

٣ - انظر الظلال : (١٣٠٨/٣) بتصرف

٤ - تفسير السعدي (١٢٢/٢)

كذلك فإن نبي الله هود - عليه السلام - ينذر قومه ويحذرهم، ثم يخوفهم عذاب يوم عظيم . في صورة الإشفاق عليهم من ذلك العذاب فهو أخوهم، وهو واحد منهم، وهو حريص ألا يحل بهم عذاب ذلك اليوم الذي لاشك فيه، حيث أخبر تعالى عنه أنه ذكر قومه بنعم الله عليهم وأمرهم بتقوى الله وطاعته ثم خوفهم عذابه فقال تعالى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١).

وكذلك فقد قال شعيب عليه السلام لقومه بعد أن أمرهم بعبادة الله وحده ولا شريك له، ونهاهم عن نقص المكيال والميزان وذكرهم بنعم الله عليهم قال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ . وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرَاقِمُ بَخِيرًا وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾ (٢) ومن هذا الباب أيضا خوف إبراهيم عليه السلام على أبيه، بعد أن دعاه إلى عبادة الله ، وحذره من عبادة الشيطان، ثم قال له ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (٣).

ومثله أيضا ما ذكره الله في شأن نبينا ﷺ مع قومه حيث قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ (٤).

ومن نماذج ذلك أيضا تصريح مؤمن آل فرعون لقومه، بالخوف عليهم في أكثر من موضع، قال سبحانه وتعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ . مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِّنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ . يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٥).

١ - الشعراء ١٣١-١٣٥

٢ - هود: ٨٤

٣ - مريم: ٤٥

٤ - هود: ٣

٥ - غافر: ٣٠-٣٣

ومن أمثلته وصوره أيضا ما جاء في شفقة النبي ﷺ على أمته من أن يكلفوا ما لا يطيقونه، وكما تقدم أنه ربما ترك العمل رحمة بهم خشية أن يكتب عليهم، وكان يحب التخفيف عليهم، ومن هذا ما فعله ﷺ في أمر صلاة التراويح كما أخبرت عائشة رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الله صلى في المسجد، صلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم، فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية فصلوا بصلاته، فأصبح الناس يذكرون ذلك، فكثرت أهل المسجد في الليلة الثالثة فخرج فصلوا لصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فطفق رجال منهم يقولون الصلاة! فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر، فلما قضى الفجر أقبل على الناس، ثم تشهد فقال: «أما بعد فإنه لم يخف علي شأنكم الليلة، ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها» (١)

ومنه أيضا ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما - أنه قال لمؤذنه في يوم مطير: إذا قلت أشهد ألا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله، فلا تقل حي على الصلاة، قل: صلوا في بيوتكم، قال: فكأن الناس استنكروا ذاك فقال: أتعجبون من ذا؟ قد فعل ذا من هو خير مني، إن الجمعة عزمة (٢)، وإني كرهت أن أخرجكم فتمشوا في الطين والدحض (٣).

فتبين بتلك الأمثلة أنه لا بأس بالتصريح للخصم، وبيان الحرص والخوف عليه وإظهار الشفقة والرحمة به، وأن ذلك ربما كان أدعى لاستجابة الخصم وإزعائه.

-
- ١ - أخرجه البخاري: الجمعة ٩٢٤: صلاة المسافرين (١/٥٢٤) رقم ١٧٧، احمد (١٦٩/٦)
 - ٢ - عزمه: أي واجبه متحتمة، فلو قال المؤذن حي على الصلاة لكفتم المجيء اليها ولحقتم المشقة (التعليق على مسلم ١/٤٨٥)
 - ٣ - أخرجه البخاري: الأذان ٦٦٨، مسلم صلاة المسافرين (١/٤٨٥) رقم ٢٦
ومعنى الدحض: الزلق، يقال: مكان دحض أي زلق، ودحضت رجله: أي زلقت. (انظر الصحاح: ١٠٧٥/٢)

٦ - وهذه الرحمة والشفقة وذلك الحرص والخوف على الخصم، ليس معناه المداهنة ولا المودة ولا القربة ولا المحبة للكافر المعاند - إن كان الخصم كافراً متفحشاً، والشفقة والرحمة يمكن أن تنتهي عند حد معين، حين يصل الأمر إلى مداه، ويقطع الأمل في الخضوع والاقتران، ولذلك لما انتهى نوح عليه السلام - إلى تلك النهاية مع قومه، وتبين إصرارهم وضلالهم وأوحى إليه أنه لن يؤمن أحد بعد ذلك، عندها انتهى وقت الرحمة والتقرب اليهم، فما كان منه إلا أن أطلق هذه الكلمات: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۚ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (١)

ولاتعارض بين رحمة نوح - عليه السلام - في أول أمره وقوله لقومه ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) ونحوها من العبارات اللطيفة الرحيمة الودودة، وبين دعائه عليهم بالهلاك والدمار، وذلك لأن نوحاً كان نبياً يوحى إليه، وعلم من الوحي استمرار قومه على الكفر والتواصي به والإصرار عليه فدعا عليهم، قال قتادة: (في قوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أما والله مادعا عليهم حتى أتاه الوحي من السماء: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ (٣) فعند ذلك دعا عليهم نبي الله نوح (٤)

قال ابن العربي رحمه الله تعالى: ﴿لما قال لنوح عليه السلام: ﴿إِنَّ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ حين استنفذ ما في أصلاب الرجال، وما في أرحام النساء من المؤمنين، دعا عليهم نوح بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ فأجاب الله دعوته، وأغرق أمته. وهذا كقول النبي ﷺ «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب، اهزمهم وزلزلهم» (٥)

١ - نوح: ٢٦-٢٧

٢ - الاعراف: ٥٩

٣ - هود: ٣٦

٤ - انظر الطبري: (١٠١/٢٩)

٥ - أحكام القرآن: (٤/١٨٦٠)

فالمقصود أن نوحا عليه السلام - لم يدع عليهم من أول مرة أعرضوا فيها، ولم يغضب ويشتد عليهم حتى أيقن بضلالهم وإصرارهم، وبعد أن دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاما، ولذلك فإن الله لم يعاتبه على ذلك بل استجاب دعاءه .

ومن هذا الباب أيضا قتال الأنبياء لأقوامهم، وما يشهده تاريخهم من غزوات ومعارك وجهاد، مع حرصهم ورحمتهم وشفقتهم ، ولكن (أحيانا لا يصلح أي علاج آخر غير تطهير وجه الأرض من الظالمين، لأن وجودهم يجمد الدعوة إلى الله نهائيا، ويحول بينها وبين الوصول إلى قلوب الآخرين، وهي الحقيقة التي عبر عنها نوح وهو يطلب الإجهاز على أولئك الظالمين، أجهازا كاملا لا يبقى منهم ديارا - أي صاحب ديار - فقال ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ وذلك بفتنتهم عن عقيدتهم بالقوة الغاشمة، أو بفتنة قلوبهم بما ترى من سلطان الظالمين وتركهم من الله في عافية، ثم إنهم يوجدون بيئة وجوا يولد فيها الكفار، وتوحي بالكفر من الناشئة الصغار، بما يطبعهم به الوسط الذي ينشئه الظالمون، فلا توجد فرصة لترى الناشئة النور، من خلال ما تغمرهم به البيئة الضالة التي صنعوها، وهي الحقيقة التي اشار اليها نوح بقوله : ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ من أجل هذا دعا نوح - عليه السلام - دعوته الماحقة الساحقة . ومن أجل هذا استجاب الله دعوته، فغسل وجه الأرض من ذلك الشر، وجرف العواثر التي لاتجرفها إلا قوة الجبار القدير(١) .

فهذه مبررات نوح في ذلك وتلك أعذاره، مع ما في قلبه من الشفقة والرحمة . ولذلك أيضا عوتب النبي ﷺ حين قنت وقال : « اللهم اشد وطأتك على مضر، واجعلها سنين كسني يوسف » يجهر بذلك . وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا - لأحياء من العرب - حتى أنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٢) الآية (٣)

١ - الظلال: (٣٧١٧/٦)

٢ - آل عمران: ١٢٨

٣ - أخرجه البخاري :المغازي ٤٥٦٠، مسلم: المساجد(١/٤٦٦) رقم ٢٩٤، ابو داود: الصلاة (٦٩/٢) رقم ١٤٤٢، النسائي :التطبيق (٢/٢٠١) رقم ١٠٧٣

فالأمر أمر الله والدين دينه، والحكم حكمه، والرسول مبلغ ومنذر ومحذر، فبينت هذه الآية أن الأمر كله لله، وأن الرسول ﷺ ليس له من الأمر شيء، لأنه عبد من عبيد الله، والجميع تحت عبودية ربهم، مدبرون لا مدبرون. وهؤلاء الذين دعوت عليهم، أيها الرسول، أو استبعدت فلاحهم وهدايتهم، إن شاء الله تاب عليهم، ووفقهم للدخول في الإسلام - وقد فعل، فإن أكثر أولئك هداهم الله فأسلموا - وإن شاء عذبهم، فإنهم ظالمون مستحقون لعقوبات الله وعذابه (١) فيظهر بذلك ألا تعارض بين التودد والرحمة في وقتها، وخاصة في بداية الدعوة، وبين الشدة والجهاد واستخدام القوة بعد استنفاد الوسائل وإقامة الحجة.

١ - انظر تفسير السعدي (١/٢٦٨)

المبحث السابع : العزة والثبات على الحق

إن المحاور المسلم يستمد قوته من قوة الدين الذي يدين به، وعظمة الايمان الذي يخالط بشاشة قلبه، ومن ذلك فهو ينطلق من عزة في تواضع، وثبات على المبدأ في رفعة ولين، ويعلو بإيمانه مع رحمة الآخرين والشفقة عليهم ، وحيث إن الحوار من المواطن التي تثار فيها الشبهات ويكثر خلالها النقد والتشكيك، وخاصة مع الخصم المعاند أو الفاجر أو الكافر، لذلك يحتاج المحاور أن يكون على درجة من العزة واستعلاء الايمان، مع الثبات على الحق حتى وإن علم من نفسه ضعف الحجة، وقلة العلم، فلا يجوز أن يؤدي الحوار بالمسلم إلى الذلة والمهانة، أو يزعزع عن الحق المبين.

إن العزة التي يتصف بها المسلم - محاورا كان أو غيره - ترجع إلى اعتزازه بربه، الذي له العزة المطلقة الكاملة، ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (١) [فهو يؤتيها من يشاء، فكان على من أرادها أن يطلبها منه بصدق الايمان والسير على سنته تعالى، واتباع هداية وحيه الذي يرشد إلى طرقها ويبين أسبابها، وقد آتاه نبيّه والمؤمنين باهتدائهم بكتابه، وسيرهم على سنته (٢)].

ومن طرق العزة المشار إليها ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (٣)، قال الزمخشري: (ومعنى ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أن العزة كلها مختصة بالله، عزة الدنيا وعزة الآخرة، ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (٤)، فهذه الأعمال التي ترفع إلى الله تعالى، ويرفع الله صاحبها ويعززه (٥).

١ - النساء: ١٣٩

٢ - مختصر تفسير المنار (٢/٢٠٤) بتصرف

٣ - فاطر: ١٠

٤ - الكشف: (٣/٣٠٢)

٥ - تفسير السعدي (٤/٢٠٧)

وقال سيد قطب رحمه الله في تعليقه على الآية الكريمة : (إنها حقيقة اساسية من حقائق العقيدة الإسلامية، وهي حقيقة كفيلة بتعديل القيم والموازن، وتعديل الحكم والتقدير، وتعديل النهج والسلوك، وتعديل الوسائل والأسباب! ويكفي أن تستقر هذه الحقيقة وحدها في أي قلب لتقف به أمام الدنيا كلها عزيزا كريما ثابتا في وقفته غير مزعزع، عارفا طريقه إلى العزة، طريقه الذي ليس هنالك سواه !

إنه لن يحني رأسه لمخلوق متجبر، ولا لعاصفة طاغية ولا لحدث جل ولا لوضع ولا لحكم ولا لدولة ولا لمصلحة، ولا لقوة من قوى الأرض جميعا، وعلام ؟ والعزة لله جميعا، وليس لأحد منها شيء إلا برضاه ؟

ومن هنا يذكر الكلم الطيب والعمل الصالح، فهو إشارة إلى أسباب العزة ووسائلها لمن يطلبها عند الله . القول الطيب والعمل الصالح ، القول الطيب الذي يصعد إلى الله في علاه، والعمل الصالح الذي يرفعه الله إليه ويكرمه بهذا الإرتفاع . ومن ثم يكرم صاحبه ويمنحه العزة الإستعلاء (١)

وحتى لا يختلط مفهوم العزة مع المفاهيم المذمومة التي تشترك معه في الإستعلاء وغيره، وليبين حقيقة العلاقة وكيفية الجمع بين العزة والتواضع وبين الإستعلاء بالإيمان والخضوع لله، يكمل سيد رحمه الله الكلام فيقول : (إن العزة ليست عنادا جامحا يستكبر على الحق ويتشامخ بالباطل . وليست طغيانا فاجرا يضرب في عتو وتجبر وإصرار، وليست اندفاعا باغيا يخضع للنزوة وينزل للشهوة، وليست قوة عمياء تبطش بلا حق ولا عدل ولا صلاح . كلا ! إنما العزة استعلاء على شهوة النفس واستعلاء على القيد والذل واستعلاء على الخضوع الخانع لغير الله ثم هي خضوع لله وخشوع، وخشية لله وتقوى، ومراقبة لله في السراء والضراء . ومن هذا الخضوع لله ترتفع الجباه،

ومن هذه الخشية لله تصمد لكل ما يأباه، ومن هذه المراقبة لله لا تعنى إلا برضاه. هذا مكان الكلم الطيب والعمل الصالح من الحديث عن العزة، وهذه هي الصلة بين هذا المعنى وذاك في السياق (١)

وإذا كان الله عز وجل قد بين طريق العزة ووسائل تحصيلها، بالإيمان والعمل الصالح، فقد حذر سبحانه من طلبها من غير طريقها، وإبتغائها عند غير من يملكها، ولذلك بشر المنافقين الذين يوالون الكفرة ابتغاء النصرة والعزة بالعذاب الأليم، إذ إنهم أساؤا الظن بالله وأساؤا تصورهم لمصدر العزة والقوة، فأحبوا ووالوا وقربوا وعبدوا غير الله، فاستحقوا الذل والخزي والعذاب، لأن الأمر إما عبودية لله كلها استعلاء وعزة وانطلاق وإما عبودية لغيره كلها استخذاء وذلة وأغلال (٢)

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِيْنَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، أِيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (٣)

قال سيد قطب رحمه الله في تعليقه على الآيات: (وما أحوج ناسا ممن يدعون الإسلام، ويتسمون باسماء المسلمين، وهم يستعينون بأعدى أعداء الله في الأرض، أن يتدبروا هذا القرآن، إن كانت بهم رغبة في أن يكونوا مسلمين، وإلا فإن الله غني عن العالمين) (٤)

وإذا كان أمر العزة لله وحده، وطريقه هو الإيمان والعمل الصالح، فلا معنى لأن يذل المؤمن أو يهين ولا أن يخضع أو يركع لغير العزيز الجبار المتكبر، ولذلك قال سبحانه وتعالى محذرا وموجها المؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٥)

١ - نفس المصدر (٢٩٣١/٥)

٢ - انظر الظلال (٧٨٠/٢)

٣ - النساء: ١٣٨-١٣٩

٤ - الظلال: (٧٨٠/٢)

٥ - آل عمران: ١٣٩

فهذه الآية تمثل حال العزة والإستعلاء التي يجب أن تستقر عليها نفس المؤمن - مادام مؤمنا - إزاء كل شيء وكل وضع وكل قيمة وكل أحد، الإستعلاء بالإيمان، والعزة بالله وحده، فالمؤمن هو الأعلى ٠٠ الأعلى سنداً ومصدراً، فهو من الله يتلقى، وإلى الله يرجع، وعلى منهجه يسير ٠٠ وهو الأعلى ضميراً وشعوراً، وخلقاً وسلوكاً وهو الأعلى شريعة ونظاماً (١)، ولذلك فقد نهاه الله عن الضعف والوهن، ونهاه عن التنازل وتضييع المبادئ، لأن الله معه ولن يتركه أو يهمله، ولذلك قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٢) والوهن: الضعف في العمل، وفي الأمر، وكذا في الرأي (٣)

والإنسان لا يهن، إلا إذا كان أذل من غيره، وأضعف عدداً، أو عدداً وقوة داخلية وخارجية (٤) ٠

ومن هذا الباب، ومن صور العزة والكرامة التي وجدت وحقت في الواقع، ما جاء في عزة يوسف عليه السلام حيث سجن وظلم، ولبث في السجن بضع سنين، ولما جاءه الفرّج، وسنحت له الفرصة للخروج - وليس أي خروج - إنما كان يطلب الملك نفسه، وليقربه ويصطفيه ويدنيه، ومع ذلك لم يستجب لذلك، ليحفظ كرامته ويصون عرضه، وتبين براءته، وتظهر عزته: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (٥) ٠

١ - انظر معالم في الطريق لسيد قطب: ١٦٣-١٦٦

٢ - محمد: ٣٥

٣ - مختصر المنار: (١/٤٠٥)

٤ - تفسير السعدي (٣٩/٥)

٥ - يوسف: ٥٠

فلما تبينت للملك براءته، وتبين له معها كرامته وإباؤه، إذ إنه لم يتهافت على الخروج من السجن، ولم يتهافت على لقاء الملك، وإنما وقف وقفة الرجل الكريم الشريف، المتهم في سمعته، المسجون ظلماً وكيداً، ويطلب رفع الاتهام عن سمعته قبل أن يطلب رفع السجن عن بدنه، ويطلب الكرامة لشخصه ولدينه الذي يمثله قبل أن يطلب الحظوة عند الملك(١) ٠٠ كل ذلك أوقع في نفس الملك احترام هذا الرجل وحبه حتى قال: ﴿أَقْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصَهُ لِنَفْسِي﴾ (٢)

يقول سيد قطب رحمه الله في تعليقه على ذلك الموقف العجيب: (فياليت رجالاً يمرغون كرامتهم على أقدام الحكام - وهم أبرياء مطلقوا السراح - فيضعوا النير في أعناقهم بأيديهم، ويتهافتوا على نظرة رضى وكلمة ثناء، وعلى حظوة الأتباع لا مكانه الأصفى ٠ ياليت رجالاً من هؤلاء يقرأون هذا القرآن، ويقرأون قصة يوسف، ليعرفوا أن الكرامة والإباء والإعتزاز تدر من الربح - حتى المادي - أضعاف ما يدره التمرغ والتزلف والانحناء(٣)

وبمثل موقف يوسف عليه السلام تكون العزة والإستعلاء، وهكذا المسلمون الأوائل يقفون أمام المظاهر الجوفاء، والقوى المتنفجة، والإعتبارات التي كانت تتعبد الناس في الجاهلية(٤) ٠

وهكذا وقف المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أمام صور الجاهلية وأوضاعها وقيمها وتصوراتها، في معسكر رستم قائد الفرس المشهور: حيث جاء سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه - حتى نزل القادسية ومعه مالا يزيد على سبعة الاف والمشركون ثلاثون ألفاً أو نحو ذلك، فقالوا: لا يد لكم ولا قوة ولا سلاح، ماجاء بكم ؟ ارجعوا ٠ قال المسلمون ما نحن براجعين، فكانوا يضحكون من نبلهم ويقولون «دوك دوك» (٥) وشبهوها بالمغازل، ثم قالوا ابعثوا إلينا رجلاً من

١ - انظر الظلال (٢٠٠٤/٤) بتصرف

٢ - يوسف: ٥٤

٣ - الظلال: (٢٠٠٥/٤)

٤ - انظر معالم في الطريق لسيد قطب ص ١٦٦

٥ - يظهر أن هذه كلمة فارسية تدل على السخرية والإحتقار

عقلائكم يبين لنا ماجاء بكم. فقال المغيرة بن شعبه : أنا، فعبر اليهم ففقد مع رستم على السرير فنخروا وصاحوا فقال : إن هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم. فقال رستم: صدق، ماجاء بكم ؟ فقال : إنا كنا قوما في شر وضلالة، فبعث الله إلينا نبيا فهدانا الله به ورزقنا على يديه، فكان فيما رزقنا حبة تنبت في هذا البلد، فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لاصبر لنا عنها ، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة.

فقال رستم :إذا نقتلكم. قال : إن قتلتمونا دخلنا الجنة، وإن قتلناكم دخلتم النار وأديتم الجزية. قال : فلما قال وأديتم الجزية نخروا وصاحوا وقالوا : لاصح بيننا وبينكم. فقال المغيرة : تعبرون إلينا أو نعبر إليكم؟ فقال رستم : بل نعبر إليكم، فاستأخر المسلمون حتى عبروا فحملوا عليهم فهزموهم(١).

وفي رواية أخرى : أن المغيرة بن شعبه أقبل والقوم في زيهم، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وبسطهم على غلوة(٢) لا يصل إلى صاحبهم، حتى يمشى عليهم غلوة، وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي، حتى جلس مع رستم على سريريه ووسادته، فوثبوا عليه ففترتروه وأنزلوه^(٣) ومغثوه^(٤) فقال : كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قوما أسفه منكم ،إنا معشر العرب سواء، لا يستبعد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسي، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه، ولم آتكم، ولكن دعوتموني، اليوم علمت أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون، وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة، ولا على هذه العقول(٥) الخ(٤)

وهكذا تكون العزة، وهكذا يقف الأعزاء، وهكذا يتكلم الكرماء.

١ - انظر تاريخ الطبري : (٣٨٩/٢)، البداية والنهاية (٤١/٧) بتصرف

٢ - الغلوة : الغاية مقدار رفية (الصباح : ٢٤٤٨/٦)

٣ - المعنى : ضربوه ضربا غير مبرح (الصباح : ٢٩٣/١)

٤ - انظر تاريخ الطبري (٤٠٢/٢-٤٠٣)

وليس هذا موقفاً فردياً نادراً، أو فلتة من المغيرة بن شعبة ليس لها نظير، كلا بل كان هذا طابعاً عاماً ومظهراً سائداً لدى كل مسلم صادق يقف في مثل ذلك الموقف، ويواجه مثل هذه الأحداث.

فهذا ربيع بن عامر رضي الله عنه - يقف في تلك المعركة نفسها (القادسية) موقفاً مشابهاً للمغيرة، تظهر فيه الثقة والعزة، وتتجلى فيه الكرامة والإباء: فقد بعثه سعد بن أبي وقاص رسولاً إلى رستم، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهروا اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، قد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربيع بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتكموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ماجاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي. الخ (١).

ومثل ذلك كان من حذيفة بن محصن في كلامه مع رستم، وموقفه مع الفرس، في نفس تلك المعركة حيث بعثه سعد بن أبي وقاص بعد ربيع بن عامر، وبعث بعده المغيرة بن شعبة - رضي الله عنهم أجمعين (٢).

١ - انظر البداية والنهاية (٤٠/٧)، وتاريخ الطبري (٤٠١/٢)

٢ - انظر تاريخ الطبري (٤٠٢/٢)

ولما ظهر من الثلاثة من توافق في الرأي، وقوة في التعبير، وعزة وكرامة وصدق، خلص رستم تألفا بأهل فارس، وقال : أين هؤلاء منكم؟ ما بعد هذا ! ألم يأتكم الأولان فحسراكم واستحرجاكم، ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا وسلكوا طريقا واحدا، ولزموا أمرا واحدا، هؤلاء والله الرجال، صادقين كانوا أم كاذبين، والله لئن كان بلغ من إربهم وصونهم لسرهم ألا يختلفوا، فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم، لئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شيء (١) .

فهذه أمثلة لطيفة في بيان العزة التي ينبغي أن يتصف بها المحاور المسلم - لاسيما إن كان خصمه كافرا أو معاندا - فيجدر به حينئذ ألا يذل أو يهين، بل يعلوا بايمانه ويسمو بمبادئه، وإن كان ضعيفا في عدده وعدته، فليست العزة بالقوى المادية، ولا بالمظاهر البراقة، كلا بل تكون بقوة القلب وصدق العزيمة، وبتمكن الإيمان وثبات النفس على الحق .

ويتعلق بالعزة جدا مبدأ الثبات على الحق، فهو من دلالاتها ومن أمارات الصدق والقوة، والمحاور يحتاجه ولا بد له منه، إذ المقصود من الحوار: إقناع الآخرين وإرجاعهم إلى الحق والصواب، فإذا كان المحاور نفسه مضطرب النفس مشوش الأفكار، يضعف أمام الشبه المختلفة، وينهار أمام الأباطيل الملفقة ويتزعزع عند النقاش الجاد، ويتراجع ويتنازل عن مبادئه الأصلية، التي لاتقبل التبدل ولا التغيير، فمثل هذا الأجدر به ألا يتجاسر على الحوار، وألا يدخل في جدال، إذ ينعكس الهدف الذي من أجله وجد الحوار .

وهناك أمثلة ونماذج متعددة، تدل على مواقف قوية في الثبات على الحق أمام مختلف التحديات:

ولعل من أبرز المواقف المشرفة وأنبى النماذج ما كان من سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى لما تبين لهم الحق وظهر أمره وصدقه، فما كان منهم إلا أن سجدوا لله تعالى وقالوا: ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ (٢) .

١ - نفس المصدر (٢/٤٠٣)

٢ - طه: ٧٠

فلجأ الطاغية الأثيم إلى التهديد بالعذاب الغليظ الذي يعتمد عليه الطغاة، ويسلطونه على الجسوم والأبدان حين يعجزون عن قهر القلوب والأرواح ، فقال لهم : ﴿فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَلَا صَلْبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾. ثم الإستعلاء بالقوة الغاشمة. قوة الوحوش في الغابات. القوة التي تمزق الأحشاء والأوصال، ولا تفرق بين إنسان يقرع بالحجة وحيوان يقرع بالناب: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (١) . وهنا وقف هؤلاء المؤمنون الصادقون موقف العزيز المستعلى، وثبتوا على دينهم الحق، واستحقروا الحياة كلها - إن كانت في الكفر والطغيان - ورأوا أن القوى الأرضية كلها ضئيلة ضئيلة، وأن الحياة الأرضية كلها زهيدة زهيدة (٢)، فأضافوا إلى القوة والثبات التحدي والإفحام: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٣) . وفي الآية الأخرى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (٤) .

كما أن مواقف الأنبياء في وجوه أقوامهم، كلها عزة وثبات، وقوة وإباء، وما التحدى (٥) الذي يعلنه النبي لقومه إلا دليل على ذلك الإستعلاء والثبات. ومن تلك المواقف الكثيرة المتعددة موقف نبي الله هود عليه السلام حين كذبه قومه وعاندوه، فأعلن براءته منهم ومن آلهتهم، وتحداهم أن يكيدوا له جميعا، وتوكل على ربه الذي نواصيهم بيده، كل ذلك وهو فرد واحد، ويواجه قوما غلاظا حمقى، ولكنها عزة الإيمان واستعلاؤ، وثقة الإيمان واطمئنانه (٦):

١ - طه ٧٤

٢ - انظر الظلال (٢٣٤٣/٤) بتصرف

٣ - طه: ٧٢

٤ - الشعراء: ٥٠

٥ - سيأتي الكلام مفصلا بأدلتة عن التحدى - باذن الله تعالى

٦ - انظر الظلال (١٨٩٩/٤)

﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ. إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١)

يقول سيد قطب رحمه الله في تعليقه على موقف هود عليه السلام : (إن اصحاب الدعوة إلى الله لا بد أن يجدوا حقيقة ربهم في نفوسهم على هذا النحو، حتى يملكوا أن يقفوا بإيمانهم في إستعلاء أمام قوى الجاهلية الطاغية من حولهم .. أمام القوة المادية، وقوة الصناعة ، وقوة المال، وقوة العلم البشري، وقوة الأنظمة والأجهزة والتجارب والخبرات ... وهم مستيقنون أن ربهم آخذ بناصية كل دابة، وأن الناس - كل الناس - إن هم إلا دواب من الدواب (٢) .

وكما ذكرت آنفا فإن مواقف الأنبياء كلها ثبات وقوة، وعزة واستعلاء، وهم أحق من يعتز، وأجدر من يستعلى، إذ إنهم بالله يتصلون، ومنه يستمدون، وينصره يثقون. ولعل المقام يطول لو استعرضنا قصصهم ومواقفهم تفصيلا ، ولكن اشير باختصار إلى بعض مواقف الثبات والقوة في بعض حواراتهم :

فمنها موقف الخليل إبراهيم عليه السلام عندما حاجه قومه وأخافوه، فثبت ورد عليهم في ثقة وأمن واطمئنان، قال تعالى ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ . وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا . فَايُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .﴾ (٣) .

ومنها موقف: موسى عليه السلام في مواجهته الطويلة القوية لفرعون، ومن ذلك لما أنكر فرعون دعوة موسى وتعجب من مقالته، وقال ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ (٤)

١ - هود: ٥٤-٥٦

٢ - الظلال (٤/١٩٠٦)

٣ - الأنعام: ٨٠-٨١

٤ - الإسراء: ١٠١

وذلك لطغيان فرعون وتصوره أنه لا يمكن أن تصدر دعوة مضادة له إلا من مسحور أو مجنون غير عاقل، ولكن رد عليه موسى الكليم عليه السلام في قوة وعزة، ومواجهة بالحق بلا تردد أو تنازل: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (١)

ومن مواقف الثبات في السنة ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي قلابة قال : كنت بالشام في حلقة فيها مسلم بن يسار ، فجاء أبو الأشعث ، قال : قالوا : أبو الأشعث ، أبو الأشعث . فجلس فقلت له : حدث أخانا حديث عبادة بن الصامت . قال : نعم ، غزونا غزاة ، وعلى الناس معاوية ، فغنمنا غنائم كثيرة . فكان فيما غنمنا آنية من فضة ، فأمر معاوية رجلا أن يبيعها في أعطيات الناس . فتسارع الناس في ذلك ، فبلغ عبادة بن الصامت فقام فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ ينهي عن بيع الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح إلا سواء بسواء ، عينا بعين . فمن زاد أو ازداد فقد أربى . فرد الناس ما أخذوا ، فبلغ ذلك معاوية فقام خطيبا فقال : ألا ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث . قد كنا نشهده ونصحه فلم نسمعها منه . فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصة ، ثم قال : لنحدثن بما سمعنا من رسول الله ﷺ وإن كره معاوية (أو قال : وإن رغب) . ما أبالي أن لا أصحابه في جنده ليلة سوداء (٢) .

فهذا ثبات من عبادة بن الصامت رضي الله عنه على حجته وما سمعه من رسول الله ﷺ وعدم التنازل عنه لأجل معاوية . ومثله ثبات عمر رضي الله عنه على رأيه في مسألة التيمم للجنب ، حيث أخرج أبو داود بسنده عن عبد الرحمن بن أبزى قال : كنت عند عمر فجاءه رجل فقال : إنا نكون بالمكان الشهر والشهرين .

١ - الإسراء: ١٠٢

٢ - أخرجه مسلم : المساقاة : (٣/١٢١٠) رقم ٨٠ ، النسائي : البيوع (٧/٢٧٥) رقم ٤٥٦٢

فقال عمر : أما أنا فلم أكن أصلي حتى أجد الماء، قال : فقال عمار: يا أمير المؤمنين، أما تذكر إذ كنت أنا وأنت في الإبل فأصابتنا جنابة، فأما أنا فتممعت، فأتينا النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال : «إنما كان يكفيك أن تقول هكذا، وضرب بيديه إلى الأرض ، ثم نفخها، ثم مسح بهما وجهه ويديه إلى نصف الذراع، فقال عمر : يا عمار، اتق الله، فقال : يا أمير المؤمنين، إن شئت والله لم أذكره أبدا، فقال عمر : كلا والله لنولينك في ذلك ما توليت(١)

فقول عمر : (يا عمار اتق الله) أي فيما ترويه، وتثبت فيه فلعلك نسيت أو اشتبه عليك، فإنني كنت معك ولا أتذكر شيئا من هذا(٢)، وهذا هو موقف الثبات من عمر على حجة ورأيه، وذلك عذره ومبرره. إذ إنه قد انتهى إلى ما علم - وإن خفي عليه ما أخبر به عمار.

ومن هذا الباب أيضا ما كان من ثبات أبي هريرة رضي الله عنه - في حوار مع كعب الأحبار، وذلك أن النبي ﷺ قال : «فقدت أمة من بني إسرائيل، لا يدري ما فعلت. ولا أراها ألا الفار، ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته» قال أبو هريرة: فحدثت هذا الحديث كعبا فقال :أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قلت : نعم، قال ذلك مرارا قلت : أقرأ التوراة؟(٣).

فهنا ثبت أبو هريرة رضي الله عنه على حديثه الذي سمعه من النبي ﷺ - ثم انكر على كعب تكراره لسؤاله، فقال له «أقرأ التوراة» ويعني بذلك أنه ليس عنده شيء إلا سمعه عن النبي ﷺ فلم ينقل عن التوراة أو غيرها من الكتب(٤)

١ - هذه رواية أبي داود : الطهارة (٨٦/١) رقم ٣٢٢، وأصله في البخاري: التيمم ٣٣٨، وفي

النسائي الطهارة (١٦٦/١) رقم ٣١٢

٢ - انظر الفتح (٤٥٧/١) [ولمّا أظفر بها: ثبات عمار - رضي الله عنه - على موقفه وعدم التزعزع عنه - في مراجعتها أمير المؤمنين]

٣ - أخرجه البخاري : بدء الخلق ٣٣٠، مسلم : الزهد (٢٢٩٤/٤) رقم ٦١، احمد (٢٣٤/٢).

٤ - انظر التعليق على الحديث في صحيح مسلم (٢٢٩٤/٤)

ومن آخر هذه الأمثلة المختصرة ما جاء في حديث سلمة بن صخر الأنصاري رضي الله عنه حيث أنه ظاهر من امرأته في شهر رمضان ثم إنه وقع عليها، فلما جاء إلى النبي ﷺ وأخبره بخبره قال له : أنت بذاك ؟ قال قلت : أنا بذاك . قال : أنت بذاك ؟ قال قلت : أنا بذاك . قال : أنت بذاك ؟ قال قلت : أنا بذاك ، وما أنذا فأمض في حكم الله فإنني صابر لذلك ... الحديث «(١)

فواضح من الحديث ثبات سلامة رضي الله عنه على الحق وصدقه في ذلك، مع أن الأمر في غير مصلحته، بل واضح استعداده وقبوله لحكم الله مهما كان، وصبره لذلك، فكان له الفرج على يد رسول الله ﷺ حيث أعانه في كفارته، فرجع بعد ذلك إلى قومه وقال لهم : (وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة)

ولعل هذه النماذج كافية في الدلالة على المقصود، وبيان أهمية العزة التي تتفق مع التواضع، وضرورة الثبات الذي لا ينافي التدرج، وعلى المحاور أن يشعر بقيمة هذا الأدب، ويراعي ذلك المبدأ بحكمة واتزان.

١ - أخرجه أبو داود: الطلاق (٢/٢٧٢)، الترمذي وحسنه: التفسير (٥/٤٠٥) رقم ٣٢٩٩، أحمد (٤/٣٧) وحسنه الأرناؤوط في جامع الأصول برقم (٥٨٢١) ج ٧ ص ٦٥٠

المبحث الثامن : حسن الإستماع

لابد للمحاور الناجح أن يتقن فن الإستماع، فكما أن للكلام فناً وأدباً، فكذلك للإستماع مثله، والمتحدث البارع مستمع بارع ، والإهتمام بكلام الطرف الآخر وحسن الإنصات إليه، مفتاح لقلب الخصم، ودليل على الصدق في طلب الحق والحرص عل اظهاره واتباعه، ولكل طرف في الحوار الحق في إبداء ما عنده من الآراء والأقوال والشبه، وليس الحوار من حق طرف واحد يستأثر فيه بالكلام دون محاوره، ففرق بين الحوار الذي فيه معنى النقاش وتبادل الآراء والتجاوب في الكلام وبين الإستماع إلى كلمة أو محاضرة أو نحوها . ولا ينبغي للمحاور أن يحصر همه فيما سيقوله هو لمستمعه، دون أن يلقي لكلام خصمه بالا، والناس يفضلون المستمع الجيد على المتكلم الجيد (١) . وفي الإستماع إلى الطرف الآخر نوع من التواضع، وإعطاء الأهمية لكلام الآخرين يطرد العجب بالنفس وأدعى إلى الإخلاص والتجرد، وفيه مراعاة للوقت ولإستيعاب الخصم للكلام، إذ إن المستمع لا يستطيع أن يركز في سماعه أكثر من ربع ساعة، وبعدها يكل ذهنه ويقل التركيز (٢) .

ومقاطعة كلام الطرف الآخر إضافة إلى ما فيه من سوء الأدب واحتقار الآخرين، فإنه طريق سريع لتنفير الخصم وانفضاضه وتقليل قيمة فاعله، ومن ابتلي بهذا الداء - داء مقاطعة الآخرين وعدم الإنصات إليهم - فكأنما طبق نصيحة كارينجي القائلة: (إذا كنت تريد أن ينفذ الناس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك، فهاك "الوصفة"؛ لاتعط أحدا فرصة الحديث . . . تكلم بغير انقطاع عن نفسك، وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث فلا تنتظر حتى يتم حديثه: إنه ليس ذكيا مثلك ولا أريبا، فلماذا تضيع وقتك في الإستماع إلى حديثه

١ - انظر اصول الحوار ص ٢٧

٢ - رسالة قل «انما اعظكم بواحدة» ص ٢٦-٢٧

السخيف؟! اقتحم عليه الحديث واعترضه في منتصف كلامه (١).

وقد قال الشاعر في الثناء على المستمع الجيد :-

من لی بإنسان إذا خاصمتہ

وإذا صبوت الى المدام شربت من اخلاقه وسكرت من أدابه

وتراه يصغى للحديث بسـمعـه وبقلبه ولعله أدري به!! (٢)

واضافة إلى ذلك فإن قطع الفكرة أو التشويش عليها يؤثر على تسلسل الأفكار

وترابطها(۳)، ویودی إلى اضطرابها ونسيان بعضها.

وقد ذكر العلماء في آداب المتناظرين : ألا يتعرض احدهما لكلام الآخر مخيفهم

مراده من كلامه تماما، وأن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه

ولا يقطع عليه كلامه من قبل أن يتمه (٤)

فلا يحسن الإستعجال فى قطع كلام الخصم أو مناقشته قبل فهم كلامه، بل

الواجب الإنصات وحسن السماع، فإن في ذلك فائدة للطرفين على السواء،

فأما المتكلم : فقد بغير الدليل، أو يزيد عليه بما يدفع الاعتراض، أو يحذف

فيه ما يوجب الخلل، أو يدلل على مقدمة نظرية ، أو ينبه على مقدمة خفية، فيسلم

من مناقشة الخصم، وأما المستمع أو الطرف الآخر فربما يخطيء بالإستعجال

فبظہر جہلہ، وقد بذكر المحاور بعد إقامة دليله ما يظهر به ما خفي على محاوره،

فكفبه مؤنة البحث والنقاش، وقد يؤدي استعجال البحث والمناقشة إلى فساد

الحوار وضياع الوقت(هـ)

١ - كيف تكسب الأصدقاء ص ٩٧

٢ - انظر اصول الحوار ص ٢٧

٣ - رسالة «قل إنما أعظمكم بواحدة» ص ٤٢

٤ - انظر آداب البحث والمناظرة للشنقيطي: (٧٦/٢)، اصول المعرفة والإستدلال للميداني:

ص ۳۸۳

هـ - انظر أداب الحوار والمناظرة د، على جريشة: ص ٦٩، بتصرف

وكيف يليق بالمحاور المسلم ألا يستمع للآخرين ولا يلقي لهم بالا، وربّه السميع البصير العليم بما في الصدور يستمع إلى أعدى الأعداء إبليس، ويترك له الفرصة في الكلام، بل في التهديد والوعيد، فسبحان الله العليم الحليم، القائل سبحانه في هذا الشأن.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَكُمْ صِرَاطَكُمْ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ . قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١).

هذا الحوار الذي تكرر ذكره في القرآن عدة مرات، والذي يظهر منه عناد إبليس وكبره وغروره، يبرز فيه إمهال الله وإنظاره للعين إبليس، وإنما أجابه تعالى إلى ما سأل لماله في ذلك من الحكمة والإرادة والمشئنة التي لاتخالف ولا تمنع ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب (٢)، فلما علم إبليس انه منظر بادى ربه - من خبثه - بشدة العداوة لربه ولآدم وذريته، فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣) (٤).

وحسن الاستماع يحتاج إلى تهيئة النفس للإنصات، والبعد عما يشغل أو يقلل التركيز، ولا بأس بأن يظهر المحاور تهيئته واستعداده وتقبله لكلام محاوره، وأن يتفاعل معه اثناء السماع، ويعطيه الفرصة الكافية لإبداء آرائه، ويمنحه فرصة السؤال والتثبت، وكل ذلك وغيره تمثل في أدب رسول الهدى ﷺ وهو يحاور

١ - الاعراف: ١١-١٨

٢ - تفسير ابن كثير: (٢/٢٠٤)

٣ - ص: ٨٢

٤ - تفسير السعدي (٤/٣٠٢)

ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم : أيكم محمد - والنبي ﷺ - متكىء بين ظهرانيهم فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكىء، فقال له الرجل : ابن عبد المطلب، فقال النبي ﷺ : قد أجبتك، فقال الرجل للنبي ﷺ : إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد على في نفسك، فقال : سل عما بدا لك، فقال : أسألك بربك ورب من قبلك، آله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : اللهم نعم، قال : أنشدك بالله، آله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة ؟ قال : اللهم نعم، قال : أنشدك بالله، آله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال اللهم نعم، قال : أنشدك بالله، آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنياءنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبي ﷺ : اللهم نعم، فقال الرجل : آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر (١)

فيلاحظ أن النبي ﷺ قد تهيأ للرجل، حتى قال له : «قد أجبتك: أي أسمعتك، والمراد إنشاء الإجابة» (٢).

ثم أعطاه مطلق الحرية في السؤال والاستفسار فقال له «سل ما بدا لك»، ثم أنصت إليه فعلاً، وأجابه على استئلته حتى انتهى، ثم انطلق مؤمناً ورسولاً مبلغاً من وراءه من قومه.

بل أعجب من ذلك: إنصاته ﷺ وحسن استماعه للمخالفين له، وصبره على كلامهم، مع أنه يظهر في بعضه الجهل والتعدي، أو سوء الأدب وعدم التقدير له، ولكن أخلاق النبوة تحول بينه وبين أي تصرف آخر غير حسن الإنصات والرد الجميل بعده.

١ - تقدم ذكره في المبحث الأول ن هذا الباب ص: ٩٣

٢ - انظر الفتح (١٥١/١)

ومن المواقف التي تبين هذا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضمادا قدم مكة، وكان من ازد شنوءة، وكان يرقى من هذا الريح(١)، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمدا مجنون. فقال : لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال فلقية فقال : يا محمد! إنني أرقى من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد، قال فقال : اعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات. قال فقال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء. فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء. ولقد بلغن ناعوس البحر(٢). قال فقال : هات يدك ابايعك على الإسلام. قال فبايعه. فقال رسول الله ﷺ «وعلى قومك» قال وعلى قومي. قال : فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئا ؟ فقال رجل من القوم : أصبت منهم مطهرة. فقال : ردوها. فإن هؤلاء قوم ضماد(٣)

فالنبي ﷺ يستمع إلى ضماد وهو يعرض عليه سفاهة أهل مكة وطعنهم فيه عليه السلام، ويحسن الإنصات فلا يسكته ولا يزعجه، ثم يرد عليه بكلمات لطيفة تفرع قلبه، فيقاطعه قبل أن يكمل، ويطلب إعادتها ثم يسلم رضي الله عنه وأرضاه. ومثل هذا بل وأعجب منه ما جاء في السير وبعض المسانيد من محاوراة عتبة بن ربيعة للنبي ﷺ وذلك أن عتبة، وكان سيذا ، قال يوما وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزدون ويكثرون.

١ - أي من الجنون ومس الجن (انظر تعليق على الحديث في صحيح مسلم: ٩٣/٢)

٢ - أي وسطه ولجته (انظر التعليق على الحديث في صحيح مسلم: ٩٣/٢)

٣ - أخرجه مسلم الجمعة ٩٣/٢ رقم ٤٦

فقالوا : بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. فقال رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا نراه لاتستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يدأوى منه.

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال : أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال : نعم، قال : فاسمع مني، قال: افعل فقال ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حَمْ، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ (١) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرأها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة، منها فسجد، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ماسمعت، فأنت وذاك (٢٠٠ الخ) (٢)

فهذا الحوار يظهر منه واضحا حسن انصات رسول الله ﷺ، وتهيئة نفسه لسماع خواطر مقززة من رجل كافر، مع ذلك يقول له (قل يا أبا الوليد)، ومقاله سفه وعرض رخيص، إلا أن النبي ﷺ يتلقاها حلما، ويستمع كريما،

١ - فصلت: ١-هـ

٢ - انظر تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون ص ٦٢-٦٣، والقصة أخرجها غير ابن اسحاق في السيرة: البغوي في التفسير (١٠٧/٦) في تفسير سورة فصلت، وقد ذكر بعض روايات ابن كثير في تفسيره (٩٠/٤-٩١) وقال عن رواية البغوي وهذا أشبه من سياق البزار وأبي يعلى، وذكر بعدها رواية ابن اسحاق هذه وقال (وهذا السياق أشبه من الذي قبله والله أعلم) والقصة مسند الألباني في كرم الخصال من ١١٢

وهو مطمئن هادئ ودود، لا يعجل عتبة عن إستكمال هذه الخواطر الصغيرة، حتى إذا انتهى قال في هدوء وثبات وسماحة (١) ليتأكد من فراغه : «أقد فرغت يا أبا الوليد» فهو صلى الله عليه وسلم يضرب لنا مثلاً في أدب الإستماع وحسن الإنصات، فلا يكفي أنه يستمع إلى رجل كافر معاند، وكلامه حمق وسفه بل يطلب منه أن يخرج كل ما في جعبته، كل ذلك بلطف وطيب كلام وسعة صدر، حتى يكنى عتبة (يا أبا الوليد) زيادة في أدبه وحسن خلقه وكريم شمائله .

ولعل قصص الأنبياء عليهم السلام حافلة بالأمثلة والنماذج لحسن استماع الرسل لأقوامهم، وإنصاتهم للشبه والإعتراضات، بل للسب والشتم والإعتداء في القول أحياناً - ومع ذلك يصبرون على سماع تلك الأقوال والكلمات النابية ويتلوها منهم الرد الجميل، أو الجواب المفحم بأدب لطيف، وكلام منزه عن السفاهة والشتائم، وذكر الأمثلة يطول جداً، ولكن أشير إلى بعض الأقوال الآثمة والشبه الباطلة التي استمعها الأنبياء من أقوامهم .

قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢)

وقوله أيضاً: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٣)

قوله تعالى عن قوم هود عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٤)

وقال أيضاً عنهم: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥)

١ - انظر الظلال : (٣١١٧/٥)

٢ - الاعراف: ٦٠

٣ - هود: ٢٧

٤ - الاعراف: ٦٦

٥ - هود: ٥٣

قوله تعالى في قوم شعيب عليه السلام ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ (١)
وقال فيهم ايضا ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ (٢)

وقال ايضا ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَوَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٣)
وقال سبحانه ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾ (٤)

ومن ذلك أقوال فرعون المتعددة في أمر موسى عليه السلام ومنها ماجاء في قوله تعالى ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٥)
وقوله تعالى ﴿قَالَ لَئِنْ اتَّخَذَتِ الْهَاءُ غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٦) وقوله ايضا ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (٧)

وقوله تعالى في قصة موسى ايضا : ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ. وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٨)

إلى غير ذلك من الأمثلة والشواهد التي تثبت حسن استماع الأنبياء عليهم السلام، وانصاتهم لتلك الترهات والضلالات، وضبط النفس اثناء عرضها، ثم ما يتلو ذلك من الرد المفحم اللطيف.

١ - الاعراف: ٨٨

٢ - الاعراف: ٩٠

٣ - هود: ٨٧

٤ - هود: ٩١

٥ - الشعراء: ٢٧

٦ - الشعراء: ٢٩

٧ - الشعراء: ٣٤

٨ - غافر: ٢٥-٢٦

ولابأس أن يستنصت المحاور من أمامه حتى يتم سماعهم جيدا، فعن جرير بن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ - في حجة الوداع: «استنصت الناس (١) ثم قال «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» (٢) وليس من الأدب عدم الإهتمام واللامبالاة بكلام المحاور، أو عدم الاكتراث برأيه، أو تعمد الانشغال عنه أثناء كلامه بل ينبغي أن يتكلف الصبر على استماع محاوره، ويتعمد اظهار الإهتمام بكلامه، فهذا أدعى للتفاهم بين الطرفين، وأقرب لنجاح الحوار، حتى وإن كان الكلام معروفا لدى السامع أو مكررا، فهذا عطاء بن أبي رباح علامة التابعين رحمه الله يقول: (إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنصت له كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد) (٣)

والإستماع إلى الطرف الآخر والعناية به وحسن الإنصات له إضافة إلى ما فيها من احترام وتقدير الآخرين، فإنها تشرح نفس الطرف الآخر، وتهينها لقبول الحق وتمهدا للرجوع عن الخطأ، ومهما كان الخصم معاندا فإنه إن وجد مستمعا طيبا هادئا لبقا لابد وأن يتأثر، فإن: (أشد الناس جفافا في الطبع وغلظة في القول لايمك إلا أن يلين إزاء مستمع صبور عطوف) مستمع يلوذ بالصمت إذا أخذ محدثه الغاضب، يصول ويجول كالحية الرقطاء وهو ينفث سمة هنا وهناك) (٤)

والمقصود أن حسن الإستماع، وإعطاء الفرصة للخصم في إبداء آرائه وعدم الإستئثار بالكلام دون الطرف الآخر، والصبر على ما قد يكون في كلام الخصم من إساءة أو تعريض أو نحوه، وعدم مقاطعته أو الانشغال عنه، كل ذلك من الأدب اللطيف، والخلق الجميل، الذي ينبغي أن يتصف به المحاور حتى يكون ناجحا.

وليعلم المحاور أن الإستئثار بالكلام والإطالة فيه - غالبا - مايدل على اعجاب المرء بنفسه، أو حب الشهرة والثناء، أو الغفلة عن تقدير الطرف الآخر من حيث العلم والوقت والموقف) (٥).

-
- ١ - أي مرهم بالإنصات: انظر رياض الصالحين ص ٣١٣
 - ٢ - أخرجه البخاري: العلم ١٢١، مسلم الإيمان (٨١/١) رقم ١١٨، ابوداود: السنة (٢٢٠/٤) رقم ٤٦٨٦، احمد (٨٥/٢)
 - ٣ - سير أعلام النبلاء: (٨٦/٥)
 - ٤ - كيف تكسب الأصدقاء: ص ٩٢
 - ٥ - أصول الحوار ص ٢٥

المبحث التاسع : المحبة رغم الخلاف

مادام أن الخلاف واقع لامحالة، ولا بد من وجوده وحصوله، فإذا كان هذا الخلاف بين مسلمين صادقين في طلب الحق، جادين في الوصول إلى نتيجة صحيحة، ثم كان خلافا في قضية جزئية، أو مسألة فرعية، فلا يجوز بحال من الأحوال أن يؤدي بهما مثل هذا النوع من الخلاف إلى شيء من التباغض والتنافر، أو التقاطع، والتهاجر، أو التشاحن والتدابير «لاتحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا» (١)

فأخوة الدين يجب أن تبقى فوق تلك الخلافات الجزئية، والمحبة في الله لا يجتمع معها شيء من هذه التصرفات التي يذكيها الشيطان، واختلاف وجهات النظر لا ينبغي أن تقطع حبل المودة، ومهما طالت المناظرة أو تعدد الحوار أو تكررت المناقشة، فلا يليق أن تؤثر على القلوب، أو تكرر الخواطر، أو تثير الضغائن والإحـن.

ولذلك فينبغي للمحاور المخلص أن يتجنب ذلك كله، وأن يحرص على ألا يتسلل إلى قلبه شيء من تلك الهنات، وعليه أن يخطب ود أخيه، وينتزع ما قد يكون تسلل إليه من غل أو حقد أو نحوهما بسبب الحوار والمناقشة، كما أنه يجب أن يكون متذكرا هذا الأمر جيدا - قبل وأثناء وبعد - الحوار والمناظرة، فلا يخرج من الحوار معلنا الخصومة على محاوره، أو موسعا الهوة بينه وبين إخوانه، مهما كلفه الأمر من اللين والتواضع وخفض الجناح، وعليه أن يتذكر القول المشهور : «اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية» (٢)

ثم لينظر كل محاور إلى تطبيق هذا القول، وإلى صفاء القلوب وطهارة النفوس، من خلال اختلافات السلف رضوان الله عليهم - والتي قد يصل بعضها إلى حد رفع السيف والقتال - مع بقاء أصل الأخوة الدينية، والمحبة الإسلامية والتعبير عنها بالكلمات المؤثرة، والمواقف الإيمانية الفذة.

١ - جزء من حديث أخرجه مسلم وغيره وتقدم في مبحث التواضع ص: ١٤١

٢ - انظر أصول الحوار ص: ٤٩

فهذان الخليفان الراشدان، أفضل رجلين في هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ مبشران بالجنة، ومقربان إلى رسول الله ﷺ ، ثم هما يختلفان في أمور كثيرة وقضايا متعددة، مع بقاء الألفة والمحبة، ودوام الأخوة والمودة، وذلك من آثار تربية النبوة، ويظهر ذلك من خلال بيان بعض المواقف والمسائل التي اختلفا فيها ، ثم من خلال النظر في ثناء كل منهما على صاحبه والثقة به والإقرار بمنزلته، فمن مواقف الخلاف بينهما :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : (كانت بين أبي بكر وعمر محاورة فأغضب أبوبكر عمر فأنصرف عنه عمر مغضبا، فأتبعه أبوبكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل، حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبوبكر إلى رسول الله ﷺ - قال أبو الدرداء: ونحن عنده - فقال رسول الله ﷺ : أما صاحبكم هذا فقد غامر، قالوندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر، قال أبو الدرداء : وغضب رسول الله ﷺ وجعل أبوبكر يقول : والله يارسول الله ، لأننا كنت أظلم فقال رسول الله ﷺ : «هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟» هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ إني قلت : يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت، وقال أبوبكر : صدقت» (١).

فهذا خلاف بين الخيفتين الراشدين - رضي الله عنهما - ولكنه لم يذهب بالمودة ولم يقطع حبل الأخوة بينهما، وقد جاء في حديث ابن عمر عند الطبراني في نحو هذه القصة : (أن النبي ﷺ قال لعمر : «يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل، فقال : والذي بعثك بالحق ما من مرة يسألني إلا وأنا أستغفر له، وما خلق الله من أحد أحب إليّ منه بعدك، فقال أبوبكر : وأنا والذي بعثك بالحق كذلك» (٢)

١ - تقدم تخريجه في الباب الأول ص ٥

٢ - انظر الفتح (٢٥/٧)

ومن الخلاف بينهما ما جاء في حديث ابن الزبير رضي الله عنه قال : «قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ ، فقال أبوبكر : أُمّر القعقاع بن معبد، وقال عمر : بل أُمّر الأقرع بن حابس» فقال أبوبكر ما أردت إلا خلافي، فقال عمر : ما أردت خلافاً، فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما، فنزل في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حتى انقضت الآية (١)

ومن الخلاف الذي كان بينهما، اختلافهما في وفاة رسول الله ﷺ، ثم في حرب المرتدين، ثم في جمع الصحف ونحوها (٢) وإن كانت مثل هذه الخلافات تنتهي بمجرد ورود النص فيها، أو بيان المصلحة منها.

وهناك اختلافات بينهما في مسائل فقهية أو نظرية، استمرت ودامت ولكنها لم تؤثر شيئاً في نفسيهما، ومن ذلك (اختلفا في سبي أهل الردة فرأى أبوبكر سبي نسائهم، ورأى عمر عكس ذلك، ولذلك فقد نقض عمر في خلافته حكم أبي بكر في هذه المسألة وردهن إلى أهليهن، لكنه لم ينشق على أبي بكر، فلكل اجتهاده في المسائل القابلة للإجتihad، واختلفا في قسمة الأراضي المفتوحة. فقسمت في عهد أبي بكر ولم تقسم في عهد عمر، وكذلك في أمر الخلافة فقد استخلف أبوبكر من بعده عندما مات ، وعمر لم يستخلف بل جعل الأمر شورى (٣)

مع هذا الخلاف وغيره بينهما إلا أن كلا منهما كان يحمل الحب والتقدير للآخر ويظهر ذلك من ثناء كل واحد منهما على صاحبه، فمن ذلك ما جاء في قصة الخلافة بعد الرسول ﷺ، وفيها (فقال أبوبكر: لا، ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أباعبيدة. فقال عمر : بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ،

١ - أخرجه البخاري برقم ٤٨٤٧، ٤٨٤٥ في كتاب التفسير وتقدم في الباب الأول

٢ - انظر تاريخ الطبري (٢/٢٣٢)

٣ - انظر أدب الخلاف لابن حميد ص ٢٠

فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس (١)

ومنه ما تقدم في المحاورة التي كانت بينهما وقال عمر للنبي ﷺ : والذي بعثك بالحق ما من مرة يسألني إلا وأنا استغفر له، وما خلق الله من أحد أحب إلي

منه بعدك. فقال أبوبكر ع وأنا والذي بعثك بالحق كذلك (٢)

وفي المقابل كم كانت ثقة أبي بكر بعمر رضي الله عنهما - وكيفي في ذلك أنه استخلفه من بعده ليكون إماما لأمة محمد ﷺ وقال لرعيته وهو في مرض موته :

(إني وليت أمركم خيركم في نفسي) (٣)

ولما قال له طلحة بن عبيد الله: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا بهم؟ وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيته.

فقال أبوبكر - وكان مضطجعا : أجلسوني، فأجلسوه، فقال لطلحة : أبالله تفرقني - أو أبالله تخوفني - إذا لقيت الله ربي فسألني قلت : استخلفت على أهلك

خير أهلك (٤)

إلى غير ذلك من الأقوال والمواقف، والتي تبين أنه رغم المحاورة والجدال والخلاف الذي وقع بين الصاحبين - رضوان الله عليهما - إلا أن المحبة بقيت، لم يشبها أي شائبة من غل أو حقد أو كدر.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما كان من خلاف بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما - في ميراث النبي ﷺ ، فعن عائشة رضي الله عنها : أن فاطمة عليها السلام

بنت النبي ﷺ - أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ، مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبوبكر: إن رسول

الله ﷺ قال : لانورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال،

١ - أخرجه البخاري: فضائل الصحابة ٤٣٦٨، الترمذي المناقب (٦٠٦/٥) رقم ٣٦٥٦

٢ - تقدم آنفا

٣ - انظر تاريخ الطبري (٣٥٣/٢)

٤ - تفس المصدر (٣٥٥/٢)

وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا. فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر. فلما توفيت دفنها زوجها علي -رضي الله عنه- ليلا ولم يؤذن بها أبابكر، وصلى عليها، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن اثنتا، ولا يأتنا أحد معك، كراهة لمحضر عمر، فقال عمر: لا والله، لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبوبكر وما عسيتهم أن يفعلوا بي؟ والله لآتينهم. فدخل عليهم أبوبكر. فتشهد علي فقال: إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله اليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبا، حتى فاضت عينا أبي بكر، فلما تكلم أبوبكر قال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فلم آل فيه عن الخير، ولم أترك أمرا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته. فقال علي لأبي بكر: موعذك العشية للبيعة، فلما صلى أبوبكر الظهر رقى على المنبر فتشهد، وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره الذي اعتذر إليه، ثم استغفر، وتشهد علي فعظم حق أبي بكر، وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكارا للذي فضله الله به، ولكننا نرى لنا في هذا الأمر نصيبا فاستبد علينا فوجدنا في أنفسنا غسرا بذلك المسلمون وقالوا أصبت. وكان المسلمون إلى علي قريبا حين راجع الأمر المعروف (١).

فهذا خلاف آخر بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما ولكن يظهر معه الاحترام والمحبة والإعتراف بالفضل، ولذلك قال القرطبي فيما نقله عنه ابن حجر - رحمهما الله - (من تأمل مدار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت منفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانا لكن الديانة ترد ذلك والله الموفق) (١)

ومن صور ذلك أيضا ما كان من خلاف - بل قتال - بين علي وعائشة رضي الله عنهما، ثم وبعد انتهاء القتال بينهما في وقعة الجمل : (راح علي - رضي الله عنه - إلي عائشة على بغلته، فلما انتهى إلى دار عبدالله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة، وجد النساء يبكين على عبدالله وعثمان ابني خلف مع عائشة، وصفية ابنة الحارث مخمرة تبكي، فلما رآته قالت : يا علي ، يا قاتل الأحبة، يا مفرق الجمع، أيتم الله بنيك منك، كما أيتمت ولد عبدالله منه، فلم يرد عليها شيئا، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسلم عليها وقعد عندها، وقال لها: جبهتنا صفية (٢)، أما إني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم، فلما خرج علي أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام، فكف بغلته وقال : أما لهممت وإشار إلى الأبواب من الدار - أن افتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه - وكان اناس من الجرحى قد لجؤوا إلى عائشة، فأخبر علي بمكانهم عندها، فتغافل عنهم - فسكتت، فخرج علي، فقال رجل من الأزد: والله لا تفلتنا هذه المرأة، فغضب وقال : صه! لا تهتكن سترا، ولا تدخلن دارا، ولا تهيجن امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسفهن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن، وإنهن لمشركات، وإن الرجل ليكافح المرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده، فلا يبلغني عن أحد عرض لامرأة فأنكل به شرار الناس. ومضى علي، فلحق به رجل، فقال يا أمير

١ - انظر الفتح (٤٩٥/٧)

٢ - أي استقبلتنا بما نكره (انظر الصحاح: ٢٢٣٠/٦)

المؤمنين، قام رجلان ممن لقيت على الباب، فتناولا من هو أمض لك شتيمة من صفية، قال : ويحك! لعلها عائشة. قال نعم، قام رجلان منهم على باب الدار فقال أحدهما:

جزيت عنا أمنا عقوقا

وقال الآخر : يا أمنا توبي فقد خطيت.

فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب، فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين، فقال : اضرب أعناقهما، ثم قال: لانهكنهما عقوبة. فضربهما مائة مائة، وأخرجهما من ثيابهما (١).

فهذا علي - رضي الله عنه - مع خلافه الذي بلغ حد القتال مع أم المؤمنين عائشة إلا أنه يغضب على من تناولها ويأمر بمعاقبته.

ولما أرادت عائشة رضي الله عنها الخروج من البصرة، جهزها علي بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهز يا محمد، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه، جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس فخرجت على الناس وودعوها: وودعتهم، وقالت : يا بني تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدين أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، وإنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وأنه عندي على معتبتي من الأخيار . وقال علي : يا أيها الناس: صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة. ثم شيعها علي أميالا وسرح بنيه معها يوما (٢).

فسبحان الذي شرف أولئك بصفاء القلوب ودوام المحبة - حتى في حال الاختلاف - وبالأدب الحسن والخلق الجميل، فعلي رضي الله عنه يثني على

١ - تاريخ الطبري (٣/٥٨)

٢ - نفس المصدر : ٣/٦٠-٦١ بتصرف يسير

عائشة رضي الله عنها وينهى عن إيذاؤها أو تناولها باللسان ثم يجهزها ويشيعها، وهي رضي الله عنها تثني عليه وتعترف بأنه من الأخيار، وتقل من شأن الخلاف الذي كان، حتى تجعله كالخلاف العادي البشري الذي يكون بين المرأة وأحمائها، ثم تنهى عن أن يعتدي أحد من أصحابها على أحد بشيء، فرضي الله عن الصحابة أجمعين.

وتبعا لذلك الخلاف فقد كان عمار بن ياسر في صف علي ضد عائشة رضي الله عنهم، ومع خلافه معها، يقول عمار لها فرغ القوم من الجمل: يا أم المؤمنين، ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك! قالت: أبو اليقظان! قال: نعم، قالت: والله أنك - ما علمت - قوال الحق، قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك(١).

وفي مرة ينال أحدهم من أم المؤمنين عائشة، بمحضر من عمار رضي الله عنهما - فيقول له عمار: اسكت مقبوحا منبوحا، أتؤذي محبوبية رسول الله ﷺ!! أشهد أنها زوجة رسول الله ﷺ في الجنة، لقد سارت أمنا عائشة رضي الله عنها مسيرها وإنا لنعلم أنها زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلانا بها. إياه نطيع أو إياها(٢).

فالخلاف بين عائشة وعمار رضي الله عنهما لا يمنعها من أن تنصفه وتثني عليه بما هو أهله، ولا يمنعه هو من أن يدافع عنها ويشهد بفضلها ويعترف بما فيها. وتبعا لذلك أيضا: يدخل عمران بن طلحة بن عبيد الله على علي رضي الله عنه - بعد ما فرغ من موقعة الجمل - وقد كان طلحة والد عمران ضد علي فيها - فيرحب علي بعمران ويدنيه ويقول: إني لأرجو أن يجعلني عوأك من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(٣)

١ - نفس المصدر: (٦١/٣)

٢ - انظر أدب الخلاف لابن حميد ص ٢٧

٣ - الحجر: ٤٧

ثم أخذ يسأله عن أهل بيت طلحة فردا فردا وعن غلمانه وأمهات أولاده: يا ابن أخي كيف فلان وكيف فلانة ؟ فيتعجب بعض الحاضرين من ذلك، فيقول رجلان منهم : الله اعدل من ذلك تقتلهم بالأمس وتكونوا إخوانا في الجنة؟ فيغضب علي رضي الله عنه ويقول لهما : فمن هو إذن إن لم أكن أنا وطلحة! ويسأل بعضهم عليا رضي الله عنه عن أهل الجمل: أمشركون هم ؟ فيقول من الشرك فروا قال : أمنافقون هم ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، قال فمن هم إذن؟ فيقول: إخواننا بغوا علينا(١)

فعلي رضي الله عنه يرى أنه وطلحة إخوة في الدنيا وفي الجنة، رغم الخلاف بينهما، بل يرى أن أهل الجنة الذين قاتلوه كلهم أخوة له، وهذا من عظيم شرفه رضي الله عنه.

ومن الخلاف المعلوم المشهور : ما كان بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - وبعد وفاة علي رضي الله عنه ، يدخل حمزة بن ضرار الكنانى على معاوية، فيقول معاوية : صف لي عليا، فقال له : أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال له : لا أعفيك . قال : أما إذ لا بد فإنه والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطلق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفيه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان والله كأحدنا يدنينا إذا أتينا، ويجيبنا إذا سألنا، وكان مع تقربه إلينا وقربه لنا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، يميل في محرابه قابضا على لحيتيه، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين،

فكأنني أسمعُه الآن وهو يقول : ياربنا ياربنا، يقول للدنيا: إلي تعرضت!! إلي تشوفت، هيهات هيهات، غري غري، قد بتتك ثلاثا، فعمرك قصير ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق، فوكفت دموع معاوية رضي الله عنه على لحيته لايملكها، وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء فقال معاوية: كذلك كان أبو الحسن رحمه الله كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال وجد من ذبح واحدها في حجرها، لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها(١) فلم يمنع معاوية رضي الله عنه - ذلك الخلاف الطويل مع علي رضي الله عنه، أن يبكي عليه ويعترف بمناقبه وفضائله ويترحم عليه.

ومما ينبغي أن يعلم في هذا المجال، أن من علامات وجود المحبة - رغم الخلاف - طهارة القلب وصفاء خاطر نحو المخالف وقبول معذرتة، وهذا ما كان من يوسف الصديق عليه السلام، حين عاداه إخوته وكادوا له، فلما ظهر عليهم وكشف أمرهم، واعترفوا بالخطأ، قبل معذرتهم واستغفر لهم، قال تعالى : ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۝ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٢) ٠٠ قال يونس الصديقي : مارأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة؟ قال الذهبي : هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون(٣)

ولعل في هذه الأمثلة كفاية في بيان المقصود، والدلالة على أن الخلاف في المسائل الفرعية، والقضايا الاجتهادية، والأمور الجزئية، مع محاور مسلم مخلص، لابد أن تضفي عليه المحبة، وتطغى فيه الأخوة، وتغلب فيه المودة، ولا بد أن يتذكر كل طرف من المتحاورين ضرورة المحافظة على هذا الأصل، وأهمية تنقية القلوب وتصفية الخواطر، قبل وبعد الحوار، وإلا كان الحوار فاشلا، إذ إنه يكون قد قضى على أصل عظيم، وحبل متين، وملأ القلب غلا وحقدا، وشحناء وبغضا، إضافة إلى عدم التوصل إلى رأي موحد في القضية المطروحة للحوار.

١ - انظر أدب الخلاف ص ٢٨-٢٩

٢ - يوسف: ٩١-٩٢

٣ - سير أعلام النبلاء (١٠/١٦)

المبحث العاشر : الهدؤ والثقة بالنفس

تقدم بحث طويل في الصبر والحلم وعدم الغضب، وحيث إن له علاقة بهذا المبحث، إن الهدؤ والسيطرة على النفس من مقتضيات الصبر، لذلك فسأختصر في هذا المبحث الذي أفردته هنا لأهميته في الحوار، وضرورته في المناقشات والمناظرات، مقتصرًا على قواعد وضوابط ووسائل مهمة في تحقيق هذا الأدب والوصول اليه، ومنها :-

١ - يجب أن توحى شخصية المحاور بالهدؤ والصفاء والتوازن، وقبل الدخول في الحوار عليه أن يتأكد من قدرته على قيادة نفسه وضبط أعصابه، إذ لا يمكن لمن لا يسيطر على نفسه أن يسيطر على الآخرين أو يخضعهم للحق الذي معه، مهما كان واثقا من صحة وصدق افكاره، فإنه إن لم يخضع نفسه ويملكها، تعذر عليه أن ينقل أفكاره إلى الغير

٢ - والهدؤ المطلوب هو الهدؤ الناجم عن قوة وإرادة، والذي يصحبه ترتيب للأفكار وحسن استماع للخصم، وفهم واستيعاب لكلامه وتمييز بين ما يمكن إقراره وما يجب رده، ومراقبته لتصرفات الطرف الآخر، وليس الهدؤ الصادر عن خمول وخور، وضعف وسوء فهم أو لا مبالاة، فإن هذا سلبية تعصف بالحوار، ووسيلة لفشل المحاور واندحاره وإن كان محقا.

٣ - على المحاور ألا يعرف الخوف والقلق، والذعر والإضطراب، وإذا وجد عنده شيء من ذلك لاشعوريا، فعليه أن يتقن اخفائه بمجرد الشعور به، وأن يسارع إلى حالته الطبيعية، واستعادة توازنه، ليوحي إلى خصمه بالثبات والقوة - خاصة - في حالة إذا كان المحاور يملك الحق البين، والخصم على باطل بين، ومع ذلك يعاند ويكابر ويماطل ويرفض الأدلة الواضحة والبراهين الثابتة، ويلقى بالشبه والأباطيل لزعة محاوره عن الحق.

وعندما يتجنب المحاور ردود الفعل العصبية، ويكبح جماح نفسه، ويستقبل الانتقادات بروح مرحة، ويتقبل الاعتراضات بصبر وتؤده، عندها يطمئن بهدوئه المؤيدون له، ويدفع عنهم القلق والفرع الذي قد تثيره شبهات الخصم وتشكيكاته وعندها يثبت لخصمه أنه صاحب إرادة قوية لا تتحول عن الحق ولا تزيغ عنه ولا تتنازل، كما أن ذلك الهدوء العميق يثير القلق لدى الخصم العنيد، ويشعره بالضعف والحبوط والفشل، ويحس بأنه أمام قوة لا تقهر، وأن آراءه وشبهه وتشكيكاته لا مكان لها ولا قيمة ولا وزن في مواجهة الحق الأكيد

٤ - وحتى يحافظ المحاور على هدوئه، عليه أن يحسن الاستماع ويتكلف الصمت والإنصات، إذ الثثرة تفقده الاحترام والثقة، وعليه أن يعتاد على مواجهة الشبه والاعتراضات وكأنها عادية.

أما سرعة الإنفعال والتوتر العصبي، والهيّاج والقلق، فتأثيرها سيء على ذهن المحاور ونفسيته، ولا يمكن تلافي نتائجها السلبية إذا صدرت عن المحاور أمام خصمه، وبالتالي لا يمكن استمرار الحوار ولا يتوقع نجاحه أو تحقيق مهمته وأهدافه إذا بدت تلك البوارد وظهرت تلك الأعراض

هـ - ولذلك فعلى المحاور ألا يرفع صوته أكثر مما يحتاج إليه السامع، ففي ذلك رعونة وإيذاء، ورفع الصوت لا يقوى حجة صاحبه قط، وفي أكثر الحالات يكون صاحب الصوت الأعلى قليل المضمون، ضعيف الحجة، يستر عجزه بالصراخ، على عكس صاحب صوت الهادئ الذي يعكس عقلا متزنا وفكرا منظما، وحجة وموضوعية.

ويضرب المثل في ذلك بالبحر إذ يقال «الماء العميق أهدأ» إذ تجد الصخب والضجيج على الشاطئ حيث الماء الضحل، ولا جواهر ولا درر، وتجد الهدوء والسكون لدى الماء الأعماق حيث نفائس البحر وكنوزه (١)

ومن هنا كان توجيه لقمان لابنه بغض الصوت وتقصيره (واقصِدْ في مَشْيِكَ
وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (١).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية [واعضض من صوتك : أي لاتبالغ في
الكلام ولا ترفع صوتك فيما لافائدة فيه ولهذا قال : إن أنكر الأصوات لصوت
الحمير، قال مجاهد وغير واحد إن اقبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من
رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى،
وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وزمه غاية الذم (٢)

ومثله قال الزمخشري : (فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير، وتمثيل
أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج
الاستعارة، وإن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا، مبالغة شديدة في الذم والتهجين،
وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة
الله بمكان (٣)

فتبين بذلك أن رفع الصوت سوء أدب، ولافائدة منه ولا مصلحة، ولايعد ميزة أو
منقبة، وإلا لما اختص بذلك الحمار (٤)، فهو مذموم غاية الذم، وكما قال سيد
قطب رحمه الله : -والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى
صدق الحديث وقوته، وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شاك
في قيمة قوله، أو قيمة شخصه، يحاول اخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة
والزعاق (٥).

والأمثلة والنماذج في بيان الهدؤ والاطمئنان وأثره على الحوار كثيرة، وقد
تقدم من قصص الأنبياء وصبرهم وحسن استماعهم، حتى عندما يكون الكلام
ضدهم، من شبهة غايتها التشكيك، أو تهمة هدفها التنفير، أو شتم وسفاهة

١ - لقمان: ١٩

٢ - تفسير ابن كثير (٤٤٦/٣)

٣ - الكشف (٢٣٤/٣)

٤ - انظر تفسير السعدي (١١٠/٤)

٥ - الظلال: (٢٧٩٠/٥)

دافعها التشفّي والانتقام، ثم مع ذلك نجد ثقة الأنبياء بأنفسهم بعد ثقتهم بربهم عز وجل، وتلمس السكينة والطمأنينة وبرودة الأعصاب وهدؤ البال، ولو خوطب غير الأنبياء بتلك الأقوال والحقاقت، لما طاق سماعها، ولما استطاع تحملها - إلا ماشاء الله - وإلا فمن يملك صبر نوح - عليه السلام في دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ولا يزدادون إلا بعدا وضلالا ﴿وَأَصْرُواْ﴾ و﴿أَسْتَكْبَرُواْ﴾ استكباراً (١) ولا يكتفون بإصرارهم على الكفر حتى يضيفوا إلى ذلك سوء الأدب منهم، والسخرية والإستهزاء بنبيهم واتهامه بالضلال والكذب حيث قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢) وقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٣)، فيتلقى ذلك برحابة صدر وهدؤ نفس ولايزيد في الرد عليهم على أن ينفي ذلك عنه ويبين لهم حقيقة رسالته: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤)، وقريب منه أمر هود عليه السلام إذ قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكََاذِبِينَ﴾ (٥) فيستقبل هذه الشتيمة القبيحة والتهمة الشنيعة، بثقة واطمئنان ويردها بأدب جم: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦) ومثل ذلك سائر الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، الذين كانوا قدوة في الأدب والهدؤ والثقة وحسن الاستماع، واللين والسماحة والرفق والبشاشة، حتى مع المخالفين لهم، وهذا رسول الله ﷺ يأتيه المنافقون - اعداء الله (فيجدون منه ﷺ) - أدبا رفيعا في الاستماع إلى الناس باقبال وسماحة، ويعاملهم بظاهرهم حسب اصول الشريعة، ويهش لهم

١ - نوح: ٧

٢ - الأعراف: ٦٠

٣ - هود: ٢٧

٤ - الأعراف: ٦١

٥ - الأعراف: ٦٦

٦ - الأعراف: ٦٧

ويفسح لهم من صدره، فيسمون هذا الأدب العظيم بغير اسمه، ويصفونه بغير حقيقته، ويقولون عن النبي ﷺ ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: سماع لكل قول، فيرد الله عليهم ﴿قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (١) فهو يستمع اليكم في أدب ولا يجبهكم بنفاقكم، ولا يرميكم بخدا عكم، ولا يأخذكم بريائكم (٢).

والخلاصة: أنه ينبغي أن يسود الحوار هدؤ وطمأنينة، وضبط للأعصاب، وبعد عن الانفجالات، (وعلى المحاور الحكيم أن يراقب نفسه، بنفس الدرجة من اليقظة والانتباه التي يراقب فيها الآخرين، وليتذكر دائما أنه بالقدر الذي يظهر فيه مسيطرا على نوازعه ولسانه وصوته وطريقته في الأداء، يفوز باحترام الآخرين، كما عليه إذا وجد خلا في شيء من زبر أن يعدل طريقته فورا، ويعتذر عن إساءته، ولا يستسلم لعاطفته أو لهواه فيتمادى في أخطائه وهذا من ألزم ما يلزمه كرجل ينشد الحق، ويبحث عن الصواب، ويريد الهداية للآخرين) (٣)

١ - التوبة: ٦١

٢ - انظر الظلال (٣/-١٦٧٠-١٦٧١)

٣ - اصول الحوار ص ٢٨

المبحث الحادي عشر : احترام الطرف الآخر

على المحاور أن يحترم الأطراف الأخرى التي يحاورها، مسلمة كانت أو غير مسلمة، ويمنحها حقها المتوجب لها من التقدير والتوقير، فنحن مأمورون أن ننزل الناس منازلهم، دون تملق أو نفاق أو كذب أو نحوه، فهذا يجعلنا أقدر على الإقناع، ويجعل فرصة استماع الآخرين لنا أفضل(١) .

فلا بد من التأدب مع الخصم وحفظ اللسان عما يسوءه من الألفاظ، وأن يثنى عليه بما فيه وفكرته من الإيجابيات والخير الكثير(٢)، وأن يتجنب الإستهزاء به والسخرية منه(٣)، وكل ما يشعر باحتقار المناظر وازدراؤه لصاحبه، أو وسمه بالجهل أو قلة الفهم، كالتبسم والضحك والغمز والهمز واللمز(٤)، وأن يتجنب كلام السفهاء، فإنه من وظائف الجهال يسترون بها جهلهم(٥)

قد تسبب كلمة طائشة أو تعبير قاس محقر، حقدا عميقا، بينما تخفف اللهجة المهذبة من قسوة الملاحظة وتجعلها مقبولة، والمحاور العاقل يحترم محاوره، حتى لو لم يكن راضيا عنه، إذ من المستحيل أن يكون الخصم مثاليا، كما أن إطلاق الشتائم لا تشرف من يطلقها، بل تخفض قيمته، وتقلل احترام الآخرين له، وتفتح في النفوس جرحا لا يندمل(٦)

ولعل فيما تقدم من ثنايا البحث أمثلة عديدة على هذا الأدب الجميل، فأول من اتصف به الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه - وها هي قصصهم ومحاوراتهم في القرآن والسنة، ولم يحفظ على أحد منهم كلمة قبيحة أورد سفيه سيء، أو عبارة تحمل شتيمة أو غمز أو همز أو لمز، كل ذلك رغم ما وجدوه وعانوه من

١ - ملخصا عن اصول الحوار ص ٣٩

٢ - رسالة «قل انما اعظكم بواحدة» ص ٤٧ بتصرف يسير

٣ - آداب البحث للشنقيطي: (٧٦/٢) بتصرف يسير

٤ - أصول المعرفة للميداني ص ٣٨٢

٥ - أدب الحوار لجريشة ص ٧٠

٦ - لمحات في فن القيادة ص ٨٤-٨٧

اقوامهم من اتهام لنواياهم والطعن في اعراضهم أو أخلاقهم أو عقولهم، فما زادهم ذلك إلا حلما وصبرا ، وثباتا و يقينا، فأى إحترام للكائن البشري فوق هذا التقدير والأدب والإحترام، ولا حاجة لإعادة نفس القصص والآيات التي تقدمت فيما يتعلق بالكلمة الطيبة وخلق الصبر والحلم، أو حسن الإستماع أو نحوها، وإنما المقصود الإشارة إلى هذا الخلق النبيل، وبيان اتصاف الأنبياء به، وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ الرفيق الحليم، الذي ما كان يزيده جهل الجاهل إلا حلما، فيأتيه أعرابي ويجبذه من رداءه ويغلظ له في القول، فيبتسم في وجهه ويعطيه ما يرضيه، بل يعرض له اليهود ويسبونونه بقولهم (السام عليكم) كناية عن الموت والهلاك فلا يزيد على أن يقول: وعليكم ولما تجاوزت عائشة هذه الكلمات عاتبها، ثم هو يستمع بأدب واحترام لعتبة بن ربيعة ولأحبار اليهود وسفهاء المشركين وغيزهم (١)

ولئن كانت هذه أخلاق النبوة، فأتباع الأنبياء من العلماء والمحدثين والفقهاء هم أولى الناس بتمثل هذه الآداب فقد كان التوقير والإحترام بينهم مشاعا، لا في وجوه بعضهم البعض فحسب، بل حتى في حال غياب الأقران عن بعضهم. ومن صور هذا التقدير والإحترام : ما أشار إليه الحافظ في الفتح نقلا عن القرطبي في بيان الفوائد من الحوار الذي دار بين أبي بكر وعلي في مسألة الميراث، حيث قال : (من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة والإعتذار، وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة^(٢) ومنها أن البراء بن مالك رضي الله عنه سئل عن مسألة فقال للسائل : سل زيد بن أرقم، فإنه خير مني وأعلم^(٣))

١ - تقدم ذكر هذه الأمثلة في عدة مباحث منها «الصبر» ،«حسن الإستماع» وغيرهما
 ٢ - الفتح: ٤٩٥/٧
 ٣ - انظر سير اعلام النبلاء (١٦٧/٣)

- ومنها أن أبا برزة الأسلمي كان يلبس الصوف، فقيل له : إن أخاك عائذ بن عمرو يلبس الخز، قال : ويحك! ومن مثل عائذ؟! فانصرف الرجل، فأخبر عائذا، فقال : ومن مثل أبي برزة ؟

قال الذهبي: (قلت هكذا كان العلماء يوقرون أقرانهم) (١)

وعن عبدالرحمن بن زيد بن اسلم قال : كان يحيى بن سعيد يجالس ربيعة [الرأي]، فإذا غاب ربيعة، حدثهم يحيى أحسن الحديث، وكان كثير الحديث فإذا حضر ربيعة كف يحيى إجلالا لربيعة، وليس ربيعة أسن منه، وهو فيما هو فيه، وكان كل واحد منهما مبجلا لصاحبه (٢).

فلا بد إذا من تقدير مخلص للخصم، وإظهار اهتمام بالآخرين، واحترام وتقدير وتقدير، وحتى في حالة الظهور والانتصار فإنه ينبغي للمحاور أن يدع الطرف الآخر يحتفظ بماء وجهه، فإنما المقصود بيان الحق وإزهاق الباطل، لاتعير الأشخاص أو إحراجهم وإذلالهم.

١ - سير اعلام النبلاء (٤٢/٣)

٢ - نفس المصدر (٩٢/٦)

المبحث الثاني عشر : الجرأة والغضب لنصرة الحق

تقدم أنه ينبغي للمحاور أن يكون رفيقا حليما، هينا لينا، يتسم بالصبر وعدم الغضب أو الإنفعال لكن قد يواجه أحيانا مواقف يستلزم فيها الغضب ولكن لنصرة الحق، وتستدعي منه قوة في الحق وصلابة وجرأة على مواجهة الخصوم وصراحة لا يخاف صاحبها في الله لومة لائم.

فعندما يعتدى على أصل من أصول الدين، أو يطعن في شيء من معالمه، أو ينال من حملته من الأنبياء أو الصحابة أو العلماء السائرين على نهجهم، أو عندما تتعمد مخالفة الحق بعد العلم به، أو نحوا من هذه الحالات، فإنه يجدر بالمحاور عندئذ أن يتجرأ في نصرة الحق، ويغضب لانتهاك محارم الله، وعليه أن يصبر بعد ذلك ويتحمل نتيجة تلك الجرأة والقوة، فقد يؤدي بسببها أو يبتلى ولكن له سلف في الأشياء والأتقياء والصلحاء والعلماء، وقد تقدم قول عائشة عن النبي ﷺ : «فإن انتهكت حرمة الله كان أشد الناس غضبا لله» (١)

وامثلة هذا النوع متعددة اذكر منها على سبيل المثال :

غضبه ﷺ حين طعن في أمانته وعدله، وذلك حين قسم غنائم حنين، فجاء رجل فقال: يا محمد اعدل. فقال ﷺ : «ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». وفي رواية أن الرجل قال : اتق الله يا محمد! فقال النبي ﷺ : «فمن يطع الله إن عصيته! يأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني» (٢) الحديث.

ولما بلغه ﷺ عن أبي ذر أنه سب رجلا فغيره بأمه، قال له النبي ﷺ : «يا أباذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية» (٣)

ففي هذين الموقفين غضب لنصرة الحق وجرأة لقوله.

وأمام تحجر قوم إبراهيم عليه السلام لم يملك نفسه - وهو الأواه الحليم - إلا أن يهزمهم بعنف، ويعلن عداوته لهم ولاصنامهم وعقيدتهم الفاسدة (٤)،

١ - تقدم في مبحث «الصبر» ص ١٦٠

٢ - تقدم في مبحث الصبر

٣ - أخرجه البخاري «الإيمان» ٣٠، مسلم الإيمان (١٢٨٢/٣) رقم ٣٨، أحمد ١٦١/٥

٤ - انظر الظلال (٢٦٠٢/٥)

فهو يقول لهم تارة ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) وتارة يقول ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَدُّهُ﴾ (٢)

ويمكن أن يكون من هذا الباب جرأة مريم البتول، حين أخبرها الرسول بما يחדش سمع الفتاة الخجول، وهو أنه يريد أن يهب لها غلاما، وهي امرأة عذراء، فتدركها شجاعة الأنثى المهددة في عرضها، وجرأة وصراحة من كان في مثل موقفها، فالحياء هنا والسكوت لا يجدي، والصراحة أولى (٣)، فتقول ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (٤).

ومن هذا الباب أيضا غضب ابن عمر رضي الله عنه نصرته لسنة النبي ﷺ فقد حدث بما سمعه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها» فقال رجل: والله لنمنعهن. فأقبل عليه ابن عمر: فسبه سبا سيئا، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن (٥).

ومن ذلك جرأة أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مع مروان ابن الحكم في صلاة العيد، حيث كان مروان يجره نحو المنبر ليبدأ بالخطبة، وكان هو يجره نحو الصلاة، فلما رأى ذلك قال رضي الله عنه: أين الابتداء بالصلاة؟ فقال مروان يا أبا سعيد قد ترك ماتعلم. فقال: كلا والذي نفسي بيده! لا تأتون بخير مما أعلم (ثلاث مرات ثم انصرف) (٦).

وفي الترمذي في باب اشعار البدن، أن وكيعا قال لرجل ممن ينظر في الرأي: أشعر رسول الله ﷺ ويقول أبو حنيفة: هو مثله؟ فقال الرجل: فإنه روي عن إبراهيم النخعي أنه قال: الاشعار مثله. فغضب وكيع غضبا شديدا وقال: أقول لك: قال رسول الله ﷺ وتقول: قال إبراهيم؟ ما أحقك بأن تحبس، ثم لا تخرج حتى تنزع عن قولك هذا (٧).

١ - الشعراء: ٧٥-٧٧

٢ - الممتحنة: ٤

٣ - الظلال: (٢٣٠٦/٤) بتصرف

٤ - مريم: ٢٠

٥ - أخرجه مسلم: الصلاة (٣٢٧/١) رقم ١٣٥، أبو داود: الصلاة (١٥٢/١) رقم ٥٦٨، ابن ماجه: المقدمة (٨/١) رقم ١٦، احمد (٤٣/٢)

٦ - أخرجه مسلم العيدين (٦٠٥/٢) رقم ٩

٧ - سنن الترمذي: ٩١٤ باب الحج

ومن ذلك ايضا ما يوجب به الإمام البخاري بقوله : (باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى مايكرهه) (١)، وذكر فيه حديث الرجل الذي قال: يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما روى النبي ﷺ في موعظة أشد غضبا من يومئذ فقال : «أيها الناس إنكم منقرون، فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة» (٢).

ومنه حديث الرجل الذي سأل عن اللقطة فقال : أعرف وكاءها أو قال : وعاءها وعفاصها، ثم عرفها سنة ثم استمتع بها، فإن جاء ربها فأدأها اليه قال : فضالة الإبل؟ فغضب حتى أحمرت وجنتاه - أو قال: احمر وجهه - فقال : «ومالك ولها» ؟ (الحديث) (٣). ولعل السبب في غضبه في الحديث لأنه كان نهى قبل ذلك عن تطويل الصلاة وعن التقاط ضالة الإبل، وقيل في الثاني لأن السائل قصر في فهمه، فقام ما يتعين التقاطه على مالا يتعين (٤).

وحديث أن النبي ﷺ سئل عن أشياء كرهها، فلما أكثر عليه غضب.. فلما رأى عمر ما في وجهه قال يا رسول الله إنا نتوب إلى الله عز وجل (٥). وقد ذكر الحافظ رحمه الله بعد هذه الأحاديث أن الواعظ من شأنه أن يكون في صورة الغضبان لأن مقامه يقتضي تكلف الإنزعاج لأنه في صورة منذر، وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم ونحوه، لأنه قد يكون أدعى للقبول منه، وليس ذلك لازما في حق كل أحد بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين (٦).

١ - انظر الفتح (١٨٦/١)

٢ - أخرجه البخاري : العلم رقم ٩٠، مسلم الصلاة (٣٤٠/١) رقم ١٨٢، الترمذي : الصلاة (٤٦١/١) رقم ٢٣٦، النسائي : الامامة (٩٤/٢) رقم ٨٢٣، أحمد (١١٨/٤)

٣ - أخرجه البخاري : العلم رقم ٩١، مسلم اللقطة (١٣٤٦/٣) رقم ١، الترمذي الأحكام (٦٤٦/٣) رقم ١٣٧٢، أحمد (١٦٦/٤)

٤ - انظر الفتح (١٨٧/١)

٥ - أخرجه البخاري : العلم رقم ٩٢ (باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى مايكرهه)

٦ - انظر الفتح (١٨٧/١)

ومن المواضع التي غضب فيها رسول الله ﷺ ، حين قال اليهودي : لا، والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، فلطمه الأنصاري، فلما اشتكى إلى النبي عليه السلام غضب رسول الله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه، ثم قال : «لا تفضلوا بين أنبياء الله ١٠٠ الحديث» (١)

ومن المواطن التي غضب فيها رسول الله ﷺ لما سترت عائشة رضي الله عنها سهوة لها بقرام فيه تماثيل: فلما قدم فرآه عرفت الكراهية في وجهه، فهتكه وتلون وجهه وقال : «يا عائشة أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاھون بخلق الله» (٢). وكذا غضبه عليه السلام حين كلمه أسامة ابن زيد رضي الله عنه في أمر المرأة المخزومية التي سرقت، فقال ﷺ : «أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال : يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (٣).

وغير ذلك من النماذج والحالات التي يشرع فيها الغضب، ويستحسن فيها الحزم، ولذلك قال الزمخشري بعد كلامه عن الصبر والعفو : لثم الأمر قد ينعكس في بعض الأحوال، فيرجع ترك العفو مندوبا إليه، وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع مادة الأذى، وعن النبي ﷺ ما يدل عليه : وهو أن زينب اسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة : دونك فانتهري» (٤) (٥)

إلى غير ذلك من أمثلة هذا وشواهد، وقد تبين من خلال ذلك أن الجراءة في الحق، والغضب متى انتهكت المحارم أو اعتدي على الشريعة، مطلب لا يتنافى مع آداب الحوار التي تقدمت، بل لكل موقف ما يناسبه من الحقوق والآداب.

-
- ١ - أخرجه البخاري: الأنبياء رقم ٣٤١٤، مسلم الفضائل (١٨٤٣/٤) رقم ١٥٩
 - ٢ - أخرجه البخاري اللباس رقم ٥٩٥٤، مسلم اللباس (١٦٦٦/٣) رقم ٨٧
 - ٣ - أخرجه البخاري: ٦٧٨٨ كتاب الحدود، مسلم: الحدود، الترمذي الحدود (٣٧/٤) رقم ١٤٣، النسائي: قطع السارق (٧٣/٨) رقم ٤٨٩٨، ابن ماجه (٨٥١/٢) رقم ٢٥٤٧
 - ٤ - الحديث أخرجه ابن ماجه: النكاح (٦٣٧/١) رقم ١٩٨١، احمد (٩٣/٦) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: هذا اسناد صحيح على شرط مسلم (١١٨/١)
 - ٥ - انظر الكشف: (٤٧٣/٣)

الباب الثالث
«آداب الحوار العلمية»

الباب الثالث : آداب الحوار العلمية

وأعني بها الآداب التي تتعلق بمادة الحوار الأصلية، وموضوعاته الأساسية، والضوابط والأصول العلمية، من حيث إيراد المعلومات وترتيبها وتقريرها وأوردها، وما يتعلق بذلك من أسس يجب اتباعها أو محاذير يجب اجتنابها حتى ينضبط الحوار ويحقق نتيجته.

وأجمل ذكر هذه الآداب أولاً ثم أبدأ في تفصيلها على الترتيب:

- ١ - العلم .
 - ٢ - البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الاتفاق .
 - ٣ - التدرج والبدء بالأهم .
 - ٤ - الدليل .
 - ٥ - الوضوح والبيان .
 - ٦ - الصدق والأمانة .
 - ٧ - التثبت .
 - ٨ - الرد على الشبه بما يناسبها .
 - ٩ - ضرب الأمثلة .
 - ١٠ - العدول عن الإجابة باستخدام المعارض وأسلوب الحكيم .
 - ١١ - تأكيد القضية وتقريرها .
 - ١٢ - الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ .
 - ١٣ - الاحتمالات .
 - ١٤ - التحدي والإفحام وإقامة الحجة على الخصم .
- وسأجعل كل أدب منها مبحثاً مستقلاً، على ما تقدم في الباب السابق، والله الموفق .

المبحث الأول: العلم (١)

مما لا شك فيه أن العلم شرط أساسي لنجاح الحوار وتحقيق غايته، وبدونه لا ينجح حوار ولا تستقيم مناظرة، بل يكن الضرر أكبر من النفع، ويهدر الوقت ويضيع الجهد بلا ثمرة تذكر.

والعلم المقصود هنا والذي يشترط في المحاور، ليس مطلق العلم بتفاصيل الأمور وأنواع العلوم ومختلف الفنون، كلا، بل هو العلم المتعلق بموضوع الحوار والذي لا يتم إلا به، والذي الجهل به يطعن في أهلية المحاور ويضعف الحوار أو يهوي به في هاوية من الجهل والتخبط.

ومن أنواع العلم المطلوب توفرها فيمن يحاور في أي قضية ما يلي :

١ - العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وجمع النصوص منهما في القضية المطروحة للنقاش والمسألة التي حولها الخلاف، إذ لا يمكن أن يستقيم حوار في قضية جاءت فيها النصوص ودلت عليها الأدلة - بدون أن تعلم وتجمع هذه النصوص، فقد يكون الحوار - بدون علم - في قضية محسومة وفي حكم منتهي بنص صريح في الكتاب والسنة، ولا مجال للنقاش أو الجدل فيها أصلاً، بل عندها يكون الحوار باطلاً من أصله، لكن إن كان الحوار في موضوع ليس فيه نص قاطع، بل هو محل للإجتهد ويقبل الخلاف فيه، فعندئذ لا بد من العلم بأصول الإجتهد وضوابط الاستنباط والقواعد التي يبنى عليها الإجتهد والخلاف، حتى يتوصل بها إلى الحكم الصحيح والرأي الراجح.

٢ - العلم بما ينقض الرأي المخالف للصواب، ومعرفة الردود والأجوبة القوية التي يمكن أن تواجه بها الشبهات والاعتراضات التي يثيرها الخصم، ولا يكفي في الحوار - الذي يقصد به اقناع الطرف الآخر برأي معين أو قطع حجته والقضاء على شبهاته، وارجاعه إلى الحق - لا يكفي فيه مجرد معرفة أدلة الرأي الراجح دون معرفة الجواب على أدلة الرأي المرجوح أو المعارض، وبدون العلم بالرد الواضح والجواب البين على الرأي المخالف، فقد يتعرض المحاور إلى الشك فيما عنده أو التردد والتراجع عن شيء من الحق، أو قد تتعرض أدلته إلى الإحتمال وتطراً عليها الشبه فيسقط الاستدلال بها أو يضعف.

١ - تقدم شيء من الكلام عن العلم في ذكر شروط المحاور كما في الباب الأول.

ولا ينتهي الحوار إلى غايته المطلوبة ونتيجته المرجوة.

٣ - العلم بالطرف الآخر من حيث منزلته ومقدار علمه ومعرفة ظروفه وأحواله، فلا بد من (أن يكون المتحاوران متقاربين - ما أمكن - في العلم والجاه، وأن يجتنب ذا هيبة يخشى أو يستحي من مناظرته لأن ذلك يؤثر على قوة الحجة والجرأة على الإدلاء بها) (١).

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في ذكر آداب المتناظرين : (ومنها أن يتجنب المناظرة مع من هو أهل المهابة العظيمة والإحترام العظيم، كيلا تدهشه وتذهله جلاله خصمه عن القيام بحجته كما ينبغي. ومنها ألا يحتسب خصمه حقيرا قليل الشأن لأن ذلك يؤديه إلى عدم الجد والاجتهاد في القيام بحجته فيكون ذلك سببا لغلبة الخصم الضعيف له، وغلبة القرن الحقير أشنع من غلبة القرن العظيم كما قال الشاعر :

ولو أني بليت بهاشمي خثولته — نو عبد المدان

لهان علي ما ألقى ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

وعن حاتم الطائي لما لطمته عجوز قبيحة قال : لو ذات سوار لطمتني (٢)

فلا بد من العلم التام والمعرفة الصحيحة بالخصم المقابل وقدره ومدى قوته أو ضعفه، ولا يكفي مجرد الظن في ذلك، إذ قد يظن خصمه حقيرا ضعيفا قليل الشأن، فهذا يقلل من اهتمامه، فيمكن خصمه الضعيف منه، وربما مع ذلك أن يتسلل إلى النفس شيء من العلو والغرور والتفاخر الذي يتنافى مع أدب الحوار، بل مع أخلاق الإسلام وتعاليمه، ولعل من هذا الباب ما جاء في قول النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : «إني سأتاتي قوما أهل كتاب» (٣) فبين له حقيقة خصمه.

١ - انظر رسالة «قل انما أعظكم بواحدة» ص ٤٦ وانظر أصول المعرفة والإستدلال ص ٣٨٢

٢ - آداب البحث والمناظرة للشنقيطي (٧٦/٢)

٣ - أخرجه البخاري ١٤٩٦ الزكاة، مسلم الإيمان (٥١/١) رقم ٣١

قال ابن حجر رحمه الله : (هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا يكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجاهل من عبدة الأوثان)(١).

وقد يظن المحاور خصمه أقوى منه بكثير، فعندها يتخاذل ويضعف عن تقديم حجته على الوجه المطلوب(٢).

كما أنه لابد من معرفة ظروف الطرف الآخر النفسية والجسدية وغيرها، ويراعي الجو المناسب للحوار - على ما تقدم في الباب السابق(٣) - ويبتعد عن الأحوال التي قد يكون الخصم فيها قلقا أو مضطربا أو منفعلا، إذ لافائدة من الحوار في مثل هذه الظروف.

٤ - العلم بآداب الحوار والبحث والمناظرة، ومراعاة هذه الآداب والحرص على تطبيقها، والسعي في التأدب بها على القدر المستطاع، إذ هي وسائل إلى نجاح الحوار، وطريق إلى استمراره بصورة متزنة صحيحة، دون أن يعصف به شيء مما يعكر جو الحوار أو يقطعه أو ينتهي به إلى غير فائدة ولا نتيجة، لذا كان من الضروري على المحاور أن يتعلم هذه الآداب ويحيط بها قبل الدخول في الحوار، وأن يراقب نفسه ويلاحظها في العمل بها.

ولما كان العلم هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق، وللتفكير السليم وإقامة الحجج والبراهين على هذا الحق، جاءت النصوص الكثيرة في الأمر به والحث عليه وبيان منزلة أهله وفضلهم، والإنكار على من لا يعلم، وارجاع الأمور إلى الحكيم العليم، ونحو ذلك حتى تكررت مادة (علم) في القرآن ما يقارب «سبعمائة وسبع وعشرين» مرة(٤)، ولاشك أن هذا العدد الهائل يدل على أهمية القضية ومكانتها في الشرع.

١ - الفتح (٣/٣٥٨)

٢ - انظر أصول المعرفة والإستدلال ص ٣٨٢ بتصرف

٣ - انظر مبحث «تهيئة الجو المناسب» من الباب السابق

٤ - انظر العجم المفهرس لالفاظ القرآن: ٤٦٩-٤٨٠

ومن هذه النصوص قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) والمعنى : لا يستوون (٢)

وقوله سبحانه : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (٣) كما وصف سبحانه العلماء بالخشية وبالفهم والمعرفة والعقل حيث قال : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٤)

وقال ايضا : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٥) أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه (٦)

والأحاديث في أمر العلم كثيرة جدا ويكفي في ذلك قول النبي ﷺ «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (٧)

قال الحافظ في شرحه : (ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حرم الخير... وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، وفضل التفقه في الدين على سائر العلوم) (٨) ومنها الحديث العظيم الذي يقول فيه النبي ﷺ : «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر

١ - الزمر: ٩

٢ - انظر الطبري (٢٣/٢٠٣)

٣ - المجادلة: ١١

٤ - فاطر: ٢٨

٥ - العنكبوت: ٤٣

٦ - ابن كثير: (٤١٤/٣)

٧ - أخرجه البخاري: العلم: ٧١، مسلم: الزكاة (٧١٨/٢) رقم ٩٨، الترمذي : العلم (٢٨/٥)

رقم ٢٦٤، ابن ماجه (٨/١) رقم ٢٢٠، أحمد (٣٠٦/١)

٨ - الفتحة: (١٦٥/١)

على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (١).

والنصوص كثيرة معلومة، ومما يهمننا منها ما جاء في الإنكار على من يجادل وينظر ويحاور بغير علم ولا هدى ولا بصيرة، كما قال تعالى في الإنكار على أهل الكتاب في محاجتهم بالباطل وبدون علم: ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

قال القرطبي رحمه الله : (في الآية دليل على المنع من الجدل لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده...)، وقد ورد الأمر بالجدال لمن علم وأيقن فقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣/٤).

ففي الآية انكار على كل من يحاج فيما لا علم له به (٥)، وفيها دليل على أنه لا يحل للإنسان أن يقول أو يجادل فيما لا علم له به (٦). ومثله الإنكار لذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (٧). ولذلك نهى سبحانه عن أن يتبع المسلم مالا علم له به، وأن يتدخل فيما لا يعنيه ولا يحسنه كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (٨). كما أنكر سبحانه وتعالى على الذين ادعوا أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى فقال لهم تعالى: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ (٩).

١ - أخرجه البخاري : العلم باب ١٠ معلقا، ابوداود: العلم (٣/٣١٦) رقم ٣٦٤١، الترمذي: العلم (٥/٤٨) رقم ٢٦٨٢، ابن ماجة المقدمة (١/٨١) رقم ٢٢٣

٢ - آل عمران: ٦٦

٣ - النحل: ١٢٥

٤ - الجامع لأحكام القرآن (٤/٧٠)

٥ - انظر ابن كثير (١/٣٨٢)

٦ - انظر تفسير السعدي (١/٢٥١)

٧ - الحج: ٨

٨ - الإسراء: ٣٦

٩ - البقرة: ١٤٠

وأنكر عز وجل على من تقول بغير علم وادعى أن له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فقال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَلَا تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

فمن خلال ذلك تبين أهمية العلم بالنسبة للمحاور وغيره، وأنه يجب على المحاور خاصة ألا يجادل أو يحاور في موضوع لايعرفه جيدا، ولايدافع عن فكرة لم يقتنع بها تماما، فإنه بذلك يسئ إلى الفكرة والقضية التي يدافع عنها، ويعرض نفسه للإحراج وعدم التقدير والإحترام (٢)، بل إذا علم من نفسه عدم الأهلية للحوار وقلة العلم بموضوعه فعليه ألا يدخل فيه أصلا.

لذلك على المحاور أن يتأكد من قدرته على خوض غمار الحوار والدخول في النقاش، وعليه أن يعد مادته إعدادا متقنا دقيقا، وعندها تسهل مهمته في الحوار ويصل إلى غايته بأسرع طريق.

وإذا كان المحاور على ثقة ويقين من علمه واخلاصه، ورأى أن في إظهار علمه والتصريح بأنه أعلم من خصمه، مصلحة ظاهرة فلا بأس بذلك، فإن له أسوة في هذا الأمر كما تبينه النماذج التالية:

قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣) وقول إبراهيم لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (٤)

١ - يونس: ٦٨

٢ - انظر أصول الحوار ص ٢٣

٣ - الاعراف: ٦٢

٤ - مريم: ٤٣

فهو العلم الذي جاءه من الله فهداه، ولو أنه أصغر من أبيه سنا وأقل تجربة، ولكن هذا المدد من الله، وذلك العلم من العليم الحكيم، فتح له باب الرحمة والهداية، وجعله أهلاً لأن يتبع فيهدي - بإذنه - إلى صراط مستقيم (١) .

ومثله قول شعيب ومن قبله نوح وصالح عليهم السلام ﴿قَالَ يَأْقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ (٢)

فهو يشعرهم بأنه على بينة من الله، وأنه على ثقة مما يقول لأنه أوتي من العلم ما لم يؤتوا، فهو يصدر عن هذه البينة واثقاً مستيقناً (٣)

وهناك عدة أمثلة أيضاً في قصة يوسف عليه السلام فمنها قول يعقوب لبنيه ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤)، وقول يوسف للملك ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٥) فهو يذكر من صفاته - الحفظ والعلم - ما تحتاج إليه المهمة التي تواجهه، والتي يرى أنه أقدر عليها وامكن (٦) .

وإذا تقررت هذه القضية فلا عجب أن يقول الهدد لسليمان عليه السلام: ﴿أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ (٧) فهو يبدأ بهذه المقدمة اللطيفة والمفاجأة، ليضمن إصغاء الملك له، وعفوه عنه (٨) .

ومن أمثلة في السنة ما جاء في قصة الخضر وقوله لموسى - عليهما السلام - يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه (٩) .

١ - انظر الظلال (٢٣١١/٤) وابن كثير (١٢٣/٣)

٢ - هود: ٨٨

٣ - انظر الظلال: (١٩٢٠/٤)

٤ - يوسف: ٨٦

٥ - يوسف: ٥٥

٦ - انظر الظلال (٢٠٠٥/٤)

٧ - النمل: ٢٢

٨ - انظر الظلال (٢٦٣٨/٥)

٩ - أخرجه البخاري: العلم: (١٢٢)، مسلم: الفضائل (١٨٤٧/٤) رقم ١٧٠، الترمذي:

التفسير (٣٠٩/٥) رقم ٣١٤٩، أحمد (١١٨/٥)

ومثله ما أخرجه البخاري عن أبي حازم قال : (سألوا سهل بن سعد من أي شيء المنبر ؟ فقال: ما بقي في الناس أعلم مني، هو من أثل الغابة، عمله فلان مولى فلانة لرسول الله ﷺ) (١)

فمن خلال الأمثلة يتبين أنه يمكن للمحاور أن يظهر علمه بتلك الصورة، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى الكبر والغرور ونحوهما، فإن هذه الأمراض القلبية تنافي الإخلاص ولا تستقيم مع العلم.

ولا ينبغي للمحاور ولا لغيره أن يجمع المعلومات أو يحشد الأدلة لمجرد تقوية رأيه، ولكن ينبغي أن يكون العلم الذي يستعمله في الحوار والنصوص التي يستخدمها، لمعرفة الحق والوصول إليه فقط، ومن أقوال وكيع بن الجراح - رحمه الله - : (من طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنة، ومن طلبه ليقوي به رأيه، فهو صاحب بدعة) (٢).

ويروى عن الشافعي رحمه الله - في بيان ضرورة العلم للحوار والمناظرة قوله : (ما ناظرت عالما إلا غلبته، ولا ناظرت جاهلاً إلا غلبني) (٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في التأكيد على ضرورة العلم لمن يتصدى للحوار والمناظرات ما نصه : (وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجا قويا من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة. وقد ينهى عنها إذا كان المناظر معاندا يظهر له الحق فلا يقبله - وهو السوفسطائي - فإن الأمم كلهم متفقون على أن المناظرة إذا انتهت إلى مقدمات بينة بنفسها ضرورية وجدها الخصم كان سوفسطائيا، ولم يؤمر بمناظرته بعد ذلك، بل إن كان فاسد العقل داووه، وإن كان عاجزا عن معرفة الحق - ولا مضرة فيه - تركوه، وإن كان مستحقا للعقاب عاقبوه مع القدرة: إما بالتعزير وإما بالقتل، وغالب الخلق لا ينقادون للحق إلا بالقهر).

١ - أخرجه البخاري: الصلاة ٣٧٧، أحمد (٣٣٠/٥)

٢ - سير أعلام النبلاء (١٤٤/٩)

والمقصود أنهم نهوا عن المناظرة من لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرته مصلحة راجحة، أو فيها مفسدة راجحة فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال. وأما جنس المناظرة بالحق فقد تكون واجبة تارة ومستحبة أخرى. وفي الجملة جنس المناظرة والمجادلة فيها محمود ومذموم، ومفسدة ومصلحة، وحق وباطل (١) هـ.

(فلا بد أن تنعقد العزائم على بلوغ أقصى المراتب في التحصيل العلمي، ولا شك أن أولي النهى يعلمون أن قلة العلم قد جرأت رجالا كثيرين على المراء الذي ينشئ الخلاف العقيم انشاء، ويؤجج نيرانه تأجيجا) (٢)
وحيث إن هذا الأدب - العلم من أهم الآداب، بل هو شرط أساسي للحوار، فما سيأتي من مباحث في هذا الباب تتعلق به، وبعضها توضيح له وفرع عنه، وزيادة بيان لأهميته، ولذلك فلا يحتاج إلى الإطالة في هذا المبحث حيث سيتم بما بعده إن شاء الله.

١ - درء تعارض العقل والنقل: (١٧٣/٧-١٧٤)

٢ - مجلة الفيصل: العدد ١٨٨ ص ٢٢ ملف العدد «الحوار» والكلام للدكتور عبدالله التركي.

المبحث الثاني : البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الاتفاق

لاشك أن بين كل اثنين مختلفين حدا مشتركا من النقاط المتفق عليها بينهما والتي يسلم بها الطرفان، والمحاور الذكي الناجح هو الذي يستطيع أن يبرز أكثر قدر ممكن من مواطن الاتفاق، إذ إن البدء بالأمور المتفق عليها كالمسلمات والبدهيّات - يقلل الفجوة، ويوثق الصلة بين الطرفين، ويشعر كلا منهما أن هوة الخلاف ضيقة، وهذا له أثره الإيجابي، ومردوده النفسي في الحوار

وعلى الخلاف منه فيما لو كان البدء بنقاط الخلاف، أو بمواضع النزاع فإن فجوة الخلاف تتسع، وتقل فرص التلاقي، كما أنه يغير القلوب ويكدر الخواطر، ويثير النفوس للتنافس في الغلبة ورد أقوال المحاور بدون النظر إلى صحة الفكرة، ونسيان الهدف الذي من أجله وجد الحوار.

إن المحاور الذي يبدأ بتقديم نقاط الاتفاق بينه وبين الطرف الآخر، إنما يبدأ في الحقيقة بكسب ثقته ويبني معه جسرا من التفاهم إلى الأمر محل الخلاف (١).

وإضافة إلى ما سبق فإن فائدة معرفة النقاط المشتركة تتلخص في أمرين:

أولهما : تحرير محل النزاع، وتحديد نقطة الخلاف وحجمه.

ثانيهما : التدرج وحسن ترتيب القضايا على بعضها.

فلا بد أن يكون الحوار حول مسألة محددة، فإن كثيرا من الحوارات يكون جدلا عقيما سائبا ليس له نقطة محددة ينتهي إليها، كما أنه ينبغي للمحاور أن يبني على الأسس والمسلمات المتفق عليها ويتدرج من خلالها إلى إقناع محاوره، ويحسن في الانتقال من القضية التي يقررها إلى أخرى تترتب عليها. ومن الشواهد على ذلك ما يلي:-

١ - ملخص بتصرف من رسالة «قل إنما أعظكم بواحدة» للجليل، ورسالة «أصول الحوار».

أسلوب القرآن في إثبات الوهية الله عز وجل ونفي ما عداه من الآلهة والإنكار على من اتخذ معه أو من دونه أندادا، وذلك بعد إثبات ربوبيته سبحانه وتعالى، والبدء بما يسلم به المشركون من الخلق والتدبير، ومن أمثلته: ما ذكره الله تعالى من خلقه للناس وعنايته بهم، ثم نهيهم بعد ذلك عن أن يجعلوا له ندا، حيث قال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

قال الطبري رحمه الله بعد ذكر الآية: (يعني بذلك أنه أنزل من السماء مطرا، فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض من زرعهم وغرسهم ثمرات رزقا لهم غذاء وأقواتا، فنبههم بذلك على قدرته وسلطانه وذكرهم به آلاءه لديهم، وأنه هو الذي خلقهم وهو الذي يرزقهم ويكفلهم دون من جعلوه له ندا وعدلا من الأوثان والآلهة، ثم زجرهم عن أن يجعلوا له ندا مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم، وأنه لا ند له ولا عدل، ولا لهم نافع ولا ضار ولا خالق ولا رازق سواه) (٢).

وقال سيد قطب رحمه الله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: تعلمون أنه خلقكم والذين من قبلكم، وتعلمون انه جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء، وأنه لم يكن له شريك يساعد ولا ند يعارض. فالشرك به بعد هذا العلم تصرف لا يليق (٣).

فواضح من خلال هذه الآيات أن الله عز وجل بدأهم بما يقرون به من الآلاء والنعم، وبما يعترفون به من أنه خالقهم ورازقهم ومدبر شؤونهم، وهي نقاط مشتركة وموضع اتفاق من الجميع ثم رتب عليها نهيهم عن اتخاذ الأنداد مع علمهم وإقرارهم بربوبيته، ومع إعترا فهم بتفضله وإحسانه.

١ - البقرة: ٢١-٢٢

٢ - الطبري: (١/١٦٣)

٣ - الظلال (١/٤٧)

ومما يصلح أن يكون شاهدا في حسن ترتيب القضايا على بعضها ماذهب اليه ابن كثير رحمه الله في كلامه عن مجادلة إبراهيم للنمرود في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

حيث قال - رحمه الله - ما نصه : ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابره: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحي وتميت، فالذي يحي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو من المشرق فإن كنت إليها كما تدعي تحي وتميت فأنت بها من المغرب ؟ إلى أن قال: وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من المنطقيين أن عدول إبراهيم عن المقام الأولى إلى المقام الثاني انتقال من دليل إلى أوضح منه، ومنهم من قد يطلق عبارة ترديه وليس كما قالوه بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني ، ويبين بطلان ما أدعاه نمرود في الأول والثاني ولله الحمد والمنة (٢).

فعلى هذا القول يكون إبراهيم عليه السلام قدرتب قضية التصرف في الوجود والإتيان بالشمس على قضية الإحياء والإماتة، وذلك حتى يقيم الحجة على خصمه ويبهته.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَمَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (٣).

١ - البقرة: ٢٥٨

٢ - تفسير ابن كثير: (٣١٣/١)

٣ - يونس: ٣١-٣٢

قال ابن كثير رحمه الله... (يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية الآلهة... إلى أن قال : وقوله ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الآية أي: فهذا الذي اعترفتُم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾)

أي فكل معبود سواه باطل لا إله إلا هو واحد لا شريك له، ﴿فَأَنى تَصْرَفُونَ﴾ أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء (١)، فكما هو ظاهر من الآيات أن الله عز وجل أقرهم برربوبيته واثبت أنه سبحانه حق باعترافهم. وهذه نقاط اتفاق - ثم رتب على ذلك ألوهيته وإبطال ما عداه من الآلهة والأرباب (٢).

وقريب من هذا: الأسئلة المتعددة التي أمر الله بتوجيهها للمشركين لتقريرهم بإجابتها المتفق عليها، في إثبات الربوبية ومن ثم الانتقال إلى إثبات الألوهية ونفي الولد والند والشريك حيث قال تعالى ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنى تُسْحَرُونَ. بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٣)

فبعد تلك الأسئلة المخرجة، تجيء هذه الاعترافات الواضحة والأجوبة الصادقة البينة التي لا يمكن العدول عنها أو إنكارها، ثم تأتي اللحظة المناسبة لتقرير حقيقة التوحيد وبطلان ما يدعونه لله من الولد والشريك، وفي اللحظة المناسبة بعد ذلك الجدل يجيء هذا التقرير ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ (٤).

١ - ابن كثير (٤١٦/٢)

٢ - انظر فتح القدير (٤٤٣/٢)، الظلال: (١٧٨٢/٣)

٣ - المؤمنون: ٨٤-٩١

٤ - بقر الظلال: (٢٤٧٨/٤)

ومن أدلة ذلك أيضا ما ذكره الله عز وجل في حوار إبراهيم لقومه حيث قال تعالى ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَافِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ﴾ ١٠ إلى قوله ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١)

فهذه الأسئلة من إبراهيم عليه السلام فيها تقريرهم بقضايا متفق عليها وهي بيان عجز الآلهة عن النفع والضرر، ومن ثم يرتب عليها بيان بطلانها وعدم صلاحيتها بل عداوتها وهجرها، وبيان المستحق الوحيد للعبادة وهو رب العالمين.

ومن شواهد ذلك أيضا ما جاء في حديث ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه في رواية الإمام مسلم عن أنس بن مالك قال : نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد: أتانا رسولك فزعم لنا أن الله أرسلك ؟ قال : صدق، قال : فمن خلق السماء ؟ قال : الله، قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله، قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : الله، قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، آله أرسلك ؟ قال : نعم... الحديث (٢)

قال النووي رحمه الله : (هذه جملة تدل على أنواع من العلم، قال صاحب التحرير. هذا من حسن سؤال هذا الرجل وملاحاة سياقته وترتيبه، فإنه سأل أولا عن صانع المخلوقات من هو، ثم أقسم عليه به أن يصدقه في كونه رسولا للصانع ثم لما وقف على رسالته وعلمها، أقسم عليه بحق مرسله وهذا ترتيب يفتر إلى عقل رصين، ثم إن هذه الأيمان جرت للتأكيد وتقرير الأمر لا لإفتقاره إليها، كما أقسم الله تعالى على أشياء كثيرة، هذا كلام صاحب التحرير (٣).

١ - الشعراء: ٦٩-٧٧

٢ - تقدم ذكره مرارا: انظر ص ٥٦

٣ - مسلم بشرح النووي: (١/١٧٥)

فهذا ضمام رضي الله عنه يسأل أسئلة معلومة الإجابة، ومحل اتفاق الجميع عليها ثم يرتب عليها أسئلة أخرى، حتى يصل إلى مقصوده .

ومثل ذلك أيضا حديث حجة الوداع من رواية عبدالرحمن بن أبي بكر، عن أبيه ذكر أن النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه قال : أي يوم هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه سوى اسمه . قال: أليس يوم النحر ؟ قلنا: بلى . إلى قوله ﷺ «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا» (١) الحديث (١)

قال النووي: هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظم حرمة هذا الشهر والبلد واليوم (٢)

وواضح من أسئلته ﷺ أنها واضحة الإجابة، وموضع اتفاق بين جميع السامعين، ولكن أراد أن ينتقل منها إلى أمر آخر وهو بيان حرمة المسلم فرتبها على تلك النقاط المشتركة والقضايا المتفق عليها .

ولعله من خلال النماذج السابقة تتبين أهمية البدء بالنقاط المشتركة ومواضع الاتفاق، لتوفير الوقت والجهد، ولتهيئة نفسية الخصم، ولترتيب القضايا على بعضها وتحرير محل النزاع، ولذلك ينبغي أن يحرص المحاور على أن يلقي على الطرف الآخر أسئلة يكون جوابها «نعم»، ويتجنب ما يكون جوابه النفي ، يقول أحد مفكري الغرب: (دع الطرف الآخر يوافق في البداية على الأسئلة التي تطرحها عليه ويجيب «بنعم» وحل ما استطعت بينه وبين «لا» لأن كلمة «لا» عقبة كؤود يصعب التغلب عليها فمتى قال أحد «لا» أوجبت عليه كبرياؤه أن يظل مناصرا لنفسه .

إن قول «لا» هو أكثر من مجرد التقوه بكلمة مكونة من حرفين إن كيانه بغدده وأعصابه وعضلاته، يتحفز ليناصره في اتجاهه إلى الرفض، بينما لا يكلف قول: «نعم» أي نشاط جسماني . ويقول أيضا: فالمتحدث اللبق هو الذي يحصل في مبدأ الأمر على أكبر عدد من الإجابات «بنعم» (٣) .

١ - تقدم تخريجه . انظر ص: ٩٥

٢ - شرح النووي (١٦٩/١١)

٣ - كيف تكسب الأصدقاء (١٥٣-١٥٤)

المبحث الثالث : التدرج والبدء بالأهم

إن المحاور العاقل الذكي هو الذي يصل إلى هدفه بأقرب طريق، فهو لا يضيع وقته في مالا فائدة منه ولا علاقة له بأصل موضوع الحوار، أو بمقدمات يظنها مهمة وهي ليست كذلك، فيضييق الوقت على الموضوع الأساسي، وربما لا يكمل نقاشه أو لا يعطى حقه ولا يخرج منه بنتيجة، ولذلك فإن معرفة الأهم والبدء به وتحديد بوضوح يسهل كثيراً من المهمة، ويختصر الطريق في الوصول إلى الحق، وهذا ليس معناه عدم تهيئة الجو المناسب للحوار، أو إهمال المقدمات الضرورية والتي لا بد من ذكرها، كلا وإنما المقصود التوازن في ذلك أولاً، ثم وبعد المقدمات والتهيئة، يختار أهم قضية في الموضوع للبدء بنقاشها ومن ثم الانتقال إلى غيرها وهكذا .

ولعل أوضح الأمثلة لذلك بدء الأنبياء - عليهم الصلوات والسلام - بأهم قضية واكبر غاية، بل هي أم القضايا وأساسها، ألا وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وعدم صرف شيء منها لغيره، وكذلك فقد كان كل نبي أول ما يبدأ بدعوة قومه يقول لهم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (١) قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام كلهم بدأ بنفس الكلمة وقالوا نفس اللفظة، وما ذاك إلا لأهميتها وكونها أصل ما يدعوا إليه الأنبياء وأهم ما جاؤا به .

ومثله بدء النبي ﷺ دعوته بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، خاصة في الحوار المذكور في سورة فصلت حيث قال المشركون كما ذكر الله عنهم ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ فكان الرد عليهم بتوضيح القضية وتبسيط المطلوب وإجلاء الأمر: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ (٢) الآيات .

١ - الاعراف: ٨٥، ٧٣، ٦٥، ٥٩

٢ - فصلت: ٦-٥

وهي نفسها القضية التي بدأ بها يوسف عليه السلام في دعوة السجناء قبل أن يعبر لهم رؤياهم، أو يسترسل معهم في حديث فقال ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَأَرَبَابٌ مَّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)

قال الشيخ السعدي رحمه الله في ذكر الفوائد من قصة يوسف عليه السلام :
(ومنها : أن يبدأ بالأهم فالأهم، وأنه إذا سئل المفتي، وكان السائل في حاجة أشد لغير ما سأل عنه، أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصيح المعلم وفطنته، وحسن إرشاده وتعليمه، فإن يوسف - لما سأله الفتيان عن الرؤيا - قدم لهما قبل تعبيرها - دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له (٢) . بل كان مما يأمر به النبي ﷺ عند إرساله للرسول وبعثه للكتب، أن يبدأوا بدعوة الناس إلى هذه القضية العظيمة والمبدأ الأصل، ومن ثم يتدرجوا منها إلى غيرها، فيبدأوا بالأهم فالأهم، فها هو ﷺ يبعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن فيقول له : إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا الصلاة فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس (٣)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله «بدأ بالأهم فالأهم، وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة» (٤)

١ - يوسف: ٣٩-٤٠

٢ - تفسير السعدي: (٤٤٨/٢)

٣ - أخرجه البخاري بهذا اللفظ: ١٤٥٨، ومسلم الإيمان: ٣٢ وقد تقدم في المبحث الأول من هذا

الباب

٤ - الفتح: (٣٥٩/٣)

وهذه القضية العظيمة - أعني الدعوة إلى توحيد الله وعبادته - هي الأمر الذي بدأ الله به كلامه لموسى عليه السلام قبل أن يرسله أو يأمره، كما في قوله تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى، فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١) ١٠٠ آيات.

حيث أُنشج ذلك بالكلام عن العصا ثم اليد ثم إرساله إلى فرعون، وعندما طلب موسى وزيراً من أهله هو هارون، ثم الكلام عن أم موسى ثم تكرار الإرسال بقوله ﴿إِذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٢) ٠ وتثبيتهما، الخ القصة.

والمقصود منها أن بداية الحوار الطويل، كانت بأهم قضية وأولاهها، ثم تلتها بقية القضايا وهكذا.

وهذا المبدأ هو الذي كان يربي العلماء طلابهم عليه، فيلقنهم مع العلم، التدرج فيه ومراعاة الأهم والبدء به، بل وترك غير المهم من فضول العلم والكلام وغيره، وهذا مثال لعالم رباني، يتضح من خلاله هذا الأدب وبصورة عملية (قال المزماني نقلت إن كان أحد يخرج ما في ضميري، وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصرت إليه، وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه، قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد فعلمت أن أحدا لا يعلم علمك، فما الذي عندك؟

فغضب، ثم قال : أتدري أين أنت ؟، قلت : نعم، قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون.

أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك ؟ قلت : لا ، قال : هل تكلم فيه الصحابة ؟ قلت : لا، قال : تدري كم نجما في السماء؟ قلت : لا، قال فغكوكب منها: تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خلق؟

قلت : لا، قال : فشئ تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟! ثم سألني عن مسألة في الموضوع. فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم أصب في شيء منه، فقال : شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات، تدع علمه، وتتكلف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝١٠﴾ (١) الآية، فاستدل بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم مالم يبلغه عقلك، قال: فتبت (٢)٠

إذا تقرر هذا الأدب - وهو البدء بالأهم - فقد يحتاج المحاور إلى أن يتدرج ويتنازل مع خصمه، ويسلم له ببعض الأمور تسليما جدليا مؤقتا، وذلك حتى يصل إلى القضية الأهم والمسألة الأم، أو لتقريب وجهات النظر بينهما، أو لزعة موقف الخصم المعاند، خاصة إذا كان الأمر المتنازل عنه أو المسلم به - جدليا -، مسألة شكلية أو جزئية، لاتمس أصل قضية الحوار، ولا تؤثر فيها بشكل واضح، أو كان في التسليم بها تدرجا إلى دليل قوي وحجة بيّنة، وكثيرا ما يكون هذا الأسلوب هو بداية النجاح للمحاور المحق، إذ إن الخصم المعاند - غالبا - ما يتمسك بجزئية تافهة أو حجة واهية، ويظن أنها القاصمة لخصمه، وأنه سيعلوا بها وينتصر، فيبني عليها جميع نقاط الحوار والنقاش، ويرجع إليها كل صغيرة وكبيرة، فإذا سلم له المحاور من بداية الطريق، تسليما مؤقتا، وأظهر موافقته التامة على شبهته - التي يظنها حجة دامغة - عندها يكون المحاور قد أحرق أهم ورقة لخصمه، وعندها يمكن للمحاور أن يجر خصمه إلى القضية الأهم ويلقي عليه من الحجج والبراهين ما تفحمه وتسقطه، إذ لا يملك جوابا ولا ردا لها، لأنه لم يحسب لها أي حساب أصلا.

وهناك عدة أمثلة ونماذج لهذا الأسلوب فمنها :

١ - البقرة: ١٦٣-١٦٤

٢ - سير أعلام النبلاء: (٣٢/١٠)

قصة إبراهيم عليه السلام والأسلوب الذي اتبعه مع قومه ليصل بهم إلى التوحيد وإبطال الشرك، حيث قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ (١) وهذا على وجه التنزل مع الخصم، أي هذا ربي - بزعمكم - فهل ننظر، هل يستحق الربوبية والعبادة؟ وهل هناك دليل على الوهيته؟ إذ لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلها بغير حجة ولا برهان (٢) ولذلك: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٣)

فبطلت إذا عبادة الكوكب، ثم فعل مثل ذلك لما رأى القمر ولما رأى الشمس، حتى وصل بهم إلى حد ابطال عبادة الشمس والقمر وسائر الكواكب، ولم يبق إلا أن يتبرأ مما يشرك به قومه، وأن يتوجه بالعبادة لخالقها الذي فطر السموات والأرض ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٤)

وهذا الأسلوب من الخليل عليه السلام، وقوله ﴿هذا ربي﴾ (قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه، لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجي من الشغب، ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة) (٥)

وهذا الذي استعمله إبراهيم عليه السلام هو التسليم الجدلي، فإبراهيم كان مناظرا لقومه، فقال ما قال تمهيدا للإنكار عليهم، فحكى مقالتهم أولا حكاية استدرجهم بها إلى سماع حجته على بطلانها، إذ أوهم أنه موافق عليها على زعمهم ثم كر عليه بالنقض، بانيا دليله على قاعدة الحس ونظر العقل (٦).

١ - الانعام: ٧٦

٢ - انظر تفسير السعدي: (٣٧/٢)

٣ - الانعام: ٧٦

٤ - الانعام: ٧٧-٧٩

٥ - انظر الكشاف: (٣١/٢)

٦ - مختصر تفسير المنار: (٤٩٤/٢)

ولعل من هذا الباب أيضا ومن التنازل الظاهري، والذي يقصد منه بيان الحق للخصم، والعدل والإنصاف معه، ما جاء في قوله تعالى في الحوار مع المشركين: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

قال ابن كثير: (أي واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لاسبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب (٢) (٢٠) ومن هذا مجازاة المعاند حتى يصل إلى الحقيقة (٣)، وكما في الآية بعدها: ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا أَجْرَمَنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤).

وقريب منه ما فعله النبي ﷺ مع كفرة قريش المعاندين، والمكذبين بالقرآن وبالتوراة حيث قال: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٥).

فهو يسير معهم خطوة في الإفحام والإحراج، ويتدرج بهم ليبين كذبهم وعنادهم، فكأنه يقول لهم: إن لم يكن يعجبكم القرآن، ولم تكن تعجبكم التوراة، فإن كان عندكم من كتب الله ما هو أهدى من القرآن والتوراة فأتوا به أتبعه (٦).

وهذا غاية في التنازل مع الخصم، وإلا فإن النبي عليه السلام - يعلم أن القرآن حق، والتوراة حق، وهما من كلام الله، لا يملك المشركون مثلها فضلا عن كتاب أهدى منهما، ولكنه التدرج بهم والتنازل معهم بقصد إثبات عجزهم وإفحامهم، وإثبات صدقه وصحة الكتاب الذي معه.

١ - سبأ: ٢٤

٢ - ابن كثير: (٥٣٨/٣) وانظر الكشاف: (٢٨٩/٣) والظلال: (٢٩٠/٥)

٣ - انظر أدب الحوار لجريشة ص ٦٧

٤ - سبأ: ٢٥

٥ - القصص: ٤٩

٦ - انظر الظلال: (٢٦٩٩/٥)

ويظهر مثل هذا الموقف في قصة يوسف التي تقدمت الإشارة إليها آنفاً، فيوسف عليه السلام الذي بدأ مع السجناء حواراً بالقضية الأهم - وهي الأمر بتوحيد الله وعبادته - يتدرج معهم فيها خطوة خطوة، ويعرضها بموضوعية، فيبدأ بسؤال مجرد يهز به فطرتهم ويوقظها: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١). وفي هذا السؤال جوابه، فلا شك أن الواحد القهار خير، وهو الذي يستحق العبادة وحده، ثم يخطو يوسف - عليه السلام - خطوة أخرى في تفنيد عقائد الجاهلية، وأوهامها الواهية فيقول: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ (٢). فتلك الآلهة والأرباب لا دليل على عبادتها ولا حجة لها ولا برهان، فلم يجعل الله لها سلطاناً، ولم ينزل بها من سلطان، ثم يضرب يوسف ضربته الأخيرة الحاسمة فيبين لمن ينبغي أن يكون السلطان، ولمن ينبغي أن يكون الحكم ولمن ينبغي أن تكون الطاعة... أي لمن ينبغي أن تكون العبادة فيقول: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

فقرر أخيراً أن الدين الصحيح القيم هو الذي لا يعبد فيه إلا الله وحده لا شريك له، وبذلك يصل إلى مراده من تقرير توحيد الله سبحانه (٤).

ولعل من هذا أيضاً ما تكرر على ألسنة الأنبياء عليهم السلام من طلبهم من أقوامهم أن يفترضوا - ولو مجرد افتراض - أن يكونوا مرسلين من عند الله، وأن يفترضوا أن معهم حجة وبينة، ولا شك في صدق الأنبياء وثقتهم في ربهم، ولكنه من باب التنزل مع الخصم لتقريب الأمر إليه وزعزعة موقفه، ومن الآيات في ذلك:

قوله نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (٥).

١ - يوسف: ٣٩

٢ - يوسف: ٤٠

٣ - يوسف: ٤٠

٤ - انظر الظلال: (٤/١٩٨٩-١٩٩١) بتصرف

٥ - هود: ٢٨

وقول صالح عليه السلام ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (١)

ومثلها قول شعيب عليه السلام ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُم إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُم عَنْهُ﴾ (٢) الآية.

قال الشوكاني رحمه الله: وهذه الأمور وإن كانت متحققة الوقوع، لكنها صدرت بكلمة الشك اعتباراً بحال المخاطبين، لأنهم في شك من ذلك (٣)، فكان الأنبياء يرجعون أمر صدقهم إلى أقوامهم، ويطرحون الموضوع للتفكير والرأي والنظر، وكأن النبي يقول لقومه: (فكروا في قلبي وأخبروني) (٤)، مع أن الأمر حق لامية فيه، وليس متروكا لعقول أولئك وآرائهم أصلاً.

ومثل ذلك ما قاله النبي ﷺ لقومه كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٥) يقول سيد قطب رحمه الله في تعليقه على الآية: وأمام هذه النفس العارية من كل رداء، المكشوفة من كل ستار، يسألهم: فماذا أنتم إذا صانعون إن كان هذا الذي تكذبون به من عند الله، وكان هذا الوعيد حقاً، وكنتم تعرضون أنفسكم لعاقبة التكذيب والشقاق: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (٦) إنه احتمال يستحق الإحتياط، فماذا أخذوا لأنفسهم من وسائل الإحتياط (٦)؟

١ - هود: ٦٣

٢ - هود: ٨٨

٣ - فتح القدير: (٥٠٨/٢)

٤ - انظر زبدة التفسير ص ٢٩٣

٥ - فصلت: ٥٢

٦ - الظلال: (٣١٣٠/٥) بتصرف يسير

ومثله مجاراة الأنبياء لأقوامهم وصولاً إلى تبيكتهم وإلزامهم (١) كما في قوله تعالى في حوار الأنبياء مع أقوامهم ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ﴾ (٢) (فكأن الرسل عليهم الصلاة والسلام قالوا في الرد على المنكرين لنبوتهم: ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لانكراه، ولكن دعواكم هذه لاتنتج عدم الرسالة، ولاتنافي أن يمن الله علينا بها) (٣).

وهذا التنازل مع الخصم تكرر في مواقف متعددة ذكرت في السنة فمناها على سبيل المثال:

ما جاء في قصة الحديبية - والحديث طويل - وإنما الشاهد منه: «فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب. فقال النبي ﷺ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فقال سهيل أما ﴿الرحمن﴾ فوالله ما أدري ما هي: ولكن أكتب بإسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لانكتبها إلا ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فقال النبي ﷺ أكتب: «بإسمك اللهم» ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم إنك رسول الله ماصدرك عن البيت ولا قاتلتك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب محمد بن عبد الله». قال الزهري: وذلك لقوله: لايسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها، فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به، فقال سهيل: والله لاتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لاياتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟... الخ» (٤).

١ - انظر أدب الحوار لجريشة ص ٦٨

٢ - إبراهيم: ١١

٣ - انظر مناهج الجدل ص ٨٣

٤ - أخرجه البخاري: الشروط: ٢٧٣١، أحمد: (٣٣٠/٤)

ولاشك أن في هذه القصة يظهر التنازل مع الخصم ومسايرته في أمور جزئية يسيرة، ولذلك ذكر ابن حجر رحمه الله من فوائد القصة: (جواز بعض المسامحة في أمر الدين، واحتمال الضيم فيه، ما لم يكن قادحا في أصله، إذا تعين ذلك طريقا للسلامة في الحال، والصالح في المال، سواء كان ذلك في حال ضعف المسلمين أو قوتهم) (١)

ومن هذا الباب ماورد في قصة الحبر اليهودي، التي حدث بها ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقال: (كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد! فدفعته دفعة كاد يصرع منها. فقال لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله! فقال اليهودي: إنما ندعوه بإسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي. الخ الحديث) (٢)

وفيه تواضع النبي ﷺ، وتنازله مع اليهودي في مسألة ندائه بصفة الرسالة «يا رسول الله» أو بإسمه «محمد» وذلك للوصول إلى أصل الموضوع الذي جاء اليهودي للجدال فيه، وهو السؤال عن بعض أمور الآخرة والقيامة وعن الولد ومن ثم تصديقه للنبي ﷺ فيما أخبره به.

ومن الأمثلة في ذلك ما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه قال: (استعمل على المدينة رجل من آل مروان. قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا. قال فأبى سهل. فقال له: أما إذ أبيت فقل: لعن الله أبا التراب. فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب. وإن كان ليفرح إذا دعي بها. فقال له: أخبرنا عن قصته. لم سمي أبا تراب؟ قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة، فلم يجد عليا في البيت. فقال: أين ابن عمك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء،

١ - الفتح: (٣٥٣/٥)

٢ - تقدم في الباب الثاني: (مبحث التواضع) انظر ص ١٣٤، وسيأتي بطوله ص ٤٣٠.

فغاضبني فخرج، فلم يقل عندي، فقال رسول الله ﷺ للإنسان انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد. فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «قم أبا التراب! قم أبا التراب!» (١).

ففي هذا الأسلوب الذي اتبعه سهل رضي الله عنه وهو التنازل لحجة الخصم الذي طلب منه لعن (أبا التراب) فذكر له - تنازلا معه -، ما كان من حب علي لهذه الكنية وفرحه بها، مما دعا خصمه إلى السؤال عن قصتها، فقصها عليه، وفيها عبرة له إذ تبين فضل علي رضي الله عنه، وتذكر أن الذي كناه بتلك الكنية هو رسول الله ﷺ، وفي هذا كفاية للرد على ذلك الخصم.

وبالجملة فالتنازل الجزئي المؤقت، والتسليم الجدلي، في أمر لا يقدح في أصل الموضوع، بل في أمر شكلي جزئي يسير، يفيد كثيرا في تقريب وجهات النظر، وفي زعزعة موقف المعاند، وفي الوصول إلى القضية الأهم.

كما أن عدم مراعاة الترتيب والتدرج في العلم والحوار والنقاش، يبعثر الجهد ويفقد التركيز : (فإن العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج (٢) وتعليم العلم بطريق الحوار وغيره يجب أن يكون بالتدرج، لأن الشيء إذا كان ابتداءؤه سهلا حبيب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالبا الازدياد بخلاف ضده (٣)

١ - أخرجه البخاري : الصلاة ٤٤١، مسلم : فضائل الصحابة (١٨٧٤/٤) رقم ٢٨

٢ - انظر إحياء علوم الدين: (١/٥٢)

٣ - انظر الفتح: (١/١٦٣)

المبحث الرابع : الدليل

إن أهم ما ينجح الحوار، وأول ما ينبغي استحضاره والعناية به، وهو من مقتضيات العلم - الذي هو شرط في الحوار - الدليل، فإن الإقناع لابد أن يكون بالحجة والبرهان لا بمجرد الكلام، والرد من غير دليل، بمنزلة هدم العلم بالشك المجرد، وسوق الحقائق المجردة أقل تأثيرا في النفوس من سوقها مدعمة بالشواهد المعتمدة، سواء من الكتاب أو السنة أو أقوال الأئمة والعلماء أو غيرهم .

ولابد من إثبات صحة الدليل وكما قيل : (إن كنت ناقلًا فالصحة، أو مدعيًا فالدليل) (١)، ولا يحسن بالمحاور أن يستدل بأدلة ضعيفة أو حجج واهية، فدليلان قويان لا يمكن الرد عليهما أفضل من سوقهما مع ثلاثة أدلة أخرى يمكن الأخذ والرد فيها، إذ ربما يستغلها الطرف الآخر فيضعف الفكرة ويسيء إلى موقف صاحبها بسبب الأدلة الضعيفة (٢).

ومتى وجد الدليل وثبتت صحته، فلا بد من صحة دلالة على المطلوب، وإلا لما كان له فائدة أو أثر في إيراده، ولابد أيضا من ترتيب الأدلة حسب قوتها وصراحتها في الدلالة على المقصود .

والكلام طويل فيما يتعلق بالدليل، ولذلك فسوف أقصر الكلام في النقاط الآتية :

١ - المبادرة بتقديم الدليل .

٢ - إيراد الأدلة القوية .

٣ - طلب الدليل، وقبوله .

٤ - الانتقال في الدليل، وإقفال المناقشة .

ولكل قضية منها أدلة وشواهد في الكتاب والسنة، بل كل منها يمكن أن تكون مبحثا مستقلا، ولكن من باب الاختصار وجمع الموضوع أكتفي بتفصيلها هنا تحت هذا المبحث العام الذي يجمعها تقريبا .

١ - الرد على المخالف: ص ٦٤

٢ - أصول الحوار ص ٣٨ بتصرف

أولا : المبادرة بتقديم الدليل

إن مما ينبغي أن يتميز به المحاور المسلم ألا يقرر مسألة أو يذكر فكرة، إلا وله عليها برهان واضح ودليل قوي، حتى يكون للحوار فائدة، ومنعا من إطالة الكلام في جدل عقيم أو أقوال لاتنتهي، مالم تجد حجة فاصلة يقدمها المحاور مثبتا بها كل كلمة يقولها، وكل قضية يطرحها، ولذلك فأمثلة هذا كثيرة جدا في سير الأنبياء والعلماء والدعاة الموقعين عن رب العالمين، إذ إنهم يدعون إلى أمور بينة وعلى بصيرة وعلم ويقين، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (١)، ومن الشواهد في ذلك :

تقديم الأنبياء عليهم السلام ومبادرتهم بطرح مامعهم من البينات والحجج والدلالات، فهذا صالح عليه السلام يبدأ دعوة قومه إلى توحيد الله مقدما معه البينة والبرهان، قال تعالى ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ (٢).

ومثله فعل شعيب عليه السلام إذ قال تعالى في قصته ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٣).

وكذلك فعل موسى وهارون عليهما السلام إذ أمرهما الله بأن يأتيا فرعون ويخبراه بأمر الرسالة والنبوة مع تقديم الحجة والبينة، قال تعالى ﴿فَأْتِيَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (٤)، وفي الآية الأخرى ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ (٥) وفي هذا احراج لفرعون أمام الملأ الذين استمعوا لقول موسى، ولو رفض الإصغاء إلى برهانه المبين لدل على خوفه من حجته، ومن ثم وجد نفسه مضطرا لأن يطلب الدليل الذي قدمه موسى وعرضه منذ البداية (٦).

١ - يوسف: ١٠٨

٢ - الاعراف: ٧٣

٣ - الاعراف: ٨٥

٤ - طه: ٤٧

٥ - الشعراء: ٣٠

٦ - انظر الظلال: (٢٥٩٣/٥)

ومن شواهد ذلك في السنة ما جاء في قصة استئذان أبي موسى على عمر رضي الله عنهما -: عن أبي سعيد الخدري قال : كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت : استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع» فقال : والله لتقيمن عليه بيعة، أمتكم أحد سمعه من النبي ﷺ ؟ فقال : أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمتم معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك (١).

فهذا أبو موسى رضي الله عنه يبادر بتقديم الدليل مع الإجابة، فيخبر عما عمله من أنه استأذن ثلاثا فلما لم يؤذن له رجع، ويأتي بالدليل على عمله هذا مما سمعه من رسول الله ﷺ.

ومثل ذلك ما ذكره أبو هريرة رضي الله عنه قال : لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبوبكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله» (٢) فيقدم عمر رضي الله عنه الحجة والدليل عند إبداء رأيه واعتراضه على ما رآه أبوبكر رضي الله عنه.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما كان من عائشة رضي الله عنها في الحديث عن ابن أبي عتيق قال تحدثت أنا والقاسم عند عائشة رضي الله عنها حديثا، وكان القاسم رجلا لحانة (٣) وكان لأم ولد ، فقالت عائشة : مالك لاتحدث كما يتحدث

١ - أخرجه البخاري: الاستئذان ٦٢٤٥، مسلم: الآداب (١٦٩٤/٣) رقم ٣٣، أبوداود: الآداب ٤، الاستئذان ٥١٨٠، ابن ماجه: الآداب (١٢٢١/٢) رقم ٣٧٠٦، أحمد ٦/٣

٢ - أخرجه البخاري: الزكاة ١٣٩٩، مسلم: الإيمان (٥١/١) رقم ٣٢، النسائي: الزكاة: (١٤/٥) رقم ٢٤٤٣، أبوداود: الزكاة (٩٥/٢) رقم ١٥٥٦، الترمذي: الإيمان (٣/٥) رقم ٢٦٠٦

٣ - لحانة :أي كثير اللحن في كلامه (شرح النووي: ٤٦/٥)

ابن أخي هذا؟ أما إني قد علمت من أين أتيت، هذا أدبته أمه وأنت أدبتك أمك، قال فغضب القاسم وأضرب (١) عليها، فلما رأى مائدة عائشة قد أتت بها قام، قالت: أين؟ قال: أصلي، قالت: اجلس، قال: إني أصلي، قالت اجلس غدرا! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا صلاة بحضرة الطعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان» (٢)

وواضح في هذا المثال تقديم عائشة رضي الله عنها للدليل ومبادرتها بالحجة والبرهان عند الحاجة إليه.

ومن هذا الباب ما كان من ابن عباس رضي الله عنهما حيث خطب الناس يوما بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم. وجعل الناس يقولون: الصلاة الصلاة، قال فجاءه رجل من بني تميم لايفتر ولاينثني: الصلاة الصلاة. فقال ابن عباس: أتعلمني بالسنة؟ لا أم لك! ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء (٣)

وقريب منه أيضا ماجاء في حديث زينب امرأة ابن مسعود رضي الله عنهما قالت: كانت عجوز تدخل علينا ترقي من الحمرة، وكان لنا سرير طويل القوائم. وكان عبد الله إذا دخل تنحنح وصوت، فدخل يوما، فلما سمعت صوته احتجبت منه. فجاء فجلس إلى جانبي فمسني فوجد مس خيط، فقال: ما هذا؟ فقلت: رقي لي فيه من الحمرة، فجذبه وقطعه، فرمى به وقال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقي والتمايم والتولة شرك» الحديث (٤)

١ - أضرب: أي حقد (شرح النووي: ٤٧/٥، وانظر المصباح المنير ص ١٣٥)

٢ - أخرجه مسلم: المساجد (٣٩٣/١) رقم ٦٧، أبو دود: الطهارة (٢٢/١) رقم ٨٩، أحمد (٤٣/٦).

٣ - أخرجه مسلم: المسافرين (٤٩١/١) رقم ٥٧،

٤ - أخرجه أبوداود: الطب (٩/٤) رقم ٤٨٨٣، ابن ماجه الطب (١١٦٦/٢) رقم ٣٥٣٠، أحمد (٣٨١/١)

(وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: ٢٦٩/٢)

وظاهر في هذين الحديثين: تقديم الدليل والمبادرة به من كل من ابن عباس وابن مسعود، رضوان الله عليهم أجمعين.

وهناك أمثلة كثيرة غير ما ذكرت أتركها للإختصار، ولأن القضية لا تحتاج إلى مزيد إيضاح، ففي الأمثلة السابقة كفاية إن شاء الله.

ثانياً: إيراد الأدلة القوية

إذا تقررت أهمية الأدلة وقيمتها ودورها في اختصار الحوار ونجاحه، وقد تقدم أن الأدلة لابد وأن تكون صحيحة موثقة، وأن إيراد الأدلة الضعيفة ولو كشواهد مع أدلة قوية قد تؤدي بالحوار إلى متاهات وجدال لا ينتهي، وأن الإكتفاء ولو بدليل واحد صحيح قاطع خير من سوق عشرات الأدلة الواهية معه، ظنا أنها تزيد في الحجة أو تدعم موقف المحاور، بل ربما كانت سببا في إضعاف الدليل القوي واهتزاز موقف المحاور، لاسيما إن كان في جمع من الناس قد تعلق بأذهانهم تلك الأدلة الضعيفة والردود التي تسقطها، وقد ينسون الدليل الواضح الصريح. ولذلك فقد ظهر استخدام الأدلة القوية في حوارات كثيرة ذكرت في الكتاب والسنة فمن ذلك:

- جواب النبي ﷺ الصارم، ورده القوي على زوجه كما في سورة التحريم: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١)

(والإشارة إلى العلم والخبرة هنا إشارة مؤثرة - في حالة التآمر والمكائد المحبوكة وراء الأستار! - ترد السائلة إلى هذه الحقيقة التي ربما نسيتها أو غفلت عنها (٢))

١ - التحريم: ٣

٢ - الظلال: (٦/٣٦١٦)

- ومن ذلك أيضا ما كان من قصة ابن عباس رضي الله عنه مع الخوارج حيث قال: (لما خرجت الحرورية أتيت عليا رضي الله عنه، فقال: ائت هؤلاء القوم، فلبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، قال أبو زميل: وكان ابن عباس رجلا جميلا جهيرا، قال ابن عباس: فأتيتهم فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس، ماهذه الحلة؟ قال: ماتعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل (وقال أبوداود: اسم أبي زميل سماك بن الوليد الحنفي(١) .

فهذا الجواب من حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما يظهر فيه قوة الدليل وإقناع الخصم وإقامه الحجة، التي لا يملك معها أي اعتراض أو عناد أو غيره .
- ومثل ذلك ماجاء في محاجة آدم وموسى عليهما السلام وفيها قال موسى لآدم: «أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك؟ قال : نعم، قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال آدم: أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب، لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال : نعم ، قال: أفما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن اخلق؟ قال : نعم، قال : فبم تلومني في شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلي؟ قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»(٢)
وتظهر هنا قوة الحجة من آدم عليه السلام والتي استطاع أن يحجج بها موسى عليه السلام . وأمثلة هذا كثيرة وسيأتي شيء منها - بمشيئة الله تعالى -
عند ذكر التحدي والإفحام وإنما المقصود أن يستعمل المحاور أقوى ما لديه من حجج وأوضح ماعنده من براهين، فيحكم النقض للشبه، ويكشف زيف الباطل،

١ - تقدم تخريجها في الباب الأول وستأتي كاملة . انظر ص: ٢٢٠، ٢٢٧

٢ - تقدم تخريجه في الباب الأول ص: ١٢

ويقذف بالحق القوي الأبلج على الباطل الضعيف حتى يتلجلج.

ألم تر أن الحق تلقاه أبلجا وأنك تلقى باطل القول لجلجا.

فلا يبقى للخصم ولا لمن يسمعه متعلق يلبس به الحق بالباطل، وليعلم المحاور أن الحق يوهن لوهاء الرد وضعفه(١).

ولذلك فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: (فكل من لم ينظر أهل الإلحاد والبدع، مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين)(٢).

ثالثا: طلب الدليل، وقبوله:

إن أكبر ما يفحم الخصم المعاند، وأعظم ما يحرجه، ويكشف تزيفه، طلب الدليل منه في كل قضية ومسألة تحتاج إلى استدلال، وهذا أمر لا ينبغي أن يتساهل به المحاور، فلا يقبل فكرة إلا بدليها، ولا رأيا إلا بحجته، بل هذا هو أخصر طريق لإسكات الخصم وهزيمته، وأيسر أسلوب لإنهاء الجدال العقيم، وأقرب وسيلة للوصول إلى حوار هادف أصيل، لا يبنى على الأوهام والظنون، أو الأحداث والتخمين، كلا وإنما على الأدلة الصريحة الواضحة التي يمتلكها الطرفان، ولأن الحوار إذا كان كلاما مجردا من البراهين، وآراء وأفكار عارية من الأدلة، فلن ينتهي عند حد، ولن يحقق غاية، ولن نخرج منه بنتيجة، ومتى ظهر الدليل الصحيح، واتضحت دلالاته على المقصود، لزم قبوله والتسليم به، ولا يصح رده أو الاعتراض عليه.

ولذلك فقد تكرر هذا الأمر كثيرا في الحوارات المذكورة في الكتاب والسنة، خاصة فيما يتعلق بالمعاندين والمغالطين للحقائق ومن ذلك مثلا :

- ما ذكر في قوله تعالى في الحوار مع أهل الكتاب: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣)

١ - انظر الرد على المخالف: ص ٦٣ بتصرف

٢ - الفتاوى : (١٦٤/٢٠-١٦٥)

٣ - البقرة: ١١١

قال الطبري رحمه الله في الآية: (وهذا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ بدعاء الذين قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، إلى أمر عدل بين جميع الفرق، مسلمها ويهودها ونصاراها، وهو إقامة الحجة على دعواهم التي أدعوا من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى، يقول الله لنبيه محمد ﷺ يا محمد قل للزاعمين أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى دون غيرهم من سائر البشر هاتوا برهانكم على ما تزعمون من ذلك فنسلم لكم دعواكم إن كنتم في دعواكم من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى محقين، والبرهان: هو البيان والحجة والبيينة (١) .

- ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢) .

وهذه الآية أيضا جاءت في شأن أهل الكتاب وبعض دعواتهم الكاذبة والتي يظهر بطلانها عند طلب الدليل منهم .

- وكذا ما جاء في شأن المشركين وطلب الدليل منهم كما في الآية: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا . قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (٣) .

وهنا يطلب منهم دليل على أن الله رضي منهم أن يشركوا به - كما يزعمون - وأن يحللوا ويحرموا من دونه: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ ولما لم يكن عندهم علم ولا حجة ولا دليل، فهم على جهل وظنون كاذبة لا أساس لها من الواقع والصحة (٤) .

١ - الطبري : (٤٩٢/١)

٢ - آل عمران: ٩٣

٣ - الأنعام: ١٤٨

٤ - انظر زبدة التفسير لأشرف م ١٨٨

- ومن الأمثلة التي فيها إبطال كلام الخصم لعدم وجود الدليل، وعدم إقامة الحجة والبرهان، والاستدلال بعدم وجود السلطان المبين على كذب الخصم وافترائه ما جاء في الآية ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝﴾ (١)

والآيات في هذا المعنى كثيرة وسيكرر ذكر شيء منها في مباحث أخرى قريبة من هذا، وأما الأحاديث في بيان هذا الأدب والالتزام به فهي كثيرة أيضا وأذكر منها :

- طلب المرأة للدليل من ابن مسعود عندما قال : لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات لخلق الله . فبلغ ذلك امرأة من بني اسد، يقال لها أم يعقوب فجاءت إليه، فقالت : بلغني عنك أنك قلت كيت وكيت، قال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ قالت: إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته، قال : إن كنت قرأته فقد وجدته، أما قرأت ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٢) قالت : بلى . قال فإن رسول الله ﷺ قد نهى عنها . . . الحديث (٣) .
فهذا فيه سؤال المرأة لابن مسعود وطلبها للدليل والتأكد منه .

١ - يونس: ٦٨-٦٩

٢ - الحشر: ٧

٣ - أخرجه البخاري : التفسير ٤٨٨٦ مسلم اللباس (١٦٧٨/٣) رقم ١٢٠، أبو داود : الترجل (٧٥/٤)

رقم ٤١٦٩، ابن ماجه : النكاح (٦٤٠/١) رقم ١٩٨٩

وعلى المحاور أن يجتهد في طلب البينة ويبحث عن لديه الدليل ويسأل الحجة ولو من غير الخصم، لأن المقصود أولاً هو الوصول إلى الحق، ومما يوضح ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه (أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، قال ابن عباس: هو خضر، فمر بهما أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لقيه، هل سمعت النبي ﷺ يذكر شأنه؟ قال: نعم. ١٠٠ الحديث (١)

- وقريب منه ما جاء في حديث البراء بن عازب قال: (مر النبي ﷺ بيهودي محمم مجلود، فدعاهم فقال: «هكذا تجدون في كتابكم حد الزاني؟» قالوا نعم: فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني لم أخبرك. نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا الرجم. فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وكنا إذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع. فاجتمعنا على التحميم والجلد، هكان الرجم. فقال النبي ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» وأمر به فرجم (٢)

فهذا أيضاً فيه طلب الحجة من غير الخصم بل ممن يملكها من أهل العلم منهم. - وهذا إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله يبتلى ويضرب ويعذب، ثم يطلب منه التنازل حتى يقول له المعتصم: يا أحمد أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي، فلا يزيد على أن يقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول (٣)، وهكذا فعل كلما أرادوا منه أن يلين أو يخضع، يسكتهم بطلب الدليل فيعجزون ويفحمون.

١ - تقدم تخريجه في «مبحث العلم» ص: ٢٣٥

٢ - أخرجه مسلم: الحدود (١٣٢٧/٣) رقم ٢٨، أبوداود الحدود (١٥٣/٤) رقم ٤٤٤٨، ابن ماجه:

الحدود (٨٥٥/٢) رقم ٢٥٥٨

٣ - انظر مقدمة المسند لأحمد شاكر: (٩٥/١)

والأمثلة كثيرة في هذا الجانب، إذ مدار كل حوار هادف هو الدليل، وتقديمه وطلبه وقبوله لتحقيق نجاح الحوار.

رابعاً: الانتقال في الدليل، وإقفال المناقشة:

قد يتعذر على الخصم فهم دليل ما، وقد لا تتضح له وجه الدلالة فيه، كما أنه قد يفهمه ويدركه لكنه يعتمد المغالطة وعدم الإذعان والتسليم، عندئذ لا بد للمحاور من أن ينتقل إلى دليل آخر ويأتي بمثال أوضح لا يجد الخصم معه مفراً دون الانقطاع أو التسليم (١)، وفي ذلك توفير الوقت والجهد من العبث والضياع.

ومن أمثلة هذا ما ذهب إليه بعض المفسرين في قصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود، التي قال الله فيها ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ . إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢)

ففي هذه الآية يقدم إبراهيم عليه السلام دليلاً على أن الله هو الرب سبحانه وتعالى، وهذا الدليل هو أن الله يحيي ويميت، فعارضه النمرود بنفس دليله فزعم أنه كذلك يحيي ويميت، مع الفارق العظيم والواضح بين ما يقصده كل منهما، فلم يشأ إبراهيم عليه السلام أن يدخل في إبطال دليل خصمه، لأنه يعرف فساد هذه المعارضة لاختلاف المقصود بالإحياء والإماتة عندهما، فانتقل للإلزامه وإفحامه وقطع لجأته (٣)، إذ لا يخلو حال النمرود (إما أن يكون ما فهم حقيقة الإحياء والإماتة، أو فهم إلا أنه قصد المصادمة والمباهة، وكلاهما يوجب العدول إلى دليل يفضح معارضته ويقطع حجابه، ومتى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الانتقال إلى دليل آخر أقرب إلى الفهم وأفلح للحجة (٤))

١ - انظر مناهج الجدل ص ٨٢ (للألمعي)

٢ - البقرة: ٢٥٨

٣ - انظر مناهج الجدل ص ١٥٤ بتصرف

٤ - عن استخراج الجدل من القرآن، ص ٦٧-٦٨ (لابن الخطيب)

قال القرطبي في الآية «وذكر الأصوليون في هذه الآية أن إبراهيم عليه السلام لما وصف ربه تعالى بما هو صفة له من الإحياء والإماتة لكنه أمر له حقيقة ومجاز، قصد إبراهيم عليه السلام إلى الحقيقة، وفزع نمرود إلى المجاز وموه على قومه، فسلم له إبراهيم تسليم الجدل وانتقل معه من المثال وجاءه بأمر لامجاز فيه: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ أي انقطعت حجته ولم يمكنه أن يقول أنا الآتي بها من المشرق، لأن ذوي الألباب يكذبونه (١)».

- وقريب من ذلك ما فعله موسى عليه السلام في حوار مع فرعون، حيث سأله فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) فأجابه بما يناسب حاله من تجاهله الرب سبحانه، وبما يوجه نظره إلى هذا الكون الهائل والتفكير في رب الكون كله، رب العالمين، قال ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٣)، فعلم موسى جهله فأضرب عن سؤاله وأعلمه بعظيم قدرة الله التي تبين للسامع أنه لامشاركة لفرعون فيها (٤) وخشي فرعون من تسرب كلمات الحق البسيطة الصريحة إلى قلوب من حوله من المستمعين، فالتفت إليهم يعجبهم من هذا القول، أو لعله يصرفهم عن التأثر به (٥) ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ (٦) وهم يستمعون كما يستمع هو، ولكنه يظهر تعجبه من هذا القول الغريب، الذي لاعهد لهم به، ولم يقله أحد قبله. عند ذلك يزيد موسى في البيان، وينتقل إلى دليل أوضح وأقرب: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ (٧): (فجاءه بدليل يفهمونه عنه، لأنهم يعلمون أنه قد كان لهم آباء وأنهم قد فنوا، وأنه لا بد لهم من مغير، وأنهم قد كانوا بعد أن لم يكونوا، وأنهم لا بد لهم من مكون) (٨)

١ - الجامع لأحكام القرآن: (١٨٦/٢) وانظر تفسير الظلال: (٢٩٨/١)

٢ - الشعراء: ٢٣

٣ - الشعراء: ٢٤

٤ - تفسير القرطبي: (٦٧/٧)

٥ - الظلال: (٢٥٩٢/٥)

(٦- ٧) - الشعراء: (٢٥-٢٦)

٨ - القرطبي (٦٧/٧)

وهذا الدليل أشد مساسا بفرعون ودعواه وشبهه، فموسى يجيبه بأن رب العالمين هو ربه ورب قومه ورب آبائهم واجدادهم وما فرعون إلا واحد من عبيده، لا إله كما يدعي بين قومه، ولذلك فلا يطيق فرعون سكوتا على هذه القاصمة، وهناك من يستمع لهذه الأقوال، ومن ثم يرمي قائلها في تهكم بالجنون (١) ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢) أي ليس يجيبني عما أسأل (٣)، فأردف موسى ماذكر بشاهدين آخرين (٤) فقال ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٥) أي ليس ملكه كملكك، لأنك إنما تملك بلدا واحدا لا يجوز أمرك في غيره، ويموت من لا تحب أن يموت، والذي أرسلني يملك المشرق والمغرب (٦)، وذلك لأن المشرق والمغرب آيتان عظيمتان لا يقدر فرعون على ادعائهما (٧)، ومن ثم اندحضت حجته، وسقطت أدلته، فخشي من يقظة الشعوب وصحوة القلوب، فلجأ إلى انهاء الحوار مع موسى بالتهديد الغليظ، وباللبطش الصريح، الذي يعتمد عليه الطغاة عندما يسقط في أيديهم وتخذلهم البراهين: ﴿قَالَ لَئِنْ اتَّخَذَتِ الْهَاءُ غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٨)، ولا شك أن هذا دليل العجز، وعلامة الضعف، ولكنها سمة الطغاة في القديم والجديد (٩).

١ - الظلال: (٢٥٩٢/٥) بتصرف

٢ - الشعراء: ٢٧

٣ - القرطبي: (٦٧/٧)

٤ - استخراج الجدل من القرآن ص ٧١

٥ - الشعراء: ٢٨

٦ - القرطبي: (٦٧/٧)

٧ - استخراج الجدل ص ٧١

٨ - الشعراء: ٢٩

٩ - الظلال: (٢٥٩٢/٥) بتصرف

المبحث الخامس : الوضوح والبيان

إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان وجودة العرض، من عوامل نجاح الحوار، ويكون له الأثر الأكبر في إيضاح الفكرة وقبول الطرف الآخر لها، وربما ضاع الحق لسوء التعبير عنه، وظهر الباطل لفصاحة قائله وبلاغته. لذلك ينبغي للمحاور الجيد أن يضبط كلامه ويتقن لغته، ويتجنب الألفاظ الغريبة صعبة الفهم، أو الألفاظ المجملة التي تحتل عدة معان من غير توضيح للمعنى المراد منها، وذلك أن الكلام المحكم الجميل، الذي يخلو من الخطأ، وتتضح فيه مخارج الحروف، ويخرج متواليا بانتظام وترتيب واسترسال، يترك أحسن الأثر في السامع الذي يفهمه ويجعله يحترم قائله، لأنه يرى قائله محيطا بما يقول، قادرا على الإفصاح والإيضاح (١)

وهذا الوضوح والبيان وحسن الصياغة والعرض تقتضي أموراً منها:

أ - التزام لسان العرب في الصياغة من غير إغراب ولا تعقيد، فإن الألفاظ قوالب للمعاني، وهي رسل لها، وإذا فات جمال العرض، آلت إلى مرض محض، قال الشافعي: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لجهلهم لسان العرب» (٢).

ب - الإقتصاد في السياق وتفصيل الألفاظ على قدر المعاني، وذلك أن الرد ضرورة تقدر بقدرها، وينبغي الحرص على الوصول إلى المطلوب بأقرب عبارة وأوجز لفظ، والحذر من تكثير الكلام وتكراره وتطويله - إلا لحاجة -، أو اشتماله على الغث والسمين فهو مغل ممل، بما يجلبه من وهاء وفتور (٣).

ج - الدقة في اختيار الأدلة والشواهد الصحيحة الصريحة الواضحة الدلالة، والبعد عن الضعيف أو العام أو المجمل، والذي قد يكون محل نقاش وجدل يحول دون وضوح الحق وبيان الراجح.

١ - انظر أصول الحوار ص ٢٩ ورسالة «قل انما أعظمكم بواحدة» ص ٣٣ بتصرف

٢ - سير اعلام النبلاء: (٧٤/١٠)

٣ - ملخصه بتصرف عن الرد على المخالف ص ٦٥-٦٨، وانظر أدب الحوار لجريشة: ص ٧٠

- ومن أمثلة في السنة ما جاء في حوار ابن مسعود وأبي موسى رضي الله عنهما، حيث قال أبو موسى: أرأيت يا أبا عبد الرحمن إذا أجنب فلم يجد ماء كيف يصنع؟ فقال عبد الله: لا يصلي حتى يجد الماء، فقال أبو موسى: فكيف تصنع بقول عمار حين قال له النبي ﷺ «كان يكفيك» قال: ألم تر عمر لم يقنع بذلك؟ فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمار، كيف تصنع بهذه الآية؟ (١)

فمادري عبد الله ما يقول فقال: إنا لو رخصنا لهم في هذا، لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمم (٢).

قال ابن حجر رحمه الله في قول أبي موسى (فدعنا من قول عمار): (فيه جواز الانتقال من دليل إلى دليل أوضح منه، ومما فيه الاختلاف إلى ما فيه الاتفاق) (٣). وقال الكرمانى: (وفي الباب جواز المناظرة، وجواز الانتقال فيها من حجة إلى حجة، وجواز الاجتهاد) (٤).

فتبين مما سبق أن الانتقال في الدليل أسلوب متبع في الحوار، وأن في الانتقال من دليل إلى آخر نوع من إقفال المناقشة - ولو جزئيا في الدليل المنتقل عنه، وهذا الأدب يحتاج إلى حكمة المحاور وسرعة بديهيته واستحضاره لعدة أدلة قوية يمكن الانتقال فيها، كما ظهر من خلال الأمثلة السابقة.

وإن كان في بعض الأحيان يجد المحاور أن شقة الخلاف بينه وبين خصمه كبيرة جدا، وأن هناك أمورا أساسية غير متفق عليها ولايسمح الوقت بتقريرها، أو أن الخصم معاند مغالط مكابر، والحوار معه تضيق للوقت وتبديد للجهد، عند ذلك يكون من الأفضل إقفال المناقشة بطريقة لبقة ذكية تشعر أن الطرف الأول لم ينسحب عجزا، ولم يترك المناقشة هزيمة.

١ - الآية قوله تعالى ﴿فَتَتِمُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ المائدة: ٦

٢ - تقدم تخريجه في الباب السابق ص: ١٩٤

٣ - الفتوح: (٤٥٥/١)

٤ - شرح الكرمانى: (٢٣١/٣)

د - الإسهاب والتفصيل في الإجابة عند الحاجة - لقصد التوضيح، أو زيادة في التأكيد والتثبيت، أو نفياً لشبه محتملة أو نحو ذلك مما تقتضيه المصلحة ويحكمه الموقف.

- ولاشك أن حورات الكتاب والسنة وما فيهما من أجوبة وردود وأدلة وشواهد، قد تميزت بالوضوح والبيان من حيث الإلتزام باللغة الفصحى الواضحة، وجمال العرض ومناسبة الألفاظ للمعاني، والسلامة من التطويل الممل والإختصار المخل، والتنزيه عما لا فائدة فيه ولا طائل من ورائه، وكل ذلك مسلم به واضح بين لا يحتاج إلى إستدلال.

ولكن هناك شواهد وأمثلة لبعض القضايا الجزئية المتعلقة بهذا الأدب فمنها :
- رقة ابن مسعود رضي الله عنه في الإستدلال بقوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١) كما تقدم في المبحث السابق في حوارهِ مع المرأة، وقوله: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله ؟ فقالت : إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته . قال : إن كنت قرأته فقد وجدته، أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١)

قالت : بلى، قال فإن رسول الله ﷺ قد نهى عنها .. الحديث (٢)

- وحيث إن الحوار مبني على خلاف، وقد يؤثر هذا الخلاف في النفوس وتتكرر منه الخواطر، لذلك فإن توضيح الأمر وبيان العذر، وتجلية الحقيقة، لها دور كبير في تصفية القلوب وإعادة الود، ولعل مما يصلح مثالا لهذا ما كان من أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عرض ابنته حفصة على عثمان فلم يتزوجها، ثم عرضها على أبي بكر، فصمت ولم يرجع إليه شيئا، فوجد عليه أكثر مما وجد على عثمان، فلبث ليالي ثم خطبها النبي ﷺ فتزوجها، فلقبه أبوبكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئا ؟ قال عمر :

١ - الحشر: ٧

٢ - تقدم تخريجه في المبحث السابق ص: ٢٦٣

قلت نعم، قال أبوبكر : فإنه لم يمنعني أن أرجع اليك فيما عرضت علي إلا إني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها(١) .

إن الإيجاز في الجواب والتفصيل فيه، يرجع في كثير من الأحيان إلى المسألة المطروحة للنقاش، وإلى حال المخاطب أحيانا، أو نحو ذلك، بحيث يتضمن الكلام الجواب وما يتعلق به من تفصيلات واحتمالات، وهذا الإمام البخاري رحمه الله يترجم لأحد أبوابه بقوله : (باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله(٢) ثم ذكر فيه حديث ابن عمر عن النبي ﷺ : (أن رجلا سأله: ما يلبس المحرم؟ فقال: «لا يلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس، ولا ثوبا مسه الورس أو الزعفران، فإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعيبين»(٣)

قال الحافظ في شرحه : (قال ابن المنير: موقع الترجمة التنبيه على أن مطابقة الجواب للسؤال غير لازم، بل إذا كان السبب خاصا والجواب عاما جاز، وحمل الحكم على عموم اللفظ لا على خصوص السبب، لأنه جواب وزيادة فائدة، ويؤخذ منه أيضا: أن المفتي إذا سئل عن واقعة واحتمل عنده أن يكون السائل يتذرع بجوابه، إلى أن يعديه إلى غير محل السؤال: تعين عليه أن يفصل الجواب، ولهذا قال: «فإن لم يجد نعلين» فكأنه سأل عن حالة الاختيار فأجابه عنها وزاد حالة الإضطرار، إلى أن قال: وفي الحديث أيضا العدول عما لا ينحصر إلى ما ينحصر طلبا للإيجاز، لأن السائل سأل عما يلبس فأجيب بما لا يلبس، إذ الأصل الإباحة ولو عدد له ما يلبس لطال به... الخ كلامه(٤) .

١ - أخرجه البخاري: النكاح ٥١٢٢، النسائي النكاح (٧٧/٦) رقم ٣٢٤٨، أحمد (١٢/١)

٢ - كتاب العلم-رقم الباب ٥٣ (الفتح: ٢٣١/١)

٣ - أخرجه البخاري العلم ١٣٤، مسلم: الحج (٨٣٤/٢) رقم ١، أبو داود (١٧٠/٢) رقم ١٨٢٣،

الترمذي: الحج (١٨٥/٣) رقم ٨٣٣، النسائي: الحج (١٢٩/٥) رقم ٢٦٦٧

٤ - الفتح: (٢٣١/١)

وقال ابن القيم : (يجوز للمفتي أن يجيب السائل بأكثر مما سأله عنه، وهو من كمال نصحه وعلمه وإرشاده، ومن عاب ذلك فلقله علمه)(١).

فهذا الحديث فيه جمع بين الإيجاز والتفصيل، فقد فصل الجواب للحاجة إلى التفصيل، وأوجز عندما كان الجواب لا ينحصر.

ومثل هذا أيضا ما قاله المغيرة لترجمان كسرى عندما سأله: ما أنتم؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: «نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر والحجر، فبينما نحن كذلك إذ بعث رب السموات والأرضين - تعالى ذكره وجلت عظمتة - إلينا نبيا من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ: أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثله قط، ومن بقي منا ملك رقابكم»(٢).

وقد ذكر الحافظ في الفتح: أن هذا يدل على فصاحة المغيرة وبلاغته، فقد اشتمل كلامه هذا الوجيز على بيان أحوالهم الدنيوية، من المطعم والملبس ونحوهما، وعلى أحوالهم الدينية أولا وثانيا، وعلى معتقدتهم من التوحيد والرسالة والإيمان بالمعاد، وعلى بيان معجزات الرسول ﷺ وإخباره بالمغيبات ووقوعها كما أخبر(٣).

ومن البيان وتوضيح الإجابة وتفصيلها عند الحاجة ما فعله ابن عمر رضي الله عنهما حيث جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء؟ فقالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه: هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟

١ - اعلام الموقعين: (٤/١٢١)

٢ - أخرجه البخاري: الجزية ٣١٥٩

٣ - الفتح (٦/٢٦٦) بتصرف يسير

قال : نعم، فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال : نعم، قال الرجل : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدا؟ قال: نعم، قال : الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد فاشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه». وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده فقال : هذه لعثمان. فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك (١)

ويظهر من هذا الحديث ان السائل كان ممن كان يتعصب على عثمان فأراد بالمسائل الثلاث أن يقرر معتقده فيه، ولذلك كبر مستحسنا لما أجابه به ابن عمر، ثم فهم ابن عمر منه مراده، لما كبر، وإلا لو فهم ذلك من أول سؤاله لقرن العذر بالجواب، وحاصله أنه عابه بثلاثة أشياء، فأظهر له ابن عمر العذر عن جميعها، ولذلك قال له بعد البيان: (اذهب بها الآن معك) أي اقرن هذا العذر بالجواب حتى لايبقى لك فيما أجبتك به حجة على ما كنت تعتقده من غيبة عثمان، ولا ينفعك ما تمسكت به بعد ما بينت لك (٢)

ومن التفصيل في الجواب أيضا ما جاء في حديث أبي الطفيل قال : قلت لابن عباس: رأيت هذا الرمل بالبيت ثلاثة أطواف، ومشى أربعة أطواف. أسنة هو ؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة، قال فقال: صدقوا وكذبوا .

قال قلت: ما قولك: صدقوا وكذبوا؟ قال إن رسول الله ﷺ قدم مكة. فقال المشركون: إن محمدا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزل. وكانوا يحسدونه قال: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا ثلاثا ويمشوا أربعا،

١ - أخرجه البخاري فضائل الصحابة ٣٦٩٨، أحمد (١٠١/٢)

٢ - انظر الفتح (٥٩/٧) بتصرف

قال قلت له: أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا أسنة هو؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة. قال: صدقوا وكذبوا. قال قلت: وما قولك: صدقوا وكذبوا؟ قال: إن رسول الله ﷺ كثر عليه الناس يقولون هذا محمد. هذا محمد. حتى خرج العواتق من البيوت. قال: وكان رسول الله ﷺ لا يضرب الناس بين يديه، فلما كثر عليه ركب، والمشى والسعي أفضل (١).

فهنا ينصف ابن عباس ويفصل كما في قوله صدقوا وكذبوا: مبينا أنهم صدقوا في أن النبي ﷺ فعل ذلك، وكذبوا في قولهم: إنه سنة مقصودة متأكدة (٢). ومن الاستطراد المفيد، والتفصيل المهم، الذي يناسب حال المخاطب ويقصد به تعليمه ولفت نظره إلى بعض المهم ما جاء في حديث جابر بن سليم عندما قدم على النبي ﷺ وقال: أنت رسول الله؟ فقال: أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك (٣).

ومن النماذج القرآنية التي جمعت بين الدقة والوضوح والبيان مع الإسهاب والتفصيل اللازم ما جاء في حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه حيث قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَافِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٤). فهذه بداية الحوار ويظهر فيه المجاورة والأخذ والرد، ولكن أمام تحجر هؤلاء القوم وتعصبهم لم يجد إبراهيم - على حلمه وأناته - إلا أن يهزهم بعنف، ويعلن عداوته لأصنامهم وعقيدتهم الفاسدة،

-
- ١ - أخرجه مسلم: الحج (٩٢١/٢) رقم ٢٣٧، أبوداود المناسك (١٨٤/٢) رقم ١٨٨٥، الترمذي المناقب (٦٢٩/٥) رقم ٣٧٠٦
 - ٢ - انظر شرح النووي (١٠/٩)
 - ٣ - تقدم في الباب الأول ص: ٥٩
 - ٤ - الشعراء: ٦٩-٧٤

ويستثنى ربه سبحانه وتعالى **إِلَّاهَ الْعَالَمِينَ** ثم يستطرد بدقة وروعة في وصف ربه عز وجل، ويسترسل في تصوير صلته به، متذكرا إناعامه وأفضاله، ويجمع في صفة ربه عناصر العقيدة الصحيحة: توحيد الله رب العالمين، والإقرار بتصريفه للبشر في أدق شؤون حياتهم على الأرض، والبعث والحساب بعد الموت، وفضل الله وتقصير العبد، وهي العناصر التي ينكرها قومه وينكرها المشركون (١) ١٠٠ **﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾** الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ١٠٠ (٢) الآيات

ولعل هذه النماذج المختصرة كافية في بيان أهمية الوضوح والدقة والبيان والتفصيل وحسن العرض والصياغة، ودور ذلك كله في نجاح الحوار وتحقيق أهدافه.

١ - انظر الظلال: (٢٦٠٢/٥-٢٦٠٣)

٢ - الشعراء: ٧٥-٨٢

المبحث السادس : الصدق والأمانة

إن المحاور المسلم لابد أن يكون صادقاً أميناً، وهذا من مقتضيات إيمانه، والمؤمن لا يكون كاذباً، والحوار أمانة يجب ألا يخونها المحاور بالغموض والغموض وكتّم الحقائق والتلفيق ونحو ذلك، فهو مسئولية يحاسب عليها: **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** (١) كما أن الكذب والغدر والخيانة والفجور في الخصومة من أبرز صفات المنافق كما قال ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» (٢).

فلا بد من احترام الحقيقة، والقيام بمسؤولية الكلمة، والحوار المبارك هو الحوار الصادق الذي يطمئن كل طرف فيه إلى الآخر، واللجوء إلى الغموض والمراوغة قلة في الإخلاص وضعف في النفس، ويؤدي إلى فقدان الثقة بين الطرفين ومن ثم إلى فشل الحوار (٣).

ومن مقتضيات هذا الأدب ما يلي :

(أ) الأمانة في العرض والنقل فلا يجوز قطع عبارة عن سياقها أو عزلها عن مناسبتها عند الاقتباس لتخدم رأياً ما، فإن بتر النقول والنصوص والدس في الكلام وتحريف الأقوال من مسالك أهل البدع والأهواء، وهو نقص في الدين والإخلاص وهو أخو الكذب والخيانة، فضلاً عن أنه يعرض فاعله للسخرية

وعدم الثقة به متى اكتشف تلاعبه بالنصوص وتحايله في الاستشهاد (٤)
(ب) التوثيق: فلا بد أن تكون مسائل الحوار موثقة من الناحية العلمية

١ - الأحزاب: ٧٢

٢ - أخرجه البخاري: الإيمان ٣٤، مسلم: الإيمان (٧٨/١) رقم ١٠٦، الترمذي: الإيمان (١٩/٥)

رقم ٢٦٣٢، النسائي: الإيمان (١١٦/٨) رقم ٥٠٢٠، أحمد (١٨٩/٢)

٣ - انظر رسالة «قل إنما أعظكم بواحدة» ص ٢٨-٣٥

٤ - انظر الرد على المخالف: ص ٥٨، ولمؤلفه بحث مستقل بعنوان «تحريف النصوص»

والإسنادية، فلا يستدل بشيء إلا مسنداً لقائله ومصدره الذي أخذ منه، فإن ذكر الحقائق مدعمة بمصادرها ومراجعها، أعمق أثراً في النفوس من ذكرها مجردة. (ج) ومن ذلك الإعراض عن النقول الضعيفة والحجج الواهية، والأدلة الساقطة، وكذا عدم الاستشهاد بآراء وأقوال من لا يطمئن إلى علمه وأمانته. (د) ومن مقتضيات هذا الأدب أيضاً: الإخلاص والتجرد في طلب الحق، والعدل والإنصاف مع الخصم - وقد تقدم ذكرها في مباحث سابقة - وكذا بذل النصيحة للطرف الآخر، فهي دلائل الصدق وعلامة الأمانة.

(هـ) ومن لوازم ذلك أيضاً عدم كتم شيء من الحق أو إخفاء بعض العلم الذي له علاقة بموضوع الحوار، - خاصة إذا كان ظاهر تلك الأدلة المسكوت عنها لصالح الطرف الآخر - فإن في ذلك خرم للأمانة، وقدر في مصداقية فاعله، الذي أخذ عليه وعلى أمثاله الميثاق ببيان الحق وعدم كتمان العلم ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (١) وإضافة إلى تعرض فاعل ذلك للعقاب الأليم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢) وفي الحديث: «من سئل عن علم فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار» (٣)

(و) ومما يدخل في هذا الباب أيضاً عدم تعمد اتباع المتشابه من الأدلة والشواهد والنقول والأقوال، فهذا مسلك أهل الزيغ الذين قال الله فيهم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ﴾ (٤) الآية.

١ - آل عمران: ١٨٧

٢ - البقرة: ١٥٩-١٦٠

٣ - أخرجه أبوداود: العلم (٣٢٠/٣) رقم ٣٦٥٨، الترمذي: العلم (٢٩/٥) رقم ٢٦٤٩، ابن ماجه

المقدمة (٩٦/١) رقم ٢٦١، أحمد (٢٦٣/٢)

٤ - آل عمران: ٧

قال الشاطبي رحمه الله : (وقد علم العلماء أن كل دليل فيه اشتباه وإشكال ليس بدليل في الحقيقة، حتى يتبين معناه ويظهر المراد منه، ويشترط في ذلك أن لا يعارضه أصل قطعي) (١)

ويدخل في هذا أيضا الإقتصار على دليل واحد وعدم النظر في الأدلة الأخرى خاصة إذا كانت معارضة له - في الظاهر.

قال الشاطبي أيضا: ثم اتباعه للمتشابه - ولو كان من جهة الإسترشاد به لا للفتنة به - لم يحصل به مقصود على حال، فما ظنك به إذا اتبع ابتغاء الفتنة؟ وهكذا المحكم إذا اتبعه إبتغاء الفتنة به، فكثيرا ما ترى الجهال يحتجون لأنفسهم بأدلة فاسدة وبأدلة صحيحة، اقتصارا بالنظر على دليل ما، وإطراحا للنظر في غيره من الأدلة الأصولية والفروعية العاضدة لنظره أو المعارضة له... إلى أن قال، وكذلك الأمر في كل مسألة فيها الهوى أولا، ثم يطلب لها المخرج من كلام العلماء أو من أدلة الشرع وكلام العرب... (الخ) (٢).

وهناك نصوص وأمثلة كثيرة تدل على ضرورة هذا الأدب وأهميته وأثره، كيف لا؟ (و) العقيدة الإسلامية عقيدة الصدق والوضوح والاستقامة والنصاعة، ولا يقوم شيء فيها على الظن أو الوهم أو الشبهة فضلا عن الكذب والخداع والخيانة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣) فهذه الكلمات القليلة تقيم منهاجا كاملا للقلب والعقل، يشمل المنهج العملي الذي عرفته البشرية حديثا جدا، ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله، ميزة لإسلام على المناهج العقلية الجافة (٤).

فهذا المنهج الذي يقوم على الصدق والأمانة، ويحاسب فيه الفرد على كلامه وسمعه وبصره بل وقلبه، لا يمكن لمن آمن به إلا أن يكون صادقا أمينًا، ليس في

١ - الاعتصام: (٢٣٩/١)

٢ - نفس المصدر (٢٢٢/١-٢٢٣)

٣ - الإسراء: ٣٦

٤ - الظلال: (٢٢٢٧/٤) بتصرف يسير.

الحوار فحسب، بل في كل صغيرة وكبيرة من حياته، قولاً وعملاً، قلباً وقالبا، قال سيد قطب رحمه الله عند الآية السابقة: «والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن تبعثها الكبرى، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن سمعه وبصره وفؤاده، أمام واهب السمع والبصر والفؤاد».

إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب. أمانة يسأل عنها صاحبها، وتساءل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعاً. أمانة يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية، وكلما أصدر حكماً على شخص أو أمر أو حادثة (١).

ولما كان أمر الصدق والأمانة من الأهمية بمكان، حرص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على إبراز هذا الجانب قبل محاوراة أقوامهم فهذا هود عليه السلام يلخص مهمته ودوره في كلمات معدودة: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٢) بل هؤلاء الأنبياء من نوح إلى هود إلى صالح إلى لوط إلى شعيب كل منهم يقول ويعلن بهذه الكلمة: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ - كما في سورة الشعراء - قبل الدخول في أي نقاش أو حوار، إذ إن أهم مقدمات الدعوة حتى يستجاب لصاحبها - الصدق في الرسالة والأمانة في التبليغ، فلا يخون ولا يخدع، ولا يزيد شيئاً أو ينقصه (٤).

وكذلك كان رسولنا ﷺ في أموره وأحواله - حتى قبل البعثة - يعرف بالصدق والأمانة، فقد كان يأمنه المشركون (٥)، وكان يظهر الصدق عليه في كلامه وأفعاله بل في تقاسيم وجهه، فهذا عبد الله بن سلام رضي الله عنه يقول: لما قدم

١ - الظلال: (٢٢٢٧/٤)

٢ - الأعراف: ٦٨

٣ - الشعراء: ١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨

٤ - انظر الظلال: (٢٦٠٧/٥)

٥ - انظر تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٢٣

رسول الله ﷺ المدينة، انجفل الناس إليه، وقيل قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ - عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ٠٠ الحديث (١)

وكما قالت عائشة رضي الله عنها لمسروق: (من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئا من الوحي فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (٢) (٣)

وقال أنس رضي الله عنه: لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا لكتم هذه - يعني قوله تعالى: ﴿وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ (٤) (٥)

ومن أمثلة الصدق في الحجة والأمانة في العرض: ما كان من أمر الأنصار رضوان الله عليهم حين قالوا يوم حنين: (إن هذا لهو العجب، إن سيوفنا تقطرم دمائمهم وإن غنائمنا ترد عليهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ - فجمعهم، فقال: ما الذي بلغني عنكم؟ قالوا: هو الذي بلغك، وكانوا لا يكذبون، قال: أما ترضون أن يرجع الناس بال دنیا إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم! لو سلك الناس واديا أو شعبا، وسلكت الأنصار واديا أو شعبا، لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار» (٦)

فالأنصار هنا لا يكذبون ولا يهربون من الإجابة، بل يصدقون ويعترفون بما قالوا فرضي الله عنهم جميعا.

١ - أخرجه الترمذي: القيامة (٦٥٢/٤) رقم ٢٤٨٥، ابن ماجه: إقامة الصلاة (٤٢٣/١) رقم ١٣٣٤، أحمد (٤٥١/٥) (وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ٥٦٩)

٢ - المائدة: ٦٧

٣ - أخرجه البخاري: التوحيد ٧٥٣١، مسلم: الإيمان (١٥٩/١) رقم ٢٨٧، الترمذي (٢٦٢/٥) رقم ٣٠٦٨

٤ - الأحزاب: ٣٧

٥ - أخرجه البخاري: التوحيد ٧٤٢٠، مسلم الإيمان (١٦٠/١) رقم ٢٨٨، الترمذي: التفسير (٣٥٢/٥) رقم ٣٢٠٧، أحمد (٢٤١/٦)

٦ - أخرجه مسلم الزكاة (٧٣٣/٢) رقم ١٣٢، الترمذي: المناقب (٧١٤/٥) رقم ٣٩٠١

ومثل ذلك ماروي في حوار عمر مع أسماء بنت عميس - وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه - فقال عمر لها: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت كلمة: كذبت يا عمر! كلا والله! كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم. وكنا في دار أو في أرض - البعداء البغضاء - في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله. وايم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ - ونحن كنا نؤذى ونخاف. وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله. والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك. فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأحق بي منكم. وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم، أهل السفينة هجرتان» (١)

فتظهر أمانة النقل في قول أسماء رضي الله عنها (وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله. والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك).

- ولعل مما يصلح أن يكون شاهدا لمسألة الأمانة والصدق في الحجة ما حدث به أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد، فلقينا رجلا عند سدة المسجد فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: «ما أعددت لها» قال فكأن الرجل استكان، ثم قال: يا رسول الله! ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: «فأنت مع من أحببت» (٢)

وهنا يظهر أيضا صدق هذا الرجل حيث اعترف بعدم إكثاره من هذه العبادات، مع بيانه للأمر العظيم الذي يملكه بقلبه وهو حب الله ورسوله ﷺ. وإذا كانت الحجة في صالح المتكلم، فإن الصدق فيها والأمانة في عرضها ونقلها وشرحها وبيانها أمر سهل طبيعي، بل محبب إلى نفس المتكلم، ولكن

١ - أخرجه البخاري: المغازي ٤٢٣٠، مسلم فضائل الصحابة (١٩٤٦/٤) رقم ١٦٩
٢ - أخرجه البخاري: الأدب ٦١٧١، مسلم البر (٢٠٣٣/٤) رقم ١٦٤، الترمذي: الزهد (٥٩٥/٤) رقم ٢٣٨٥ (ومعنى «استكان» أي: خضع. انظر الصراح: ٦/١٩٠)

يتمحص الصادق الأمين، ويتميز المخلص الوفي، عندما تكون الحجة لصالح خصمه ويكون الدليل خلاف رأيه، ثم مع ذلك يصدق ويدلي بما عنده طلبا للحق، وتجردا لله عز وجل وإبراء للذمة، ولعل فيما يلي من الأمثلة ما يدل على هذا النوع النادر من الصدق والإخلاص والأمانة:

ففي حديث الإفك وحيث كان النبي ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمر عائشة رضي الله عنها - (فقال : يا زينب ما علمت؟ ما رأيت؟ فقالت : يارسول الله! أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيرا، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع(١))

فهنا يظهر صدق زينب وأمانتها، مع ما كان بينها وبين عائشة من التنافس في طلب الرفعة والخطوة عند النبي ﷺ (٢)، ولكن ذلك لم يحملها على الكذب أو الخداع ونحوه.

ومن المواقف العجيبة التي تبين قبح الكذب - حتى في الجاهلية - كما هو قبيح في الإسلام، ما جاء في حوار أبي سفيان مع هرقل، حين دعا هرقل ركب قريش الذين كانوا تجارا بالشام وفيهم أبو سفيان، الذي روى القصة فقال: (فقال هرقل: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فأجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل، فإن كذبنني فكذبوه، قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأتروا علي كذبا لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت : لا، قال فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت : لا قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت : بل ضعفاؤهم قال : أيزيدون أم ينقصون؟ قلت : بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت : لا، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا، قال : فهل يغدر؟ قلت: لا

----- ،

١ - تقدم تخريجه في الباب السابق ص: ١٤٥

٢ - انظر الفتحة: (٤٧٨/٨)

ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، وأتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة... الخ الحديث (١)

فهذا موقف من مواقف الخصام والعداوة بين النبي ﷺ وأبي سفيان، مع عدم حضور النبي ﷺ، ومع أن الفرصة سنحت لأبي سفيان أن يكذب أو يخون ويغش، ولكنه ترك الكذب استحياء وأنفه من أن يتحدثوا بذلك بعد أن يرجعوا فيصير عند سامعي ذلك كذاباً، وإلا فإنه كان واثقاً ممن معه بعدم تكذيبه - إن كذب - لاشتراكهم معه في عداوة النبي ﷺ (٢).

ولعل قريباً من هذا ما جاء في مقتل عبد الله بن سهل، فاتهموا اليهود بقتله، فجاء أخوة عبد الرحمن وابنا عمه حويصة ومحبيصة إلى النبي ﷺ فتكلموا، فقال لهم رسول الله ﷺ: يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته، قالوا: أمر لم نشهده كيف نحلف؟... الخ (٣)

وهذا هو الشاهد حيث أنهم أبوا الكذب مع أن الموقف في صالحهم وضد اليهود، ولكنه الصدق والأمانة.

والأمثلة في هذا لا تنحصر، إذ إن هذا الأمر مع كونه أدباً في الحوار فهو مبدأ إسلامي رفيع، وخلق نبيل لا خيار للمسلم في التحلي به، ولا يليق به إلا التخلق به، فهو من مقتضيات إخلاصه وتقواه.

١ - أخرجه البخاري: بدء الوحي، ٧، مسلم: الجهاد (١٣٩٣/٣) رقم ١٧٧٣، أحمد (٢٦٢/١)

٢ - انظر الفتوح: (٣٥/١)

٣ - أخرجه مسلم: القسامة (١٢٩١/٣) رقم ١، أبوداود: الديات (١٧٥/٤) رقم ٤٥٢٠، النسائي:

القسامة (٨/٨) رقم ٤٧١٣

المبحث السابع : التثبيت

إن من أهم مقومات الحوار الناجح أن تراعى فيه الحقائق الثابتة، والأدلة الواضحة، وأن يقوم على أساس الصدق واليقين، لا على مجرد الوهم والظن والشك، فإن هذا الدين يأبى أن تقوم قضية من قضاياها إلا على أساس الوضوح والاستقامة والنصاعة ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (١) (فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج، لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة. ولم يبق مجال للظن والشبه في عالم الحكم والقضاء والتعامل. ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم. ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ : ولا تتبع ما لم تعلمه علم اليقين، وما لم تتثبت من صحته من قول يقال ورواية تروى، من ظاهرة تفسر أو واقعة تعلل. ومن حكم شرعي أو قضية اعتقادية (٢)

ومن هذا الباب تحذير النبي ﷺ من الظن حيث قال : «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (٣) وكذا تحذيره من الكلام في كل شيء وبكل ما يسمع من غير تعقل ولا تثبت حيث قال أيضا : «كفي بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع» (٤) ولذلك قال الإمام مالك رحمه الله: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إماما أبدا، وهو يحدث بكل ما سمع (٥)

١ - الإسراء: ٣٦

٢ - الظلال: (٢٢٢٧/٤) بتصرف يسير

٣ - أخرجه البخاري: الأدب ٦٠٦٦، مسلم البر (١٩٨٥/٤) رقم ٢٨، الترمذي: البر (٣٥٦/٤) رقم ١٩٨٨، أحمد (٢٤٥/٢)

٤ - أخرجه مسلم المقدمة (١٠/١) رقم ٥،

٥ - انظر مقدمة مسلم: (١١/١)

لذلك وجب التثبت من كل قول أو حادثة أو مسألة، ويتأكد التثبت عند الاستدلال بشيء من حديث رسول الله ﷺ إذ إن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، ونسبة الأقوال إليه من غير تثبت مطية إلى الكذب: قال ﷺ: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» (١)

ومن النصوص العامة التي تؤكد أهمية التثبت وتقرر ضرورته، وتبين للمؤمنين كيف يتلقون الأنباء وكيف يتصرفون بها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٢)

ولعل قراءة عامة قراء أهل المدينة تبين المعنى بوضوح إذ قرأوا: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ والمعنى على كلا القراءتين: أي أمهلوا حتى تعرفوا صحته، ولا تعجلوا بقبوله (٣)

فمتى تطرق الشك إلى الخبر أو ضعف ناقله وجب التثبت، ولم يجز الحكم به أو العمل بموجبه إلا بعد التأكد، وليس ذلك أمرا عسيرا أو تكليفا شاقا، لأن التأخر في قبوله والعمل به أهون وأيسر من التعجل ومؤاخذة الغير أو إصابته عن جهل وتسرع، مما يثير العداوة والبغضاء، وبعدها لاينفع الندم، ويصعب التراجع وإصلاح الخطأ، كما أن المطلوب هو التثبت من كلام ونقل غير الثقة، وأما الثقة الصالح الذي لايعرف عنه كذب ولا تدليس فيقبل منه، قال سيد قطب عند تفسيره هذه الآية: «ومدلول الآية عام وهو يتضمن مبدأ التمحيص والتثبت من خبر الفاسق، فأما الصالح فيؤخذ بخبره، لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة، وخبر الفاسق استثناء». والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج التثبت لأنه أحد مصادره. أما الشك المطلق في جميع المصادر وفي جميع الأخبار، فهو مخالف لأصل الثقة المفروض بين الجماعة المؤمنة، ومعطل لسير الحياة وتنظيمها في الجماعة، والإسلام يدع الحياة تسير في مجراها

١ - أخرجه مسلم المقدمة (٩/١)، الترمذي: العلم (٣٦/٥) رقم ٢٦٦٢، ابن ماجه: المقدمة (١٤/١)

رقم ٣٨، أحمد (١٤/٥)

٢ - الحجرات: ٦

٣ - انظر تفسير الطبري: (١٢٣/٢٦)

الطبيعي، ويضع الضمانات والحواجز فقط لصيانتها لا لتعطيلها ابتداءً. وهذا نموذج من الإطلاق والاستثناء في مصادر الأخبار (١)

وعلى هذا فإن أدلة هذا الأمر كثيرة متعددة، وقد جاءت في صور مختلفة، فهناك أمثلة عديدة في جانب التثبت في الأخبار، وشواهد على لزوم التثبت في الأدلة وخاصة الحديث، ونماذج في التثبت في الأحداث، وأخرى يؤكد راويها أنه متثبت مما يروي وينقل، ولكثرة الأمثلة والنماذج، فسأقتصر على بعض منها في كل جانب من تلك الجوانب.

ففي جانب التثبت في الأخبار يمكن ذكر الأمثلة الآتية:

- تثبت سليمان عليه السلام من خبر الهدد وعدم التسرع في تصديقه أو تكذيبه، وذلك حين قال الهدد فيما قاله تعالى ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٢) الآيات فلا يتسرع سليمان في الأمر، ولا يستخفنه النبأ العظيم الذي جاء به. وإنما يأخذ في تجربته، للتأكد من صحته. شأن النبي العادل والملك الحازم. ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ اذهب بكتابي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (٣)

ومنه تثبت النبي ﷺ حين بلغه أن بني سلمة يعزمون على الانتقال من ديارهم إلى قرب المسجد فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد، قالوا نعم يا رسول الله! قد أردنا ذلك» فقال: «يا بني سلمة! دياركم تكتب آثاركم. دياركم تكتب آثاركم» (٤)

١ - الظلال: (٣٣٤١/٦)

٢ - النمل: ٢٢-٢٣

٣ - النمل: ٢٧-٢٨

٤ - مسلم: المساجد (٤٦٢/١) رقم ٢٨٠، الترمذي: التفسير (٣٦٣/٥) رقم ٣٢٢٦

وكذا تثبته من عبد الله بن عمرو بن العاص حين أخبر أنه يقول : لأقومن الليل ولأصومن النهار ماعشت، فقال رسول الله ﷺ «أنت الذي تقول ذلك؟ قال : قد قلته يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : «فإنك لاتستطيع ذلك» الحديث (١)

ولعل من هذا أيضا أنه لما بلغ عائشة رضي الله عنها قول أهل الإفك، حيث أخبرتها أم مسطح بذلك، فأستأذنت النبي ﷺ في أن تأتي أبويها قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما» الخ (٢)

وفي حديث الإفك كله تثبت النبي ﷺ من هذا الخبر بسؤال بريرة مرة، وسؤال زينب بنت جحش مرة أخرى، وفيه تثبت أبي بكر أيضا وعدم تسرعه في الأمر، لأنه لم ينقل عنه في هذه القصة مع تمادي الحال فيها شهرا كلمة فما فوقها، إلا ماورد عنه في بعض طرق الحديث أنه قال: والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية، فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام (٣)

وفي جانب التثبت في الأحداث ما كان من تثبت النبي ﷺ في قصة حاطب بن أبي بلتعة في فتح مكة بعد أن كان منه ما كان، وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ بالوحي، فلم يعجل بالحكم على حاطب حتى استدعاه وسأله: «ما حملك على ما صنعت» (٤) إذ إن أول المراحل عند وقوع حادثة أو سماع خبر هي مرحلة التثبت من وقوع الحدث ومن صحة الخبر، وفي هذه الحادثة تم التثبت عن طريق أوثق المصادر ألا وهي الوحي، والمرحلة الثانية هي مرحلة التثبت من الأسباب التي دفعت إلى إرتكاب الخطأ وهو ما فعله النبي ﷺ حين سأل حاطبا بنفسه عن سبب فعلته (٥).

١ - البخاري: الصوم ١٩٧هـ، مسلم (٨١٢/٢) رقم ١٨١، النسائي: الصيام (٢٠٩/٤) رقم ٢٣٨٨، احمد (١٨٩/٢).

٢ - تقدمت الإشارة اليه قريبا (انظر ص ٢٨٢)

٣ - انظر الفتح: (٤٨٠/٨)

٤ - الحديث أخرجه البخاري ٣٩٨٣، مسلم: فضائل الصحابة: (١٩٤١/٤) رقم ١٦١ وتقدم تخريجه في الباب السابق.

٥ - انظر رسالة «إذا قلتم فاعدلوا» لعبد العزيز الجليل ص ٣٩

ومنه أيضا تثبته ﷺ من خالد بن الوليد رضي الله عنه، عندما قتل رجل مسلم رجلا من الروم وأخذ سلبه، فمنعه خالد بن الوليد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ياخالد، ما حملك على ما صنعت؟ قال يارسول الله استكثرتة... الحديث(١)

ويظهر ذلك جليا في قصة ماعز حيث إن النبي ﷺ تثبت من أصل خبره فقال له : «أحق ما بلغني عنك؟ قال: وما بلغك عني؟ قال: بلغني أنك وقعت بجارية آل فلان ، قال : نعم...» الحديث(٢)

وتثبت من قومه فسألهم عنه «أبه جنون» فأخبر أنه ليس بمجنون. فقال : «أشرب خمرا» فقام رجل فشمه فلم يجد منه ريح خمر... (٣) ثم رجمه بعد هذا التثبت والتأكد.

ولعل قريبا من هذا سؤاله ﷺ للصحابه حين أخبره ذو اليدين أنه قد صلى العصر ركعتين، فقال ﷺ «أكما يقول ذو اليدين»، وفي رواية «أصدق ذو اليدين»(٤)

وفي جانب التثبت في الدليل، والتأكد من الحديث - خاصة - ما حصل من عمر رضي الله عنه عدة مرات من التشديد في هذا الأمر والتثبت وطلب البينة، ومن ذلك: (لما أستأذن عليه أبو موسى -رضي الله عنه- ثلاثا، فلم يأذن له فرجع، فسأله عن سبب رجوعه فأخبره بقول النبي ﷺ : «الاستئذان ثلاثا فإن أذن لك وإلا فارجع، فقال عمر: لتأتيني على هذا ببينة ، وإلا فعلت وفعلت، فأتى بأبي سعيد الخدري(٥)

-
- ١ - أخرجه مسلم الجهاد(١٣٧٣/٣) رقم ٤٣، أبو داود : الجهاد(٧٢/٣) رقم ٢٧١٩، أحمد(٢٦/٦)
 - ٢ - أخرجه مسلم : الحدود (١٣٢٠/٣) رقم ١٩، ابوداود : الحدود (١٤٣/٤) رقم ٤٤١٩، الترمذي : الحدود(٣٥/٤) رقم ١٤٢٧، أحمد(٣٢٨/١)
 - ٣ - هذه رواية لمسلم : الحدود(١٣٢١/٣) رقم ٢٢
 - ٤ - أخرجه البخاري : الصلاة ٤٨٢، مسلم : المساجد (٤٠٣/١) رقم ٩٧، النسائي : السهو (٢٠/٣) رقم ١٢٢٤
 - ٥ - وفي رواية لمسلم أنه جاء بأبي بن كعب انظر مسلم الآداب : ٣٣(ج ٣ ص ١٦٩٤)

فسأله عمر عن ذلك فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك يا أبن الخطاب! فلا تكونن عذابا على أصحاب رسول الله ﷺ فقال عمر: سبحان الله! إنما سمعت شيئا فأحببت أن اتثبت (١)

وفي رواية الموطأ أن عمر قال لأبي موسى: (أما أني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ) (٢)

ومثله ما ذكره المغيرة بن شعبة قال: سأل عمر بن الخطاب عن إملاص المرأة - وهي التي يضرب بطنها فتلقي جنينا فقال: أيكم سمع من النبي ﷺ فيه شيئا؟ قال فقلت: أنا، فقال ماهو؟ قلت سمعت النبي ﷺ يقول: «فيه غرة عبد أو أمة» فقال: لا تبرح حتى تجيئني بالمخرج فيما قلت، قال فخرجت فوجدت محمد بن مسلمة فجئت به فشهد معي أنه سمع النبي ﷺ يقول: «فيه غرة عبد أو أمة» (٣)

ومن هذا الباب أيضا ما حدث به أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فقدت أمة من بني إسرائيل لا يدري ما فعلت، ولا أراها إلا الفأر، ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته؟» قال أبو هريرة: فحدثت هذا الحديث كعبا فقال: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم. قال ذلك مرارا.

قلت: أقرأ التوراة؟ (٤)

ومثله ما كان من عائشة رضي الله عنها، حين حدثها عروة حديثا سمعه من عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء»

١ - تقدم تخريجه في المبحث الرابع ص: ٢٥٧

٢ - الموطأ: (٢/٢٧٠)

٣ - أخرجه البخاري: الإعتصام ٧٣١٧

٤ - تقدم في الباب الأول ص: ١٩٤

(فلما حج عبد الله بن عمرو قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي! انطلق إلى عبد الله فاستثبت لي منه الذي حدثني عنه، فلما سأله وأخبرها، عجبت فقالت: والله لقد حفظ عبد الله بن عمرو) (١)

ولا بأس أن يزداد المحاور ثباتاً أو يزيد الأمر تأكيداً غفي صحيح مسلم عن أبي بكر بن عمارة بن ربيعة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، يعني الفجر والعصر». فقال له رجل من أهل البصرة: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال الرجل: وأنا أشهد أنني سمعته من رسول الله ﷺ. سمعته أذناني ووعاه قلبي (٢)

وفي قصة إسلام عمرو بن عبسة وإخباره بما علمه إياه رسول الله ﷺ من فضل الوضوء والصلاة وأنها يكفران الذنوب والخطايا، فلما حدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ. فقال له أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة! انظر ماتقول. في مقام واحد يعطى هذا الرجل! فقال عمرو: يا أبا أمامة! لقد كبرت سني، ورق عظمي، وأقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله، ولا على رسول الله. لو لم أسمع من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً (حتى عد سبعة) ما حدثت به أبداً. ولكني سمعته أكثر من ذلك (٣) وسأترك بقية الأمثلة اختصاراً، وفيما ذكر كفاية - ان شاء الله - في الدلالة على لزوم التثبت وأهميته بالنسبة للحوار، وضرورة الحذر من تصديق كل شيء أو من الاستعجال قبل التأكد من صحة المعلومات.

١ - أخرجه البخاري الإعتصام ٧٣٠٧، أحمد (٢٠٣/٢)

٢ - أخرجه مسلم: المساجد (٤٤٠/١) رقم ٢١٤، أبوداود: الصلاة (١١٣/١) رقم ٤٢٧، أحمد (١٣٦/٤)

٣ - أخرجه مسلم: صلاة المسافرين (٥٧١/١) رقم ٢٩٤، أحمد (١١١/٤)، ابن خزيمة في

صحيحه: (٨٥/١) رقم ١٦ مختصراً

المبحث الثامن: الرد على الشبه بما يناسبها

يكثُر في الحوار إيراد الشبه التي ربما كانت عائقاً أمام اقتناع الخصم وإذعانه، وغالباً ما يطرح الخصم المعاند مثل هذه الشبه للإعراض عن الحق أو للتلبيس على محاوره، أو لتضييع الوقت والهروب من الحوار والمناقشة، وربما كان الأمر مشتبهاً فعلاً على الخصم ويحتاج إلى كشف للشبهات وإزالة الإشكالات.

لذلك فلا بد من قوة وصرامة في مقابلة الشبه التي يطرحها الخصم، كما أنه لا بد من مواجهته بما قد يكون عنده من شبه تعرف عنه حتى ولو لم يصرح بها.

ومن شواهد ذلك في القرآن ما ذكره الله عز وجل عن المنافقين في أول سورة البقرة حيث قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)

قال القرطبي رحمه الله: (قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ رداً عليهم وتكديبا لقولهم، قال أرباب المعاني: من أظهر الدعوى كذب ألا ترى أن الله عز وجل يقول: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ وهذا صحيح (٢)

قال ابن عاشور: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ أتى بما يقابل جفاء طبعهم انتصاراً للمؤمنين، ولولا جفاء قولهم: ﴿أَنْؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ لما تصدى القرآن لسبابهم... إلى قوله: فتحسن فيه الصراحة والصرامة (٣)

ويقول الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي: (ولما كان في قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ حصر الإصلاح في جانبهم - وفي ضمنه أن المؤمنين ليسوا من أهل الإصلاح - قلب الله عليهم دعواهم بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ (٤)

١ - البقرة: ١١-١٣

٢ - تفسير القرطبي: (٢٠٤/١)

٣ - التحرير والتنوير: (٢٨٨/١)

٤ - تيسير الكريم الرحمن: (٣٧/١)

فهذا القول من الله جل ثناؤه في قوله ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ وقوله ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ تكذيب للمنافقين ورد عليهم فيما ادعوه من الإصلاح ومقابلة للشبهة بما يناسبها من الصراحة والصراحة (١)

ومن هذا الباب أيضا رد إبراهيم عليه السلام على قومه حين خوفوه ما أشركوا حيث قال ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا، فَايُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢)

فلقد كانت حجة إبراهيم عليه السلام قوية حين قابل تخويفهم له بآلهتهم بتخويفهم من الله عز وجل الذي جعلوا له الشركاء والأنداد من غير حجة ولا سلطان، ثم طرح عليهم ذلك السؤال المخرج سؤال المؤمن الواثق الذي يبين أن الذي يستحق الأمن والإطمئنان هو فريق المؤمنين، وأنه إن كان أحد قميئا بالخوف فليس هو إبراهيم المؤمن الموحد المرسل من ربه، وإنما الذي يشرك بالله مالا سلطان له ولا قوة.

قال الزمخشري: (وكيف أخاف، لتخويفكم شيئا مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه، وأنتم لاتخافون مما يتعلق به كل مخوف، وهو إشراككم بالله ما لم ينزل بإشراكه «سلطانا»، أي: حجة، لأن الإشراك لا يصح أن يكون عليه، كأنه قال: ومالككم تنكرون علي الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف) (٣)

ولذلك قال تعالى بعدها ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٤) فلما واجههم بالحجة التي آتاها الله له وألهمه إياها، سقطت حجتهم وعلت حجته وارتفع إبراهيم على قومه عقيدة وحجة ومنزلة (٥)

١ - انظر الطبري: (١٢٧/١)، الكشاف: (٦٣/١)

٢ - الأنعام: ٨١

٣ - الكشاف: (٣٢/٢)

٤ - الأنعام: ٨٣

٥ - انظر الطبري (٢٥٣-٢٥٩)، الظلال: (١١٤٢/٢)

ويظهر هذا الأدب واضحا في نفي نوح عن نفسه الضلالة، ونفي هود عن نفسه السفاهة حين اتهما بهما - عليهما السلام - حيث قال سبحانه في قصة نوح: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ قَالَ يَأْقُومُ لَيْسَ بِي ضَالَّةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ابْلُغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١)

وقال في قصة هود: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَأْقُومُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ابْلُغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٢)

ف نجد أن نبيي الله عليهما السلام، قد واجه كل واحد منهما الشبهة التي أثرت حوله بما يناسبها، حيث نفى كل منهما التهمة التي اتهم بها، ثم أثبتا لنفسيهما الرسالة، وكشفا لهم عن حقيقة دعوتهما ومنبعها، وأنها يحملان مع الرسالة النصيح والأمانة، وهذا الرد على تلك الشبهة: غاية في الأدب وحسن الخلق الذي يناسب حال المخاطبين.

قال الزمخشري في هذا المعنى: وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإعفاء وترك المقابلة بما قالوا - مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفهمهم - : أدب حسن وخلق عظيم، وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم (٣)

ومن نماذج ذلك أيضا ما ذكره الله عز وجل عن نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (٤)

١ - الأعراف: ٦٠-٦٢

٢ - الأعراف: ٦٦-٦٨

٣ - الكشاف: (٨٧/٢)، انظر الظلال: (١٣٠٩/٣)، زبدة التفسير: ٢٠٢

٤ - هود: ٣٨

فهذا نوح عليه السلام يجيب قومه جواب الواثق ويخبرهم في اعتزاز وثقة وطمأنينة واستعلاء، إنه يبادلهم سخرية بسخرية فإنهم إن كانوا يسخرون منه لأنه يصنع الفلك فإنه يسخر منهم كذلك، ولكن لأنهم لا يدركون ما وراء هذا العمل

من تدبير الله، وما ينتظرهم من الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة (١)

وقريب من هذا ما أشار الله عز وجل إليه في الرد على المشركين حين أثاروا الشبهة حول تحريم أكل الميتة، وقالوا للمؤمنين: أَتَأْكُلُونَ مَا قَتَلْتُمْ، وَلَا تَأْكُلُونَ مَا قَتَلَ اللَّهُ؟ يَعْنُونَ الميتة، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيَجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٢)

فبين سبحانه أن تلك الشبهة وحي من الشياطين لقنوها لأوليائهم المشركين، ليعاندوا بها الله ورسوله وليجادلوا المؤمنين بغير حجة ولا برهان (٣)

وقريب منه أيضا ما ذكره الله من رد على من أدعى الإيمان من الأعراب، حيث قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤)

قال الزمخشري في بيان دلالة الآية وبلاغة الرد مانصه: أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا، ودفع ما أنتحلوه، فقل: ﴿قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا﴾ وروعي في هذا النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل: كذبتكم، ووضع ﴿لَمْ تَوْمِنُوا﴾ الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه، ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتكم في قوله في صفة المخلصين: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون.

١ - انظر الكشاف: (٢/٢٦٨)، الظلال: (٤/١٨٧٧)

٢ - الأنعام: ١٢١

٣ - انظر تفسير السعدي: (٢/٦٤)، زبدة التفسير: ١٨٢

٤ - الحجرات: ١٤

ورب تعريض لايقاومه التصريح، واستغنى بالجملة التي هي ﴿لَمْ تَوْمِنُوا﴾ عن أن يقال: لاتقولوا آمنا(١) لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالإيمان، ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى، ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوه كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به(٢)

فظهر مما سبق من كلام الزمخشري واضحا مقابلة ادعاء الأعراب الإيمان، بما يناسبه من النفي والتكذيب لدعواهم، وبأسلوب التعريض والتلميح(٣)، مع مراعاة الأدب الحسن الذي يتناسق مع طبيعة الأعراب الجافة الغليظة.

ومن شواهد هذا النوع ما رد الله به على اليهود وغيرهم في مسألة تحويل القبلة حيث قال الله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٤)

وذكر الشيخ السعدي كلاما حول الآية ملخصه: أن الآية اشتملت على معجزة، وتسليية، وتطمين قلوب المؤمنين، وإعتراض وجوابه، من ثلاثة أوجه، وصفة المعترض، وصفة المسلم لحكم الله دينه، فأخبرهم بأنه لا بد أن يعترض السفهاء، فسلاهم وأخبر بوقوعه، وأنه إنما يقع ممن اتصف بالسفه، قليل العقل والحلم والديانة، فلا تبالوا بهم، إذ قد علم مصدر هذا الكلام، وقد كان في قوله: ﴿السُّفَهَاءُ﴾ ما يغنى عن رد قولهم، وعدم المبالاة به، ولكنه تعالى مع هذا لم يترك هذه الشبهة، حتى أزالها وكشفها مما سيعرض لبعض القلوب من الاعتراض،

١ - الأصل: آمنا

٢ - الكشف: (٥٧/٣)

٣ - سياأتي مبحث خاص في ذلك - إن شاء الله

٤ - البقرة: ١٤٢

فقال تعالى: ﴿قُلْ﴾ مجيباً لهم: ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١)

فتبين من خلال ذلك أن الآية فيها مقابلة الخصم بما عنده، والمبادرة بإبطال شبهه، وأن هذا الأسلوب أبلغ في الرد، وأعمق في التأثير. ولعل من هذا الباب أيضاً ماجاء في مجابهة الرسل لأقوامهم، ومواجهتهم بما عندهم من الشبه والمنكرات والمبادرة بإبطالها والرد عليها، فعلى سبيل المثال ما ذكره الله عز وجل عن لوط عليه السلام، حيث قال: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (٢)

وكذا قوله في الآية الأخرى عنه: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (٣)

قال في الظلال: (ويبدو انحراف الفطرة واضحا في قصة قوم لوط ، حتى إن لوطا ليجبهم بأنهم بدع دون خلق الله فيها، وأنهم في هذا الانحراف الشنيع غير مسبوقين) (٤)

ومثل ذلك مواجعة شعيب لقومه ، والمبادرة بالإنكار عليهم في امر التطفيف، بعد دعوتهم للتوحيد، كما في قوله: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۖ﴾ (٥) الآية فقد واجههم شعيب عليه السلام بما عندهم من الفساد، وبدأهم بما يعرف عنهم من الضلال.

١ - تفسير السعدي: (١/١٠٤-١٠٥)

٢ - الأعراف: ٨٠-٨١

٣ - الشعراء: ١٦٥-١٦٦

٤ - الظلال: (٣/١٣١٥)

٥ - الأعراف: ٨٥

وقبل الانتقال إلى أمثلة السنة نكمل المسيرة مع القرآن بذكر شواهد مختصرة سريعة تبين كيفية مواجهة الشبه بما يناسبها فمن ذلك مثلاً:

قوله تعالى عن المنافقين ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ﴾
ثم واجه هذا الأمر ورد عليه بقوله ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١)

وقوله تعالى فيهم أيضاً ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ فكان الجواب عليهم: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ (٢)

وقوله تعالى في الرد على شبهة أخرى من شبههم ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ فكان الرد أقوى وأحزم ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٣)
وكذلك قول الله فيهم ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤)

وفي حث المؤمنين على مواجهة أعدائهم بقوة وإيمان صادق يقول سبحانه ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوُكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ اتَّخَشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٥)

وفي مواجهة الكفار عموماً يقول تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٦)

١ - البقرة: ١٤-١٥

٢ - التوبة: ٤٩

٣ - التوبة: ٨١

٤ - التوبة: ٧٩

٥ - التوبة: ١٣

٦ - الأنفال: ٣٠

ويقول أيضا: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوِيْدًا﴾ (١)

إلى غيرها من الآيات في مثل هذا الباب.

ومن أدلة ذلك من السنة حديث عائشة رضي الله عنها كما في رواية مسلم ونصه (عن مسروق قال : كنت متكئا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت ماهن؟ قالت: من زعم أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ (٢) ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (٣) فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أراه على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيتُه منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض فقالت : أولم تسمع أن الله يقول ﴿لَا تَذَرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٤) أولم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ (٥)

قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (٦) قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٧) (٨)

١ - الطارق: ١٧

٢ - التكوين: ٢٣

٣ - النجم: ١٣

٤ - الأنعام: ١٠٣

٥ - الشورى: ٥١

٦ - المائدة: ٦٧

٧ - النمل: ٦٥

٨ - أخرجه مسلم: الإيمان (١/١٥٩) رقم ٢٨٧، الترمذي: التفسير (٥/٣٩٤) رقم ٣٢٧٨

فهذه عائشة رضي الله عنها ترد على شبهة مسروق، وذلك ببيان المقصود من الآية التي استدل بها، استنادا إلى ما سمعته من النبي ﷺ في تفسيرها، فتبطل استدلاله بالآيتين، ثم تقابل ذلك الاستدلال بإستدلال أقوى منه، تؤيد به قولها وذلك حين قالت: أولم تسمع أن الله يقول ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أو لم تسمع أن الله يقول ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآية

ومن أمثلة ذلك أيضا ما جاء في حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام وفيه: (قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فكان جواب آدم عليه السلام مقابلا لكلام موسى من حيث التذكير بالنعم والثناء عليه، حيث قال آدم: أنت موسى الذي أصطفاك الله برسالاته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، ثم استدرجه بسؤاله عن زمن كتابة التوراة، وأن فيها: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (١) وأن ذلك كان مكتوبا عليه قبل أن يخلق بأربعين سنة، وبذلك حج آدم موسى (٢)

ومن أمثلته أيضا حوار أبي هريرة وعبدالله بن سلام، في الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، وفيه قول عبد الله: إني لأعلم تلك الساعة. قال أبو هريرة: فقلت يا أخي حدثني بها. قال: هي آخر ساعة من يوم الجمعة قبل أن تغيب الشمس. قال قلت: أليس قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة، وليست تلك الساعة صلاة؟ قال: أليس قد سمعت رسول الله ﷺ يقول «من صلى وجلس ينتظر الصلاة لم يزل في صلاته حتى تأتيه الصلاة التي تلاقىها» قال: قلت: بلى! قال فهو كذلك (٣)

فقد قابل عبد الله بن سلام رضي الله عنه الشبهة التي اشكلت على أبي هريرة، بما يناسبها، فحين ذكر أبو هريرة حديثا، ذكر له حديثا يبينه ويقضي على شبهته.

١ - طه: ١٢١

٢ - تقدم تخريجه في أول الرسالة ص: ١٢

٣ - أخرجه النسائي الجمعة (١١٥/٣) رقم ١٤٣٠ بهذا اللفظ، الموطأ: الصلاة (٨٨/١) رقم ٩٣، أحمد (٧/٦)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٣٥٤)

ومن شواهد ذلك من السنة حديث خباب رضي الله عنه قال : جئت العاص بن وائل السهمي، أتقاضاه حقا لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد. فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث. قال : وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت : نعم. قال : إن لي هناك مالا ولدا فأقضيك فنزلت هذه الآية : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٢٨١).

قال في الفتح: (و النكتة في تعبيره بالبعث تعبير العاص بأنه لا يؤمن به (٣٨) فقد أحسن خباب رضي الله عنه في مواجهه العاص بما يناسبه حاله، لما عرف عنه من إنكار البعث والنشور.

ومثل ذلك ماورد في حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه ومواجهته لليهود حيث قال لهم: فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق (٤) فقد واجههم بما يكتُمونه في أنفسهم، من المعرفة برسالته ﷺ، وأن ما جاءهم به حق لأمرية فيه.

فمما سبق من أمثلة ونماذج يتبين أنه لابد للمحاور من التفتن إلى شبه خصمه ويقابلها بالرد المناسب المقنع، والجواب الواضح البين الذي يكشف الشبهه ويزيل اللبس والإشكال عنها، فيضع محاوره أمام خيار واحد، لايمك إلا أن يسير فيه ويسلم برأي محاوره.

كما أنه يحسن بالمحاور أن يتنبأ بما يمكن أن يلقي عليه خصمه من الشبهه (٥)، ويفترض الإشكالات التي قد تكون عقبة أمام اقتناع الطرف الآخر، وبالتالي اعداد الجواب المناسب لها وإظهار الحجة القوية لإبطالها، ويكون كل ذلك في صراحة وصراحة، مع مراعاة لين الكلام وحسن الأدب، ولطف العبارة...

١ - مريم: ٧٧

٢ - أخرجه البخاري: التفسير ٤٧٣٢، الترمذي: التفسير (٣١٨/٥) رقم ٣١٦٢، أحمد (١١١/٥).

٣ - الفتح: (٤٣٠/٨) وانظر تحفة الأحوذى: (٤٨٤/٨)

٤ - أخرجه البخاري : مناقب الأنصار ٣٩٣٨، أحمد (١٠٨/٣)

٥ - سيأتي مبحث مستقل في مثل هذا الأمر- إن شاء الله.

ثم إذا تقرر هذا الأدب الرفيع، فإنه يجب على المحاور أن يحذر من مسلك الطريقة الفرعونية، في رد الحق بالباطل، ومقابلة الحجة بالشبهة، فرارا من التسليم للحق، وهروبا من الاعتراف بالخطأ، كما قد قال فرعون لموسى ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ (١) فإنه قد رد الحق البين بالسحر المزعوم، متهما موسى بذلك في رسالته وأمانته، وهو مسلك المعاندين في كل زمان، عند عجزهم عن الحجة القوية والأدلة الظاهرة، وفي ذلك يقول سيد قطب رحمه الله في تعليقه على الآية المذكورة: (وهكذا يفهم الطغاة أن دعوى أصحاب العقائد إنما تخفي وراءها هدفا من أهداف هذه الأرض، وأنها ليست سوى ستار للملك والحكماء. ثم هم يرون مع أصحاب الدعوات آيات، إما خارقة كآيات موسى، وإما مؤثرة في الناس تأخذ طريقها إلى قلوبهم، وإن لم تكن من الخوارق. فإذا الطغاة يقابلونها بما يماثلها ظاهريا... سحر، تأتي بمثله! كلام، تأتي بكلام من نوعه! صلاح، نتظاهر بالصلاح! عمل طيب، نرائي بعمل طيب! ولا يدركون أن للعقائد رصيذا من الإيمان، ورصيذا من عون الله، فهي تغلب بهذا وبذاك، لا بالظواهر والأشكال) (٢)

١ - طه: ٥٨

٢ - الظلال: (٢٣٤٠/٤)

المبحث التاسع : ضرب الأمثلة

المتحدث الناجح والمهاور الذكي، هو الذي يحسن ضرب الأمثلة، ويتخذها وسيلة لإقناع محاوره بالفكرة الصحيحة، أو لتقريب وجهات النظر والتعبير عن المعاني وشرحها، فالأمثلة الجيدة تزيد المعنى وضوحا وبيانا، وهي تفيد مع العالم كما تفيد مع من دونه، وتؤثر على الكبير كما تؤثر على الصغير (١)

ولما للأمثلة من دور إيجابي فعال في تقريب المعاني والإقناع بها، فقد اعتنى القرآن بها كثيرا، فأشار إلى أهميتها وبيان هدفها، وهو أن يفقه السامع ويتفكر ويعقل ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢) ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣)، كما أشار إلى أن العالم الحق هو الذي يعقل الأمثال ويدرك مقاصدها: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤)

وقد ذكر في القرآن عدد كبير من الأمثلة في مواضع مختلفة وبأساليب متنوعة، منها ما ذكر فيه لفظ: (المثل) وهذه تزيد على العشرين مثلا، ومنها ما يذكر المثل بصيغة التشبيه ونحوها، ويلاحظ تنوع الموضوعات التي يضرب لها المثل، وتعدد الجوانب التي ترد فيها.

ففي جانب التوحيد وبيانه وإظهار ثمرته وقوته يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلُّ حِينٍ وَإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥)

١ - أصول الحوار ص ٣٠ بتصرف يسير

٢ - إبراهيم: ٢٥

٣ - الحشر: ٢١

٤ - العنكبوت: ٤٣

٥ - إبراهيم: ٢٤-٢٥

وفي المقابل وفي التحذير من الشرك والكفر ومتعلقاته يقول عز وجل ﴿وَمَثَلُ
كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (١).

فكلمة التوحيد راسخة في قلب المؤمن في دنياه وآخرته، وكلمة الكفر والباطل
نهايتها إلى الفناء والبوار، وفي ضرب هذه الأمثال زيادة تذكير وتفهم وتصوير
للمعاني (٢).

وفي هذا الجانب أيضا: يضرب مثلا لمن يعبد الله وحده، ولمن يعبد آلهة متعددة
ويشرك بالله العظيم ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا
لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

وفي جانب الإنكار على اليهود تركهم العمل بما عندهم من العلم والكتاب
يشبههم بقبيح من الحيوانات ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ
الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾ (٤).

وفي جانب التحذير من النفاق والإنكار على المنافقين يقول الله تعالى
عنهم: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ
وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۚ صُمُّ بَكْمٌ عُمَّى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۚ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ
السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ
الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۚ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا
فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥).

١ - إبراهيم: ٢٦

٢ - انظر زبدة النفسير ص ٣٣٣

٣ - الزمر: ٢٩

٤ - الجمعة: ٥

٥ - البقرة: ١٧-٢٠

فها هنا يضرب الله مثلين للمنافقين: أحدهما: ناري، والآخر: مائي، فيشبه حالهم من استضاءتهم بنور الإيمان ومعرفة الحق، ثم الخروج منه إلى ظلمة الكفر والنفاق، بمن كان في ظلمة واحتاج إلى النار فلما أضاءت له الطريق زال عنه نورها، وعاد إلى الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراف، وبقي ما فيها من الإحراق، فاجتمعت عليه ظلمات متعددة: ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ (١)

ويشبههم أيضا بمن يسير في ظلمة ومطر شديد ورعد وبرق، فيجعل أصابعه في أذنيه خشية الموت، فالمنافقون إذا سمعوا الحق والقرآن وما فيه من الوعيد والزواجر يصموا آذانهم عن سماعه، كما أنهم ربما يصيبهم شيء من الخير والغنيمة، فهذا الضياء الذي يمشون فيه، ولكن إذا أصابهم بلاء رجعوا عن دينهم وأرتدوا كفارا (٢)، وهذا كقوله تعالى فيهم ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) الآية

وفي جانب حث المؤمنين على الإنفاق يقول تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مائة حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤)

والأمثلة غير ذلك كثيرة في كتاب الله، وفي السنة أكثر من ذلك، فقد كان النبي ﷺ يكثر من ضرب الأمثلة وتقريب المعاني بالأمور المحسوسة، فهو أحيانا

١ - انظر تفسير السعدي: (٤٠/١)

٢ - انظر زبدة التفسير ص ٥

٣ - النساء: ١٤١

٤ - البقرة: ٢٦١

يطرح مثلاً من عنده ثم يربطه بمعنى عظيم كما في قوله ﷺ : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيئاً ، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوها الله به الخطايا » (١) .

وهو أحياناً يجيب على أسئلتهم بمثل يوضح الإشكال ويزيل اللبس ، فقد سألته الصحابة فقالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب ؟ قالوا لا يا رسول الله . قال : فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب ؟ قالوا : لا ، قال : فإنكم ترونه كذلك . الحديث (٢) .

وهو أحياناً يطلب منهم مثلاً لشيء معين كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا تتؤتي أكلها كل حين ، قال ابن عمر : فوقع في نفسي أنها النخلة ، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان ، فكرهت أن أتكلم ، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ : هي النخلة . الحديث (٣) .

وهو يستخدم التشبيه البليغ في الإقناع وإزالة الشبهات ، ففي صحيح البخاري : (باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبین وقد بین النبي ﷺ حكمهما ليفهم السائل) (٤) .

١ - أخرجه البخاري : المواقيت ٥٢٨ ، مسلم : المساجد (٤٦٢/١) رقم ٢٨٣ ، النسائي : الصلاة (٢٣٠/١) رقم ٤٦٢ ، أحمد (٧٢/١)

٢ - أخرجه البخاري : الأذان ٨٠٦ ، مسلم : الإيمان (١٦٣/١) رقم ٢٩٩ ، أبوداود : السنة (٢٣٣/٤) رقم ٤٧٢٩ ، الترمذي : الجنة (٦٨٨/٤) رقم ٢٥٥٤ ، ابن ماجه : الزهد (١٤٥٠/٢) رقم ٤٣٣٦ ، أحمد (٢٧٥/٢)

٣ - أخرجه البخاري : التفسير ٤٦٩٨ ، مسلم : المنافقين (٢١٦٤/٤) رقم ٦٢ ، الترمذي : الأمثال (١٥١/٥) رقم ٢٨٦٧ ، أحمد (٦١/٢)

٤ - الفتح : (٢٩٦/١٣) كتاب الإعتصام بالسنة

وذكر فيه حديث أبي هريرة أن أعرابيا أتى رسول الله ﷺ فقال : إن إمراة ولدت غلاما أسود وإني أنكرته، فقال له رسول الله ﷺ: هل لك من إبل؟ قال : نعم، قال: فما ألوانها؟ قال : حمر، قال: هل فيها من أورك؟ قال إن فيها لورقا، قال : فأنى ترى ذلك جاءها؟ قال : يارسول الله عرق نزعها، قال: ولعل هذا عرق نزعها ١٠٠ الحديث (١)

ثم ذكر حديث ابن عباس أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: (إن أُمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟ قال: نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أُمك دين أكننت قاضيته؟ قالت: نعم، قال : فأقضوا الذي له، فإن الله أحق بالوفاء (٢)

ولعل مثل هذا تماما حديث المرأة التي قالت للرسول ﷺ : إن أُمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال : « أرأيت لو كان عليها دين أكننت تقضينه؟ قالت: نعم، قال: «فدين الله أحق بالقضاء» (٣)

وفي مرة أتى النبي ﷺ المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا: أو لسنا إخوانك يارسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله؟ فقال : « أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجله بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يارسول الله.

-
- ١ - أخرجه البخاري: الإعتصام ٧٣١٤، مسلم اللعان (١١٣٧/٢) رقم ١٨، ابوداود: الطلاق (٢٨٦/٢) رقم ٢٢٦٠، الترمذي: الولاء (٤٣٩/٤) رقم ٢١٢٨، النسائي: الطلاق: (١٧٨/٦) رقم ٣٤٧٨، ابن ماجه: النكاح (٦٤٥/١) رقم ٢٠٠٢، أحمد (٢٣٣/٢)
 - ٢ - أخرجه البخاري: الإعتصام ٧٣١٥، النسائي: الحج (١١٦/٥) رقم ٢٦٢٣
 - ٣ - أخرجه البخاري: الصوم ١٩٥٣، مسلم: الصيام (٨٠٤/٢) رقم ١٥٤، الترمذي: الصوم (٨٧/٣) رقم ٧١٦، ابن ماجه: الصيام (٥٥٩/١) رقم ١٧٥٨

قال: فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليزاد رجل عن حوضي كما ي زاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم! فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول سحقا سحقا» (١)

ولاستقرار هذه القضية ولأهمية ضرب الأمثلة، فقد استخدمها الصحابة رضوان الله عليهم في مناقشاتهم وإختلافهم، فهذه عائشة رضي الله عنها وقع عليها الابتلاء وأصابها الهم والحزن - كما في حادثة الإفك - فأرادت أن تهون من مصابها، وتخفف من آلامها، فالتمست لنفسها مثلاً، فلما سألها رسول الله ﷺ عما أشيع عنها ولم يجب عنها أبوها ولا أمها، فأجابت: «قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن، فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به، وإن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أنني بريئة - لاتصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنني بريئة - لاتصدقني. والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (٢) (٣)

وكذلك لما خرج عمر رضي الله عنه إلى الشام، ثم أخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، فاستشار من معه من المهاجرين، ثم استشار الأنصار، فاختلفوا، فاستشار مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء.

فنأى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! (وكان عمر يكره خلافه) نعم. نفر من قدر الله إلى قدر الله. أرأيت لو كانت لك إبل

١ - أخرجه مسلم: الطهارة (٢١٨/١) رقم ٣٩، النسائي: الوضوء (٩٤/١) رقم ١٥٠، ابن

ماجة: الزهد (١٤٣٩/٢) رقم ٤٣٠٦، الموطأ: الوضوء (٤٠/١) رقم ٢٦، أحمد (٣٠٠/٢)

٢ - يوسف: ١٨

٣ - تقدم تخريجه ص: ١٢٥ وغيرها

فهبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت
الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فجاء
عبد الرحمن بن عوف، وكان متغيبا في بعض حاجته، فقال: إن عندي من هذا علما،
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع
بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارا منه» فحمد الله عمر بن الخطاب ثم
انصرف (١)

ولما كان ضرب المثل نوع من القياس، فيحسن هنا تلخيص أنواع القياس
التي تشبه ضرب الأمثلة، وأن نذكر بعض أمثلتها، فمن ذلك (٢)

أ - الأقيسة الإضمارية: وهي التي تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود
ما ينبىء عن المحذوف (٣)، وبمعنى آخر: هو ما ذكرت فيه مقدمة واحدة فقط، ومثاله
قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ (٤) وتقدير المعنى في هذه المقايسة: أي إن كان الخلق من غير أب
مسوغا لاتخاذ عيسى إلها أو ابنا لله، فإن آدم أولى بذلك من عيسى لأنه خلق من
غير أب ولا أم، وهم لا يقولون بذلك، بل لم يقل به أحد (٥)

وهذا النوع تكرر في أدلة القرآن كثيرا، وهو يعطي الدليل قوة وفصاحة وبيانا،
قال شارح الطحاوية (والقرآن قد ضرب الله للناس فيه من كل مثل، وهي
المقاييس العقلية المفيدة للمطالب الدنيوية، لكن القرآن يبين الحق في الحكم
والدليل، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وما كان من المقدمات معلومة ضرورية
متفقا عليها، استدل بها، ولم يحتج إلى الاستدلال عليها، والطريقة الفصيحة
في البيان أن تحذف، وهي طريقة القرآن (٦)

١ - أخرجه البخاري: الطب ٧٢٩ هـ، مسلم: السلام (١٧٤٠/٤) رقم ٩٨، أحمد (١٩٤/١)

٢ - ملخصه من مناهج الجدل ص ٧٦-٧٩ بتصرف وإضافة عليها

٣ - مناهج الجدل ص ٧٦

٤ - آل عمران: ٥٩

٥ - انظر الحوار مع أهل الكتاب ص ٢١٠

٦ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨

ب - قياس الخلف: وهو اثبات المطلوب بإبطال نقيضة، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ فسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (١) وتقريره: أن لو كان في السموات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان، ولأدى ذلك إلى فسادهما، ولكنهما صالحان غير فاسدين فدل على الوحدةانية، ويسمى هذا النوع أيضا دليل التمانع (٢)

ج - قياس التمثيل: وهو إلحاق أحد الشيئين بالآخر، وذلك بأن يقيس الأمر الذي يريد إثباته على أمر معروف عند المخاطب أو على أمر بدهي لا تنكره العقول، ويبين الجهة الجامعة بينهما، وكثير من أدلة البعث والقيامة ترجع إلى هذا النوع، كعقد المشابهة بين ابتداء الخلق وإعادة كما في قوله تعالى: ﴿أَفَعَبِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ (٣) وقوله أيضا: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٤)

د - قياس الأولى: وهو أن تكون العلة في الفرع أولى بالحكم منها في الأصل، ويصلح مثالا له ما ذكر في النوع الأول من قياس عيسى على آدم وإبطال من قال بألوهيته أو بنوته من باب الأولى (٥)

إلى غير ذلك مما يتعلق بالقياس، وإنما المقصود التنبيه على أهمية ضرب المثل وقوته في الاستدلال، والإشارة إلى أنواع من هذا الباب، لإستخدام المناسب منها في الحوار والمناظرة.

١ - الأنبياء: ٢٢

٢ - مناهج الجدل ص ٧٧-٧٨

٣ - ق: ١٥

٤ - يس: ٧٨-٨١

٥ - الحوار مع أهل الكتاب ص ٢١٠

وقد لخص الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعض فوائد ضرب الأمثلة، في تعليقه على حديث النخلة وتشبيهها بالمؤمن، فقال: (وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة) (١)

ويبين ابن القيم أن الأمثال تضرب: (لتقريب المراد وتفهم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به، فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير، ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق، أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له، فهي كزراع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته) (٢)

١ - الفتح: (١٤٧/١)

٢ - اعلام الموقعين: (١٨٢/١-١٨٣)

المبحث العاشر: العدول عن الإجابة باستخدام المعارض وأسلوب الحكيم

إن الأصل في الحوار الناجح أن يبنى على الصدق والوضوح والبيان - كما تقدم - إذ يفترض في المتحاورين أن يكونا مخلصين متجردين للحق، غايتهما الوصول إليه والدلالة عليه لاتباعه، ولكن قد تتعذر هذه الصفات في بعض الخصوم، فقد يكون الخصم مجادلاً يهوى المراء والكلام، وقد يقصد إضاعة الوقت والتهرب من مواجهة الحوار الجاد، وقد يلقي أسئلة لاقيمة لها ولا تفيد شيئاً في الحوار، أو قد يكون في الإجابة على أسئلة ما يصدده عن الحق ويحول بينه وبين الوصول إلى النتيجة: عند مثل هذه الظروف ونحوها، يضطر المحاور إلى أن يعدل بخصمه عن الجواب المباشر للسؤال المطروح، إلى جواب مفيد مهم، وذلك باستخدام أسلوب الحكيم المعروف عند العرب، والذي جاءت أمثلة له في الكتاب والسنة مراراً، أو باستعمال المعارض والتورية في الكلام، بحيث يفهم السامع شيئاً غير ما يقصده المتكلم، وها هي بعض النماذج المختصرة لهذه القضية:

فمن أبرز الأمثلة على استعمال أسلوب الحكيم في الجواب: ما جاء في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ﴾ (١) الآية، على ما جاء في بعض الروايات أن السؤال كان عن ظهورها ونموها وتناقصها وتغير أحوالها، فما بالها تصنع هذا؟

وهنا اتجه الجواب إلى واقع الحياة العملي، لا إلى مجرد العلم النظري، وحدثهم عن وظيفة الأهلة في واقعهم وفي حياتهم، ولم يحدثهم عن الدورة الفلكية للقمر ووظيفته في المجموعة الشمسية ونحو ذلك، لكنه عدل عن الإجابة العلمية البحتة التي ربما لا يدركها السائل ولا تفيده كثيراً في المهمة التي جاء القرآن من أجلها وليس مجالها على أية حال هو القرآن. إذ القرآن قد جاء لما

هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية، ولم يجيء ليكون كتاب علم فلكي أو
كيماوي أو طبي (١)٠٠

ومثل هذا الجواب في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ، قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ
فَلِلَّهِ الدِّينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (٢)٠٠

فهذا السؤال عن نوع ماينفقون ٠٠ فجاءهم الجواب يبين صفة الإنفاق، ويحدد
كذلك أولى مصارفه وأقربها (٣)

ومن هذا النوع أيضا ومما يظهر فيه العدول عن الإجابة، لمن سأل عن الساعة
كما في هذين الحديثين:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم،
جاءه أعرابي فقال : متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث ٠ فقال بعض
القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه
قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يارسول الله، قال: «فإذا ضيعت
الأمانة فانتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله
فانتظر الساعة» (٤)٠

- وأوضح منه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما أنا ورسول الله
ﷺ خارجين من المسجد، فلقينا رجلا عند سدة المسجد فقال: يارسول الله متى
الساعة؟! قال رسول الله ﷺ: " ما أعددت لها؟" قال: فكأن الرجل استكان، ثم
قال: يارسول الله ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله
ورسوله ٠ قال: «فأنت مع من أحببت» (٥)

١ - انظر الظلال: (١٨٠-١٨١) بتصرف

٢ - البقرة: ٢١٥

٣ - الظلال: (٢٢١/١)

٤ - أخرجه البخاري: العلم: ٥٩، احمد: (٣٦١/٢)

٥ - تقدم تخريجه في مبحث الصدق ص: ٢٨١

فالسؤال في الحديثين عن زمن الساعة وموعدها، ولم يكن الجواب كذلك، بل كان الجواب في الحديث الأول بذكر علامة بارزة، وهي علامة تحمل معنى مؤثر موحى، ينبه به السامع إلى وجوب أداء الأمانة والتحذير من إضاعته، وكان الجواب في الحديث الثاني بلفت نظر السامع إلى ماهو أهم من معرفة موعد القيامة، ألا وهو الاستعداد لها والعمل قبل مجيئها.

وكما تقدم فقد يكون ترك الإجابة عن السؤال أو الشبهة، وتحويل وجهة الحوار إلى طريق أخرى، وعدم مناقشة مايطرحه الخصم أصلاً، بل عدم المبالاة والإنفعال بكلامه، قد يكون هذا علاجاً ناجحاً لبعض الخصوم في صرفهم عن شبهاتهم ومتعلقاتهم، ففي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنه أن ضماداً أقدم مكة، وكان من أزد شنوءه، وكان يرقى من هذه الريح (١)، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون. فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه. على يدي، قال فلقية. فقال: يا محمد! إنني أرقى من هذا الريح، وإن الله يشفي على يدي من يشاء. فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله». أما بعد، قال: فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات. قال فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر (٢). قال فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام. قال فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: «وعلى قومك»، قال: وعلى قومي. قال فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردها، فإن هؤلاء قوم ضماد (٣).

١ - الريح هنا: كناية عن الجن، سمو أرواحاً لكونهم لا يرون، فهم بمنزلة الأرواح (انظر النهاية

لابن الأثير: ٢/٢٧٢)

٢ - أي لجثة ووسط (انظر النهاية لابن الأثير: ٥/٨١)

٣ - تقدم تخريجه ص: ٢٠٠

فانظر كيف قابل النبي ﷺ كلام ضمار وكيف واجهه، إنه لم يدافع أو يرد أو يناقش شبهه وكلامه، فيما يتعلق بمس الجن ونحوه، بل استمع إليه حتى انتهى، ثم استفتح بخطبة الحاجة التي كانت وحدها كافية في تغيير وجهة الحوار ودفة النقاش، بل في تغيير مجرى حياة ضمار وقومه بإذن الله تعالى.

وإذا لم ينجح هذا الأسلوب وتعذر العدول بالخصم إلى موضوع آخر، ففي معاريض الكلام مندوحة عن الكذب (١)، وفي التورية بالكلام فرصة للتخلص من الشبه المحرجة أو المتعنتة، وأمثلة هذا متعددة فمنها:

ما ذكره الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام بعد أن حطم أصنام قومه إلا كبيراً لهم فتركه، فلما سأله عن ذلك : ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ كان جوابه : ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (٢)

قال الزمخشري عند هذه الآية (هذا من معاريض الكلام، ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة) (٣) من علماء المعاني، والقول فيه: إن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها، على أسلوب تعريض يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيته، وهذا كما لو قال لك صاحبك - وقد كتبت كتاباً بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط : أنت كتبت هذا؟ - وصاحبك أُمي لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة -، فقلت له: بل كتبتك أنت، كأن قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء، لا نفيه عنك وإثباته للأُمي أو المخرمش، لأن إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به وإثبات للقادر. ثم ذكر أقوالاً واحتمالات أخر منها أنه اسند الفعل إلى أكبرها لأنه هو الذي تسبب في

١ - هذا لفظ حديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد من طريق قتادة عن مطرف بن عبد الله قال: صحبت عمران بن حصين من الكوفة إلى البصرة فما أتى عليه يوم إلا أنشدنا فيه الشعر، وقال : إن في معاريض الكلام لمندوحة عن الكذب. (انظر الأدب المفرد: ٢٥٩/٦)

٢ - الأنبياء: ٦٢-٦٣

٣ - الراضة: يقصد بهم المتروضين والمترسين في هذا الفن (انظر الصحاح: ١٠٨١/٣)

تحطيمها، لما كان يراه إبراهيم من شدة وزيادة تعظيمهم له، والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه ١٠٠ الخ (١)

ومثل هذا قوله إبراهيم عليه السلام أيضا حين دعوه إلى الخروج معهم: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٢)

قال ابن كثير رحمه الله في الآية ما ملخصه: أن معنى سقيم : أي ضعيف: وأما قول النبي ﷺ في الحديث: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات: ثنتين منها في ذات الله تعالى، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، وقوله في سارة: «هي أختي» (٣) فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلا ولما، وإنما اطلق الكذب على هذا تجوزا، وإنما هو من المعارض في الكلام لمقصد شرعي ديني ١٠٠ ثم ذكر تخريجات المفسرين لمعنى قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ حيث قال بعضهم : أي بالنسبة إلى ما يستقبل يعني مرض الموت، وقيل أراد ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي مريض القلب من عباراتكم الأوثان من دون الله تعالى (٤)

وكذا قال الزمخشري عند هذه الآية: (والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرض وورى، والذي قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام، ولقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم، ومنه المثل نكفى بالسلامة داء (٥))

١ - الكشف: (٥٧٧/٢)

٢ - الصافات: ٨٨-٨٩

٣ - الحديث أخرجه البخاري : الأنبياء: ٣٣٥٨، مسلم: الفضائل (١٨٤٠/٤) رقم ١٥٤، أبوداود: الطلاق (٢٧٢/٢) رقم ٣٢١٢، الترمذي التفسير (٣٢١/٥) رقم ٣١٦٦، احمد (٤٠٣/٢)

٤ - ابن كثير: (١٣/٤)

٥ - الكشف: (٣٤٤/٣)

وقال سيد قطب رحمه الله تعالى: (قال ذلك معبرا عن ضيقه وتعبه، وأفصح عنه ليتركوه وشأنه، ولم يكن هذا كذبا منه. إنما كان له أصل في واقع حياته في ذلك اليوم، وإن الضيق ليمرض ويسقم ذويه!) (١)

وأما قوله إبراهيم الثالثة حيث قال عن سارة (هي أختي) فقد خرّجها إبراهيم بنفسه حيث جاء في بعض طرق الحديث أنه قال لها: (إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي، وإنك أختي في الإسلام) (٢)، وفي رواية أخرى أنه قال لها: (يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني) (٣)

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره البخاري رحمه الله في باب «المعاريض مندوحة عن الكذب»، عن أنس رضي الله عنه قال: (اشتكى ابن لأبي طلحة، قال فمات وأبو طلحة خارج، فلما رأت أمراؤه أنه قد مات هيأت شيئا، ونحته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة، قال كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة، قال فبات، فلما أصبح أغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات ١٠٠٠ الحديث) (٤)

ذكر الحافظ من فوائد الحديث: (مشروعية المعاريض الموهمة إذا دعت الضرورة إليها، وشرط جوازها أن لا تبطل حقا لمسلم) (٥)
وقد استعمل بعض السلف المعاريض لحاجات معينة ومن هذه الاستعمالات أن إبراهيم النخعي كان إذا طلبه إنسان لايحب لقاءه خرجت الجارية، فقالت: اطلبوه في المسجد. وأتاه رجل مرة فقالت: إني ذكرت رجلا بشيء فبلغه عني،

١ - الظلال: (٢٩٩٣/٥)

٢ - انظر الفتوح: (٣٩٢/٦)

٣ - هذه رواية البخاري المتقدم تخريجها آنفا.

٤ - أخرجه البخاري: الجنائز: ١٣٠١، احمد (١٠٥/٣)

٥ - الفتوح: (١٧١/٣)

فكيف اعتذر إليه؟ قال: تقول : (والله إن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء) (١) وفي ترجمة الإمام أحمد عن اسحاق بن هاني قال: كنا عند أحمد بن حنبل في منزله، ومعه المروزي، ومهني، فذق داق الباب، وقال : المروزي ها هنا؟ فكأن المروزي كره أن يعلم موضعه فوضع أصبعه في راحته وقال: ليس المروزي ها هنا، وما يصنع المروزي ها هنا؟ فضحك أحمد، ولم ينكر (٢) والمقصود عموماً أن استخدام المعارض - أحياناً - ولحاجة، أمر سائغ ويمكن للمحاور الاستفادة منه إذا دعت الحاجة ولزم الأمر، كما أن استعمال أسلوب الحكيم سائغ أيضاً، وكل ذلك للعدول عن الإجابة إذا كان في اظهارها مفسدة محتملة أو ضرر متوقع أو تفويت لمصلحة أعظم.

١ - انظر سير أعلام النبلاء (٤/٢٩٥)

٢ - نفس المصدر (١١/٣١٩)

المبحث الحادي عشر : تأكيد القضية وتقريرها

قد يتشعب موضوع الحوار، وتتعدد القضايا المطروحة للنقاش، ولكن تكون ثمت قضية بارزة مهمة، يحبذ التركيز عليها وتأكيدھا، ويفضل تثبيتھا عند الخصم وتقريرھا، فعلى المحاور ألا تفرق به السبل عن أصل الموضوع وأساس القضايا، بل عليه أن يستخدم الأسلوب المناسب لرد الحوار إلى الموضوع المهم، ولفت النظر إلى القضية الأم، فيمكنه أحيانا أن يؤكد ما يريد توكيده بتكرار كلامه مرتين أو ثلاثا أو غير ذلك حسب أهمية الكلام - وقد (كان ﷺ) إذا تكلم بكلمة أعادھا ثلاثا حتى تفهم عنه(١)، وكثيرا ما ترد الأحاديث التي فيها التكرار ثلاث مرات أو نحوھا، خاصة في المواضع الحساسة المهمة، وعندما يكون الأمر عظيما، كما فعل ذلك - ﷺ - في حجة الوداع بعد أن قرر حرمة دم المسلم وماله وعرضه حيث قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ - إِلَّا بِحَقِّهَا - كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بِلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ (ثَلَاثًا) كُلَّ ذَلِكَ يَجِيبُونَهُ: أَلَا نَعَمْ» الحديث(٢) وكذا لما أراد أن يبين أكبر الكبائر وأعظم المحرمات كرر السؤال عنها ثلاث مرات : «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِكَبِيرِ الْكِبَائِرِ؟» (ثلاثا) ثم أراد تأكيد تحريم واحدة منهن وبيان عظم قبحھا، ولأنھا أسهل وقوعا على الناس والتهاون بها أكثر، والحوامل عليها كثيرة من عداوة وحسد وغيرها، إضافة إلى أن مفسدتها متعددة(٣)، فذكرھا ثم كررها مرات ومرات، وجلس وكان متكئا فقال : أَلَا وَقَوْلِ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يَكْرُهَا حَتَّى قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْتَهُ سَكَتَ(٤)

١ - جزء من حديث أخرجه البخاري عن أنس : العلم : ٩٥

٢ - تقدم تخريجه ص : ٩٥

٣ - انظر الفتح : (٢٦٣/٥)

٤ - أخرجه البخاري : الشهادات : ٢٦٥٤ ، مسلم : الإيمان (٩١/١) رقم : ١٤٣ ، أحمد (٣٧/٥)

وعن عبد الله بن عمرو قال: تخلف رسول الله في سفر سافرناه، فأدركناه وقد أرهقنا الصلاة،^① صلاة العصر ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنأدى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثاً (١)

قال ابن حجر رحمه الله بقوله: «مرتين أو ثلاثاً» هو شك من الراوي، وهو يدل على أن الثلاث ليست شرطاً، بل المراد التفهيم، فإذا حصل بدونها اجزأ (٢) وكما ثبت عنه ﷺ تكرار الكلام الذي يريد تأكيده وتفهمه، وتكرار السؤال الذي يريد أن ينبه إلى أهميته، فقد ثبت عنه أنه كرر الإجابة على بعض الأسئلة ثلاثاً، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا، قالوا وما زهرة الدنيا يا رسول الله! قال: بركات الأرض قالوا: يا رسول الله وهل يأتي الخير بالشر؟ قال: لا يأتي الخير إلا بالخير، لا يأتي الخير إلا بالخير، لا يأتي الخير إلا بالخير...» (الحديث (٣)) ولما قال ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد»

قالوا يا رسول الله! وإن كان فيه؟

قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه (ثلاث مرات) (٤)

ومما تكرر فيه السؤال والجواب مع الحديث أبي ذر وفيه قال ﷺ: «ذاك جبريل عرض لي في جانب الحرة فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» قال فقلت: يا جبريل! وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم قال

① أي غصبتنا وأدركتنا، يقال أرهقنا لهدمنا: إذا أخرجنا حتى يترنحوا الأخرى (١) (٤٨٦/٤)

١ - أخرجه البخاري: العلم ٩٦، مسلم الطهارة (٢١٣/١) رقم ٢، أبو داود: الطهارة (٢٤/١) رقم ٩٧، الترمذي: الطهارة (٥٨/١) رقم ٤١، ابن ماجه الطهارة (١٥٤/١) رقم ٤٥٠، أحمد (١٩٣/٢)

٢ - الفتح: (١٨٩/١)

٣ - أخرجه البخاري: الرقاق ٦٤٢٧، مسلم: الزكاة (٧٢٧/٢) رقم ١٢١

٤ - أخرجه الترمذي: النكاح (٣٨٤/٣) رقم ١٠٨٤، ابن ماجه النكاح (٦٣٢/١) رقم ١٩٦٧، (وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٨٦٦)

قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم قال قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر» (١)

ومن أساليب التوكيد أيضاً، الحلف على الأمر المقصود بيانه وتوكيده، والنصوص التي تبدأ بالقسم كثيرة جداً سواء ما كان منها في القرآن أو السنة، فمن أمثلة القرآن:

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٢)

وقوله عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣)

وقوله أيضاً: ﴿تَاللَّهِ لَنُتَسَّأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ (٤)

وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (٥)

وقال: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٦)

إلى غير ذلك من الأقسام القرآنية التي استخدمت لتوكيد الكلام وتقريره. وأما أمثلة السنة فهي أكثر من أن تحصر، فكم من الأحاديث التي يقسم فيها النبي ﷺ بقوله: «والذي نفسي بيده» أو «والذي نفس محمد بيده» وقد جمع السيوطي عشرات منها في (الجامع الصغير) (٧) ومما ذكره قوله ﷺ «والذي نفسي بيده» لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، ليهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» (٨)

١ - أخرجه البخاري: الرقاق ٦٤٤٣، مسلم: الزكاة (٦٨٨/٢) رقم ٣٣

٢ - يونس: ٥٢

٣ - الحجر: ٩٢-٩٣

٤ - النحل: ٥٦

٥ - الذاريات: ٢٣

٦ - التغابن: ٧

٧ - انظر صحيح الجامع الصغير للألباني: (١١٨٧/٢-١١٩٢)

٨ - أخرجه مسلم الإيمان (١/١٤٣) رقم ٢٤٠

«والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده» (١)
ومن حلفه ﷺ ايضاً قوله مثلاً:

«والله إني لأستغفرن الله، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» (٢)
ومما جمع فيه بين الحلف والتكرار : قوله ﷺ : «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن،
والله لا يؤمن، الذي لا يؤمن جاره بوائقه» (٣)

ومثله ما جاء في إحدى روايات مسلم لحديث قتال الخوارج، حيث قال علي :
(فيهم رجل محدج اليد، لولا أن تبطروا لحدثكم بما وعد الله الذين يقتلونهم
على لسان محمد ﷺ . قال قلت : أنت سمعته من محمد ﷺ ؟ قال: إي ورب الكعبة!
إي ورب الكعبة! إي ورب الكعبة!) (٤)

وأحياناً يمكن تأكيد الخبر بما يثبت ويؤيده، من بيان الطرق الوثيقة، التي
وصل منها، لكونه سمعه بنفسه، أو تكرر عليه، أو شاهد الحادث، أو نقله عن
ثقة، ونحو ذلك (٥) ومثاله ما جاء في حديث أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي
العدوي رضي الله عنه أنه قال لعمر بن سعيد بن العاص - وهو يبعث البعوث
إلى مكة: «إذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من
يوم الفتح، فسمعت أذنائي ووعاه قلبي وأبصرته عينايا حين تكلم به، أنه حمد الله
وأثنى عليه ثم قال: إن مكة حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ولم
يحرمها الناس» الحديث (٦)

-
- ١ - أخرجه البخاري الإيمان ١٥، مسلم الإيمان (٦٧/١) رقم ٧٠٠، النسائي الإيمان (١١٤/٨) رقم ٥٠١٣، ابن ماجه المقدمة (٢٦/١) رقم ٦٧
 - ٢ - أخرجه البخاري الدعوات ٦٣٠٧، الترمذي: التفسير (٣٨٣/٥) رقم ٣٢٥٩، ابن ماجه الأدب (١٢٥٤/٢) رقم ٣٨١٦، أحمد (٢٨٢/٢)
 - ٣ - أخرجه البخاري الأدب ٦٠١٦ بهذا اللفظ، وبغيره مسلم الإيمان (٦٨/١) رقم ٧٣، الترمذي القيامة (٦٦٩/٤) رقم ٢٥٢٠، أحمد (٣٨٧/١)
 - ٤ - أخرجه مسلم: الزكاة (٧٤٦/٢) رقم ١٥٤، ابوداود: السنة (٢٤٥/٤) ابن ماجه المقدمة (٥٩/١) رقم ١٦٨، أحمد (٨٨/١)
 - ٥ - انظر تيسير العلام شرح عمدة الأحكام للبسام (٥٣١/١)
 - ٦ - أخرجه البخاري: جزاء الصيد ١٨٣٢، مسلم: الحج (٩٨٧/٢) رقم ٤٤٦، الترمذي: الحج (١٦٤/٣)، النسائي المناسك (٢٠٥/٥) رقم ٢٨٧٦، أحمد (٣١/٤)
- ❦ المأثور هنا هو عبادة السمان في بيانته في رواية الأخرى.

وقد أخذ الحافظ من الحديث : (جواز اخبار المرء عن نفسه بما يقتضي ثقتة وضبطه لما سمعه.....، ووقوع التأكيد في الكلام البليغ) (١)
ويتعلق بتوكيد القضية تقريرها عند الخصم، وأخذ تسليمه بها، قبل الانتقال منها إلى غيرها، فهذا أنفع للحوار وأخصر للوقت، وأقرب إلى ترتيب القضايا والتدرج بها، والخروج بنتيجة من الحوار، ومعرفة مدى الاتفاق والاختلاف بين المتحاورين، وبذلك ايضا تنحصر نقاط الخلاف وتضييق الهوة بين المختلفين.

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم مايلي :
قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٢)

ومثله ما سيكون في اليوم الآخر من تقرير للمخالفين والمعاندين في الدنيا كما في قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣)

وقوله ايضا: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (٤)

وقوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (٥) الآية

١ - انظر الفتح (٤/٤٥)

٢ - آل عمران: ٨١

٣ - الانعام: ٣٠

٤ - الانعام: ١٣٠

٥ - الاعراف: ١٧٢

وقوله عز وجل ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (١)

إلى غير ذلك من مثل هذه التقارير التي تهدف الى تثبيت القضية وتأكيدها الموضوع، وأمثلة هذا في السنة متعددة، أيضاً، ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: (خرج رسول الله ﷺ في أضحى - أو في فطر - إلى المصلى، فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها) (٢)

ومثل ذلك لما احتاج النبي ﷺ أن يقرر عند الأنصار بعض ما انعم الله عليهم، لما أن جاءهم الرسول فآمنوا، حيث إن النبي ﷺ لما فتح حنيناً قسم الغنائم، فأعطى المؤلف قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس، فقام رسول الله ﷺ فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين، فجمعكم الله بي؟ ويقولون: الله ورسوله أمن. فقال: ألا تجيبوني؟ فقالوا: الله ورسوله أمن» الحديث (٣)

١ - الملك: ٨-٩

٢ - أخرجه البخاري: الحيض ٣٠٤، مسلم: الإيمان (٨٦/١) رقم ١٣٢، أبوداود: السنة ٤٦٧٩،

الترمذي الإيمان (١٠/٥) رقم ٢٦١٣، ابن ماجه: الفتن (١٣٢٦/٢)، رقم ٤٠٠٣، أحمد (٦٦/٢)

٣ - تقدم تخريجه في مبحث: «الصدقة والأمانة» انظر ص: ٢٨٠ (ومعنى عالة: من الفقر والفاقة.

انظر الصالح: ١٧٧٩/٥)

فالاستفهام في تلك الأمثلة للتقرير والتوكيد، ومن النماذج التي استخدم فيها الاستفهام التقريري أيضا، واستخدم أسلوب آخر لتقرير الخصم بالحجة بحيث يستخرج الجواب من الخصم أولا، ثم يبين له أن هذا الجواب نفسه هو القضية التي يريد المحاور أن يقررها أو يثبتها، فعن أبي هريرة : (أن رسول الله ﷺ خرج على أبي بن كعب، فقال رسول الله ﷺ: يا أبي - وهو يصلي - ، فالتفت أبي ولم يجبه، وصلى أبي فخفف، ثم أنصرف إلى رسول الله ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: وعليك السلام، ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ دعوتك، فقال: يا رسول الله إني كنت في الصلاة، قال: أفلم تجد فيما أوحى إلي أن أستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم؟ قال: بلى ولا أعود إن شاء الله، قال: تحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟ قال: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: كيف تقرأ في الصلاة؟ قال: فقرأ أم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته (١)

وكذا استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب مع اليهود - وهم معروفون ببهتانهم وتقلبهم - فلما أسلم عبد الله بن سلام قال: (يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، فأسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي. فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النبي ﷺ: أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعازه الله من ذلك، فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله (٢)

١ - أخرجه الترمذي: فضائل القرآن (١٥٥/٥) رقم ٢٨٧٥، وقال: «حديث حسن صحيح» ، أبو

داود: الصلاة ١٤٥٨، أحمد (٤١٣/٢)

٢ - أخرجه البخاري: مناقب الأنصار: ٣٩٣٨، أحمد (١٠٨/٣) وتقدم

- ومع اليهود أيضا، فعندما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ : (اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود، فقال: إني سألتكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟ فقالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: من أبوكم؟ قالوا: فلان، فقال: كذبتكم، بل أبوكم فلان، قالوا: صدقت، قال: فهل أنتم صادقي عن شيء، إن سألت عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم: من أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي ﷺ: اخسئوا فيها، والله لانخلفكم فيها أبدا. ثم قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا نعم يا أبا القاسم قال: هل جعلتم في هذه الشاة سما؟ قالوا نعم، قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: إن كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيا لم يضرك (١)

ومن طرق تقرير الأمر عند الخصم وأخذ تسليمه بذلك: استحلافه على الأمر المراد تقريره وإثباته لديه، وأمثلة هذا متعددة، ففي حديث قتال الخوارج لما ذكر علي - رضي الله عنه - الخوارج وماقاله فيهم رسول الله ﷺ ومن ذلك قوله: (وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد، وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض، فلما قتل بعضهم على بعض، قال علي: التمسوا فيهم المُخْدَج، فالتمسوه فلم يجدوه. فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض. قال آخروهم: فوجدوه مما يلي الأرض. فكبر. ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله قال: فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين! الله الذي لا إله إلا هو! لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: إي. والله الذي لا إله إلا هو! حتى استحلفه ثلاثا. وهو يحلف له (٢)

١ - أخرجه البخاري: الجزية ٣١٦٩، أحمد (٤٥١/٢)

٢ - تقدم ذكره انظر ص ٣٢١ (ومعنى المٌخْدَج: من أخذ جنت الناقصة إذا جاور بولدها ناقص الخلق مني مخرج، ومنه مخرج اليد أي: ناقص اليد، انظر الصحاح: ٢٠٩/١)

قال النووي (وإنما استحلفه لسمع الحاضرين، ويؤكد ذلك عندهم ويظهر لهم المعجزة التي أخبر بها رسول الله ﷺ ، ويظهر لهم أن عليا وأصحابه أولى الطائفتين بالحق وأنهم محقون في ذلك)(١)

ومن هذا الباب ما كان من ضمام بن ثعلبة حيث استحلف النبي ﷺ عدة مرات، فقال : (أسألك بربك ورب من قبلك آله أرسلك إلى الناس كلهم! فقال : اللهم نعم، قال : أنشدك بالله ، آله أملك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة؟ قال: اللهم نعم.. ثم استحلفه على الصيام ثم على الزكاة الخ)(٢)

قال الحافظ في شرح الحديث: ثم أقسم عليه به أن يصدقه عما يسأل عنه، وكرر القسم في كل مسألة تأكيدا وتقريراً للأمر، ثم صرح بالتصديق، فكل ذلك دليل على حسن تصرفه وتمكن عقله)(٣)

ثم قال في ذكره لفوائد الحديث : (وفيه الإستحلاف على الأمر المحقق لزيادة التأكيد)(٤)

ومن استحلاف الخصم أيضا ما جاء في حديث البراء بن عازب، قال : (مر على النبي ﷺ بيهودي محمما . مجلورا . فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا نعم . فدعا رجلا من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى! أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك أنشدتني بهذا لم أخبرك. نجده الرجم»)(٥)

فقد كان لاستحلاف الخصم هنا أثر بالغ، فكان سببا في صدقه وإقراره بالحق وإعترافه بالخطأ.

١ - شرح مسلم: (١٧٣/٧)

٢ - تقدم تخريجه في الباب الأول انظر ص: ٥٦

٣ - الفتوح: (١٥١/١)

٤ - نفس المصدر: (١٥٣/١)

٥ - تقدم تخريجه ص: ٢٦٤

ومثل هذا أيضا لما دخل العباس وعلي رضي الله عنهما على عمر ليقضي بينهما فقال عمر : اتندا أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ! أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : «لا نورث، ما تركناه صدقة»، قالوا : نعم، ثم أقبل على العباس وعلي فقال : أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ! أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال : «لانورث، ما تركناه صدقة»، قالوا : نعم، الخ الحديث (١)

ومما يمكن الإستشهاد به في هذا الجانب ما جاء وفود المقدام بن معديكرب، وعمرو بن الأسود، ورجل من بني أسد من أهل قنسرين إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية للمقدام : أعلمت أن الحسن بن علي توفي؟ فرجع المقدام، فقال له رجل : أتراها مصيبة ؟ قال له : ولم لا أراها مصيبة، وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره فقال : هذا مني، وحسين من علي؟!

فقال الأسدي : جمرة أطفأها الله عز وجل، قال : فقال المقدام : أما أنا فلا أبرح اليوم حتى أغيبك، وأسمعك ما تكره، ثم قال : يا معاوية ! إن أنا صدقت فصدقني، وإن أنا كذبت فكذبني، قال : أفعل، قال :

فأنشدك بالله، هل سمعت أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الذهب ؟ قال : نعم قال : فأنشدك بالله، هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير؟ قال : نعم، قال : فأنشدك بالله، هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها؟ قال : نعم،

قال : فوالله ! لقد رأيت هذا كله في بيتك يا معاوية، فقال معاوية : قد علمت أنني لن أنجو منك يا مقدام الخ (٢) والأمثلة في هذا الجانب كثيرة، ولعل فيما ذكر كفاية في بيان المقصود، وتوضيح أهمية تأكيد القضية وتقريرها، واستخدام الأساليب المختلفة والمناسبة لتحقيق هذا الأمر، وضمانا لنجاح واستمرار الحوار بإذن الله تعالى.

١ - تقدم تخريجه ص : ١٢١

٢ - أخرجه أبو داود : اللباس ٤١٣ (وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم ٣٤٧٩) وتقدم ص ١٢٢

واختتم هذا المبحث بنقل بعض كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما له علاقة بموضوع تقرير القضايا وأخذ تسليم الخصم عليها، فقد قال رحمه الله تعالى: «... والقرآن مشتمل على هذا وهذا! ولهذا إذا جادل يسأل ويستفهم عن المقدمات البينة البرهانية، التي لا يمكن أحد أن يجحدها: لتقرير المخاطب بالحق وإعترافه بإنكار الباطل، كما في مثل قوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (١) وقوله: ﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ؟ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٢) إلى أمثال ذلك مما يخاطبهم بإستفهام التقرير، المتضمن إقرارهم وإعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب، فهو من أحسن جدل بالبرهان، فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلم الخصم المقدمات، وإن لم تكن بينة معروفة فإذا كانت بينة معروفة كانت برهانية.

والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها، كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم، بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس، وهي برهانية... الخ كلامه (٣)

١ - الطور: ٣٥

٢ - ق: ١٥

٣ - الفتاوى: (١٩/١٦٤-١٦٥)

المبحث الثاني عشر : الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ

إن من أهم الآداب وأبرز الصفات التي ينبغي للمحاور المخلص الصادق أن يتميز بها، أن يكون الحق ضالته والصواب مراده، فحيثما وجده أخذه، إذ إن من الطبيعي أن يخطئ الإنسان في مناقشاته وحواره وكلامه، والعاقل هو الذي يسلم بخطئه، ويعود إلى الصواب حالما يتبين له، بل ويفرح بظهور الحق ويشكر لصاحبه إرشاده ودلالته إليه.

والتسليم بالخطأ صعب على النفس - خاصة إذا كان في جمع من الناس - ، ولذلك فهو يحتاج إلى تجرد لله وصدق وإخلاص، ومراغمة للنفس مع قوة وشجاعة حتى يعتاد عليه، وعندها سيجد له حلاوة قد تقارب أحيانا حلاوة الفوز والانتصار، وعندها يكسب صاحبه احترام الناس وتقديرهم، على عكس الإصرار على الخطأ الذي يفقده احترام الناس بل يفقده احترامه لنفسه(١)

فعلى المحاور أن يعلم أنه بشر يخطئ ويصيب، وعليه أن يكون من خير الخطائين برجوعه إلى الحق واعترافه بالخطأ، قال ﷺ: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»(٢)

ومن جهة أخرى: إذا علمت أنك ستهزم بأخطائك وستكشف وتفتضح وتظهر المعاييب، أفليس من الأحجى أن تسبق أنت خصمك إلى التسليم بها؟! أليس من الأفضل أن تستمع إلى النقد الذي توجهه أنت إلى نفسك بدلا، من أن تنصت إليه من شخص آخر - يخالفك وربما يتصيد أخطائك ويتحين الفرصة لإحراجك. ولذلك فعليك أن تذكر مثالبك وتعترف بجميع أخطائك التي ترى أن خصمك يعتزم أن يقولها عنك، وقلها عن نفسك قبل أن تسنح له الفرصة، عندها فأنت تحبس الرياح عن شراعه، وعندها سيهون خطؤك أمامه وأمام الآخرين، بل ربما دافع

١ - ملخص من أصول الحوار ص ٣٥

٢ - أخرجه الترمذي: القيامة: (٦٥٩/٤) رقم ٢٤٩٩، ابن ماجه الزهد (١٤٢٠/٢) رقم ٤٢٥١، احمد

هو عنك وبرر لك بعض أخطائك، واعتراف المحاور بأخطائه يساعد الخصم أيضا في الرجوع إلى الحق والإعتراف بأخطائه هو، كما أن البدء بانتقاد النفس، والإعتراف بأنها ليست معصومة من الأخطاء، يهيئ نفسية الخصم إلى سماع الانتقادات الموجهة إليه، وقبول ذلك بصدق رطب، كما ينبغي للمحاور أن يجعل الغلطة التي يريد إصلاحها سهلة ميسورة التصحيح، فهذا يسهل على الخصم الرجوع عنها والإعتراف بها.

ولما كان هذا الأدب من أهم مقومات الحوار الناجح، ومن الأصول والأسس التي يبني عليها النقاش، فقد تعددت أمثله وكثرت نماذجه وشواهد، مما يضطر إلى الاختصار والإكتفاء بالإشارة إلى بعض الأمثلة دون تفصيل، وبيان بعضها بما يناسب الحال والله المستعان.

فمن أمثلة القرآن:

ما جاء في حوار المولى عز وجل مع ملائكته بشأن خلق آدم وذريته، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١) الآيات

قال الطبري رحمه الله في شرح الآيات ما نصه : (فلما أتضح لهم موضع خطأ قيلهم، وبدأت لهم هفوة زلتهم، أنابوا إلى الله بالتوبة فقالوا : ﴿سُبْحَانَكَ لَعَلَّمَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ فسارعوا الرجعة من الهفوة، وبادروا الإنابة من الزلة، كما قال نوح حين عوتب في مسئلته، ف قيل له: ﴿فَلَا تَسْأَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾-: ﴿رَبِّ إِنِّي- أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١) وكذلك فعل كل مسدد للحق موفق له، سريعة إلى الحق إنابته، قريبة إليه أوبته (٢)

ومثل هذا ما جاء في حوار سبجانه مع آدم وحواء وما وقع منهما من معصية، ثم ماتلاها من رجوع إلى الحق وتسليم بالخطأ حيث قال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣)

(إنها خصيصة الإنسان التي تصله بربه، وتفتح له الأبواب إليه... الاعتراف ، والندم، والاستغفار، والشعور بالضعف والاستعانة به وطلب رحمته، مع اليقين بأنه لا حول ولا قوة إلا بعون الله ورحمته... وإلا كان من الخاسرين) (٤)

- وأما رجوع سحرة فرعون وإيمانهم برب العالمين، فهو مثال واضح لهذا الأدب، إذ ما أن ألقى موسى عصاه، حتى وقعت المفاجأة المذهلة التي لم يكن يتوقعها كبار السحرة، الذين بذلوا غاية جهدهم في فنهم الذي أتقنوه، وجاؤا بأقصى مايملك السحرة أن يصنعوه، وهم جمع كثير، محشور من كل مكان، وموسى وحده وليس معه إلا عصاه، ثم إذا هي تلقف ما يافكون، فلا يبقى لحبالهم وعصيمهم أثر ، عندئذ لا يملكون أنفسهم من الإزعاج للحق الواضح الذي لا يقبل

١ - هود: ٤٦-٤٧

٢ - الطبري: (٢١٩/١)

٣ - الاعراف: ٢٢-٢٣

٤ - الظلال: (١٢٧٠/٣)

جدلاً، وهم أعرف الناس بأنه الحق(١)، ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ(٢)

فلما عرف السحرة الحق وأيقنوه، بعد أن عرفوا باطلهم وجربوه، فتحولوا من التحدي السافر إلى التسليم المطلق، الذي يجدون برهانه في أنفسهم عن يقين(٣)

ومن صور الاعتراف بالخطأ والرجوع عنه، ما وقع من إخوة يوسف بعد أن فعلوا به ما فعلوا، فلما ضاق بهم الأمر ومسهم الضر، وبلغوا حداً من الاسترحام والضيق والإنكسار، ذكرهم يوسف بماضيهم الذي يعرفونه وحدهم، ولم يطلع عليه إلا الله: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ عندها لمع في نفوسهم خاطر من بعيد: ﴿قَالُوا أَنتَ لَأَنْتَ يُونُسُ﴾ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ عندها لم يكن لهم إلا التسليم بالخطأ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَآثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾(٤)

إعتراف بالخطيئة، وإقرار بالذنب، وتقرير لما يروونه من إثارة الله له عليهم بالمكانة والحلم والتقوى والإحسان، يقابله يوسف بالصفح والعفو، شيمة الرجل الكريم(٥)

ومن الأمثلة السريعة التي جاءت في كتاب الله وتصلح شواهد لمسألة الاعتراف بالحق والرجوع إليه مع التسليم بالخطأ والإعراض عنه مايلي:

١ - الظلال: (٢٥٩٥/٥) بتصرف

٢ - الشعراء: ٤٦-٤٨

٣ - الظلال: (١٣٥٠/٣) بتصرف يسير

٤ - يوسف: ٨٩-٩١

٥ - الظلال: (٢٠٢٧/٤) بتصرف

ما جاء في تسليم عزيز بقدره الله تعالى بعد أن تعاضم إحياء القرية بعد موتها، فأما الله مائة عام ثم بعثه وأخبره بما لبثه، ثم أراه كيفية إحياء حماره، فعندها عاين من قدرة الله ما عاين (١) ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢)

ومثل ذلك رجوع موسى عليه السلام وتوبته إلى ربه بعد أن سأل رؤية ربه في الدنيا: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِيْ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِيْ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)

وكذا ما تقدم من رجوع نوح عليه السلام عن مسئلته، وذلك حين سأل عن إغراق ابنه، فعاتبه الله في ذلك ، فسارع بالتوبة والاستغفار، والرجعة عن هذه الهفوة (٤). ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ يَأْنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٥)

ومن هذا الباب أيضا: رجوع امرأة العزيز واعترافها بأنها هي التي راودت يوسف عليه السلام عن نفسه، وأنه برىء من التهمة التي سجن لأجلها: ﴿قَالَتْ أَمْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦)

١ - انظر الطبري: (٤٦/٣)

٢ - البقرة: ٢٥٩

٣ - الأعراف: ١٤٣

٤ - انظر الطبري: (٢١٩/١)

٥ - هود: ٤٥-٤٧

٦ - يوسف: ٥١

وقريب من هذا رجوع أصحاب الجنة كما في سورة القلم وإعترافهم بخطئهم ،
 إذ عزموا على منع الفقراء والمساكين حقهم، فعاقبهم الله بإهلاك جنتهم،
 فعادوا إلى رشدهم، وتابوا إلى ربهم : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا
 تَسْبَحُونَ . قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
 يَتَلَاوَمُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ . عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى
 رَبَّنَا رَاغِبُونَ ﴾ (١)

وقد اشار بعض المفسرين إلى هذا الأدب الرفيع، الذي ينبغي أن ينضبط به
 كل محاور مخلص، حتي يؤتي الحوار ثمرته، فقد ذكر القرطبي رحمه الله تعالى
 أن ما ذكره الله تعالى من آيات في محاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود تدل على
 إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة، ثم ذكر عددا من الأدلة على ذلك، ثم
 ذكر قول المزمي صاحب الشافعي، (ومن حق المناظرة أن يراد بها الله عز
 وجل وأن يقبل منها ماتبين) (٢)

وعند قوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣) قال الشيخ
 السعدي رحمه الله ما نصه : (ولاتكن مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح
 في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة
 الخصوم، يقدح بجميع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم، وخروج عن الواجب،
 وآداب النظر. فإن الواجب ان يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل مامعه من
 الحق. ولا يرد الحق، لأجل قوله، ولو كان كافرا) (٤)

١ - القلم: ٢٨- ٣٢

٢ - الجامع لأحكام القرآن (١٨٦/٣)

٣ - العنكبوت: ٤٦

٤ - تفسير السعدي: (٦٥/٤)

ويدخل في هذا الباب قول الإمام الشافعي رحمه الله : (ما كابرني أحد على الحق ودافع، إلا سقط من عيني، ولا قبله إلا هبته، واعتقدت مودته) (١)

ولذلك كان الشافعي رحمه الله يعلن عن رجوعه عن أي خطأ أو قول يتبين أنه مخالف للصواب فقد قال رحمه الله (كل ما قلته ^{كأنه} من رسول الله ﷺ خلاف قلتي مما صح فهو أولى، ولا تقلدونني) (٢)

كما أعلن استعداده لقبول أي خبر صحيح ومن أي جهة كان. يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول : قال الشافعي (أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا فإذا كان خبر صحيح، فأعلمني حتى أذهب إليه، كوفيا كان أو بصريا أو شاميا) (٣)

وأما أمثلة هذا الباب في السنة فهي كثيرة جدا، وكذلك سأختصرها، وأكتفي بما يؤدي الغرض منها ويناسب الحال:

فها هو النبي ﷺ - معلم الأمة ومربيها على مثل هذه الآداب والفضائل - يرجع إلى قول امرأة يهودية، بعد أن تبين له بالوحي صحة قولها: بأن أهل القبور يفتنون في قبورهم - فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود، وهي تقول : هل شعرت أنكم تفتنون في القبور ؟ قالت : فارتاع رسول الله ﷺ وقال «إنما تفتن يهود» قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله: هل شعرت أنه أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور؟ قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ بعد يستعيز من عذاب القبر) (٤)

وإذا كان هذا خلق المعلم فكيف يكون التلاميذ؟ وإذا كان هذا أدب المربي فكيف يكون بمن رباهم على عينه وتحت نظره؟ وما دامت هذه سمات القدوة، فألمقتدون به أثر من آثاره، وحسنة من حسناته، وهم على نهجه يسرون، وسنته يقتفون، وبسيرته يهتدون، والأمثلة خير شاهد عن حسن ما كانوا يصنعون، وصدقهم فيما يتبعون:

(١ - ٢ - ٣) سير أعلام النبلاء (٣٣/١٠)

٤ - أخرجه مسلم المساجد : (٤١٠/١) رقم ١٢٣، النسائي: الجنائز (١٠٤/٤) رقم ٢٠٦٤

فقد حدث عبد الملك بن أبي بكر ابن عبد الرحمن عن أبي بكر ، قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقص، يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يصم. فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك. فأنطلق عبد الرحمن وأنطلقت معه، حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة - رضي الله عنهما - فسألتهما عبد الرحمن عن ذلك. قال فكلتاها قالت: كان رسول الله ﷺ يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم. قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان. فذكر ذلك له عبد الرحمن. فقال مروان: عزمت عليك إلا ما ذهبتي إلى أبي هريرة، فرددت عليه ما يقول قال : فجئنا أبا هريرة وأبوبكر حاضر ذلك كله قال: فذكر له عبد الرحمن. فقال أبوهريرة أهما قالتاه لك؟ قال : نعم. قال : هما أعلم.

ثم رد أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن عباس. فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل، ولم أسمعه من النبي ﷺ. قال : فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك (١)

وأخرج البخاري بسنده عن علقمة قال : (كنا جلوساً مع ابن مسعود فجاء خباب فقال : يا أبا عبد الرحمن أيسطيع هؤلاء الشباب أن يقرأوا كما تقرأ؟ قال : أما إنك لو شئت أمرت بعضهم يقرأ عليك. قال : أجل. قال: اقرأ يا علقمة. فقال زيد بن حدير - أخو زياد بن حدير - : أتأمر علقمة أن يقرأ وليس بأقرئنا؟ قال : أما إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبي ﷺ في قومك وقومه. فقرأت خمسين آية من سورة مريم. فقال عبد الله: كيف ترى؟ قال: قد أحسن. قال عبد الله: ما أقرأ شيئاً إلا وهو يقرؤه. ثم التفت إلى خباب وعليه خاتم من ذهب فقال : ألم يأن لهذا الخاتم أن يلقي؟ قال: أما إنك لن تراه علي بعد اليوم. فآلقاه (٢)

١ - أخرجه مسلم الصيام (٧٨١/٢) رقم ٨٠، ابن ماجة الصيام (٥٤٣/١) رقم ١٧٠٣، أحمد (٢١٣/١)

٢ - أخرجه البخاري: المغازي ٤٣٩١

وقد ذكر الحافظ من فوائد هذا الحديث : (أن بعض الصحابة كان يخفي عليه بعض الأحكام فإذا نبه عليها رجع، ولعل خبابا كان يعتقد أن النهي عن لبس الرجال خاتم الذهب للتنزيه، فنبهه ابن مسعود على تحريمه، فرجع إليه مسرعا(١))

ومثل هذا ما تقدم من رجوع عمر وتسليمه بحديث «الإستئذان ثلاث، فإن أذن ذلك وإلا فارجع»، بعد أن أنكره على أبي موسى الأشعري، فلما تثبت عمر من الخبر، وجاءه أبو سعيد الخدري وأخبره بصحة ذلك عن رسول الله ﷺ، فقال عمر: (ماكنت علمت بهذا(٢))

وموقف آخر لعمر رضي الله عنه وذلك أن نافع بن عبد الحارث، لقي عمر بن الخطاب بعسفان ، وكان عمر استعمله على مكة فقال عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال : استخلفت عليهم ابن أبزى. قال : ومن ابن أبزى؟ قال : رجل من موالينا. قال عمر : فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله تعالى ، عالم بالفرائض، قاض. قال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قال : «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين»(٣)

ولما كان عمار بن ياسر بالمدائن، اقيمت الصلاة، فتقدم عمار وقام على دكان يصلي، والناس أسفل منه، فتقدم حذيفة فأخذ على يديه، فأتبعه عمار حتى انزله حذيفة، فلما فرغ عمار من صلاته قال له حذيفة: ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول : «إذا أم الرجل القوم فلا يقيم في مكان أرفع من مقامهم» أو نحو ذلك قال عمار : (لذلك اتبعتك حين أخذت على يدي(٤))

١ - الفتح : (١٠١/٨)

٢ - تقدم تخريجه في البحث الرابع انظر ص: ٢٥٧

٣ - أخرجه مسلم: المسافرين(٥٥٩/١) رقم ٢٦٩، ابن ماجه: المقدمة (٧٩/١) رقم ٢١٨، احمد (٣٥/١)

٤ - أخرجه أبو داود: الصلاة ٥٨٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم ٥٥٨

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء الصحابة أو من في منزلتهم، بل إن كل متجرد للحق ، طالب للصواب، صادق مع نفسه، فإنه لابد وأن يسلم بخطئه متى عرفه، ويرجع إلى الحق إذا تبين، وإلا كان مجادلا مكابرا، وهذه أمثلة تبين اعتراف أناس - وهم على الكفر - بصدق النبي ﷺ وصحة كلامه ودينه:

ففي قصة إسلام ضمار حين قدم مكة وعرض الرقية على النبي ﷺ، فأستفتح النبي ﷺ بقوله : «(إن الحمد لله نحمده ونستعينه...)» فقال : اعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء. ولقد بلغن ناعوس البحر. قال هات يدك أبايعك على الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «وعلى قومك» قال : وعلي قومي(١)

ومنه ما تقدم في محاوراة النبي ﷺ للحبر اليهودي، وذلك حين سأله اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ «هم في الظلمة دون الجسر» قال : فمن أول الناس إجازة؟ قال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال : زيادة كبد النون، قال : فما غذاؤهم على إثرها؟ قال ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من اطرافها، قال: فما شرابهم عليه ؟ قال : «من عين فيها تسمى سلسبيلا» قال : صدقت. قال : وجئت أسأل عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال : ينفعك إن حدثتك؟ قال : اسمع بأذني. قال : جئت أسأل عن الولد؟ قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله. وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنتا بإذن الله ، قال اليهودي : لقد صدقت. وإني لك لنبي. ثم انصرف فذهب(٢)

١ - تقدم تخريجه ص: ٢٠٠

٢ - تقدم في مبحث التواضع، وهو في صحيح مسلم: (٢٥٢/١) الحيض: ٣٤، انظر ص: ١٣٤

ومثل هذا ما جاء في اعتراف هرقل عظيم الروم بصدق النبي ﷺ ، بعد محاورته لأبي سفيان وسؤاله عن أمور وعلامات، حتى إذا فرغ قال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت لو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت: أن ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لاتغدر. وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. (عن قدمه ١٠٠) الحديث (١)

فكل صاحب عقل سليم، متجرد للحق مخلص، لا يسعه عند ظهور البيان، ووضوح الدلالات، وتبين الحقائق، إلا أن يعترف بخطئه - إن كان مخطئا - ويذعن للحق ويعود إلى الصواب، دون تردد أو مماطلة، وبلا تهرب أو تحايل، والمؤمن الصادق هو أولى الناس بهذا الأدب، وأحقهم بهذا الخلق، قدوته في ذلك إبراهيم الخليل الذي وصفه ربه بقوله ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ (٢)

١ - تقدم تخريجه أيضا انظر ص: ٢٨٣

اي : متذلل لربه خاشع له، منقاد لأمره، منيب رجاء إلى طاعته (١)
وقدوته محمد النبي الكريم ﷺ وصحابته الغر الميامين، رضوان الله عليهم
أجمعين.

وإذا كان الاعتراف بالحق والرجوع إليه مطلوباً، فمطلوب أيضاً التسليم بعدم
العلم، وعدم التخرج من قوله : «الله أعلم» أو «لا أدري» أو نحوهما فإن
الواجب، رد العلم إلى من هو أعلم ، وعدم التعالم أو الخوض في مناقشات
ومناظرات بغير علم، أو الخجل من السؤال والاستيضاح والتستر على الجاهل
فإن ذلك ممقوت مذموم، لا يليق بعاقل، فضلاً عن مسلم متجرد، وكلام ومواقف
السلف في هذا كثيرة، وأدلتها وشواهد عديدة:

فهاهم الملائكة الكرام البررة يعترفون بمصورهم ويسلمون لربهم فيقولون:
(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) (٢)

قال الطبري: (وهذا خبر من الله جل ذكره عن ملائكته بالأوبة إليه، وتسليم علم
مالهم يعلموه، وتبريهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئاً، إلا ما علمه تعالى ذكره (٣)
وقال القرطبي رحمه الله في المسألة الثانية عند هذه الآية : (الواجب على
من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم: «الله أعلم» «ولا أدري»، اقتداء بالملائكة
والأنبياء والفضلاء من العلماء (٤)

وها هم الرسل يقرون بعدم علمهم، ويرجعون العلم إلى ربهم، قال تعالى :
(يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ) (٥)

١ - الطبري: (٨٠/١٢)

٢ - البقرة: ٣٢

٣ - الطبري: (٢٢٠/١)

٤ - الجامع لأحكام القرآن (١٩٦/١)

٥ - المائدة: ١٠٩

بل ان الله تعالى يلقي رسوله ﷺ هذا الأدب ويعلمه بما يجيب به عند سؤاله عما لا يعلمه كما في الآيات :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ (١)
 ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٢)

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣)
 ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ - ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ (٤)
 ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥)

إلى غير ذلك من المواضع والشواهد.

وهذا الأدب تأدب به موسى عليه السلام، مع أنه كان في حالة مواجهة ومناظرة مع الطاغية المتجبر فرعون، وفي موقف تحد وافحام، ومع ذلك لما يسأله فرعون عن شيء من الغيب لا يتردد في إرجاعه إلى ربه العالم به ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٦)

وقريب منه موقف هود عليه السلام حين تحداه قومه أن يأتيهم بالعذاب ، فرد الأمر إلى ربه عز وجل : ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٧)

١ - الاعراف: ١٨٧

٢ - الاحزاب: ٦٣

٣ - الإسراء: ٨٥

٤ - الكهف: ٢٢، ٢٦

٥ - الملك: ٢٥-٢٦

٦ - طه: ٥١-٥٢

٧ - الأحقاف: ٢٢-٢٣

وآيات القرآن في هذا كثيرة معلومة، وفيما تقدم ذكره منها كفاية في بيان المقصود، والدلالة على المطلوب.

وكثيرا ما كان الصحابة يتأدبون بهذا الأدب اتباعا فيه لقدوتهم العظيمة - ﷺ - الذي ما كان يتردد في إرجاع العلم إلى من هو أعلم، كما في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله: أي البلدان أحب إلى الله، وأي البلدان أبغض إلى الله ؟ قال : «لا أدري، حتى أسأل جبريل عليه السلام، فأتاه جبريل، فأخبره : أن أحسن البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق» (١)

وكثيرا ما يتكرر في السنة عن الصحابة حينما يسألهم النبي ﷺ عن شيء فيقولون الله ورسوله أعلم، كما في أسئلته لهم في حجة الوداع عندما سألهم عن اليوم والشهر والبلد (٢)، وغير ذلك.

ولما قال بعض الصحابة عن رجل من المسلمين : ذاك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ : «لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله تعالى؟» قال : الله ورسوله أعلم (٣) الحديث

وقال عبد الله بن مسعود : (يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، قال الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٤) الخ (٥)

١ - أخرجه أحمد (٨١/٤)، والحاكم (٩٠/١) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٢٢)

٢ - تقدم ذكره مرارا، وأنظر ص: ٩٥

٣ - أخرجه البخاري: الصلاة: ٤٢٥، مسلم المساجد (٤٥٥/١) رقم ٢٦٣، أحمد (٤٤٩/٥)

٤ - ص: ٨٦

٥ - أخرجه البخاري التنقيص ٤٨٠٩، مسلم: المنافقين (٢١٥٥/٤) رقم ٣٩، الترمذي: التنقيص

(٣٧٩/٥) رقم ٣٢٥٤

وكان علي يقول: (وابردها على الكبد، «ثلاث مرات»، قالوا: وماذا يا أمير

المؤمنين؟ قال : أن يسأل الرجل عما لا يعلم فيقول : الله أعلم)(١)

وسأل ابن عمر رجل عن مسألة فقال : لا أعلم لي بها، فلما أدبر الرجل، قال ابن

عمر: نعم ما قال ابن عمر، سئل عما لا يعلم فقال : لا أعلم لي به (٢)

وقال يحيى بن سعيد للقاسم بن عبيد الله: يا أبا محمد إنه قبيح على مثلك، أن

تسأل عن شيء من أمر هذا الدين، فلا يوجد عندك منه علم ولا مخرج، فقال

القاسم : وعم ذاك؟ قال : لأئك ابن إمامي هدى، أبي بكر وعمر، فقال القاسم:

أقبح من ذاك عند من عقل عن الله، أن أقول بغير علم، أو آخذ عن غير ثقة.

قال فسكت فما أجابه(٣)

وقال مالك بن أنس: سمعت ابن هرمز يقول : ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من

بعده لا أدري حتى يكون أصلا في أيديهم، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال :

لا أدري.

وذكر عن مالك رحمه الله أنه سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين

وثلاثين منها: لا أدري(٤)

وغير ذلك من الأقوال والأمثلة والمواقف والنماذج التي تبين ضرورة التسليم

بالخطأ والرجوع إلى الحق، ورد العلم إلى من هو أعلم، وأن ذلك من الأصول

المهمة والآداب الرفيعة، التي بها يكون نجاح الحوار وثمرته.

(١ - ٢) - تفسير القرطبي : (١٩٦/١)

٣ - مقدمة صحيح مسلم مختصرا (١٦/١)

٤ - تفسير القرطبي (١٩٧/١)

المبحث الثالث عشر : الإحتمالات

إن من الآساليب المهمة في مواجهة أي خصم معاند، ومن الطرق الناجحة في محاوره أي مخالف، أن يستخدم معه أسلوب السبر والتقسيم، وذلك بأن تحصر جميع الإحتمالات الواردة في القضية، ثم يبدأ في إبطال كل احتمال غير صالح على حدة، حتى يَبْقَى إِلَّا الإحتمال الراجح، فيتعين القول به (١)

وهو أسلوب منطقي يقبل به كل منصف متجرد، ولا يعارضه عاقل، ولا يرفضه إلا مكابر مجادل.

وقد استخدم القرآن هذا الأسلوب في عدد من المواضع ومع عدد من المعاندين، ومن ذلك الرد على أهل الكتاب الذين ادعوا أن مكثهم في النار أياما معدودة، فكان جواب هذه الفرية : أن أخبر سبحانه وتعالى: أن صدق دعواهم متوقف على أحد أمرين لا ثالث لهما: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢)، إما أن يكونوا قد اتخذوا عند الله عهدا، فتكون دعواهم صحيحة، وإما أن يكونوا متقولين عليه، فتكون كاذبة، فيكون أبلغ لخزيهم عذابهم، وقد علم من حالهم أنهم لم يتخذوا عند الله عهدا، لتكذيبهم كثيرا من الأنبياء، حتى وصلت بهم الحال إلى أن يقتلوا طائفة منهم، ولنكولهم عن طاعة الله ونقضهم المواثيق. فتعين بذلك، أنهم متقولون مختلقون، قائلون عليه مالا يعلمون. والقول عليه بلا علم، من أعظم المحرمات، وأشنع القبيحات (٣)

١ - انظر مذكرة أصول الفقه للشيخ الشنقيطي ص ٢٥٧

٢ - البقرة: ٨٠

٣ - انظر تفسير السعدي (٧١/١) بتصرف يسير

ومن أمثلة هذا أيضا الرد على المشركين في قوله تعالى ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ
الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ . قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ
قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ
وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١)

وجه الاستدلال بالآيات ما ذكره السيوطي في كتاب «الإتقان» حيث قال : (إن
الكفار لما حرموا ذكور الانعام تارة، وإناثها أخرى، رد الله تعالى عليهم ذلك
بطريق السبر والتقسيم، فقال : إن الخلق لله، خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا
وأنثى، فمما جاء تحريم ما ذكرتم؟ أي ما علته؟ لا يخلوا إما أن يكون من جهة
الذكورة أو الأنوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما أو لا يدرى له علة وهو
التعبدى، بأن أخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى إما بوحى أو
إرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله ﴿أَمْ كُنْتُمْ
شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ (٢)

فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها، والأول يلزم عليه أن يكون جميع
الذكور حراما، والثاني يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراما، والثالث يلزم
عليه تحريم الصنفين معا، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة، وبعض في
حالة أخرى، لأن العلة على ما ذكر تقتضي اطلاق التحريم ، والأخذ عن الله بلا
واسطة باطل ولم يدعوه، وبواسطة رسول كذلك لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي
ﷺ ، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو أن ما قالوه افتراء على الله
وضلال (٣)

١ - الانعام: ١٤٣-١٤٤

٢ - الانعام: ١٤٤

٣ - الإتقان في علوم القرآن: (٦٤/٤)

فيتجلى في هذه الآيات تطبيق هذا الأسلوب حيث حصرت الأقسام الممكنة والاحتمالات كلها في ثلاثة أقوال لا يمكنهم أن يقولوا قولاً سائفاً في العقل، إلا واحداً من هذه الثلاثة وهم لا يقولون بشيء منها، فتبين فساد قولهم وضرورة تسليمهم لشرع الله عز وجل (١)

ومن هذا الباب أيضاً الرد على الكافر الأثيم، العاص بن وائل السهمي، حيث قال فيه: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٢)

قال الشيخ السعدي في تعليقه على هذا الأسلوب في الآية: (وهذا التقسيم والترديد، في غاية ما يكون من الإلزام وإقامة الحجة، فإن الذي يزعم أنه حاصل له خير عند الله في الآخرة، لا يخلو إما أن يكون قوله صادراً عن علم بالغيوب المستقبلية وقد علم أن هذا لله وحده، فلا أحد يعلم شيئاً من المستقبلات الغيبية، إلا من أطلعه الله عليه من رسله، وإما أن يكون متخذاً عهداً عند الله، بالإيمان به، واتباع رسله، الذين عهد الله لأهله، وأوزع أنهم أهل الآخرة، والناجون الفائزون. فإذا انتفى هذان الأمران، علم بذلك، بطلان الدعوى، ولهذا قال تعالى ﴿كَلَّا﴾، أي ليس الأمر كما زعم، فليس للقاتل اطلاع على الغيب، لأنه كافر، ليس عنده من علم الرسائل شيء، ولا اتخذ عند الرحمن عهداً، لكفره وعدم إيمانه، ولكنه يستحق ضد ما تقول (٣) الخ كلامه رحمه الله. وذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، «مؤمن آل فرعون»، الذي كان سبباً من الأسباب التي اندفع بها شر فرعون وملئه عن موسى عليه السلام، فهياً الله لموسى ذلك الرجل الصادق فقام وأنكر على قومه قتل موسى، ثم سهل لهم الأمر بهدوء تصحبه قوة الحجة، وبحكمة يرافقها الإلزام المقنع، حيث أخذهم على

١ - انظر تفسير السعدي (٧٨/٢)

٢ - مريم: ٧٧-٧٨

٣ - تفسير السعدي: (٢١٨/٣)

طريقة التقسيم فقال : ﴿اتَّقُوا رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾ (١) أي: لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا، فإن كان كاذبا فكذبه عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر، حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه. وأما إن كان صادقا، وقد جاءكم بالبينات، فلا بد أن يصيبكم بعض ما يعدكم من عذاب الدنيا إن تعرضتم له.

وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائرا بين تينك الحالتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل (٢)

ومثل هذا ما وقع من استدلال على المشركين في قوله تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣)

(وهذا استدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم. وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن ذلك لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أنهم خلقوا من غير شيء، أي لاخالق لهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال، أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجد أحد نفسه. فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهم، تعين القسم الثالث وهو أن الله هو الذي خلقهم (٤) (٤٠٠)

١ - غافر: ٢٨

٢ - انظر الكشف: (٤٢٣/٣)، السعدي (٣٦٠/٤)

٣ - الطور: ٣٥

٤ - تفسير السعدي: (١١٤/٥-١١٥)

ومن شواهد هذا في مناظرات السلف ما وقع لابن عمر رضي الله عنه حين
سئل عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبد الله بن عمر : هي حلال. فقال رجل :
إن أباك قد نهى عنها. فقال عبد الله بن عمر : أرأيت إن كان أبي نهى عنها
وصنعها رسول الله ﷺ : أمر أبي يتبع، أم أمر رسول الله ﷺ ؟ فقال الرجل :
بل أمر رسول الله ﷺ . فقال : لقد صنعها رسول الله ﷺ (١)
فهنا وضع ابن عمر السائل أمام خيارين لاثالث لهما، فإما أن يتبع أمر رسول
الله ﷺ ويسلم بصحة فتوى ابن عمر في جواز التمتع، وإما أن يتبع رأي عمر
رضي الله عنه ويترك صنيع رسول الله ﷺ ، فكان أن سلم بالحق ورجع إليه .
والمقصود أن هذا من الأساليب النافعة، والآداب اللطيفة التي ينبغي أن
يعتادها المحاور، ويستخدمها متى دعت الحاجة إليها فهي أقرب إلى إقناع
المخالف وتسليمه بالصواب .

١ - أخرجه الترمذي : الحج (١٧٦/٣) رقم ٨٢٤ (وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم ٦٥٨)

المبحث الرابع عشر: التحدي والإفحام وإقامة الحجة على الخصم

إن أسلوب التحدي في الحوار، ولو كان بالحجة الدامغة والدليل المبين، يبغض صاحبه للآخرين، وقد يفحم الخصم ويعجز عن الجواب ولكنه لا يقتنع، أو يسكت بقوة الحجة، ومع ذلك لا يسلم للحق، لأنه أخرج أو أقم أو أهين أمام الآخرين.

وحيث إن الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق، سواء تم ذلك على يدي المحاور أو خصمه، فعلى المحاور ما استطاع إلى ذلك سبيلا أن يتجنب أسلوب الإفحام والإسكات، لأنه قد لا يقود الخصم المعاند إلى الهداية، ويترك في نفسه حقداً وغيظاً، والمطلوب هو استئلال كل بغض وكراهية من قلوب الآخرين، بل ربما كان كسب القلوب أهم من كسب الواقف. ولكن يلجأ إلى التحدي والإفحام مع المماحكين الذين همهم الجدل والاستهزاء وإثارة الشبه وتضليل الآخرين، والإساءة إلى الفكرة وإهانة المبادئ، أو من تجاوز حدود الأدب، أو نحو ذلك، فمثل هؤلاء ربما لا يناسب معهم اللين والرفق، وإنما ينبغي إفحامهم ودحض حججهم وإسقاط هيباتهم من النفوس، وإخراجهم وإسكاتهم أمام الملأ، وتبيين وهن أفكارهم واضطراب أقوالهم.

ولا بأس من الهجوم الحاد المركز على مثل هذه النوعية من الخصوم، وتسفيه آرائهم ضمن حدود الآداب الإسلامية، فربما كان ذلك مطلباً مقصوداً، وإذا اقتضت المصلحة جرحهم بالتحدي والإفحام، فلا بأس بذلك، لأنهم يمثلون الباطل أمام الناس، وينبغي أن يرى الناس الباطل مهزوماً مدحوراً (١).

فقد تكون الدعوى صحيحة ظاهرة، تلمسها الحواس وتستيقنها النفوس، ومع ذلك تجد عند بعض الخصوم لدداً ومكابرة للحق، فيعارض كل ما خالف معتقده وهو اه دون تدبر للحقائق، أو عدل في النظر والتفكير، كما كان الحال في

١ - انظر اصول الحوار ص ٤٥-٤٦ رسالة الجليل ص ٤٨

معارضة المشركين للرسول ﷺ في أمر القرآن، وتشكيكهم في نسبته إلى الله تعالى، فكان رد القرآن عليهم بنقض جميع الشبه والمعارضات التي أوردوها، وإزالة كل الملابس التي أثاروها، ثم تحداهم في مقامات متعددة بأن يأتوا بمثله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (١) أو بعشر سور مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ (٢) أو بسورة واحدة من مثله ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (٣)

كما تحدى القرآن تحديا عاما للثقلين الجن والإنس على أن يأتيا بمثل هذا القرآن: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٤)

فلما تحداهم القرآن في تلك المقامات فعجزوا عن معارضته، فثبت صدق الرسول، وبطلت دعوى الخصوم، لأن التحدي قد جعل دليلا على أن هذا القرآن من عند الله تعالى، والدليل متى عورض بمثله بطل عمله فيسقط الاحتجاج به (٥)

ولما أمر الله سبحانه وتعالى بالتلطف في المناقشة - حتى مع الكفار - استثنى حالة إذا ما طغوا وبغوا، فاعتبروا اللطف ضعفا، فأقربوا في الإعتداء والعناد، ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق، فعندها يستعمل معهم الغلظة والشدة، ويكون العنف هو الدواء (٦): ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ﴾ (٧) الآية

١ - الطور: ٣٤

٢ - هود: ١٣

٣ - البقرة: ٢٣

٤ - الإسراء: ٨٨

٥ - انتهى ملخصا من مناهج الجدل: ٨٧-٩٠

٦ - انظر الكشاف: (٢٠٨/٣)

٧ - العنكبوت: ٤٦

وعندما جادل النمرود إبراهيم في ربه، بعد أن أوتي الملك، فكان ذلك سبب استعلائه وتكبره، وطلب الأدلة والبراهين على وجود الله عز وجل، استحق الإسكات والتحدي، وأن يبهت ويفحم، بعد أن ادعى شيئاً من خصائص الألوهية والربوبية: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١)

وبذلك وقف وانقطعت حجته، واضمحلت شبهته (٢)، وبان كذب دعواه، والحمد لله رب العالمين.

ولعل من أنواع التحدي التي جاءت في كتاب الله عز وجل: المباهلة التي أمر الله بها وبين صفتها، في سياق حوار مع أهل الكتاب حول عيسى عليه السلام، فقال: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٣)

وكان قد قدم على النبي ﷺ وفد نصارى نجران، وقد تصلبوا على باطلهم، بعدما أقام عليهم النبي ﷺ البراهين، بأن عيسى عبد الله ورسوله، حيث زعموا إلهيته. فوصلت به وبهم الحال إلى أن أمره الله تعالى أن يباهلهم، فإنه قد اتضح الحق، ولكن العناد والتعصب منعاهم منه، فلما دعاهم إلى المباهلة تشاوروا في إجابته، ثم قال بعضهم لبعض: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لانفلق نحن ولا عقبننا من بعدنا (٤) فلم يجيبوه، لأنهم عرفوا أنه نبي الله حقا، وأنهم إن باهلوه هلكوا، هم وأولادهم وأهلوه، فصالحوه، وبذلوا له الجزية، وطلبوا منه المودة والمهادنة (٥)

١ - البقرة: ٢٥٨

٢ - انظر تفسير السعدي (٢٠٦/١)

٣ - آل عمران: ٦١

٤ - هذا نص رواية البخاري ٤٣٨٠، وأخرجه أحمد (٤١٤/١)

٥ - انظر تفسير السعدي (٢٤٩/١)

وقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله في ذكر الفوائد من قصة وفد نصارى نجران: (ومنها: أن السنة في مجادلة أهل الباطل إذ اقامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد: أن يدعوه إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك، ودعا إليه ابن عمه عبد الله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع، ولم ينكر عليه الصحابة، ودعا إليه الأوزاعي سفيان الثوري في مسألة رفع اليدين، ولم ينكر عليه ذلك، وهذا من تمام الحجة (١)

وقال ابن حجر في ذكر الفوائد من القصة نفسها مانصه: (وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء، ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلا لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة. ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة فلم يقم بعدها شهرين (٢)

وعلى المحاور قبل أن يعلن التحدي أو يقبله أن يتأكد من قدرته على إقامة الحجة وإظهار الحق، لاسيما إن كان الحوار سيتم على ملأ من الناس، فلا يجوز له أن يخذل الحق أو يقصر في بيانه، فيبدو ضعيفا سقيما فيغتر الناس بالباطل وانتفاشه.

وقد اشار إلى هذه المسألة ابن القيم رحمه الله في تعليقه علي قصة وفد نجران المتقدمة حيث قال: (ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليول ذلك إلى أهله، وليخل بين المطي وحاديها، والقوس وباريها (٣)

ولذلك لما أراد فرعون أن يتحدى موسى عليه السلام وكان من مظاهر التحدي أن طلب منه تحديد موعد للقاء مع السحرة، وترك له حرية إختيار ذلك الموعد:

١ - زاد المعاد: (٦٤٣/٣)

٢ - فتح الباري: (٩٥/٨)

٣ - زاد المعاد: (٦٣٩/٣)

«للتحدي» ٠ ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ وشدد عليه في عدم إخلاف الموعد زيادة في التحدي، ﴿لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾ وأن يكون الموعد في مكان مفتوح مكشوف: ﴿مَكَانًا سَوًى﴾ (١) مبالغة في التحدي!

وقبل موسى التحدي، واختار الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة، وطلب أن يجمع الناس ضحى، ليكون المكان مكشوفاً، والوقت ضاحياً: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحًى﴾ (٢) فقابل التحدي بمثله، وزاد عليه اختيار الوقت في أوضح فترة من النهار وأشدّها تجمعا، وهكذا أمضى موسى التحدي وكسب الرهان، ووقع الحق وبطل ما كانوا يعملون (٣)

إن أقل ما في التحدي مع الخصم المعاند: هو إقامة الحجة عليه، وتجليتها للآخرين ليكون الجميع على بصيرة من الحق و: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (٤)

فمتى بلغ المحاور ما عنده من الحق، واجتهد في نصرته، فقد أدى ما عليه، وإن لم يذعن الخصم إلى الحق، وهذا الذي فعله الأنبياء مع المعاندين من أقوامهم، فبعد أن كفر قوم صالح واستكبروا وتحذوا: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٥) عندها أهلكوا وأعلمهم نبيهم بأنه قد بلغهم ونصحهم: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربّي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين (٦)

١ - طه: ٥٨

٢ - طه: ٥٩

٣ - انظر الظلال: (٤/ ٢٣٤٠)

٤ - الأنفال: ٤٢

٥ - الاعراف: ٧٧

٦ - الاعراف: ٧٨-٧٩

٥- الأولى أن يقال: «ونصره الله» أو نحوها بدلاً من عبارة «وكسب الرهان» التي قد لا تطيق مع مقام النبوة، والله أعلم.

ومثل ذلك فعل شعيب بعد أن أهلك الله قومه: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (١)

وأختتم بيان أسلوب التحدي والإفحام بذكر نماذج له من السلف في مناظراتهم وقصصهم فمنها :

دخل الحجاج على أسماء، فقال : إن ابنتك أُلحد في هذا البيت، وإن الله أذاقه من عذاب أليم، قالت كذبت! كان برا بوالدته، صواما، قواما، ولكن أخبرنا رسول الله ﷺ : «إنه سيخرج من ثقيف كذابان : الآخر منهما شر من الأول وهو مبير» (٢) . (٣)

ودخل سالم بن عبد الله بن عمر على سليمان بن عبد الملك، وعلى سالم ثياب غليظه رثة، فلم يزل سليمان يرحب به، ويرفعه حتى أقعده معه على سرير، وعمر بن عبد العزيز في المجلس، فقال له رجل من أخريات الناس: ما استطاع خالك أن يلبس ثيابا فاخرة أحسن من هذه، يدخل فيها على أمير المؤمنين؟ وعلى المتكلم ثياب لها قيمة، فقال له عمر: ما رأيت هذه الثياب التي على خالي وضعته في مكانك، ولا رأيت ثيابك هذه رفعتك إلى مكان خالي ذاك (٤)

وفي سيرة الحافظ أحمد بن علي بن مسلم الأبار (٥) يقول عن نفسه: كنت بالأهواز ، فرأيت رجلا قد حف شاربه، فذكر له أصحاب الحديث، فقال : ليسوا بشيء، وليس يسوون شيئا . فقلت: أنت لاتحسن تصلي . قال : أنا ؟ قلت : نعم، أيش تحفظ عن رسول الله ﷺ إذا افتتحت ورفعت يديك؟ فسكت، قلت : فما تحفظ عن رسول الله ﷺ إذا سجدت؟ فسكت، فقلت: ألم أقل : إنك لاتحسن تصلي؟ فلا تذكر أصحاب الحديث (٦)

١ - الأعراف: ٩٣

٢ - الحديث أخرجه مسلم: فضائل الصحابة (٤/١٩٧١) رقم ٢٢٩، الترمذي: الفتن (٤/٤٩٩) رقم ٢٢٢٠، أحمد (٦/٣٥١)

٣ - انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٦)

٤ - سير أعلام النبلاء (٤/٤٦١)

٥ - كنيته أبو العباس: قال الخطيب عنه : ثقة حافظا متقنا، حسن المذهب، توفي سنة ٢٩٠هـ وعاش نيفا وثمانين سنة (سير أعلام النبلاء: ١٣/٤٤٣)

٦ - سير أعلام النبلاء: (١٣/٤٤٤)

فهذه أجوبة مفحمة لخصوم لا يطلبون حقا، ولا ينشدون صوابا، ولا يراعون حوارا.

ومن أعجب الأمثلة ما أجاب به القاضي أبوبكر الباقلاني (١) في محاورته مع النصارى، حيث سأل أحد الأساقفة بحضرة ملكهم فقال: ما فعلت زوجة نبيكم؟ وما كان من امرها بما رميت به من الإفك؟ فقال الباقلاني مجيبا له على البديهة: هما امرأتان ذكرتا بسوء: مريم وعائشة، فبرأهما الله عزوجل، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد، وأنت مريم بولد ولم يكن لها زوج - يعني أن عائشة أولى بالبراءة من مريم - وكلاهما برئية مما قيل فيها، فإن تطرق في الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع، وهما بحمد الله منزهتان مبرأتان من السماء بوحى الله عز وجل، عليهما السلام (٢).

وفي مجلس آخر دخل البطريرك - مقدم النصارى ورئيس أساقفتهم - فلما توسط المجلس قام له ملكهم ورجاله تعظيما له، فقصوا حقه، ومسحوا أطرافه، وأجلسه الملك إلى جنبه، ثم أقبل على القاضي أبي بكر، فقال يافقيه هذا البطريرك، قيم الديانة، وولي النحلة، فسلم القاضي عليه أحفل سلام، وسأله أحفل سؤال، وقال له: كيف الأهل والولد فعظم قوله هذا عليه، وعلى جميعهم، وتغيروا له وصلبوا وجوههم وأنكروا قول أبي بكر عليه. قال القاضي: وما أنكرتم من كلامي، فقال الملك: إننا ننزه هؤلاء عن صاحبة والولد. فقال القاضي: يا هؤلاء تستعظمون لهذا الإنسان اتخاذ صاحبة والولد، وتربأونه به عن ذلك. ولاتستعظمونه لربكم - عز وجهه - فتضيفون ذلك إليه، سواء لهذا الرأي، ما أبين غلطه.

فسقط في أيديهم، وبهتوا وانكسروا، ولم يحيروا جوابا، وتداخلتهم له هيبة عظيمة (٣).

إلى غير ذلك من الأمثلة والنماذج التي تثبت قيمة هذا الأسلوب وأهميته ودوره، ومدى الحاجة إليه وخاصة مع ألد الخصام، من المجادلين المعاندين.

١ - اسمه محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي ابن الباقلاني، صاحب التصانيف، كان يضرب المثل بفهمه وذكائه، كان ثقة إماما بارعا، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري توفي عام ٤٠٣هـ (سير أعلام النبلاء: ١٧/١٩٠).

٢ - البداية والنهاية: (٣٧٤/١١)، سير أعلام النبلاء: (١٩٢/١٧)، ترتيب المدارك: (٥٩٤/٤-٦٠٠).

٣ - انظر سير أعلام النبلاء: (١٩١/١٧).

الباب الرابع
«آداب الحوار اللفظية»

الباب الرابع : آداب الحوار اللفظية

وأعني بها الآداب التي تتعلق بالألفاظ المختارة، والكلمات المنتقاة،
والعبارات المناسبة، والتي تطرح وتدور أثناء الحوار من قبل الطرفين.
وحيث إن الحوار - غالباً - ماتصاحبه الرغبة في الظهور على الخصم،
والخوف من الإهزام أو الإحراج أمام الآخرين فربما انعكس أثر ذلك على
ألفاظ المحاور، فيلقي كلمة خشنة، أو لايسعفه التعبير فيزل لسانه
بتعبير سيئ، قد يؤجج الصراع بين الطرفين، ويشعل الفتيل بين
المتحاورين.

(١)

فإن النار بالعودين تذكى..... وإن الحرب مبدؤها كلام
لذلك يلزم المحاور أن يراعي ألفاظه فيدققها وينقحها، ويتبين فيها
ويزنها، قبل أن تخرج من فيه فلا يستطيع ردها، أو يندم عليها بعد فوات
الأوان، فتعصف بالحوار وتهوي به في مكان سحيق.
فلا بد إذن من مراعاة لكل عبارة يتفوه بها المحاور، وكل كلمة يعزم على
قولها، حتى يستقيم الحوار ويحرز تقدماً.

وإجمال هذه الآداب اللفظية على الترتيب كما يلي :

- ١ - العبارة المناسبة وحسن العتاب.
- ٢ - التذكير والوعظ.
- ٣ - التعريض والتلميح بدل التصريح.
- ٤ - أدب السؤال.
- ٥ - ذكر المبررات عند الاعتراض.
- ٦ - طلب الإنظار وعدم الاستعجال.
- ٧ - ثناء المحاور على نفسه أو على خصمه بالحق.
- ٨ - مباغته الخصم وقطع الطريق عليه.
- ٩ - محاذير لفظية.

وعليه فسأجعل كل أدب منها مبحثاً مستقلاً، كما سبق في الأبواب

المتقدمة. إن شاء الله.

(١) - هذا البيت للشَّيْخِ بْنِ مَسَّارٍ صَاحِبِ حَرَّاسَانَ (١) انظر العبد المذنب عبد ربه : ٨٦/١ ط الأول ١٤٠٤ هـ دار الكتب العلمية بيروت
وانظر ديوان المتنبي بشرح العبد : ٢٦٤/١ ط مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٥ هـ

المبحث الأول : العبارة المناسبة وحسن العتاب

إن استعمال الأساليب الجميلة، والعبارات اللطيفة، والكلمات العذبة، والمؤدية للمعنى على أكمل وجه لتضييق هوة واسعة، وتحطم حواجز قوية، وتلين قلوباً قاسية، وتقرب خصماً معانداً : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (١).

إن المحاور الذكي العاقل، يناقش بتلطف وأناة وأدب، ومن الأشياء التي تفتح مغاليق النفوس، وتفعل فعلها في القلوب، أن يقول المحاور لخصمه في بدء حديثه - مثلاً : اسمح لي أن أبدي وجهة نظري في الموضوع، قد أكون مخطئاً، وأشكرك لو تفضلت وصححت لي خطأي.

وطلاقة اللسان مع كثرة الكلام تحتاج إلى عقل واع يحدد مواقع الكلم، ومواطن اللفظ، فيختار الحديث المناسب للمجالس المناسبة، وينتقي أطيب الكلام على قدر الرجال، والعبارات الجميلة دليل على الشفافية وحسن الانتقاء (٢).

وقد أمر الله عز وجل بدعوة الناس بحكمة وموعظة حسنة، وإذا لزم الجدل فليكن بأحسن الطرق وأقوم السبل، فقال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣).

وأكد على تقديم التي هي أحسن في كل مجال، فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه، وذلك حتى يتقوا أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة، فإن الشيطان ينزغ بين الأخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيء يتلوها، فيتلمس سقطات الفم وعثرات اللسان، فيغري بها العداوة والبغضاء، فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء. والكلمة الطيبة تأسوا جراح القلوب، تندي جفافها، وتجمعها على الود الكريم،

١ - فصلت : ٣٤.

٢ - انظر : «ربانية التعليم» د. عبدالله الحسن ص ١٨ ، ٣٦ ، أصول الحوار ص ٤٣.

٣ - النحل : ١٢٥.

كما أنها تسد عليه الثغرات، وتقطع عليه الطريق، وتحفظ حرم الأخوة آمنا من نزعاته ونفثاته (١). قال تعالى : ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٢).

وليس هذا مجرد توجيه نظري لاحقيقة له. كلا، بل إن الله - سبحانه - لما أرسل موسى وهارون إلى فرعون اللعين، أمرهما بلين القول وحسن الكلام. ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ (٣). بل علمهما مايقولانه وأختارلهما أطف عبارة : ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزْكَى﴾ (٤).

وهذا المصطفى ﷺ يقول عنه أنس - رضي الله عنه - : «لم يكن النبي ﷺ سبابا ولا فاحشا ولا لعانا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة : ماله ترب جبينه» (٥). سبحانه الله ! هذا حاله وذلك مقاله عند المعتبة، فكيف في حالات الرضا والصفاء.

واستأذن رجل عليه فلما رآه قال : بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة. فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط اليه. فلما سألته عائشة عن ذلك قال : يا عائشة : «متى عهدتني فاحشا ؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره» (٦).

فهذا الرجل مع سوئه الذي يعلمه النبي ﷺ فيه، لكنه ينبسط إليه، ويلين له القول ليتألفه، وهكذا فما أمكن الشخص أن ينصح ويتعامل بالرفق فلايجوز له أن يفعله بالعنف، لأنه قد يكون سببا لإغراء الخصم واصراره على ذلك الفعل كما في طبع كثير من الناس من الأنفة، لاسيما إن كان الأمر دون المأمور في المنزلة. (٧).

١ - انظر الظلال : ٤/ ٢٢٣٤ بتصرف.

٢ - الاسراء : ٥٣.

٣ - طه : ٤٤.

٤ - النازعات : ١٨.

٥ - أخرجه البخاري : الأدب : ٦٠٣١ ، أحمد ١٢٦/٣.

٦ - أخرجه البخاري : الأدب : ٦٠٣٢ ، أبو داود : الأدب : ٤٧٩١.

٧ - انظر الفتح : ١٠/ ٤٥٤ ، ٤٦٦ بتصرف.

ومن سنته - ﷺ - عموماً، اختيار الألفاظ السالمة من المعاييب، ومن ذلك مثلاً :
تبديل بعض الأسماء إلى ما هو أحسن منها (١)، ومنه نهيه ﷺ عن وصف
الإنسان نفسه بالخبث، حيث قال : «لايقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقست
نفسي» (٢).

قال ابن حجر : (ويؤخذ من الحديث استحباب مجانبة الألفاظ القبيحة
والأسماء، والعدول إلى ما لا قبح فيه .. وإن كان المعنى المراد يتأدى بكل
منهما) (٣).

ومن الأمثلة التي تظهر فيها حسن عبارته ولين كلامه وطيب قوله - ﷺ :-
ترحيبه بالقادِم عليه وتأنيسه، كما قال لوفد عبد القيس : «مرحباً بالقوم - أو
بالوفد - غير خزايا ولا ندامى» (٤). (وقد تكرر ذلك من النبي ﷺ، ففي حديث أم
هانيء .. مرحباً بأم هانيء، وفي قصة عكرمة بن أبي جهل «مرحباً بالراكب
المهاجر» وفي قصة فاطمة «مرحباً بابنتي» وكلها صحيحة) (٥).

ومن ذلك أيضاً ما تقدم في رده على اليهود حينما كانوا يقولون «السام عليكم»
فلا يزيد في الرد عليهم على قوله «وعليكم»، بل ينهي عائشة عن سبابهم
وشتامهم. (٦)

ومن ذلك ما تقدم أيضاً في قصة معاوية بن الحكم عندما تكلم في الصلاة فزجره
القوم، قال معاوية : فلما انصرف رسول الله ﷺ، دعاني بأبي وأمي هو،

١ - من ذلك تغييره لاسم حزن إلى سهل وبرة إلى زينب ونحوه (انظر : البخاري كتاب الأدب،
باب ١٠٨).

٢ - أخرجه البخاري الأدب : ٦١٧٩، ومسلم : الألفاظ ١٧٦٥/٤ رقم ١٦، أبو داود : الأدب :
٤٩٧٨، أحمد ٥١/٦.

٣ - انظر الفتح : ٥٦٤/١٠.

٤ - تقدم تخريجه في «تهيئة الجو المناسب للحوار» ص ١٤٨.

٥ - الفتح : ١٣١/١.

٦ - تقدم تخريجه في مبحث «الكلمة الطيبة» ص ٦٩.

ماضربني ولاكهرني، ولاسبني مارأيت معلما قبله ولابعده أحسن تعليما منه، قال :
«إن صلاتنا هذه، لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير
وتلاوة القرآن»(١).

ومن حسن عبارته وإرضائه لجميع الأطراف المختلفة باختيار الكلمة المناسبة،
قوله للغلامين الذين اختلفا في قتل أبي جهل فقال كل واحد منهما : أنا قتلت،
فنظر في سيفيهما فقال : «كلا كما قتله»(٢)، فطيب قلبيهما بمثل هذه العبارة
المختارة.

ومما يدخل في موضوع العبارة المناسبة : حسن العتاب لمن أخطأ أو ظلم، فلم
يكن من هديه ﷺ النهر والزجر والتأنيب والتعيير، الذي يشعر بانتقاص
الآخرين أو إذلالهم أو الحقد عليهم أو نحو ذلك، بل كان عتابه لطيفا، يشير إلى
الأخطاء من طرف خفي، فيفهمه المعني بالكلام، دون أن يجرحه أو يسيء إليه.

وقد تقدم آنفا أنه كان عند المعتبة لأحد من أصحابه يقول «ماله ترب جبينه»(٣).
ولما رجع من خيبر مع أصحابه فاضطجعوا، وتعهده بلال بإيقاظهم فغلبته عيناه
فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال : (يا بلال أين ماقلت ؟
قال : ما ألقيت علي نومة مثلاً قط...)(٤)

فاكتفى في معاتبه بلال بسؤاله عما التزم به، ثم قبل عذره عندما اعتذر بأمر
سائغ قد يقع لكل أحد من الناس.(٥)

- ١ - تقدم تخريجه في مبحث «الكلمة الطيبة» أيضا ص ٧٠.
- ٢ - أخرجه البخاري : الخمس ٣١٤١، مسلم : الجهاد ١٣٧٢/٣ رقم ٤٢، أحمد ١٩٣/١.
- ٣ - تقدم تخريجا آنفا.
- ٤ - أخرجه البخاري : مواقيت الصلاة ٥٩٥، النسائي : الامامة ١٠٦/٢ رقم ٨٤٦، أحمد
٣٠٧/٦.
- ٥ - انظر الفتوح : ٦٦/٢.

وعندما جاءه رجل (١) قد ظاهر من امرأته، فوقع عليها قبل أن يكفر فقال له :
«ما حملك على ذلك يرحمك الله ؟» (٢) .. الحديث فمع أن الرجل قد أخطأ بالظهار
- أولا - ، وأخطأ بالوقوع على امرأته قبل الكفاره - ثانيا - ، مع ذلك يعاتبه في
أدب ولطف بل ويدعوه بالرحمة.

ولما خرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى الشام، فوقع الوباء بالشام،
فاستشار الصحابة، فأشار عليه بعضهم بالرجوع فعزم على ذلك. فقال أبو عبيدة :
أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة (وكان عمر يكره
خلافه، نعم. نفر من قدر الله الى قدر الله (٣) ... الخ
ففي هذا عتاب لطيف من عمر لأبي عبيدة، فيه معنى التقدير والإكرام لمنزلته
وفضله.

وفي سيرة علي بن الحسين أنه كان بينه وبين ابن عمه حسن بن حسن شيء، فما
ترك حسن شيئاً الا قاله، وعليّ ساكت، فذهب حسن، فلما كان في الليل، أتاه علي،
فخرج، فقال علي : يا ابن عمي إن كنت صادقاً فغفر الله لي. وإن كنت كاذباً،
فغفر الله لك، السلام عليك. فالتزمه حسن، وبكى حتى رثى له. (٤)
وهذا فيه عتاب حسن، وعفو وصفح، ومودة وإخاء.

وعلى كل حال فإن الصّفح والعفو وترك العتاب - ربما كان أولى - في أكثر
المواطن، ولكن ان كان في النفس شيء نحو المخطئ من حقد أو نحوه،

١ - جاء في روايات أخر أن مثل هذا وقع لسلمة بن صخر، وأوس بن الصامت - رضي الله
عنهما - كما في تخريج هذه الرواية.

٢ - أخرجه الترمذي : الطلاق ٤٩٤/٣ رقم ١١٩٩ وقال «حسن صحيح»، أبو داود : الطلاق
٢٢٢١، النسائي : الطلاق ١٦٧/٦ رقم ٣٤٥٧، ابن ماجه : الطلاق ١١٦٦/١ رقم ٢٠٦٥،
الحاكم : الطلاق ٢/٢٠٤.

٣ - تقدم في مبحث «ضرب الأمثلة من الباب السابق» ص ٣٠٨.

٤ - سير أعلام النبلاء : ٣٩٧/٤.

فَعِنْدَهَا يَكُونُ التَّنْفِيسُ بِالْعِتَابِ أَوَّلَى مِنْ كِتْمِهِ أَوْ السَّكُوتِ عَلَى مَضْضٍ وَحَقْدٍ وَكَرَاهِيَةٍ. قَالَ الْأَحْنَفُ : (الْعِتَابُ مِفْتَاحُ الثَّقَالِي، وَالْعِتَابُ خَيْرٌ مِنَ الْحَقْدِ) (١) وَمِنْ الْعِبَارَةِ الْمُنَاسِبَةِ : حَسَنُ الْمُنَادَاةِ لِلطَّرَفِ الْآخَرِ، وَاخْتِيَارُ أَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ أَوْ بِكُنْيَتِهِ أَوْ بَلَقَبٍ يَشْعُرُ بِتَقْدِيرِهِ وَحَسَنُ الْإِهْتِمَامِ بِهِ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ، وَيُنَاسِبُ مَنْزِلَةَ الْمُخَاطَبِ.

وَقَدْ تَأَدَّبَ بِهَذَا الْأَنْبِيَاءُ فِي خُطَابِهِمْ لِأَقْوَامِهِمْ، فَقَدْ كَانَ يَقُولُ الرَّسُولُ مِنْهُمْ لَخَصَمَائِهِمْ : « يَا قَوْمُ » : فِي تَوَدُّدٍ وَسَمَاحَةٍ، وَتَذْكِيرٍ بِالْأَوَاصِرِ الَّتِي تَجْمَعُهُمْ، وَذَلِكَ بِبَدَائِهِمْ وَنَسَبَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَنَسَبَةِ نَفْسِهِ إِلَيْهِمْ، لَعَلَّ ذَلِكَ يَسْتَثِيرُ مَشَاعِرَهُمْ وَيَحَقِّقُ أطمئنانهم إِلَيْهِ فِيمَا يَقُولُ. فَالرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَالنَّاصِحُ لَا يَغْشَى قَوْمَهُ. (٢)

وَبِهَذَا اللَّطْفِ فِي الْخُطَابِ يَتَوَجَّهُ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَبِيهِ، يَحَاوِلُ أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى الْخَيْرِ الَّذِي هَدَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَعَلِمَهُ إِيَّاهُ، وَهُوَ يَتَحَبَّبُ إِلَيْهِ فَيَخَاطِبُهُ : « يَا أَبَتِ » وَمَنْ ثُمَّ يَسْأَلُهُ ﴿لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (٣) (٤).

وَيُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَرَادَ دَعْوَةَ السَّجِينِينَ إِلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، تَحَبَّبَ إِلَيْهِمَا بِصِفَةِ مُؤَنِّسَةٍ، فَكَأَنَّهُ اتَّخَذَهُمَا صَاحِبَيْنِ لَهُ وَرَفِيقَيْنِ عَلَى دَرَبِهِ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِمَا إِلَى صُلْبِ الدَّعْوَةِ (٥) فَقَالَ لَهُمَا : « يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ؟ » (٦)

١ - سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ : ٩٤/٤ .

٢ - انْظُرِ الظَّلَالُ : ١٨٧٣/٤ ، ١٨٩٦ .

٣ - مَرِيَمُ : ٤٢ .

٤ - الظَّلَالُ : ٢٣١١/٤ .

٥ - نَفْسُ الْمَصْدَرِ : ١٩٨٩/٤ .

٦ - يُوسُفُ : ٣٩ .

ولما أراد النبي - ﷺ - تسكين غضب علي - حين اختصم هو وفاطمة - فأتاه ﷺ وهو مضطجع في المسجد قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول : قم أبا تراب، قم أبا تراب (١) فهذا فيه مازحة المغضب بما يحصل به تأنيسه، ومن ذلك تلقيبه بالكنية، وقد كان علي يفرح إذا دعي بذلك. (٢)

وعندما يصدر هذا الأدب من الأعلى لمن هو دونه، أو من الكبير للأصغر منه سناً، فإنه يكون أوقع في النفس وأحب، فكيف عندما يصدر من رسول لأحد أتباعه، وهاهو ﷺ ينادي أبي بن كعب بكنيته فيقول له : يا أبا المنذر! أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟ ... الحديث. (٣)

بل وينادي أبا زر بكنيته - حتى في حال غضبه عليه فيقول : «يا أبا زر! أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية» ... الحديث. (٤) بل قد تقدمت قصة حوار مع عتبة بن ربيعة - وهو مشرك كافر - ومع ذلك كان يناديه - ويكرر ذلك مراراً - بكنيته التي يحبها فيقول له : «قل يا أبا الوليد» - «أو قد فرغت يا أبا الوليد» - «قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك». (٥)

بل قد كان ذلك منه - ﷺ - حتى مع فرعون هذه الأمة «أبو جهل»، فقد ذكر المغيرة بن شعبه أنه بينما يمشي هو وأبو جهل في بعض أزقة مكة إذ لقيهما رسول الله ﷺ فقال لأبي جهل : يا أبا الحكم! هلم إلى الله وإلى رسوله، إني أدعوك إلى الله... الخ (٦).

والمقصود أن اختيار العبارات المناسبة، وانتقاء الألفاظ اللطيفة، وحسن العتاب، وحسن المناداة، مع لين الكلام وطيب المقال، مع تقديم اعتذار بالخطأ والتقصير، وسماحة وتودد للطرف المقابل، كل ذلك من الهدى النبوي، ومن الأدب الرفيع الذي يطمئن خواطر الآخرين، ويستل ما قد يكون في نفوسهم من عناد أو حقد أو مكابرة.

١ - تقدم تخريجه. ص ٢٥٣.

٢ - انظر الفتحة : ٥٣٦/١.

٣ - أخرجه مسلم : المسافرين ٥٥٦/١ رقم ٢٥٨، أبو داود : الصلاة ١٤٦٠، أحمد ١٤٢/٥.

٤ - تقدم تخريجه. ص ٢٢٣.

٥ - تقدم ذكرها في مبحث «حسن الاستماع» والقصة حسنّها الألباني في تخريج فقه السيرة ص ١١٣.

٦ - القصة أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» : (٢٠٧/٢) واسنادها حسن.

وينبغي للمحاور ألا يغفل عن هذا أو ينساه حتى في أصعب الحالات على النفس وأشدّها، وليجعل حكمته في قول الله تعالى : ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ (١)، وليتلف كما تلف أبو شريح خويلد بن عمرو الخزاعي - رضي الله عنه - حيث قال لعمر بن سعيد بن العاص وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح فسمعتة أنزاي ووعاه قلبي وأبصرته عيناى حين تكلم به ... ثم أخبره بحديث حرمة القتال في مكة. (٢)

قال ابن دقيق العيد : (فيه حسن الأدب فى المخاطبة للأكابر لاسيما الملوك فيما يخالف مقصودهم، لأن ذلك يكون أدعى للقبول، لاسيما فى حق من يعرف منه ارتكاب غرضه، فإن الغلطة عليه قد تكون سببا لإثارة نفسه ومعاندة من يخاطبه) (٣) اهـ

١ - الاسراء : ٢٨ .

٢ - تقدم فى مبحث «تأكيد القضية» فى الباب السابق .

٣ - انظر أحكام الأحكام : ٢٣/٣ .

المبحث الثاني : التذكير والوعظ

إن بعض الخصوم قد لا تنقصهم الحقائق، ولا يحتاجون إلى كثير من المعلومات، فقد تكون مقررة لديهم ذهنياً، ولكن يأبون الاعتراف بها، أو يرون في ذلك عيباً أو ذلاً، فعلى المحاور أثناء تبينه للأدلة وعرضه للقضية أن يمزج معها شيئاً من التذكير ولونا من المواقف المؤثرة، والتي تطرق قلوبهم كما تطرق الأدلة عقولهم، وإذا مانجح المحاور في هذا باستخدام الترغيب أو التهيب، فخطب العقل بالعلم والروح بالذكر، فستتهياً نفسية الخصم لقبول الحق، وتكون أقرب إلى التجرد عن الهوى، والبعد عن الكبر والعناد.

وكثيراً ما استخدم هذا الأسلوب في القرآن، فخطب المعاندين من أهل الكتاب أو المشركين أو غيرهم، وذكرهم بنعم مختلفة، وحذرهم من الكفر والمعصية، وخوفهم من المصير يوم القيامة، كل ذلك مع جدالهم وتفنيدهم شبههم ودحض افتراءاتهم ومن أمثلة ذلك :

- تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم - والتي ينبغي مقابلتها بالشكر والإيمان - ومنها تفضيلهم على العالمين، وإنجائهم من آل فرعون، بل وإغراق عدوهم، وعفو الله عنهم بعد اتخاذهم العجل، وإحيائهم بعد موتهم وتظليل الغمام عليهم وإنزال المن والسلوى، وتفجير الينابيع من الأرض .. الخ النعم التي ذكرها الله في آيات عديدة من سورة البقرة وغيرها، كقوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ...﴾ (١).

- ومرة أخرى يذكرهم بعاقبة الكفر والعصيان، ويضرب لهم أمثلة بمن عصى أو كفر منهم وكيف كانت عاقبته : كما في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ. فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢) وكما في قوله سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٣).

١ - البقرة : ٤٦ وما بعدها الى ٦٤.

٢ - البقرة : ٦٥ - ٦٦.

٣ - النساء : ٤٧.

- ومرة يذكرهم باليوم الآخر ليكون رادعا لهم عن تكذيبهم وإعراضهم كما في قوله عز وجل : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١) وغيرها من الآيات في هذا الباب.

- ومثل هذا تذكير المشركين في مواقف عديدة بقدرة الله ووحدانيته وألوهيته، وتخويفهم من عذابي الدنيا والآخرة كما في الآيات المختلفة في سورة الأنعام ومنها :

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (٢)

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ. قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ (٣)

- ﴿قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَنْ أَنْجَاكُمْ مِنْ هَذِهِ لَنْ كُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ. قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (٤)

ويلاحظ توجيه الآيات للمشركين وأمر النبي ﷺ بأن يحاورهم ويحاجهم بها، لما فيها من الحجج والبيانات مع الوعظ والتذكير، والترهيب والتخويف.

١ - البقرة : ٤٨ .

٢ - الأنعام : ٤٠ - ٤١ .

٣ - الأنعام : ٤٦ - ٤٧ .

٤ - الأنعام : ٦٣ - ٦٥ .

- وأما الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه فقد استخدموا هذا الأسلوب كثيراً، فتارة يذكرون بالفضائل والنعم المشهودة المحسوسة من التمكين في الأرض وتسخير خيراتها، بإرسال الأمطار، وإنبات الزرع والثمار، وتوفير أماكن السكن والاقامة، وبسط الأجسام، والإمداد بالأموال والبنين وتكثير العدد ونحو هذا.

وتارة يذكرون بعذاب الدنيا وأخذ الله الظالمين بصور مختلفة من الإهلاك : فمنهم من أهلك بالسنين ونقص الخيرات والثمرات، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أغرق، ومنهم من خسف به وهكذا.

وتارة يذكرون مع ذلك بعذاب الآخرة، والوقوف بين يدي الله عز وجل، والوقوف على النار، وتطابير الصحف، وقراءة الكتب، ومناقشة الحساب، وذهاب الأموال والسلطان، وغير ذلك من مشاهد اليوم الآخر.

- فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه : ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (١). وفي موقف آخر معهم يخبر عنه بقوله : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا. مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ (٢).

وهكذا حاول نوح أن يسلك كل طريق للهداية، وأن يصل إلى قلوبهم وعقولهم وآذانهم بشتى الوسائل ومختلف الأساليب، في دأب طويل، وصبر جميل، باختيار الكلمات المؤثرة والعبارات الموحية من الوعظ والترقيق والتذكير بالله ونعمه وفضائله.

١ - هود : ٢٦ .

٢ - نوح : ١٠ - ٢٠ .

- وهود عليه السلام - يذكر قومه تارة بنعمة جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح عليه السلام وزادهم بسطة في الخلق : ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ (١).

ومرة أخرى يذكرهم بأمر آخر فيقول : ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٢)

- ومثله فعل صالح عليه السلام حين قال لقومه : ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٣)

- وأما شعيب - عليه السلام - فلفت نظرهم إلى نعمة تكثيرهم، وإلى النظر في عاقبة المفسدين : ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤)

ثم يأخذ بهم في واد آخر من التذكير، فيطل بهم على مصارع قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام فقد يفعل هذا في مثل تلك القلوب القاسية ما لم يفعله التوجيه العقلي اللين الذي يحتاج إلى رشد وتفكير : ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ. وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٥)

وهكذا يطوف بهم في دروب مختلفة، ومجالات متعددة من العظة والتذكر والخوف والطمع، لعل قلوبهم تتفتح وتخضع وتلين. (٦)

١ - الأعراف : ٦٩ .

٢ - هود : ٥٢ .

٣ - الأعراف : ٧٤ .

٤ - الأعراف : ٨٦ .

٥ - هود : ٨٩ - ٩٠ .

٦ - انظر الظلال : ١٩٢١/٤ .

- وهذا موسى - عليه السلام - يعظ قومه ويذكرهم، فيحشد لهم أجمع الذكريات، وأكبر البشريات، وأضخم المشجعات، وأشد التحذيرات (١) : ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)

وفى موضع آخر : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٣) .. الآيات.

وفى موقف المناظرة والتحدى لا ينسى موسى هذا الأدب والأسلوب النافع فهو يخاطب السحرة قبل دخول مباراة التحدى، ويبذل لهم النصيحة، ويحذرهم عاقبة الكذب والافتراء على الله، لعلهم يتوبون إلى الله ويدعون التحدى بالسحر والدجل : ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ (٤)

ومؤمن آل فرعون الذي دافع عن موسى وحذر قومه من عواقب الكذب والإعراض، يذكرهم بنعمة الملك أولا، ثم يخوفهم مصيرا كمصير قوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم، ثم يتبعهم بالتحذير من عذاب الآخرة يوم لا يكون لهم من الله من عاصم : ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ - ويقول أيضا : ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾

- وقال ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مَدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٥)

١ - المصدر السابق : ٨٦٩/٢ .

٢ - المائدة : ٢٠ .

٣ - ابراهيم : ٦ .

٤ - طه : ٦١ .

٥ - الآيات ٢٩ - ٣٣ من سورة غافر .

وهكذا تمضي المواعظ وتفعل فعلها وتطرق القلوب وتلينها، اذا لم تطرق الحجج العقول وتنيرها.

فهو أسلوب نافع مجرب، سار عليه الأنبياء، فعلى المحاور أن يذكر ويحذر خصمه، ويرغبه في التجرد وطلب الحق والتسليم بالخطأ متى تبين والاذعان لحكم الله ورسوله - ﷺ - ويهربه من التعالي والتماذي في الباطل والكبر والغرور والانتصار للنفس، وهاهو عمر - رضي الله عنه - لما يخبره عمار - رضي الله عنه - بقصة التيمم التي كانت بينهما، فلم يتذكرها عمر فيقول له : ياعمار، اتق الله(١) فلم يتردد عمر في تذكير عمار وتخويفه بالله وكلاهما صحابيان جليلان - رضي الله عنهما.

فاستخدام هذا الأسلوب - خاصة إذا كان قبل البدء في الحوار - له أهمية كبرى، وأثر يلمس على الطرف الآخر، وكل محاور يحتاج إلى أن يتقي الله في حوار، في كلامه وأحكامه وأدلته وأدبه حتى لا يخرج في شيء من ذلك عن الهدى النبوي، وحتى ينضبط الحوار ويحقق ثمرته.

١ - تقدم ذكرها في مبحث «الثبت» وغيره. ص: ١٩٤.

المبحث الثالث : التعريض والتلميح بدلاً عن التصريح

إن لفت النظر الى الأخطاء من طرف خفي، وتجنب اللوم المباشر، وعدم تخطئة الطرف الآخر بعبارة صريحة، كل ذلك له أثره في تسليم الخصم للحق والرجوع عن الخطأ، فالنفوس غالباً لاتتحمل أن تواجه بقوة وصرامة، وهناك من الألفاظ الموحية والكلمات اللطيفة والتي تؤدي الغرض نفسه، دون جرح لمشاعر الآخرين، أو إشعارهم بالذل والهزيمة.

(ومن دقائق صناعة التعليم أن يزجر المخطئ بطريق التعريض ما أمكن ويتجنب التصريح، بطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فان التصريح يهتك حجاب الهيئة، ويورث الجرأة على الهجوم، ويهيج الحرص على الإصرار، والتعريض يميل النفوس الفاضلة والأذهان الزكية، إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفتن لمعناه رغبة في العلم به، ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته (١).

ولقد استعمل هذا الأسلوب كثيراً، سواء في الكتاب أو السنة، فمن نماذج القرآنية :

- أن موسى ^{عليه السلام} عرض بقومه حين ترددوا في ذبح البقرة وأجابوا في سفاهة وسوء أدب، واتهموا نبيهم بأنه يسخر منهم ويستهزئ بهم : ﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُؤًا؟﴾ وكان رد موسى ^{عليه السلام} على هذه السفاهة أن يستعيز بالله، وأن يردهم برفق، وعن طريق التعريض والتلميح؛ إلى جادة الأدب الواجب في جانب الخالق جل علاه، وأن يبين لهم أن ما ظنوه به لا يليق إلا بجاهل بقدر الله لا يعرف ذلك الأدب ولا يتوخاه (٢) : ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣)

- ومرة أخرى يستخدم موسى ^{عليه السلام} هذا الأسلوب عندما جاء قومه بالبيانات فكذبوا وقالوا : ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (٤) فيرد عليهم رداً مؤدباً مهذباً، يلمح فيه ولا يصرح، وفي الوقت ذاته ناصع واضح،

١ - احياء علوم الدين : ٧١/١ بتصرف.

٢ - الظلال : ٧٨/١.

٣ - البقرة : ٦٧.

٤ - القصص : ٣٦.

مليء بالثقة والطمأنينة الى عاقبة المواجهة بين الحق والباطل (١) : ﴿وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ﴾ (٢)

- وفي معرض مواجهة المشركين والرد عليهم، يلقي الله رسوله - ﷺ - هذا
الأسلوب الحكيم، كما في قوله عز وجل : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ
رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣) فهو يدعوهم إلى تدبر حالهم والنظر
والتفكر وافتراض هلاكه ومن معه، حيث أنهم لو حصل هذا، مانفعهم شيئاً أن
تتحقق أمانيتهم في هلاكه، ولاتعصمهم هم من عاقبة الكفر والضلال،

(ولكنه لا يقول لهم : فمن يجيركم من عذاب أليم؟ ولا ينص على أنهم كافرون، إنما
يلوح لهم بالعذاب الذي ينتظر الكافرين؛ ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ..
وهو أسلوب في الدعوة حكيم، يخوفهم من ناحيته، ويدع لهم فرصة للتراجع عن
موقفهم من ناحية. فلوجابهم بأنهم كافرون، وأنه لا مفر لهم من العذاب الأليم..
فربما جهلوا وحمقوا وأخذتهم العزة بالإثم أمام الاتهام المباشر والتهديد.
ففي بعض الحالات يكون أسلوب التلميح أفعال في النفس من أسلوب
التصريح) (٤)

- وكذا يلمح يوسف عليه السلام - بالسجينين بعد أن يتودد إليهما، ليدخل من
مؤانستهما إلى صلب الدعوة وتصحيح العقيدة، ولكن لا يدعوهما إليها دعوة
مباشرة، إنما يعرضها قضية موضوعية : فيقول لهما : ﴿يَا صَاحِبَيَّ السِّجْنِ أَرْبَابَ
مَتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ؟﴾ (٥)

١ - انظر الظلال : ٢٦٩٤/٥ .

٢ - القصص : ٣٧ .

٣ - الملك : ٢٨ .

٤ - الظلال : ٣٦٤٧/٦ .

٥ - يوسف : ٣٩ .

- ولعل من شواهد هذا : الاستجواب الهائل الرهيب فى اليوم العظيم المرهوب، ذلكم الاستجواب الذي يقصد به إلى غير المسئول، إنه سؤال من الجبار سبحانه موجه إلى عيسى، وموضوع السؤال هو اتخاذه وأمه إلهين من دون الله - وحاشا هما من ذلك - : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟﴾ (١)، وهذا السؤال فى هذه الصورة وفى الإجابة عليه يزيد من بشاعة وموقف المؤلهين لهذا العبد الصالح الكريم. (٢)

- وفى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٣) يقول الزمخشري ماملخصه :

(إن أحد الفريقين على أحد الأمرين من الهدى والضلال، وقد تقدم مايدل دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين، ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكتة بالهويناء، ومنه بيت حسان :

اتهجوه ولست له بكفاء فشركما لخيركما الفداء. (٤)

- وقد تقدمت الإشارة سابقا إلى قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا...﴾ (٥) وقول الزمخشري فيها : (أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا، ودفع مانتحلوه، فقليل : ﴿قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا﴾، وروعي فى هذا التكذيب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم، ووضع «لم تؤمنوا» الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه، ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم فى قوله

١ - المائدة : ١١٦ .

٢ - انظر الضلال : ١٠٠١/٢ .

٣ - سبأ : ٢٤ .

٤ - الكشف : ٢٨٩/٣ .

٥ - الحجرات : ١٤ .

في صفة المخلصين : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون، ورب تعريض لايقاومه التصريح. اهـ (١)

- وأما أمثلة السنة فمتعددة أيضا في استخدام هذا الأسلوب، فالنبي - ﷺ - كثيرا مايعرض بذكر آية أو كلمة أو نحوهما، ويقصد بها الإشارة إلى معنى خفي يفهمه السامع ويستفيده دون أن يصرح له به أو يواجهه بخطئه، أو يجرحه بكلمة أو عبارة : فلما نزلت على رسول الله - ﷺ - : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (٢) فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ حتى بركوا على الركب فقالوا : يا رسول الله! كلفنا من الأعمال مانطيق : الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولانطيقها. قال رسول الله ﷺ : «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير(٣)....» الحديث.

فهو هنا يعرض بالصحابة أن يشابهوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فيعاقبوا بمثل عقوبتهم.

- ولما دخل على علي وفاطمة - رضي الله عنهما - ليلا. فقال : «ألا تصلون؟» فقال علي : يارسول الله انما أنفسنا بيد الله فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف وهو يضرب فخذة ويقول : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٤X٥)

فهنا مع تعجبه من جواب علي، وعدم موافقته له على الاعتذار بذلك (٦) إلا أنه لايعنفه ولايزجره، وإنما يكتفي بالتعريض بفعله والإشارة إلى جدله بقراءة الآية....

١ - الكشف : ٥٧٠/٣ .

٢ - البقرة : ٢٨٤ .

٣ - أخرجه مسلم : الايمان ١١٥/١ رقم ١٩٩ ، أحمد ٤١٢/٢ .

٤ - الكهف : ٥٤ .

٥ - أخرجه البخاري : التهجد : ١١٢٧ ، ومسلم : المسافرين ٥٣٨/١ رقم ٢٠٦ ، النسائي : قيام

الليل ٢٠٥/٣ رقم ١٦١١ .

٦ - شرح النووي : ٦٥/٦ .

- ولما كان في مرض موته - ﷺ - فحضرت الصلاة فأذن، فقال : «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فقالت عائشة : إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد فأعادته له فأعاد الثالثة فقال : «إنكن صواحب يوسف - مروا أبا بكر فليصل بالناس» (١) ... الحديث

والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف مافي الباطن، ووجه المشابهة أن زليخا - امرأة العزيز - استدعت النسوة وأظهرت لهن الاكرام بالضيفة، ومرادها أن ينظرن إلى حسن يوسف ويعذرنها في محبته، وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه، ومرادها زيادة على ذلك أن لا يتشاءم الناس به. (٢) ففي هذا تعريض بفعلها وإشارة إلى ما قصدته في الباطن وأنه خلاف لما قيل في الظاهر. واستعمل هذا الأسلوب الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم -، فبينما عمر يخطب الجمعة إذ دخل عثمان فعرض به عمر فقال : مابال رجال يتأخرون بعد النداء، فقال عثمان : يا أمير المؤمنين : مازدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت. فقال عمر : والوضوء أيضا. ألم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول : «إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل» (٣).

فهذا واضح فيه التعريض بالطرف الآخر، وإنما فعل عمر ذلك اتباعا لمنهج النبي ﷺ في مثل هذه الحالات.

١ - أخرجه البخاري : الأذان ٦٦٤، مسلم : الصلاة ٣١٣/١ رقم ٩٤، النسائي : الإمامة : ٩٩/٢ رقم ٨٣٣، أحمد ١٥٩/٦.

٢ - الفتوح : ١٥٣/٢ بتصرف.

٣ - أخرجه البخاري : الجمعة ٨٧٨، مسلم : الجمعة ٥٨٠/٢ رقم ٤، أحمد ٢٩/١.

- وفى مسألة المتعة فى النكاح، قام عبدالله بن الزبير بمكة فقال : إن ناسا أعمى الله قلوبهم، كما أعمى أبصارهم، يفتنون بالمتعة. يعرض برجل (١). فناداه فقال : إنك لجلف جاف. فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين - ﷺ - فقال له ابن الزبير : فجرب بنفسك. فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك. (٢)

وهذا فيه تعريض كالذى قبله، حيث استخدم ابن الزبير هذا اللفظ (إن ناسا) ولم يذكر اسم المردود عليه.

- وفى قصة الحديبية لما زعم عروة بن مسعود أن الصحابة سيفرون ويدعون النبي ﷺ إن هزم، فعندها قال أبو بكر : امصص بظر اللات، أنحن نفر وندعه؟ ... الحديث (٣)

- ونقل فى الفتحة عن ابن المنير أن فى هذا القول من أبي بكر تعريضاً بالزامهم من قولهم إن اللات بنت الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، بأنها لو كانت بنتا لكان لها مايكون للإناث. (٤)

والمقصود أن التلميح من بعيد والتعريض بالخصم أو بالخطأ، بدلا عن التصريح والتجريح، يجعل من الهين على الشخص الآخر أن يصحح خطأه، ويحتفظ له بكبريائه، ويشيع فيه إحساسا بأهميته، ويسلس قياده، ويدفعه إلى التعاون بدلا من أن يحفز به إلى الثورة والعناد، وهو أفضل من نقد صريح وإصدار أوامر بوجوب الاعتراف بالأخطاء والرجوع إلى الحق.

١ - قال النووي : يعنى يعرض بابن عباس (شرح مسلم : ١٨٨/٩).

٢ - أخرجه مسلم : النكاح ١٠٢٦/٢ رقم ٢٧.

٣ - تقدم تخريجه. ص : ٢٥٢، ٤٢.

٤ - الفتحة : ٣٤٠/٥.

المبحث الرابع : أدب السؤال

إن الحوار لابد أن تطرح فيه أسئلة، وتعرض أثناءه استفهامات، تزيد الأمر إيضاحاً، أو تذكر بدليل أو تنبه إلى قضية، فلاغنى للمتحاورين عن السؤال، ولذلك يلزم المحاور أن يتعلم شيئاً من أدب السؤال، حتى ينضبط حوارهِ ويتسم بحسن الأدب وطيب المقال وكما قيل : (أدب السائل انفع من الوسائل) (١) وقال ابن حجر : (العلم سؤال وجواب، ومن ثم قيل : حسن السؤال نصف العلم) (٢)

وللسؤال أغراض متعددة، فأحياناً يكون للتعرف على المحاور وأحواله ومنزلته وعلمه، كما في سؤال النبي ﷺ لوفد عبد القيس : «من القوم» (٣) ونحوه. وأحياناً يكون القصد منه الوصول إلى معلومة مهمة أو أمر ينفع في ترتيب المعلومات أثناء الحوار، والتدرج منها إلى غيرها، كما وقع ذلك من ضمام بن ثعبه، حين سأل : من خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ... ثم استحلف بخالق هؤلاء على ما يريد التثبت منه. (٤)

وأحياناً يكون الغرض منه مراجعة الطرف الآخر في معلومة ونحوها، حتى يتبين جوانب الموضوع وملابساته كما ستأتى أمثله.

وأحياناً يكون الاستفهام تقريرياً، بأن يكون عن مقدمات بينة برهانية وحقائق مؤكدة لا يمكن لأحد أن يجحدها، وتدل على المطلوب اثباته، وتقرر الخصم بالحق والإعتراف بانكار الباطل (٥)، كما في قوله تعالى مثلاً : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٦).

١ - سير أعلام النبلاء : ٣٩٨/١٩.

٢ - الفتح : ١٤٢/١.

٣ - تقدم ذكره في المبحث «تهيئة الجو المناسب» وتقدمت أمثلة غيره. ص : ١٤٨.

٤ - تقدم تخريجه في مبحث «تهيئة الجو المناسب» أيضاً. ص : ٥٦.

٥ - انظر مناهج الجدل ص ٧٦.

٦ - يس : ٨١.

وقوله : ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١) وأحيانا يكون الغرض منه الإنكار على الخصم وزجره، وستأتى أمثلته.

ومن أهم الآداب التي ينبغي للسائل أن يتأدب بها مع محاوره مايلي :

١ - التقدمة بين يدي السؤال، والإعتذار قبل طرحه، لاسيما إن كان السؤال محرجا أو دقيقا أو ستتلوه أسئلة أخرى مهمة - قد يتضايق منها المسؤول - فلا بأس أن يذكر السائل عبارة تدل على حسن أدبه واحترامه وتقديره، وقد تقدمت الإشارة إلى حسن أدب ضمام بن ثعلبة، ومن ذلك أنه قدم بين يدي سؤاله بمقدمه لطيفة حيث قال للنبي ﷺ : إني سأئك فمشدد عليك فى المسألة فلاتجد علي في نفسك. فقال : سل ما بدالك. (٢)

ومن ذلك تقدمه أم سليم - رضي الله عنها - حين أرادت أن تسأل عن احتلام المرأة فبدأت بقولها : (يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق) (٣) ... الخ

٢ - اختيار الصيغة المناسبة، وإيضاح السؤال وعدم ابهامه -، فلا ينبغي أن تكون عبارة السؤال قبيحة أو ركيكة أو غير مفهومة، أو لاتؤدي المعنى الذي يريده السائل، أو تحتل عدة معان، أو غير ذلك مما يؤثر في موضوع السؤال أو في نفسية المسؤول، ومن الأسئلة الحسنة التي أعجبت سامعها فى موضوعها وصيغتها وحسن عبارتها، سؤال ذلك الأعرابي الذي عرض للنبي ﷺ وهو فى سفر ثم قال : يا رسول الله! أخبرني بما يقربني من الجنة وما يبعدني من النار، فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه. ثم قال : «لقد وفق أو لقد هدى» قال «كيف قلت؟» فأعاد. فقال النبي ﷺ : «تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم». (٤)

١ - البلد : ٨ - ١٠ .

٢ - تقدمت الإشارة إليه آنفا .

٣ - أخرجه البخاري : الغسل ٢٨٢، مسلم : الحيض ٢٥١/١ رقم ٣٢، النسائي : الطهارة ١١٢/١ رقم ١٩٦، وأخرجه ابن ماجه : الطهارة ١٩٧/١ رقم ٦٠٠، أحمد ٩٢/٦ .

٤ - أخرجه مسلم : الايمان ٤٣/١ رقم ١٢ .

ومثله سؤال ذي الـيدين حين سها النبي ﷺ فى الصلاة فقال له : «يارسول الله أحدث فى الصلاة شيء؟» (١).

٣ - أن يكون الغرض من السؤال غرضا شرعيا صحيحا لا يقصد منه التعتت واضاعة الوقت أو تشتيت الموضوع أو نحوه، وأن يتبين به جوانب الموضوع وملابساته كما كانت عائشة - رضي الله عنها - لاتسمع شيئا لاتعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه، فلما سمعت النبي ﷺ يقول : «من حوسب عذب. قالت : أو ليس يقول الله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾» (٢) فقال : «إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك» (٣).

قال ابن حجر : وفى الحديث ماكان عند عائشة من الحرص على تفهم معانى الحديث، وأن النبي ﷺ لم يكن يتزجر من المراجعة فى العلم. وفيه جواز المناظرة، ومقابلة السنة بالكتاب... (٤).

إذا فلا بد من السؤال والاستيضاح قبل الحكم أو الاعتراض، ولا بأس بتعدد الأسئلة وتنوعها حسب الحاجة اليها، حتى يتضح الأمر جليا كما فى حديث النعمان بن بشير، حين أراد أبوه أن يهبه شيئا من ماله، فأتى النبي ﷺ فأخبره بما عزم عليه فقال له النبي ﷺ : «يا بشير ألك ولد سوى هذا؟» قال : نعم. فقال : «أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال : لا! وفى رواية : قال : «أليس تريد منهم البر مثل ماتريد من ذا؟» قال : بلى) قال : فإنني لأشهد على جور». (٥).

١ - تقدم ذكره فى مبحث «التثبت». ص : ٢٨٨.

٢ - الانشقاق : ٨.

٣ - أخرجه البخاري : العلم ١٠٣، مسلم : الجنة ٢٢٠٤/٤ رقم ٧٩، أبو داود : الجنائز : ٣٠٩٣، الترمذي : القيامة ٦١٧/٤ رقم ٢٤٢٦، أحمد ٤٧/٩.

٤ - الفتح : ١٩٧/١.

٥ - أخرجه مسلم : الهبات ١٢٤٢/٣ رقم ٩، النسائي : النحل ٢٥٩/٦ رقم ٣٦٧٦، أحمد ٢٦٨/٤.

٤ - اختصار السؤال وعدم ذكر تفصيلات وجزئيات لاداعي لها ولا تؤثر في المعنى، حتى لا يضيع الوقت، ولا ينسى أصل موضوع السؤال، وكذلك الإقتصار في الأسئلة على ما يتعلق بالموضوع، وعدم الإكثار منها أو تعددها بما لا حاجة فيها أو تكرارها عدة مرات، فكل ذلك ينافي أدب السؤال ويذهب روح الحوار.

٥ - إذا واجه المحاور خصما سيئا الأدب، ولا يحسن يسأل، فلا بأس من أن يلقيه آداب السؤال في أثناء الرد عليه، ومن هذا الباب ما فعله موسى عليه السلام مع قومه، عندما أمرهم بذبح البقرة، فسألوه قائلين : ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ؟﴾ (١)

فسؤالهم هذا فيه سوء أدب من جوانب عدة حيث يشعر بإنكارهم واستهزائهم، وعدم التسليم لربهم وتصديق رسولهم، كما أنهم لم يحسنوا اختيار العبارة، حيث قالوا : « ادع لنا ربك » فكأنما هو ربه وحده، وكأن المسألة لاتعنيهم إنما تعني موسى وربه، ثم يسألون عن ماهية البقرة، وهذا لافائدة منه ولا طائل تحته، فما كان منه إلا أن سلك في الإجابة طريقا غير طريق السؤال، فهو لم يجبههم بانحرافهم في صيغة السؤال كي لا يدخل معهم في جدل شكلي، وإنما أجابهم عن صفة البقرة، ولمح لهم بالأدب الواجب في السؤال وفي التلقي (٢) : ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (٣)

٦ - وهناك مواضع يكره فيها السؤال، ذكر الشاطبي عشرة منها (٤)، وملخص أهمها:

- السؤال عما لا ينفع.

- أن يسأل عن زيادة لافائدة منها، بعدما بلغ من العلم في المسألة حاجته.

- السؤال من غير احتياج إليه عند وقت السؤال.

١ - البقرة : ٦٨ .

٢ - انظر الظلال : ٧٨/١ .

٣ - البقرة : ٦٨ .

٤ - انظر الموافقات للشاطبي : ١٨٨/٤ .

- أن يبلغ بالسؤال إلى حد التكلف والتعمق الزائد عن حده.
- أن يظهر من السؤال معارضة الكتاب والسنة بالرأي.
- سؤال التعنت والإفحام وطلب الغلبة في الخصام.
- ويتعلق بموضوع السؤال استخدام الاستفهام الاستنكاري مع الخصم، وهو أن ينكر عليه قول أو فعل عن طريق السؤال فلا يملك جواباً، لما تحويه تلك الأفعال والأقوال من فساد يعرف بداهة، أو تناقض وخطأ.
- ولقد استخدم هذا الأسلوب في القرآن كثيراً مع أصناف المعاندين من أهل الكتاب والمشركين والمافيين وغيرهم : فمن استعماله مع أهل الكتاب قوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) وقوله : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢) وقوله أيضاً : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٣) إلى غير ذلك من الأمثلة.
- ومن استعماله مع المشركين قوله تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤)
- وقوله تعالى ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ. كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٥)
- ففي هذه الأسئلة استنكار واستخفاف بأولئك المغرضين المعاندين. (٦)

١ - آل عمران : ٧٠ - ٧١.

٢ - آل عمران : ٦٥.

٣ - المائدة : ٥٩.

٤ - البقرة : ٢٨.

٥ - سبأ : ٢٧.

٦ - انظر الظلال : ٢٩٠٦/٥.

ومن استعماله مع المناقنين قوله تعالى : ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤْنَ﴾ (١).

ولقد استعمل الرسل مع أقوامهم أسئلة كثيرة لمثل هذا الغرض، أي إنكارا على القوم وتبكيता لهم وإلزاما لهم بالحجة، وقطعا لباطلهم ودحضا لشبهاتهم. .
كما قال إبراهيم لقومه في سؤاله لهم عن الأصنام التي كانوا يعبدون : ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (٢) وكما قال لوط لقومه منكرا عليهم : ﴿اتَّاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (٣) وأمثلة هذا كثيرة جدا وإنما المقصود أن المحاور قد يحتاج إلى استخدام الإستفهام الاستنكاري اذا دعت الحاجة. وأحوج الخصم نفسه لمثل هذا الأسلوب.

١ - التوبة : ٦٥ .

٢ - الشعراء : ٧٢ - ٧٣ .

٣ - الشعراء : ١٦٥ - ١٦٦ .

المبحث الخامس : ذكر المبررات عند الاعتراض

قد ينكر المحاور قولاً أو فعلاً، ويعترض على دليل أو شبهة، فلا بد من بيان أسباب الاعتراض، وتوضيح مبررات ذلك الإنكار، ولا يكفي أن يُخطأ الرأي الآخر أو يسفه أو يحقر بمجرد الهوى أو بالألفاظ الغليظة ورفع الصوت ونحوه، فإن كل ذلك لا يغني عن الحق شيئاً، والمحاور العاقل لابد أن يحترم الآراء ويقدر الأفهام ويراعي الحقائق، فإذا أنكر بأدب، وإذا اعترض فبسبب، وإذا استدرك على خصمه فبلباقة وحسن أداء، فإن ذلك مما يساعد النفوس على التنازل عن آرائها القديمة، والتجرد في النظر إلى اعتراضات الطرف الآخر ومبرراته وأسبابه.

- فهذا إبراهيم عليه السلام لما أراد دعوة قومه إلى توحيد رب العالمين، وأنكر عليهم عبادة الأصنام والتماثيل، ومن ثم أعلن عداوته لها، برر لهم ذلك فقال عن آلهتهم : ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ﴾ (١) فهذه مبررات ترك هذه الآلهة وعداوتها، وأما مبررات وأسباب توحيده وعبادته لربه فبينها بعد ذلك بقوله : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ. الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٢)

- وفي الحوار بين النبي ﷺ وعبد الله بن عمرو بن العاص، حيث كان يصوم الدهر ويقرأ القرآن كل ليلة، فسأله النبي ﷺ عن ذلك ثم قال له : «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام» فقال : يا نبي الله إنني أطيق أفضل من ذلك. قال : «فإن لزوجك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً، فصم صوم داود نبي الله فإنه كان أعبد الناس ... الحديث» (٣)

١ - الشعراء : ٧٢ - ٧٣.

٢ - الشعراء : ٧٧ - ٨٢.

٣ - تقدم تخريجه. ص : ٢٨٧. (والزور : هم الزائرون . انظر الصحاح ٤/٦٧٢)

فهنا ذكر عبد الله مبرراته في تلك الأفعال فقد كان يكرر قوله : (إني أطيق أفضل من ذلك)، وذكر النبي ﷺ مبررات أيضا : عند نصيح عبد الله وتوجيهه فقد بين أن هناك حقوقا ربما تفوت بفعل عبد الله، كحقوق الزوجة والضيف والجسد .
- ولما أراد سعد بن أبي وقاص أن يوصي بثلاثي ماله ثم بنصفه، فلم يوافق النبي ﷺ على ذلك ووجهه للتصدق بالثلث، مع بيان أنه كثير أيضا ثم برر نهيه عن ذلك بقوله : «إنك إن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس» (١).... الحديث.

- ولما وقع الخلاف بين الصحابة في أمر تعيين الخليفة بعد وفاة النبي ﷺ، وقال الأنصار للمهاجرين : منا أمير ومنكم أمير، ثم قام أبو بكر فتكلم وقال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن منذر : لا والله لانفعل، منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر : لا، ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة (٢)....
- ولما بين النبي ﷺ حرمة مكة في عام الفتح، وأنها لا يختل شوكتها ولا يعضد شجرها، ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد، فقال العباس بن عبد المطلب : إلا الأذخر يارسول الله فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا فقال النبي ﷺ «الا الأذخر» (٣).
فهذا الاستدراك من العباس ذكره مع ذكر مبرراته وأسبابه، وهي حاجتهم للأذخر في بيوتهم وقبورهم، فقبل منه النبي ﷺ واستجاب لطلبه.
وقد يكون المبرر الذي يذكر عند الاعتراض دليلا شرعيا، وقد تقدم مبحث مستقل يتعلق بالدليل، مما لا يحتاج إلى ذكر أمثلة لأدلة ذكرت عند الاعتراض.
وإنما المقصود أن المحاور إذا استدرك واعتراض فيجدر به أن يبين أسباب ذلك ومبرراته، ليقبل الاعتراض منه، وليتراجع الطرف الآخر عن موقفه ورأيه.

-
- ١ - أخرجه البخاري : الجنائز ١٢٩٥، مسلم : الوصية ١٢٥٠/٣ رقم ٥، النسائي : الوصايا ٢٤٣/٦ رقم ٣٦٣٠، ابن ماجه : الوصايا : ٩٠٣/٢ رقم ٢٧٠٨، أحمد ١٦٨/١.
 - ٢ - تقدم تخريجه ص : ١٢٢.
 - ٣ - أخرجه البخاري : العلم ١١٢، مسلم : الحج ٩٨٦/٢ رقم ٤٤٥، أبو داود : المناسك ٢٠١٧، النسائي : الحج ٢٠٣/٥ رقم ٢٨٧٤، ابن ماجه : المناسك ١٠٣٧/٢ رقم ٣١٠٨، أحمد ٢٥٣/١.

المبحث السادس : طلب الإنظار وعدم الإستعجال

قد تقدم مبحث خاص فى بيان ضرورة حسن الإستماع إلى الطرف الآخر والإنصات إلى حججه وأدلته، بتجرد وصدق فى صبر وإخلاص، وقد ذكر العلماء فى آداب المناظرة : (ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه) (١)، وكذا ألا يكون متسرعاً يقصد إسكات خصمه فى زمن يسير، لأن ذلك يفسد عليه رويته الفكرية، ويبعده عن منهج المنطق السديد، والتفكير فى الوصول إلى الحق. (٢)

ولكن قد يبتلى المحاور بخصم عجول لا يحسن الإستماع ولا يجيد الإنصات، يقاطع أثناء الكلام، ويرد قبل أن يفهم، ويجب قبل أن ينتهى السؤال، فعند ذلك ينبغى للمحاور أن يطلب من خصمه الانتظار والإستماع بهدوء وعدم استعجال، وبترك المقاطعات والتدخلات.

وأحيانا قد لا يكون الطرف الآخر كذلك، ولكن يريد المحاور أن يؤكد أمر الانتظار والتمهل، ويخشى من إستعجال محاوره فلا بأس بأن يذكره بطلب الانتظار ويؤكد عليه بعدم الإستعجال.

- ومن أمثلة هذا قصة حاطب بن أبى بلتعة ورسالته إلى بعض المشركين التى يخبرهم فيها بمقدم رسول الله ﷺ فلما أتى النبي ﷺ بالكتاب فقال : «ياحاطب ماهذا؟» قال : لاتعجل علي يا رسول الله ... الحديث. (٣)

فهنا خشي حاطب أن يتعجل النبي ﷺ فى الحكم عليه أو الظن به، فطلب الإنظار حتى يبين عذره ويوضح ملبساته.

١ - آداب البحث والمناظرة للشنقيطي : ٧٦/٢ .

٢ - ضوابط المعرفة للميداني : ص ٣٨٣ .

٣ - تقدم تخرجه فى مبحث العدل والإنصاف . ص : ١١٧، ٢٨٧ .

- ومنه حديث مسروق عندما كان عند عائشة فقالت : ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، فقال لها : وماهن؟ قالت : من زعم أن محمدا - ﷺ - رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال : وكنت متكئا فجلست. فقلت : يا أم المؤمنين : أنظريني ولا تعجليني. ألم يقل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمِيمِينَ﴾ (١) ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (٢).... الحديث (٣)

- ولما اختصم علي والعباس إلى عمر - رضوان الله عليهم - فجاءا ليحكم بينهما في مسأله الميراث، فقال عمر : «اتنذا» أي : (اصبرا وانتظرا) أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض. أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال «لأنورث، ما تركنا صدقة».... الحديث (٤)

فهذا أيضا فيه طلب الإنظار من عمر للعباس وعلي، ثم استحلف الحاضرين على ما يريد اثباته من دليل عن رسول الله ﷺ ، ثم استحلف العباس وعلي ، حتى اقتنعا بعد أن استمعا وأنصتا.

- عن أنس بن سيرين قال : سألت ابن عمر. قلت : أرأيت الركعتين قبل صلاة الغداة أطيل فيهما القراءة؟ قال : كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى ويوتر بركعة. قال السائل : إني لست عن هذا أسألك. فقال ابن عمر : انك لضخم. ألا تدعني أستقرئ لك الحديث؟ كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى و يوتر بركعة ويصلي ركعتين قبل الغداة. كأن الأذان بأذنيه (٥).

فهنا يجعل السائل فيقاطع ابن عمر قبل إتمامه للحديث ، ولذلك أغلظ عليه ابن عمر وقال : 'إنك لضخم' ، لأنه قطع عليه الكلام وعاجله قبل تمام حديثه (٦). إلى غير ذلك من النماذج التي تشير إلى أنه لا بأس للمحاور أن يذكر خصمه ويهدده ، ويطلب منه الانتظار وعدم الاستعجال ، فإن ذلك من مصلحة استمرار الحوار ونجاحه.

١ - التكوين : ٢٣.

٢ - النجم : ١٣.

٣ - تقدم ذكره في «الرد على الشبه بما يناسبها». ص ٢٩٨.

٤ - تقدم ذكره أيضا. ص : ١٢١، ٢٠٨.

٥ - أخرجه مسلم : المسافرين ١/١٩٩ رقم ١٥٧.

٦ - شرح النووي : ٣٣/٦. بغير

المبحث السابع : ثناء المحاور على نفسه أو على خصمه بالحق

إن الكلام عن النفس ومدحها والثناء عليها ، مذموم غالبا ، ولا يحب الناس أن يسمعوا ممن يملأ آذانهم بمناقبه وسيرته وأحواله وتقلباته ، بل إن من يفعل ذلك ويفرح به ويكثر منه ، يعد ناقصا في عقله ، أو ربما فاسدا في نيته وقصده.

وكما قال الامام مالك : (إن الرجل اذا ذهب يمدح نفسه ذهب بهاؤه)(١).

وقد نهى الله عز وجل عن تزكية النفس والتمدح بطهارتها فقال سبحانه : ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٢) وعاب أناسا فعلوا ذلك فقال فيهم : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٣).

- وفي المقابل فإن مدح الآخرين وإطراءهم والثناء عليهم بما ليس فيهم ، وتجاوز الحد في ذلك ، كل هذا مذموم ممقوت أيضا ، فقد ذكر رجل عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرا ، فقال النبي ﷺ : ويحك ، قطعت عنق صاحبك - يقوله مرارا - إن كان أحدكم مادحا لامحالة فليقل : أحسب كذا وكذا ، إن كان يرى أنه كذلك ، والله حسيبه ، ولا يزكى على الله أحدا (٤) ويتأكد النهى عن ذلك إذا كان في وجه الممدوح وهو يسمع المدح والإطراء ، وكذا إذا خيف على الممدوح العجب والغرور والفتور عن العمل اتكالا على ما وصف به ، بل قد كان السلف يعتبرون تزكية الجليس لجليسه إيذاء له (٥). كما كانوا يحترزون من مثل هذا ، فعن أنس قال : بعثني أبو موسى الأشعري إلى عمر ، فقال لي : كيف تركت الأشعري؟ قلت : تركته يعلم الناس القرآن. فقال عمر : أما إنه كيس ! ولا تسمعها إياه (٦).

١ - سير أعلام النبلاء : ١٠٩/٨ .

٢ - النجم : ٣٢ .

٣ - النساء : ٤٩ .

٤ - أخرجه البخاري : الأدب ٦٠٦١ ، مسلم : الزهد ٢٢٩٦/٤ رقم ٢٦٥ أبو داود : الأدب ٤٨٠٥ ، أحمد ٤١/٥ .

٥ - انظر سير أعلام النبلاء : ١٧٥/٨ .

٦ - سير أعلام النبلاء : ٣٩٠/٢ .

ولكن قد تكون هناك حالات يحتاج فيها المحاور إلى أن يثنى على نفسه بالحق ، لتحقيق غرض معين ، كأن يشعر خصمه بمقدار علمه في موضوع الحوار أو في مسألة من مسائله ، أو لينفي عن نفسه تهمة أو طعنا في صدقه وأمانته أو نحو ذلك ، فهنا قد يسوغ ذكر شيء من محاسن النفس بقدر وبحق ، مع التأكد من سلامة النفس من أمراض القلوب من كبر وزهو وإعجاب ونحوها .

وكذا قد يحتاج المحاور إلى أن يثنى على الطرف الآخر - بالحق - لتحقيق غرض معين ، كأن يكون القصد اشعاره بالتقدير والاحترام ، والإعتراف بأهميته أو فضله أو علمه ، حتى يكون ذلك طريقا إلى إقناعه وتصحيح أخطائه ، ولكن يحترز في مثل هذا من الإفراط في المدح بما ليس فيه ، والتأكد من عدم تسلل الغرور والكبر إلى نفسه ، فان سلم المدح من مثل هذه الأمور لم يكن به بأس ، وربما كان مستحبا (١) .

ولعل من أمثلة هذا ماتقدم من تصريح المحاور لخصمه بأنه على علم ، ومنها :
قول نوح ويعقوب عليهما السلام :- ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢) .
وقول إبراهيم ^{عليه السلام} لأبيه ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (٣) .

وقول الخضر لموسى : «ياموسى إني على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه أنت ، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه» (٤) .

وقول سهل بن سعد : (ما بقي في الناس أعلم مني) (٥) .

وفى جوانب الثناء على النفس ببعض ما فيها من خلق أو دين هذه بعض الشواهد :

١ - انظر الفتح : ٤٧٨/١٠ .

٢ - الأعراف : ٦٢ ، يوسف : ٨٦ .

٣ - مريم : ٤٣ .

٤ - تقدم تخريجه في مبحث «العلم» . ص : ٢٣٥ .

٥ - تقدم ذكره في مبحث «العلم» . ص : ٢٣٦ .

- وصف كل من نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ^{عليهم السلام} نفسه بالأمانة ، فقد قال كل واحد منهم لقومه فى بداية دعوته : ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١) ووصف يوسف ^{عليه السلام} نفسه بالحفظ والأمانة والعلم فقال : ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ (٢).

ومن السنة : يصلح شاهدا لهذا حديث الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس منى (٣).

- وفى حادثة مماثلة قالت عائشة : (صنع النبي ﷺ شيئا فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية) (٤).

- وتقدم قريبا حديث اختلاف علي والعباس فى أمر الميراث أومما قاله عمر لهما : «ثم توفي أبو بكر. وأنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر. فرأيتما نى كاذبا آثما غادرا خائنا ، والله إنى لصادق بار راشد تابع للحق. فوليتها... الخ» (٥) - وفى قصة غنائم حنين أثنى النبي ﷺ على نفسه بفضلته على الأنصار فقال لهم : يامعشر الأنصار ! ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين فجمعكم الله بي...».

١ - الشعراء : ١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨.

٢ - يوسف : ٥٥.

٣ - أخرجه البخاري : النكاح ٥٠٦٣، مسلم : الفضائل ١٨٢٩/٤ رقم ١٢٧،

٤ - أخرجه البخاري الأدب : ٦١٠١، أحمد ٤٥/٦.

٥ - تقدم بعضه فى مباحث متعددة منها المبحث السابق. ص : ٣٨٧.

كما أنه أثنى عليهم بفضلهم وحسن صنيعهم ، اذ قال لهم : أما والله لو شئتم لقلتم فصدَّقْتُمْ وصدَّقْتُمْ : أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فأويناك ، وعائلا فواسيناك..(١).

وقد ذكر الحافظ من فوائد الحديث : (جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة كخوف ظن أهل الجهل به خلاف ذلك، ولا يكون ذلك من الفخر المذموم...)(٢).

وقال في ثناء النبي ﷺ على الأنصار : (وإنما قال ﷺ ذلك تواضعا منه وانصافا)(٣).

إلى غير ذلك من الشواهد والأمثلة ، والمراد أن من الآداب اللطيفة التي يمكن استخدامها في الحوار : الثناء على المحاور بما فيه لتحقيق مصلحة ، والثناء على النفس أحيانا عند الحاجة ، إذا كان في ذلك كله فائدة تعود على الحوار وتحقيق غايته.

١ - الحديث أخرجه البخاري : ٤٣٣٠ ، مسلم : ١٠٦١ وتقدم ذكره.

٢ - الفتوح : ٢٥٤/٦ .

٣ - نفس المصدر : ٥١/٨ .

المبحث الثامن : مباغتة الخصم وقطع الطريق عليه

قد يواجه المحاور خصما عنيدا ذكيا ، يثير الشبه ويجابه الحق بها ، ويحسن التخلص من محاوره ، ويتهرب من الأدلة والبيّنات ، وإذا كان الحوار على ملأ من الناس فمن الصعب إقفال المناقشة وترك الحوار ، إذ قد يظهر في ذلك نوع من الضعف أو الإفحام ، وقد يخرج الخصم المعاند للحق ، بصورة المنتصر أو صاحب الحجة والحق. عندها ينبغي للمحاور أن يفاجئ خصمه بحجج مسكّنة، وحقائق مذهلة، تقطع عليه الطريق وتوقفه عند حده، وتخلط عليه أموره ، فيتحير في الرد ، ويتلعثم في الجواب ، وأقل ما يستفاد من ذلك أن يتوقف الحوار عند حد لا تظهر فيه الغلبة لأحد الطرفين.

وقد يكون الذي يفاجأ به الخصم دليلا شرعيا ونصا واضحا ، لا يمكن رده ولا تأويله(١).

وقد يكون حقيقة كونه أو معلومة بديهية ، يصعب معارضتها ، ويستحيل إنكارها. وقد يكون إلزاما للخصم بناء على دعواه ، وردّ الدعواه من فحوى كلامه ، أو إثبات لتناقضه.

وقد يكون غير ذلك مما يمكن أن يباغت به الطرف الآخر ، ويقطع عليه طريق المراء والجدل.

ولعل أبرز شاهد لهذا ذلكم الحوار الذي كان بين موسى عليه السلام - وفرعون : فلما كابر فرعون وعاند فادعى الألوهية من جهة ، وأنكر وجود إله غيره من جهة أخرى ، فكان هذا الحوار(٢) : ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ وهذا سؤال المتنكر للقول ، المستغرب للمسألة كلها ، وكأنه يراها غير ممكنة التصور ، وغير قابلة لأن تكون موضوع حديث ! فيجيبه موسى جوابا يكافئ ذلك التجاهل ويغطيه ، ويحمل استصغار ما يدعيه فرعون - من ألوهية - مع بطلانه ، وتوجيه نظره إلى الكون الهائل والتفكير في ربه، ولذلك كان جواب موسى :

١ - تقدم الكلام عن المبادرة بالدليل في مبحث «الدليل».

٢ - انظر تفسير الآيات في الظلال : ٢٥٩٢/٥.

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾. وهنا خاف الطاغية من تسرب كلمات الحق الصريحة إلى قلوب سامعيه ، فيلتفت إليهم مظهرا التعجب : ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ فهذا لم يلبث موسى أن هجم عليه وعليهم بصفة أخرى من صفات رب العالمين : ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ وهذه أشد مساسا بفرعون ودعواه ، فهو يجبهه بأن رب العالمين هو ربه ورب أتباعه ، فليس فرعون ربا ولا إلها. ولذلك لم يملك فرعون عليها جوابا إلا أن يتهم قائلها بالجنون : ﴿قَالَ : إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾. ولكن هذا التهم لايفت في عضد موسى ، ولايمنعه من أن يمضي في طريقه يصدع بكلمة الحق التي تزلزل الطغاة والمتجبرين ، ويباغت فرعون وسط قومه ويقطع حجته : ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١).

- (و) الطغيان لا يخشى شيئا كما يخشى يقظة الشعوب ، وصحوة القلوب ، ولا يكره أحدا كما يكره الداعين الى الوعي واليقظة ، ولا ينقم على أحد كما ينقم على من يهزون الضمائر الغافله. ومن ثم ترى فرعون يهيج على موسى ويثور ، عندما يمس بقوله هذا أوتار القلوب. فينهي الحوار معه بالتهديد الغليظ، بالبطش الصريح ، الذي يعتمد عليه الطغاة عندما يسقط في أيديهم وتخذلهم البراهين ، فيلجأ إلى التهديد بالسجن ، وهي علامة الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدافع ، ومع هذا يستمر موسى في ثقة ورباطة جأش ، فيفتح الصفحة التي أراد فرعون إغلاقها بالتهديد ، يفتحها موسى بحجة أقوى وبرهان جديد : ﴿قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ وفي هذا إحراج لفرعون أمام الملأ أن يرفض الأدلة والبراهين، ولو فعل ذلك لدل على خوفه من حجة موسى ، فاضطر الى مسايرة موسى وطلب الدليل : ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وهنا يفاجئه موسى بأمر أكبر وبرهان أعظم : ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾. وقد أحس فرعون بضخامة المعجزة وقوتها ، فأسرع يقاومها ويدفعها ، وهو يحس ضعف موقفه ويكاد يتملق القوم من حوله ، ويهيج مخاوفهم من موسى وقومه، ومن ثم يطلب أمرهم ومشورتهم :

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟﴾ (١) ومتى كان فرعون يطلب أمر أتباعه وهم له يسجدون ، ولكنها شنشنة الطغاة حينما يحسون أن الأرض تتزلزل تحت أقدامهم ، عندئذ يلينون فى القول بعد التجبر ، ويلجأون إلى الشعوب وقد كانوا يدوسونها بالأقدام ، ويتظاهرون بالشورى فى الأمر وهم كانوا يستبدون بالهوى ، ذلك إلى أن يتجاوزوا منطقة الخطر ، ثم إذا هم هم جبابرة مستبدون ظالمون. (٢X)

فهذا الموقف الضعيف من فرعون ماكان ولم يكن لولا براعة موسى - بتأييد الله له - فى مباغته فرعون بدليل تلو دليل ، وقطع حججه واحدة بعد الأخرى ، واحراجه بما لم يكن يتوقعه ، واستدراجه الى معركة لم يحسب لها حساب.

وكذلك بعد هذا الموقف مباشرة كان التحدي باللقاء مع السحرة فى اليوم المعلوم، الذي ثبت فيه موسى، وجاء بالمفاجأة المذهلة، حيث جاء السحرة من كل مكان بكل مايملكون، وجاء موسى بعصاه ، فإذا العصا تلقف وتأكل حبالمهم وعصيتهم فى سرعة ، حتى لايبقى لها أثرا ، عندها فاز موسى بالجولة الثانية إذ آمن السحرة كلهم أجمعون ، فأسقط فى يد فرعون وملئه وذعروا ، ووقع عليهم هذا الحدث وقع الصاعقه ، ولاسيما وكل ذلك يعرض على مشهد ومسمع من الجماهير المحتشدة.

وهكذا تبين أثر هذا الأسلوب وقيمته ، مع أكبر المعاندين ، فقوة الحق لاتغلبها قوة ، والحجج والبراهين تقطع دابر المكذبين.

وقد تقدم فى مناظرة الإمام الباقلاني لرهبان النصارى وكيف أنه فاجأهم ببعض الحجج ، فقطع الطريق عليهم قبل أن تبدأ المناظرة ، كما فى قصته مع البطريرك حيث سلم عليه أحفل سلام ، وسأله أحفل سؤال ، وقال له : كيف الأهل والولد؟ فعظم قوله هذا عليه وعلى جميعهم ، وتغيروا له وصلبوا وجوههم ، وأنكروا قول الباقلاني عليه.

١ - الآيات من سورة الشعراء : ٣٠-٣٥.

٢ - انظر الظلال : ٢٥٩٣-٢٥٩٤ بتصرف.

فقال القاضي : وما أنكرتم من كلامي . فقال الملك : إننا ننزه هؤلاء عن الصاحبة والولد . فقال القاضي : يا هؤلاء تستعظمون لهذا الانسان اتخاذ الصاحبة والولد ، وتربأون به عن ذلك ، ولاتستعظمون لربكم - عز وجهه - فتضيفون ذلك إليه ، سواءة لهذا الرأي ، ما أبين غلطه .

فسقط في أيديهم وبهتوا وانكسروا ، ولم يحيروا جوابا (١) .
والمقصود هو بيان أهمية هذا الأسلوب ، والحاجة إليه مع أنواع من الخصوم ، وهو يحتاج إلى معرفة بالطرف المقابل ، كما يحتاج إلى جرأة وقوة ، وبداهة وسرعة ، حتى يتمكن المحاور من قطع الطريق على المعاند وإسكاته .

(١) تقدمت الإشارة الى القصة في مبحث : «التحدى والإفحام» وانظر ترتيب المدارك ٤/ ٩٤ - ٦٠٠ .

المبحث التاسع : محاذير لفظية

إن للسان سقطات ، وللکلام زلات ، والمسلم مأمور بحفظ لسانه ، كما أنه مأمور بطيب الکلام ، وأن يقول خيرا فيغنم ، أو يسكت فيسلم ، ويسلم الآخرون منه ، والآيات والأحاديث في حفظ اللسان كثيرة معلومة ، كما تقدم في ثنايا البحث فضيلة الكلمة الطيبة وحسن العبارة واللين في القول ، وفي هذا المبحث أذكر أمورا قد يقع فيها اللسان فتورد صاحبها الموارد ، وقد تهوي بالحوار وتعطل سيره أو تحوله إلى جدل عقيم ، أو تبادل سباب وشتائم ، ولذلك ينبغي للمحاور أن يحذرهما ويضبط الفاظه وكلماته عن الوقوع في مثلها ، ومع أن بعضها قد سبقت الإشارة إليه ، ولكن يحتاج إلى ذكره هنا تنبيها على خطره وتحذيرا من عاقبته ، فمن هذه المحاذير :

١ - اختيار الألفاظ والمعاني التي تقود إلى الجدل ، أو تستثير الفتن والمشكلات ، رغبة في الخصومة واللجاج ، وإضاعة للوقت وهروبا من الحوار الجاد.

٢ - إظهار التفاسيح والتشديد في الکلام ، تيهها على الغير ، وإستعلاء ، ووسيلة إلى تصغير الطرف الآخر أو قصد تعجيزه بالتكلف في القول ، أو إظهارا للباطل في صورة الحق أو عكسه(١).

٣ - الغيبة : فإن المناظر لاينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته ، وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولايكذب في الحكاية عنه ، فيحكي عنه لامحالة مايدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله ، وهو الغيبة(٢).

٤ - الكذب : ربما لايقدر المناظر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه ، حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة(٣).

٥ - تزكية النفس والثناء عليها بالقوة والغلبة والتقدم على الأقران ، كقوله : لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور ونحو ذلك مما يتمدح به على سبيل الصلف أو للحاجة الى ترويج كلامه ، والصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا(٤).

٦ - الإستثثار بالكلام دون الطرف الآخر ، والإطالة الزائدة عن حدها وعدم مراعاة الوقت أثناء الکلام ، والرغبة في مواصلته وكراهية الإنقطاع ، مما يجعل الحوار من طرف واحد وكأنه خطبة أو موعظة.

١ - انظر أفات اللسان لسعيد القحطاني ص ١٠٩.

٢ - ٣ - ٤ من كلام الغزالي في الاحياء : ٥٩/١ بتصرف يسير ، لومعنى الصلف : مجاوزة قدر الظرف والإيدعاء فوق ذلك تكبرا (الصباح : ١٣٨٨/٤) وقال ابن الجوزي : هو الغلو في الظرف والزيادة على مقداره (غريب الحديث : ٦٠٠/١).

٧ - استعمال ضمير المتكلم ونسبة الأشياء إلى نفسه ، كقوله : رأي كذا وقولنا كذا ، وتبيين لنا كذا... فإن هذا قد يؤدي الى تزكية النفس وفساد النية ، كما أنه يترك انطبعا سيئا لدى السامع يجعله ينفر من قائله ويزهد فيه ، والإنسان بطبعه يكره من يتعالم عليه ، وينزله منزلة الجاهل الذي ينبغي أن يتعلم منه(١).

٨ - اللوم المباشر عند وضوح خطأ الطرف الآخر ، كقوله : « اخطأت » ، «سأثبت لك أنك مخطيء» ، أو نحو ذلك مما لاحتتمله النفس ، ومما قد يجرح عند بعض الناس كبريائه وشخصيته(٢)

٩ - رفع الصوت أكثر مما يحتاج اليه السامع ففي ذلك رعونة وايداء ، وربما دل على ضعف الحجة والعجز عن مواجهة الحقائق ، فيغطي ذلك النقص بالصراخ - وقد قال أبو عثمان بن الشافعي : (ماسمعت أبي يناظر أحدا قط فرفع صوته.(٣)

١٠ - اصدار أوامر للطرف الآخر توحى بالعلو والأستازية ، ومثل هذا الأسلوب لا يحبه الناس ولايستجيبون لفاعله ، بل يحفزهم الى العناد والاستكبار.

١١ - الهزاء والسخرية وكل مايشعر باحتقار الطرف الآخر ، أو إزدراء فكرته ، أو وصفه بقلة الفهم أو نحوه.

١٢ - استعمال الألفاظ الغريبة والأساليب الغامضة والعبارات المحتملة ، تلبيسا على الطرف الآخر وتمويهها بغير الحقيقة ، ومراوغة عن الجادة ، وهروبا من الاجابة.

إلى غير ذلك مما قد سبق بيانه ، وإنما المراد تلخيص هذه المحاذير ليكون المحاور فيها على بصيرة ، وليحافظ على سلامة الحوار من مثل هذه الآفات التي قد تؤدي به إلى الفشل.

١ - انظر أصول الحوار ص ٥٥.

٢ - انظر رسالة «قل إنما أعظكم بواحدة» ص ٤٨.

٣ - انظر مناقب الشافعي للبيهقي : ٢١٧/١.

الباب الخامس

«آداب ومباحث عامة تتعلق بالحوار»

الباب الخامس : آداب ومباحث عامة تتعلق بالحوار

في هذا الباب الأخير أذكر مباحث عامة لها تعلق بالحوار، سواء من الجانب الذهني العقلي، أو من الجانب العملي أو غير ذلك، مما قد يكون له أثر على الحوار سلبيًا أو إيجابيًا.

وستكون هذه المباحث قصيرة مختصرة، إذ هي كإشارات السريعة إلى جوانب مكمل للموضوع، ومنها مايتعلق بأساليب نافعة في الحوار، ومنها ما يبرز فيه الواقع العملي لتطبيق آداب الحوار وغير ذلك.

والمباحث مرتبة على النحو الآتي :

- ١ - الوقت المناسب.
 - ٢ - التزام المحاور بما يدعو إليه.
 - ٣ - الفراسة وحسن التصرف.
 - ٤ - مراعاة الأفهام والعقول.
 - ٥ - الحذر والمداراة.
 - ٦ - توقع المخالفة برغم الإقتناع.
 - ٧ - أساليب وطرق في الاستدلال.
 - ٨ - محاذير عامة.
 - ٩ - مناظرات وحوارات : «نماذج تطبيقية».
- وبذلك تنتهي مباحث الرسالة، ويتلو ذلك الخاتمة وأهم النتائج ومن ثم المراجع ثم الفهارس، والله المستعان.

المبحث الأول : الوقت المناسب

إن اختيار الوقت المناسب للحوار، وحسن استغلال الفرص التي تسنح للمحاور، له أهمية كبرى في ضمان سير الحوار على أصوله وبالضوابط اللازمة.

فقد يمكن للمحاور أن يحدد هو والطرف المقابل موعداً للتحاور فيه حول قضية ما، ففي مثل هذه الحالة عليهما أن يحسنا اختيار الوقت، مع مراعاة الظروف النفسية والعقلية والجسدية لكل منهما، وإتاحة الزمن الكافي لمناقشة الموضوع، فلا ينبغي اختيار وقت إجهاد وإرهاق أو زمن نوم أو طعام أو نحو ذلك، أو وقت ضيق لايسع فيه الحوار ولاتتم فيه المناقشة، فيؤدي ذلك إلى قطع الحوار قبل انتهائه، وبتره قبل تمامه.

وفي حالات أخر قد لايمكك المحاور أن يتحكم في تحديد موعد معين، كأن يفاجأ في جمع من الناس من يلبس عليهم في أمر دينهم - مثلاً - أو يثير شبهة ويشكك في أصول وقواعد ومسلمات يبنى عليها دين المسلم، عندها قد لايسع المحاور إلا أن يتحين أقرب فرصة ويفرض نفسه لتصحيح الأخطاء التي ربما علقت بأذهان المستمعين، ورد الشبهات ومن ثم اسكات المتكلم.

وقد يرغب شخص في محاورة عالم أو داعية أو نحوهما، في قضية أو مسألة محدودة، ليستفيد علماً بها أو خبرة فيها، وقد يكون من سوء الأدب أن يدعى صاحب منزلة ومهابة إلى المحاورة من قبل أحد تلامذته، فعليه إذا أن يتحين فرصة مناسبة وطريقة لبقة للدخول معه في الحوار.

وقد يحرص المحاور على تبليغ علم ما، أو تنبيه مهم أو غيره، ولا يريد أن يظهر للطرف الآخر بمظهر المعلم الموجه، فربما لايقبل أسلوباً كهذاً، ولذلك فهو ينتظر وقتاً يناسبه ليدير فيه مناقشة لطيفة، وحواراً هادئاً.

فالمحاور إذا بين أن يختار وقتاً مناسباً للحوار، يتحكم فيه بدءاً وانتهاءً، ويراعي فيه الظروف المحيطة من جميع الجوانب، وبين أن يستغل فرصة سانحة لايجوز له أن يتأخر عنها، ولا ينبغي أن تفوته، فقد لاتسنح له مرة أخرى.

- فمن شواهد الحالة الأولى :

- الموعد الذي حدده موسى - عليه السلام - للتحدي والمناظرة مع السحرة، فقد تحكّم في اختيار الوقت المناسب : ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحًى﴾ (١)، فاختار أوضح فترة من النهار وأشدّها تجمعا في يوم العيد. لافي الصباح الباكر حيث لا يكون الجميع قد غادروا البيوت، ولا في الظهيرة فقد تعوقهم حرارة الجو، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو من وضوح الرؤيا. (٢)

- ومنها : (حديث الرجل الذي قال - في آخر حجة حجها عمر - : لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا، فوالله ماكانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت، فغضب عمر ثم قال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. فقال عبدالرحمن بن عوف : يا أمير المؤمنين لاتفعل، فإن الموسم يجمع رعاي الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لايعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، وتقول ماقلت متمكنا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها. فقال عمر : أما والله - إن شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة... الخ) (٣) فهنا من حرص عبدالرحمن بن عوف ونصحه، اختار لعمر الوقت المناسب لتصحيح ذلك الخطأ والرد عليه.

- ومن شواهد الحالة الثانية وهي حسن استغلال الفرص المتاحة :
- ما فعله يوسف عليه السلام (٤) - حين أدخل السجن ومعه فتیان، فسألانه عن تأويل الرؤيا التي رأياها، فانتهاز يوسف هذه الفرصة ليبيث بين السجناء عقيدته الصحيحة، فكونه سجيناً لايعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة، فقد كان سؤال الفتیین هو : ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ. نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

١ - طه : ٥٩ .

٢ - انظر الظلال : ٢٣٤٠/٤ .

٣ - أخرجه البخاري وغيره وتقدم تخريجه. ص : ١٢٢ ، ٢٠٨ (وهو حديث الخليفة بعد وفاة النبي ﷺ).

٤ - انظر الظلال : ١٩٨٨/٤ - ١٩٨٩ .

فيطمئنهما يوسف إلى قدرته على تأويل رؤياهما، بما آتاه ربه من العلم، جزاء توحيده وتجرده لعبادة الله وحده، وهجر الشركاء والأنداد هو وآباؤه من قبله : ﴿قَالَ لَايَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِنَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا. ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَايُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَاكَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ. ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَشْكُرُونَ﴾ ومن ثم ينتقل بهم يوسف بلطف ولين فيفصح عن عقيدته ودعوته، ويكشف عن فساد اعتقادهما وقومهما : ﴿يَاصَاحِبَيَّ السَّجْنِ أَرَأَيْتَ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ...﴾ (١) الآيات.

- ومنها فعل ابن عباس - رضي الله عنهما - حيث قال : أردت أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، فمكثت سنة فلم أجد له موضعا، حتى خرجت معه حاجا، فلما كنا بظهران ذهب عمر لحاجته (وفي رواية : فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه) (٢) فقال : أدركني بالوضوء، فأدركته بالإداوة، فجعلت أسكب عليه، ورأيت موضعا فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ قال ابن عباس : فما أتممت كلامي حتى قال : عائشة وحفصة (٣) فهذا يظهر منه تحين ابن عباس للفرصة التي يسأل فيها عمر، وانتظاره لها سنة حتى سنحت له.

١ - الآيات : يوسف : ٣٦ - ٤٠.

٢ - الرواية للبخاري : ٤٩١٣ في كتاب التفسير.

٣ - أخرجه البخاري : التفسير ٤٩١٥.

- ومن استغلال الفرصة قبل فواتها، وإفادة العلم وقت الحاجة إليه في مناسباته، إذ يكون أبلغ في التأثير(١)، ومن صور توقيت مناسبة المجادلة : ما حدث من أبي شريح العدوي(٢) حيث قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة «أئذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ للغد من يوم الفتح، فسمعتُه أذناني ووعاه قلبي وأبصرته عيناى حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعصدها شجرة... الحديث». (٣)

إلى غير ذلك من أمثلة الحاليتين، وإنما المقصود أن المحاور عليه اختيار الأوقات المناسبة وتقدير الظروف المحيطة، كما عليه استغلال الفرص التي تسنح لتصحيح المفاهيم وتوضيح الحقائق.

- ١ - انظر تيسير العلام للبسام : ٥٣١/١، والفتح : ٤٥/٤.
- ٢ - قال الحافظ ما ملخصه : المشهور فى اسمه أنه خويلد بن عمرو أسلم قبل الفتح وحمل بعض ألوية قومه، وسكن المدينة ومات بها سنة ثمان وستين. (الفتح : ٤٢/٤).
- ٣ - تقدم فى مبحث «تأكيد القضية» من الباب الثالث. ص : ٣٢١.

المبحث الثاني : التزام المحاور بما يدعوا إليه

قد يكون الحوار حول قضية عملية، أو في استحباب فعل ما أو كراهيته أو نحو ذلك، وعندها ينبغي أن يكون المحاور قدوة حسنة في تطبيق الرأي الراجح الذي يحاور لأجل إثباته وإقناع الطرف الآخر به، فيكون داعية ومحاورا بفعله قبل قوله، فإن التزام المحاور بما يدعوا إليه والحرص على العمل به هو أكبر دليل على اقتناعه به ويقينه، وعلى قدرته على إقناع الآخرين به، والعكس فمن فرط في العمل وقصر في التنفيذ، دل ذلك منه على اضطراب وعدم يقين، وكان أضعف في حجته وأعجز عن إقناع غيره.

ويكفي المحاور حثا له على الالتزام بما يدعوا إليه ويحاور فيه، وتحذيرا له من مخالفة القول للعمل، إنكار الله على بني إسرائيل والذي يتضمن الإشارة إلى أن من تمام العقل موافقة القول للعمل حيث قال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) وقوله عز وجل : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢) وفي بيان عدم تأثر الناس بقول من لا يعمل بعلمه يقول مالك بن دينار : (إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا)، وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما	إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا	فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها	وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم (٣)
ولذلك كان نبي الله شعيب قدوة صالحة، ومثلا حيا لقومه، فقال لهم : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَيَّ مَا أَنْهَاكُمُ عَنْهُ ﴾ (٤) أي لا أنهاكم عن شيء وأفعله أنا، بل إن ما أنهاكم عنه فأنا أول من يتركه (٥)، وهكذا يكون مثل هذا الفعل داعيا إلى استجابة الآخرين، وتمهيدا لإذعانهم، وطريقا لإقناعهم.

١ - البقرة : ٤٤ .

٢ - الصف : ٣ .

٣ - انظر الإحياء : ٧٨/١ . [وهذا البيت لأبي الأسود الدؤلي . انظر شرح ابن عيسى : ١٥/٤ رجم البيت ٣٢٨ . طبع مرة عشر ١٢٨٦ هـ - المكتبة البغدادية الكبرى بمصر .]

٤ - هود : ٨٨ .

٥ - انظر تفسير السعدي : ٣٨٤/٢ .

وإن مما يبين أهمية القدوة العملية ومدى تأثير الآخرين بها، وأن مجرد الأقوال والبراهين قد لاتقنع ولا تؤثر، وأن العمل يعلم مالا يعلمه القول، بل إنه يقلب الأفكار النظرية إلى حقائق عملية ملموسة، يتأثر بها من يراها قبل أن يسمع من يتكلم عنها، من ذلك ما فطنت له أم سلمة - رضي الله عنها - ففي الحديبية أمر النبي ﷺ أصحابه - بعد كتابة الصلح - أن يقوموا فينحروا ثم يحلقوا، فمقام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لاتكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك : نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غمًا... الخ (١)

وقد ذكر الحافظ من الفوائد في الحديث : (أن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد ... إلى أن قال : ونظير هذا ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر في رمضان، فلما استمروا على الإمتناع تناول القدح فشرب، فلما رأوه شرب شربوا). (٢)

ومن هذا الباب أيضا: أخباره ﷺ عن فعله في حديث الثلاثة الذين سألوا عن عبادته، فقال : «لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (٣)

- ومنه حديث ابن مسعود في لعن الواشمات والمتنمصات والواصلات، واعتراض المرأة عليه، ثم قولها له اني أرى بعض هذا على امرأتك، قال : فادخلي فانظري، فدخلت، ثم خرجت، فقال : ما رأيت؟ قالت : ما رأيت، فقال : لو كان ذلك ماكانت معنا (٤).

١ - تقدم تخريجه ص : ٢٥٢، ٤٢.

٢ - الفتح : ٣٤٧/٥.

٣ - تقدمت الإشارة اليه في «ثناء المحاور على نفسه». ص ٣٩٠

٤ - تقدم تخريجه وهذه رواية أبي داود : ٤١٦٩ ، وانظر ص : ٢٦٣.

وفي هذا إشارة من ابن مسعود إلى أنه لو كانت امرأته تفعل هذه الأمور المنهى عنها، لما اجتمع معها وأبقاها(١)، وهو إشارة إلى أن المتكلم والناصح ينبغي أن يكون هو أول من يلتزم ويطبق مايدعو إليه. والمقصود أن المحاور الناجح الذي يعطى المثال الصالح، والقذوة الحسنة، يمكنه أن يقنع الآخرين بآرائه، ويطلب منهم تصحيح أخطائهم، لأنه يكسب احترامهم ومحبتهم عن جدارة واستحقاق بموافقة قوله لعمله، والتزامه بمايدعو إليه ويحاور لأجله.

(١) انظر بذل المجهود : ٥٦/١٧.

المبحث الثالث : الفراسة (١) وحسن التصرف

ينبغي للمحاور أن يكون كيسا فطنا، ذا بديهية سريعة وتصرف حسن، يجيد التخلص من المآزق، متفرسا في خصمه يتنبأ بما يكره من شبهات أو أباطيل، ويتوسم مبلغ عقله وعلمه، وقدره ومنزلته، فبذلك يمكنه أن يواجه المعاندين من الخصوم ومن يجيد المراوغة منهم، كما أنه يستطيع أن يقتل الفكرة الباطلة في مهدها، ويقضى على الشبه قبل ذكرها، وهذا يحتاج أيضا إلى قوة وحزم وعزيمة بلا تردد، متى غلب على ظنه ماسيقوله الخصم أو ما يمكن أن يقوله من الباطل ولعل مما يمكن أن يستدل به في نجاح مثل هذا الأسلوب، ومواجهة الخصم بما سيقول من شبهات، وبالتالي دحضها والرد عليها قبل أن تشيع أو تنتشر : ماجاء في الرد على اليهود والمنافقين وإبطال دعواهم، قال تعالى : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ (٢)، فهذا قطع الطريق على أقاويلهم وتساؤلاتهم التي يقصد بها الطعن والتشكيك، وتوحي لهم مثل هذه الصيغة بأن ما قالوه كان مقدرا أمره، ومعروفة خطته، ومعدة إجابته، وهي طريقة من طرق الرد أعمق تأثيرا. (٣)

ولعل قريبا من هذا ماجاء في آيات غزوة الحديبية حيث قال تعالى : ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا. يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ...﴾ (٤) وقوله أيضا : ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥)

(١) الفراسة : هي القدرة على التنبؤ والنظر في البواطن، بقوة الذكاء والفطرة. (غريب الحديث :

١٨٤/٢، فراسة المؤمن : ص ٩).

(٢) البقرة : ١٤٢.

(٣) انظر الظلال : ١٣٠/١، السعدي : ١٠٤/١ - ١٠٥، الطبري : ١/٢.

(٤) الفتح : ١١.

(٥) الفتح : ١٥.

أما الفراسة بالنسبة للمحاور المسلم، فإنه وإن كان للذكاء والفطرة منها نصيب، إلا أن للتقوى والتجارب نصيبها الأوفر في تنميتها وتصحيح مسارها. وأحيانا قد يتعلق نجاح المحاور أو فشله بصدق حدسه، وحسن تنبؤاته وسعة أفقه وعمق نظرتة، خاصة إذا واجه خصما يحسن هذه الأمور ويجيد التلاعب والمراوغة.

وإذا لم يحسن المحاور هذا الجانب ولم يتوقع المشكلات التي ستواجهه أثناء الحوار، وبالتالي عدم إعداد حل مناسب لها، فسيحد من نشاطه التخوف والتردد، وربما تصعب مهمته وتختلط عليه أموره عند أدنى مشكلة أو شبهة. ولعل من النماذج اللطيفة والتي تدل على بداهة المحاور وحسن تصرفه، وذكائه وفطنته ما احتاط به النبي ﷺ وصاحبه - أبو بكر - في الهجرة في الكلام مع الناس الذين كانوا يقابلونهم في الطريق، فإذا سئل أبو بكر عن رسول الله قال : هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنه يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير» (١).

ومن النماذج في هذا الأسلوب أيضا :

- ما يروى أن يهوديا قال لعلي - رضي الله عنه - : مانفضتم أيديكم من تراب نبيكم حتى قلتم : منا أمير ومنكم أمير، فقال علي رضي الله عنه : وأنتم ماجفت أقدامكم من ماء البحر الذي جمده الله لموسى حتى قلتم : ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (٢) فبهت اليهودي وسكت. (٣)

- ومثله ما تقدم في مناظرة الباقلاني للنصارى وسؤال أحدهم : ما فعلت زوجة نبيكم؟ وما كان من أمرها بما رميت به من الافك؟ فقال مجيبا على البديهة : هما امرأتان ذكرتا بسوء، مريم وعائشة، فبرأهما الله عز وجل، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد، وأنت مريم بولد ولم يكن لها زوج (٤)

١ - أخرجه البخاري : مناقب الأنصار ٣٩١١، أحمد ١٢٢/٣ (وانظر السيرة الصحيحة : د. إكرم العمري : ٢١٧/١).

٢ - الأعراف : ١٣٨.

٣ - انظر فراسة المؤمن - إبراهيم الحازمي ص ٣٩ بتصرف.

٤ - تقدمت الإشارة الى القصة في «مبحث التحدى» وغيره.

- ومثله ما ذكر أن المقوقس قال لحاطب - رضي الله عنه - كيف الحرب بين محمد وبين المشركين؟ قال : سجال يدال عليهم ويدالون عليه، قال : أنبي الله يغلب؟ فقال له حاطب : وابن الله يصلب؟ فسكت وألجم حجرا (١).

- ولعل من البداهة وسرعة استحضار الجواب ماجاء عن الخطيب البغدادي، حيث أظهر بعض اليهود كتابا في عصره، ادعى أنه كتاب رسول الله ﷺ باسقاط الجزية، عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصحابة، وذكروا أن خط علي - رضي الله عنه - فيه، فلما عرضوه على الخطيب، تأمله وقال : هذا مزور، قيل : من أين قلت؟ قال : فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح، وفتحت خيبر سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات يوم بني قريظة، قبل خيبر بسنتين، فبهتوا (٢).

وأختم هذه الأمثلة بفراصة المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - حين استعمله عمر على البحرين، فكرهه أهلها فعزله عمر عنهم، فخافوا أن يرده عليهم. فقال دهقانهم : إن فعلتم ما آمركم به لم يرده علينا. قالوا : مرنا بأمرك. قال : تجمعون مائة ألف درهم، حتى أذهب بها إلى عمر، وأقول : إن المغيرة اختان هذا ودفعه إلي. فجمعوا ذلك. فأتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين، إن المغيرة اختان هذا، فدفعه إلي. فدعا عمر المغيرة، فقال : مايقول هذا؟ قال : كذب أصلحك الله، إنما كانت مائتي ألف. فقال : ما حملك على ذلك؟ قال : العيال والحاجة. فقال عمر للدهقان : ماتقول؟ قال : لا والله لأصدقنك، والله ما دفع إليّ قليلا ولا كثيرا، ولكن كرهناه وخشينا أن ترده علينا. فقال عمر للمغيرة : ما حملك على هذا؟ قال : إن الخبيث كذب علي فأحببت أن أخزيه (٣).

إلى غير ذلك من الشواهد والأمثلة والتي تبين الحاجة إلى مثل هذا الأسلوب أحيانا، وتوضح أهمية يقظة المحاور وتنبيهه وحسن تصرفه (٤).

١ - ذكرها ابن كثير بلفظ مقارب لهذا : (البداية والنهاية : ٢٧١/٤).

٢ - انظر سير أعلام النبلاء : ٢٧٠/١٨.

٣ - انظر سير أعلام النبلاء : ٢٦/٣.

٤ - ستأتي مزيد من النماذج في مبحث مستقل - إن شاء الله.

المبحث الرابع : مراعاة الأفهام والعقول

لاينجح الحوار - غالبا - (ولاتصح المناظرة ويظهر الحق بين المتناظرين حتى يكونوا متقاربين، أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والعقل والفهم والإنصاف، والافهو مرأء ومكابرة). (١)

إذا فالأصل هو التقارب والتساوي فى العقل والفهم، وكما ذكر بعض العلماء أن من أدب المناظر : (أن يتجنب المناظرة مع من هو من أهل المهابة العظيمة والاحترام العظيم، كيلا تدهشه وتذهله جلالة خصمه عن القيام بحجته كما ينبغي). (٢)

- كما ينبغي للمحاور أن يتأكد من أن القضية التى يدور عليها النقاش ممايمكن له ولغيره بحثها ومناقشتها فلايتكلف علم مالم يبلغه عقله(٣)، ولايتكلف الحوار فى علم لايبخله عقل محاوره، كما أنه عليه أن يختار لكل محاور الأدلة التى تناسبه وتقنعه، والطريقة التى تقربه من الحق، وهذا لايمكن إلا إذا عرف المحاور مستوى الطرف الآخر وحجم علمه ومقدار فهمه، فمخاطبة عالم تختلف عن مخاطبة طالب، ومحاورة الكبير غير محاورة الصغير. (٤)

- ولذلك حذر السلف من تحديث الناس أو مناظرتهم فيما لاتدرکه عقولهم : قال عبدالله بن مسعود : (ما أنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة). (٥)

وقال عروة بن الزبير : (ماحدثت أحدا بشيء من العلم قط لايبخله عقله، إلا كان ضلالة عليه). (٦)

١ - تفسير القرطبي : ١٨٦/٣ ، جامع بيان العلم : ١٣٢/٢ .

٢ - آداب البحث والمناظرة للشنقيطي : ٧٦/٢ .

٣ - تقدم قول الامام الشافعي للمزني : (ولاتتكلف علم مالم يبلغه عقلك).

٤ - انظر أصول الحوار ص ٢٤ .

٥ - مقدمة صحيح مسلم : ١١/١ .

٦ - سير أعلام النبلاء : ٤٣٧/٤ .

فليس الناس طرازا واحدا، والعقول تتفاوت. والأفهام تتباين، قال شيخ الإسلام : (ليس كل ماعرفه الإنسان، أمكنه تعريف غيره به، فلهذا كان النظر أوسع من المناظرة، فكل مايمكن المناظرة به، يمكن النظر فيه، وليس كل مايمكن النظر فيه، يمكن مناظرة كل أحد به). (١)

وقال فى موضع آخر : (وأما أن يكون الكتاب أو السنة نهى عن معرفة المسائل التى يدخل فيما يستحق أن يكون من أصول دين الله فهذا لا يكون، اللهم إلا أن ننهى عن بعض ذلك فى بعض الأحوال مثل مخاطبة شخص بما يعجز عنه فهمه فيضل. كقول عبد الله بن مسعود : «ما من رجل يحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم» (٢)، وكقول علي رضي الله عنه : «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون أتحبون أن يكذب الله ورسوله» (٣) .. (٤).

وقد راعى النبي ﷺ أحوال وأفهام أناس، فترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا فى أشد منه. (٥)

فقد قال ﷺ لعائشة : «يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم - قال ابن الزبير : بكفر - لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين : باب يدخل منه الناس، وباب يخرجون» (٦).
- وكما قال النبي ﷺ لمعاذ : «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة» قال : ألا أبشرك الناس؟ قال : «لا : إني أخاف أن يتكلموا» (٧).

١ - الفتاوى : ٣/ ٣١٢٥.

٢ - تقدم نص الكلام ابن مسعود من صحيح مسلم : ١١/١.

٣ - أخرجه البخاري معلقا حيث قال : (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا. وقال علي : حدثوا الناس بما تعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ (الفتح : ١/ ٢٢٥).

٤ - الفتاوى : ٣/ ٣١١.

٥ - انظر فتح الباري : ١/ ٢٢٤.

٦ - أخرجه البخاري : العلم ١٢٦ ، مسلم الحج ٩٧٢/٢ رقم ٤٠٤ ، والنسائي : المناسك ٥/ ٢١٤ رقم ٢٩٠٠ ، أحمد ٥٧/٦.

٧ - أخرجه البخاري : العلم ١٢٩ وغيره وتقدم.

- قال كثير بن مروة : (إن عليك في علمك حقاً، كما عليك في مالك حقاً، لاتحدث بالعلم غير أهله فتجهل، ولاتمنع العلم أهله فتأثم، ولاتحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك، ولاتحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك). (١)

- وقد أشار الغزالي إلى هذا الأدب عند ذكره لأدب المعلم فذكر منها ماملخصه :

(أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله، أو يخطب عليه عقله ... ولذلك قيل : كل لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان فهمه، حتى تسلم منه وينتفع بك، والا وقع الانكار لتفاوت المعيار، وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل : أما سمعت رسول الله ﷺ قال : «من كتم علماً نافعا جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار». (٢)؟ فقال : اترك اللجام وانهب فان جاء من يفقه وكتمته فليجمني، فقد قال تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ (٣) تنبيهاً على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم في اعطاء غير مستحق بأقل من الظلم في منع المستحق :

أ أنثر دراً بين سارحة النعم	فأصبح مخزوناً براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره	فلا أنا أضحي أن أطوقه البهم
فان لطف الله اللطيف بلطفه	وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
نشرت مفيداً واستفدت مودة	والا فمخزون لدي ومكـــــــــــــــــتم
فمن منح الجهال علماً أضاعه	ومن منع المستوجبين فقد ظلم (٤).

١ - انظر - ربانية التعليم «ص ٣٢».

٢ - الحديث تقدم في مبحث العلم . ص : ٢٧٧.

٣ - النساء : ٥.

٤ - الاحياء : ١/ ٧١-٧٢ بتصرف. (والأبيات لإبراهيم بن يحيى - رحمه الله - انظر ديوانه في نعي ص ٩٦ ط الثالثة دار الكتب العلمية - بيروت) وانظر مجمع العلم والأشكال للأحمد قيس من ٣٥٧-٣٥٨ ط دار العربية دمشق (١٩٧٩)

ومما يساعد فى هذا الجانب ويحقق مصلحة الحوار ويسهل الطريق أمام المحاور فى إقناع محاوره والدخول إلى قلبه بالفكرة التي يراد إقناعه بها : أن يضع المحاور نفسه مكان محاوره ، وأن يرى الأشياء من وجهة نظر الشخص الآخر ، ويحاول أن يفكر فى القضية بمثل عقلية خصمه ، وينظر فى الأمر من نفس الزاوية التي ينظر منها مخالفه .

ومن المفيد جدا فى معرفة الطرف الآخر أن يسأله محاوره أسئلة محايدة بطريقة توحى بتساوي درجة القناعة فى طرفيها المتناقضين عنده ، وبذلك يستطيع أن يسبر غور الطرف الآخر دون أن يستنفره.

وعلى كل حال فالحوار فن لايقوم على مجرد العلم بموضوعه ، بل له مقومات وأسباب تؤدي إلى نجاحه ، ومنها معرفة نفسية وعقلية وفهم الطرف المقابل ، ومراعاة ذلك كله بدقة وحكمة قبل وأثناء وبعد الحوار. وهناك حكمتان بليغتان لاينبغي أن تغيب عن بال المحاور وهما : أن ماكل مايعلم يقال، ولكل مقام مقال(١).

المبحث الخامس : الحذر والمداراة

على المحاور أن يكون حذرا فى معاملته مع خصمه ، حذرا فى أقواله وتصرفاته وحركاته وأعماله ، فلا ينبغي أن يلزم نفسه بما ليس بلازم أو بما لايعتقده أو يقول به ، ولاينبغي أن يستدرج حتى يفقد السيطرة على نفسه، فيخرج عن الضوابط الشرعية فى الكلام والحقائق، فربما واجه المحاور خصما متدربا على المناظرات عارفا بمدخل النفوس ومايثيرها، فهو يعتمد إثارة الطرف المقابل واستفزازه، ليسهل إفحامه أو ليكون محل سخرية واستهزاء من الآخرين.

ولذلك فعلى المحاور أن يضبط عباراته ويختار ألفاظه بدقه وعناية، حتى لايتترك للخصم مجالا يدخل منه للإيقاع به، وعليه أيضا أن يضبط أعصابه ويسيطر على نفسه، ويقنع نفسه بخطر الانفجالات على الحوار، بل على الفكرة التى يدافع عنها، وليكن هادئ النفس منبسط السريرة.

وحتى يستمر المحاور على هذا الحذر والهدؤ والدقة يمكن أن يجعل لنفسه وقفات ومحطات لمراجعة النفس ومساءلتها، والتأكد من حسن أدائها للحوار على أكمل وجه، ومراعاة الأدب اللازم، ممايجعل الشخص دائم التذكر والمراقبة.

- ومن صور الحذر والإحتياط فى الألفاظ مثلا : ماذكره الله فى قول الخليل إبراهيم عليه السلام - لقومه : ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) فقد استثنى رب العالمين من عدائه لمايعبدون هم وأباؤهم الأقدمون، فقد يكون من ءآبائهم من عبد الله، قبل فساد عقيدة القوم، أو عبد الله ولكن أشرك معه آلهة أخرى، فهو الإحتياط إذن فى القول، والدقة الواعية فى التعبير. (٢)

- وكذا ماتقدم من تحين يوسف - عليه السلام - الفرصة للدعوة إلى عقيدته، ولكن بمدخل لطيف، خطوة خطوة فى حذر ولين (٣)، فيكتفى بالإشارة إلى فضل الله

١ - الشعراء : ٧٥ - ٧٧ .

٢ - انظر الظلال : ٢٦٠٣/٥ .

٣ - نفس المصدر : ١٩٨٩/٤ .

ووجوب شكره : ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (١)

- وفي الحديث : «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين» (٢) وقد أخذ منه بعضهم : التحذير من التغفيل، والإشارة إلى استعمال الفطنة، والإشارة إلى المؤمن الكامل الذى قد أوقفته معرفته على غوامض الأمور حتى صار يحذر مما سيقع. (٣)

ويتعلق بموضوع الحذر؛ أمر مداراة الناس (وهي الرفق بالجاهل فى التعليم وبالفاسق فى النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه) (٤)، أو خشى من شره، وهي من أخلاق المؤمنين، فتجوز مداراة الناس اتقاء شرهم مالم يؤد ذلك إلى المداهنة فى دين الله تعالى، والفرق بينهما : أن المداراة بذل الدنيا لصالح الدنيا أو الدين أو هما معا، والمداهنة : ترك الدين لصالح الدنيا، والنبي ﷺ تطلق فى وجه الرجل الذى دخل عليه، وانبسط إليه، مع أنه قد قال عنه : «بئس أخو العشيرة» ثم قال : «إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره». (٥)

فهذا بذل له النبي ﷺ من دنياه حسن عشرته والرفق فى مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق، وفعله معه حسن عشرة، وهذا الحديث أصل فى المداراة. (٦)

- ١ - يوسف : ٣٨.
- ٢ - أخرجه البخاري : ٦١٣٣ الأدب، مسلم : الزهد ١٢٩٥/٤ رقم ٦٣، أبو داود : الأدب ٤٨٦٢، ابن ماجه : الفتن ١٣١٨/٢ رقم ٣٩٨٢، أحمد ١١٥/٢.
- ٣ - الفتح : ٥٣٠/١٠.
- ٤ - الفتح : ٥٢٨/١٠.
- ٥ - تقدم ذكره فى مبحث «العبارة المناسبة». ص ٣٥٩.
- ٦ - انظر الفتح : ٤٥٤/١٠.

ويذكر عن أبي الدرداء : إنا لنكشر فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم.(١)
- وفى الحديث أن النبي ﷺ أهديت له أقبية من ديباج مزررة بالذهب، فقسمها
فى أناس من أصحابه، وعزل واحدا لمخرمة، فلما جاء قال : خبأت هذا لك.
وكان فى خلقه شئ». (٢).

(وانما قيل فى مخرمة ما قيل لما كان فى خلقه من الشدة فكان لذلك فى لسانه
بذاءة(٣) ومع ذلك قد أعطاه النبي ﷺ ثوبا واختصه بأن خبأه له.
وقد قال الامام الشافعي(٤) : رضى الناس غاية لاتدرك، وليس إلى السلامة منهم
سبيل، فعليك بما ينفعك فالزمه. وقال أيضا : اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.
وقال محمد بن الحنفية : ليس بحكيم من لم يعاشر - بمعروف - من لا يجد من
معاشرته بدا، حتى يجعل الله من أمره فرجا.(٥)
وقال ابن الجوزي : (فالعاقل يصور فى نفسه كل ممكن ويستتر ما فى قلبه من
البغض والود، ويداري مع الغيظ والحق.(٦) فالمحاور الذكي الناجح هو
الذي يحسن مداراة خصمه والحذر منه، فيحتاط فى ذلك ويتحرز عن كل ما يسيء
إليه أو يعطل سير الحوار أو يعكر صفو الجوبين الطرفين.

١ - ذكره البخاري معلقا بهذه الصيغة فى باب المداراة مع الناس (الفتح ٥٢٧/١٠ كتاب الأدب).

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه ٦١٣٢ الأدب، مسلم : الزكاة ٧٣٢/٢ رقم ١٣٠.

٣ - الفتح : ٥٢٩/١٠.

٤ - انظر سير أعلام النبلاء : ٨٩/١٠.

٥ - نفس المصدر : ١١٧/٤.

٦ - صيد الخاطر ص ٢٥٢.

المبحث السادس : توقع المخالفة برغم الإقتناع

ينبغي للمحاور أن يوطن نفسه لأن يخالفه الآخرون - ولو كان مصيبا على الحق - ولو أقام الحجج والبراهين، وحشد الأدلة والشواهد، ولو لم يبق لخصمه متمسكا من شبهة أو دليل، فربما يقتنع الطرف الآخر داخليا، وتستيقن نفسه أن محاوره على الحق، لكنه يجحد ويعاند، ويصر ويكابر، بتأثير عوامل نفسية، من كبر أو زهو أو رغبة في الانتصار وخوف من الهزيمة أمام الآخرين، أو سيطرة الهوى على العقل والقلب، وعند ذلك فقد لايجدي معه منطق ولا دليل.

وهذه الحوارات والمناظرات والمجادلات على مر تاريخ الأنبياء وأتباعهم، يظهر الحق معهم واضحا جليا، ويأتون عليه - بإذن ربهم - بالأدلة والمعجزات، حتى يسكتوا خصومهم، ويسقطوا معارضيهم، ويفحموا مخالفينهم، ولكن يبقى الصراع قائما، والخلاف دائما، حتى يأتي وعد الله بنصر المؤمنين وإهلاك الظالمين.

وكثيرا ماتنعكس الآية : فعندما يبهت الخصوم وتدحض الشبهات ويتبين الحق، ويصل المخالفون إلى حد القناعة الذاتية، عندها ينقلب الحوار مكررا بمن ظهر له الحق، وكيدا وعذابا على المنتصر، فمتى أعوزتهم قوة الحجة، لجؤوا إلى حجة القوة، وهو مشهد يتكرر على مر العصور :

- فهذا الخليل إبراهيم يحاور قومه محاورة طويلة، مبنية على أصول شرعية وقواعد عقلية منطقية، لا ينكرها إلا مكابر، حتى يرجع القوم إلى أنفسهم ويعرفوا أخطاءهم، ولكن يأبى الظالمون إلا كفورا، ويزيدون على ذلك أن يصبوا جام غضبهم على إبراهيم الخليل، فيعزموا على حرقه بالنار، نصرة لآلهة الضلال، ومما جاء في تلك المحاورة قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ. قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفِ لَكُمْ وَلِمَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ...﴾ (١) الآيات

- ومثل ذلك حال نبي الله يوسف - عليه السلام - فبعد أن ظهرت أدلة براءته وبيّنات صدقه وسلامته، واعترف خصومه بمكائدهم، بعد ذلك كله قرروا حبسه وسجنه : ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (١).

- وأكثر من هذا ماجرى للكليم موسى - عليه السلام - الذي طال حوارهِ مع فرعون وقومه، وتعددت على يديه المعجزات، وكثرت الآيات والبيّنات، حتى استيقنوا صدقه، ولكن الكنود طبيعة الظالمين، والجحود عادة الفاسقين، يقول تعالى فيهم : ﴿وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَحَجَّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢).

وهذا الصادق المصدوق - عليه السلام - الذي لا ينطق عن الهوى، يأتيه خبر من أحبار اليهود، فيقول : جئت أسألك. فقال له رسول الله ﷺ : «أينفعك شيء إن حدثتك» فيقول : أسمع بأذني، فيقول له «سل»، فيسأل عن شيء من أمور الآخرة، ثم يقول مرة أخرى : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. فيقول له : «ينفعك إن حدثتك» فيقول : أسمع بأذني... الحديث. (٣)

فهذا اليهودي لم يأت مسترشدا وإنما جاء مختبرا للنبي ﷺ، كما أنه لا يرى أنه ينتفع بحديث النبي - عليه السلام - وإنما يسمع سماعا بأذنيه، ولا يضر ذلك النبي ﷺ شيئا.

أفبعد ذلك هل يريد كل محاور جزم أنه على الحق، وعرف أن خصمه على الباطل، أو غلب على ظنه ذلك، هل يريد أن يذعن له الآخرون ويتبنون رأيه ويتنازلون عن آرائهم في لحظة واحدة وبكل تلك السهولة؟ إن ذلك قد لا يكون - إلا قليلا - ومع نوعيات معينة من الخصوم، وليس المحاور بأكرم على الله من أنبيائه ورسله، وقد تقدم شيء من مواقف المخالفين لهم، فليسعه ماوسع الذين أنعم الله عليهم، من الصبر على مثل هذا، والرضا بالمخالفة مع الإقتناع.

١ - يوسف : ٣٥.

٢ - النمل : ١٢ - ١٤.

٣ - تقدم ذكره في مبحث «التواضع». وسيأتي بطوله ص : ٤٣٠.

المبحث السابع : أساليب وطرق فى الاستدلال

تقدم فى ثنايا البحث الكلام عن عدد من طرق الاستدلال، وأساليب نافعة فى الحوار، فقد تقدمت الإشارة إلى أسلوب السبر والتقسيم والاستفهام الاستنكارى وضرب الأمثلة والتسليم والانتقال فى الدليل والتحدى والإفحام ونحو هذا مما دخل فى ضمن الآداب العلمية أو اللفظية أو النفسية على نحو ما سبق، وهناك قواعد مهمة ربما لم يسبق الإشارة إليها، وأساليب لا يستغنى عنها المحاور، أفردت لها هذا المبحث لتذكر بايجاز تنبيهها عليها وإتماما للفائدة.

فمن القواعد المهمة فى هذا الجانب مايلي (١).

- ١ - تخلى كل من الطرفين المتحاورين عن وجهة نظره المسبقة، وإعلانهما الاستعداد لتقبل الحقيقة بعد ظهورها. وفى القرآن إشارة إلى هذه القاعدة فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا أَوْأَيُّكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢).
- ٢ - افتراض صحة الطرف الآخر، حتى تتبين الحقيقة، أو على الأقل مجاراته حتى يصل إلى الحق، أو وصولا إلى تبكيته وإلزامه.
- ٣ - التزام الطرق الإقناعية الصحيحة لدى الحوار ومن ذلك : تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعوى، مع إثبات صحة النقل فى المرويات والنقول، وهذا معنى القاعدة المعروفة : «إن كنت ناقلًا فالصحة، أو مدعيًا فالدليل» ومن ذلك التزام الأدلة الأصولية أو العقلية، وتقديمها مؤيدة بالقرآن أو الحديث.
- ٤ - ألا يكون فى الدليل الذى يقدمه المحاور تعارض، فيكون بعض كلامه ينقض بعضه الآخر، فيسقط استدلاله بداهة.
- ٥ - ألا يكون الدليل ترديدًا لأصل الدعوى، وإلا لم يكن دليلا بل هو إعادة للدعوى وتكرار لا يغني عن الحق شيئا.
- ٦ - عدم الطعن فى الأدلة المخالفة، إلا ضمن أسس المنطق السليم والقواعد المسلم بها.
- ٧ - التسليم بالمسلمات وقبول النتائج التى توصل إليها الأدلة القاطعة، وعدم إنكار شيء من ذلك أو الإصرار على مخالفتها فهو ممارسة مرفوضة فى أصول المحاورات، وليست من صفات طالب الحق.

١ - انظر أدب الحوار لجريشة ص ٦٧-٦٨، ومناهج الجدل ص ٤٤٦-٤٥٠.

٢ - سبأ : ٢٤.

وبعد هذه القواعد المختصرة أذكر شيئا مما يتعلق بمنهجية الحوار، وطرق الاستدلال، وأساليب الرد والإقناع - بإيجاز واختصار أيضا - فمنها :

١ - الاستدلال بالقصص القرآني : فمن أعظم وسائل الإقناع، وأسرع طرق التأثير، قصص القرآن، فقد يساق الدليل في قصة ويأخذ صورته من واقع الحياة في حوادثها، فتصغي إليه الآذان، وتميل إليه النفوس، وترتاح إليه الأفئدة، وتتأثر بما فيه من عظات وعبر.

ومثال هذا ذكر الله عز وجل لبعض قصص الأنبياء كإبراهيم وموسى - عليهما السلام - وقد كان العرب يعظمون إبراهيم وكان اليهود يعظمون موسى، فعندما يأتي الدليل في سياق القصة على لسان رسول - يقدره السامعون وربما ينتسبون إليه، فإن ذلك يعطي الدليل قوة فوق قوته (١).

٢ - المطالبة بتصحيح الدعوى (٢). فمتى كانت الدعوى عارية من الدليل، خالية من السلطان والبرهان، سقطت (٣). ومن ذلك ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في قوله عز وجل : ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤) حيث قال (٥) : (فهذا مطالبة لهم بتصحيح دعواهم وترديد لهذه المطالبة بين أمرين لا بد من واحد منهما، وقد تعين بطلان أحدهما فلزم ثبوت الآخر، فإن قولهم : لن تمسنا النار إلا أياما معدودة خبر عن غيب لا يعلم إلا بالوحي، فإذا أن يكون قولاً على الله بلا علم فيكون كاذباً، وأما أن يكون مستنداً إلى وحي من الله وعهد عهده إلى المخبر، وهذا منتف قطعاً، فتعين أن يكون خبراً كاذباً قائلاً كاذب على الله تعالى (٦).

١ - مناهج الجدل : ص ٧٩ بتصرف يسير .

٢ - تقدم ما يشبه هذا النوع في مبحث «الدليل» .

٣ - انظر الرد على المخالف : ص ٦٢ .

٤ - البقرة : ٨٠ .

٥ - بدائع الفوائد : ١٤٣/٤ .

٦ - تقدمت الإشارة الى هذه الآية في مبحث «الإحتمالات» .

٣ - القول بالموجب : وهو رد دعوى الخصم من فحوى كلامه، كأن يثبت الخصم صفة لشئ، فيثبتها المحاور لشئ آخر غير الذي يقصده الخصم، كما فى قوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) فكأنه قال : صحيح ما قلتموه : ليخرجن الأعز منها الأذل، ولكن الأعز هو الله ورسوله والمؤمنون وأنتم الأذل (٢).

٤ - اظهار التشهي والتحكم : وهو أن يبين للخصم أنه لاجبة له فيما يدعيه سوى التشهي والتحكم بالباطل، حيث إنه إذا جاءه ما يوافق رأيه وهواه قبله، وإن جاءه ما لا يشتهيه رده (٣)، ومثاله الرد على أهل الكتاب فى قوله تعالى : ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٤).

٥ - ابطال دعوى الخصم باثبات نقيضها : وهذا كقوله تعالى فى شأن اليهود : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ. قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِينَ تُبَدُّونَهَا وَتَخْفُونَ كَثِيرًا.. (الآية)﴾ (٥) فهنا أثبت تناقضهم حيث يفتخرون على العرب بأنهم - أي اليهود - أصحاب علم وكتاب - ثم يزعمون أنه ما أنزل الله من شيء (٦).

٦ - الاستدلال بلازم كلام الخصم : وذلك أن كثيرا من ادعاءات الخصوم يلزم منها أمور لا يقرونها (٧)، فيمكن إفحام الخصم ببيان أن دعواه تلزمه القول بمالم يقله ولم يعترف به هو، ومثال هذا الاستدلال على من نسب لله الولد، بأن هذا يلزم منه وجود صاحبة، وهذا مالم يقل به أحد من هؤلاء الخصوم؟

١ - المنافقون : ٨.

٢ - انظر الاتقان : ٤/٦٥-٦٦، مناهج الجدل : ص ٨١.

٣ - انظر الرد على المخالف : ص ٦٥.

٤ - البقرة : ٨٧.

٥ - الأنعام : ٩١.

٦ - انظر مناهج الجدل ص ٨٥.

٧ - الحوار مع أهل الكتاب ص ٢٢٨ بتصرف.

فقال سبحانه : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ. بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).

٧ - الإسجال : وهو أن تثبت وتضبط على لسان الخصم ألفاظا فى سياق آخر تسجل به عليه ماكان عنده محل شبهة وانكار(٢)، ومثاله قوله عز وجل : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ (٣). فقولهم: «نعم» هنا يعبراسيالا إذا أن ما اعترفوا به هنا كان محل شبهة وانكار منهم .

٨ - المناقضة(٤) : وهى تعليق الأمر على مستحيل للدلالة على استحالة وقوعه أبدا، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحَظَ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ...﴾ (٥). إلى غير ذلك من الطرق والأساليب التى يمكن للمحاور أن يستفيد منها فى الاستدلال على خصمه ويحكم الرد عليه.

١ - الأنعام : ١٠٠ - ١٠١.

٢ - الإتقان : ٦٥/٤ - ٦٦.

٣ - الأعراف : ٤٤ - ٤٥.

٤ - الإتقان : ٦٥/٤ - ٦٦ وأنظر آداب البحث للشنقيطي ص ٥٥ - ٥٦.

٥ - الأعراف : ٤٠.

المبحث الثامن : محاذير عامة

هذا المبحث خاص بتنبيهات عامة، وملاحظات مهمة، أذكر فيه أموراً يحسن بالمحاور أن يحذرهما، تختلف مراتبها، فمنها ما يتعلق بنية المحاور وقصده - مثلاً -، والتلبس به قد يفسد العمل - والعياذ بالله -، ومنها ما يتعلق بأسلوب الحوار وطريقة الاستدلال، وتعمره قد يطعن في أمانة فاعله أو يقدر في صحة منهجه، ومنها أمور عامة لا ينبغي أن يغفل عنها المحاور إذ لها تأثير كبير على نجاح الحوار، ولذلك فيمكن تقسيم هذه المحاذير إلى أصناف ثلاثة :

أ - محاذير تتعلق بنفسية المحاور وقصده : (وهي ملخصة - تقريباً من كلام الغزالي في الإحياء (١) فمنها :

١ - أن يكون الغرض من مناظراته ومحاوراته لقصد الغلبة والافحام وإظهار الفضل والشرف والتشدد عند الناس، وقصد المباهاة والمماراة، واستحالة وجوه الناس، وهذه إذا غلبت على النفس دعته إلى إضمار الخباثت كلها في النفس، وهيبت فيها جميع الأخلاق المذمومة، (فإن آنس المحاور من نفسه الحيد عن الغرض الصحيح فليكيفها بجهد، فإن ملكها وإلا فليترك المناظرة (٢)

٢ - الحسد : وذلك عندما يذكر محاوراً بقوة حجته وسعة علمه، أو عندما يرى أن محاوره أحسن منه كلاماً، وأقوى نظراً، فيلجأ إلى حسده وتمني زوال تلك النعم عنه، وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه.

٣ - التكبر على الأقران والأمثال، والترفع إلى فوق قدره، بحجة صيانة عز العلم أو ترك الذل.

٤ - الحقد على الخصم الذي ظهر منه الحق، أو على من قبل كلام خصمه وتوقف في كلامه هو، فيعمد إلى إضمار الحقد وتربيته في نفسه، وكذا لو صدر من خصمه قلة مبالاة بكلامه فربما انغرس في صدره حقد دفين، وكل هذا مما ينبغي أن يتلخص منه المحاور المخلص.

١ - الإحياء : ٥٨/١ - ٦٠ بتصرف.

٢ - شرح الكوكب المنير : ٣٦١/٤ بتصرف.

٥ - التجسس وتتبع عورات خصمه وطلب عثراته، حتى يعدها ذخيرة لنفسه في إفصاحه وتخجيله، عندما تعييه الحجة ويحس بالغلبة.

٦ - الفرح لمساءة مخالفه والغم لمسارهم، ومن لا يحب لآخيه ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين، فيتحول العلم بينه وبينهم إلى عداوة قاطعة، وتباغض دائم.

٧ - النفاق بأن يلقي الخصوم ومحبيهم وأشياءهم بالتودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والإعتداد بمكانهم وأحوالهم، وبالثناء عليهم ومدحهم - بالباطل - في وجوههم، مع ما يمكنه لهم من بغض وعداوة في القلب.

٨ - الاستكبار عن الحق وكراهته والمماراة فيه، والتعصب للباطل، وأن يكون أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر الحق على لسان خصمه، فيندفع إلى جده وإنكاره بأقصى جهد، ويبذل غاية إمكانه في المكر والحيلة حتى لا يعترف بخطئه.

٩ - الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم، وصرف وجوههم، وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه، والآخرى بالمحاور أن يرسل النفس على سجيته ويرغب بها عن لبسة الرياء والتصنع كما هي عادة السلف. (١)

ب - محاذير تتعلق بالجانب العلمي وأسلوب الحوار فمنها :

١ - بتر النقول والنصوص لتوافق الرأي والهوى، والدس في السنة أو في كلام العلماء، وتحريف الكلم عن مواضعه بالتأويل وفاسد القياس، ومعارضة النص بالرأي والنقل بالعقل، وتحكيم ظواهر النصوص من غير التفات إلى مقاصدها، والتحريف في دلالة النص.

٢ - الاحتجاج بالكثرة والسواد الأعظم* وبمقامات الشيوخ والتغالي فيهم وتعظيم خطر مخالفتهم بما يخرج عن حدود الشرع، والتهويل بدعوى الإجماع.

٣ - الاحتجاج بالضعاف والواهيات في المرويات، ودعوى تناقض السنة مع السنة أو مع القرآن، وضرب الأقوال بعضها ببعض. (٢)

١ - انظر عيون الأخبار لابن قتيبة : ص ٤٦ .

٢ - انظر لهذه الثلاث : الرد على المخالف ص ٥٨ - ٥٩ ، والاعتصام للشاطبي : ٢٣١/١ ، ٢٤٩ .

٢٥٨ .

(*) المتعصبون هنا عوام الناس ودهماءهم، والاحتجاج بهم على الباطل لمجرد كثرتهم .

- ٤ - النقلة : وهي (ذكر الشبهة نقدا وردها نسيئة، بمعنى أن يسوق المناظر الشبهة ويشخصها، ثم يحيل على الجوانب عنها، أو لايحكم ردها. (١X)
- ٥ - الأخذ ببعض الكتاب وترك البعض، فلا تقبل التجزئة ولا التفرقة في نصوص الشرع، بل إن ذلك تحكم ليس له مايبرره. (٢)
- ٦ - المصادرة : وهي جعل المطلوب إحدى مقدمتي الدليل، بعد تغير طفيف في لفظها، ليتوهم المغايرة بين النتيجة والمقدمة.
- والمعاندة : وهي المنازعة بين شخصين لا يفهم أحدهما كلام الآخر وهو يعلم فساد كلامه الذي تكلم به.
- والجواب الجدلي : وهو ما يذكره المجيب وهو يعتقد بطلانه. (٣)
- والغصب : وهو محاولة إبطال دعوى الخصم قبل أن يقدم الدليل عليها. (٤)
- ج - محاذير أخرى تتعلق بالحوار :
- ١ - الخوض فيما لا ينبغي عليه عمل، سواء من أعمال القلوب أو الجوارح، فلا ينبغي أن يكون الحوار إلا في علم نافع، أو وسيلة إلى عمل صالح، وإلا كان إهدارا للوقت والجهد.
- ٢ - الإختصار المخل بالفهم، والتطويل الممل للسامع، فيشغله عن المطلوب، والخروج عن موضوع المناظرة مما يفوت القصد منها.
- ٣ - الخروج من الحوار دون الوصول إلى نتيجة، سواء كانت اقناعا بحق أو دحضا لباطل، فإذا لم تتحقق الثمرة كان الحوار مضيعة للوقت، وتبيدا للجهد، ومباعدة بين القلوب. (٥)

-
- ١ - الرد على المخالف : ص ٦٣.
- ٢ - أدب الحوار لجريشه : ص ٩٩ بتصرف.
- ٣ - انظر آداب البحث والمناظرة للشنقيطي ص ٧٤ - ٧٥.
- ٤ - أدب الحوار لجريشه ص ٧١.
- ٥ - انظر أصول الحوار ص ٥٠.

٤ - لقد طعن الدين بسكين الحوار، في دعوات هدامة، ومؤامرات هزيلة، ومشروعات سقيمة تتبنى شعارات مختلفة، تدعو فيها إلى : «زمانة الأديان»، «الحوار بين الأديان»، «التقريب بين الأديان»، وأحياناً باسم «جمعيات الصداقة بين الأديان»، وأخيراً : «مشروعات السلام»، ونحوا من هذه المسميات وإنما جوهر هذه الدعوات هو أن يكسب أعداء الدين من اليهود والنصارى - خاصة - اعترافاً من المسلمين بصحة دينهم^(١)، وإثباتاً لعدم وجود فوارق بين الإسلام وغيره من الأديان، ويتم ذلك من خلال حوارات وجولات ومناقشات، ويترتب على هذه الحوارات والمؤتمرات، تغيير لهوية الأمة الإسلامية من أصلها، بتغيير اعتقادها بهيمنة هذا الدين وأنه لا يقبل عند الله دين غيره : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢)، وبتغيير مفهوم الولاء والبراء، وبتغيير طريقة تفكيرها ومناهج تعليمها، وكل ما فيه مساس بتلك الأديان المحرفة الباطلة، وتلك «شنشنة نعرفها من أخزم»^(٣)، وينبغي أن يحذر المتحاورون، ويتنبه لخطورتها العلماء المخلصون، حتى لا يقعوا فريسة في أيدي أعدائهم باسم الحوار والتقارب والسلام.

١ - انظر : أهمية الجهاد - د. علي العلياني (ص : ٤٤٩).

٢ - آل عمران : ٨٥.

٣ - انظر كتاب «جمهرة الأسماء» لأبي عبد الله العسكري : ١/ ٥٤١، رقم ٩٩٥. ط. المؤسسة العربية للدراسة - القاهرة ١٩٨٤ هـ.

المبحث التاسع : مناظرات وحوارات : نماذج تطبيقية

بعد الانتهاء من الآداب وما يتعلق بها من ضوابط ومحاذير، رأيت أن أختتم البحث بذكر نماذج مثالية وأمثلة رائعة، حققت الحوار على أصوله، وراعت الآداب بدقة، فكان من جاء بعدها عالة عليها في تعلم الحوار وآدابه، والمناظرة وأهدافها، والجدال بالتي هي أحسن.

وانما أردت جمع بعض النماذج هنا - في مبحث مستقل - لما رأيت الآداب قد تكاثرت، والضوابط قد تعددت، فقد يتسلل إلى بعض النفوس، أن تطبيق ذلك كله في واقع الحوار؛ هو ضرب من الخيال، وأقرب إلى المحال، أو يظن أننا نطلب صورة للمحاور لأمثل لها في الواقع، أو أننا نكلفه بماليس في وسعه، ونلزمه بماليس في طاقته.

فكانت هذه الأمثلة الحية، والشواهد القوية، لحوارات ومناظرات واقعية، لتعيد لنا الأمل في إمكانية عودة حواراتنا ومناقشاتنا إلى الجادة المثلى والطريق الأقوم، وما ذلك على الله بعزيز.

ونظرا لكثرة النماذج وتعددتها، ولما تقدم ذكره منها في ثنايا البحث - خاصة ما جاء منها في الكتاب والسنة -، فسأختار من بين الكم الهائل من الأمثلة، ما كان أقصر وأخصر، وأدل على المطلوب وأيسر، وأكتفي بالبعض للدلالة على البعض الآخر، مراعيًا في ذلك تنوع الأهداف واختلاف المواقف، وأعرض عما تقدم ذكره في مباحث الرسالة اكتفاء بذلك، إلا ما لزم إعادته لغرض أبينه -، وحيث إن ماتقدم من نماذج أكثرها من حوارات الكتاب والسنة، فستكون أكثر الأمثلة هنا من سير الصحابة أو التابعين، ومن قصص العلماء والدعاة وحواراتهم اللطيفة.

النوع الأول : من حوارات القرآن :

١ - واخترت أن يكون في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، في دعوتهم إلى التوحيد، ومع أن ذلك تقدم ولكن ربما كان ذكره عارضا، أو متفرقا في عدة مواضع، فلا بأس من إعادته مع التعليق بما يناسب الحال، فإلى وقائع هذا الحوار :

- لقد ذكره الله تعالى بمقدمة تبين مدى قوة إبراهيم ورشده وما آتاه الله من الحجة (١) :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾، وهذا الرشد يقتضي منه دعوة إلى الحق وإنكارا للباطل، ومن ثم يبدأ الحوار : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾.

فيردون ردا ساقطا ضعيفا : ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾. فيهاجمهم في صراحة وقوة وجراءة : ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

فيجيبون في سفاهة منهم : ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾. فيردهم إلى الفطرة لعلهم يعقلون : ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

ثم يثبت لهم حسيا بطلان تلك الآلهة المزعومة وعجزها : ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾. فتنازعوا واختلفوا فيمن تجرأ بهذا العمل ف : ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ﴾.

وهنا حانت الفرصة ليكتبهم ويهزمهم ليستفيقوا : ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾. ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾.

وهنا يتدخل إبراهيم ليقم عليهم الحجة، وليصل بهم إلى الافحام : ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفُ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

فيصلون إلى فقدان الحجة وضياح الدليل، فيلجأون إلى القوة : ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ولكن تبوء مؤامرتهم بالفشل فيبطلها الله عز وجل : ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾. (٢)

١ - انظر التعليق على الآيات في أدب الحوار لجريشه : ص ١٤٠.

٢ - الانبياء : ٥١ - ٦٩.

٢ - بين أهل الجنة وأهل النار (١)

حوار فيه ثلاثة أطراف : أهل الجنة، أهل النار، أصحاب الأعراف :
يبدأ الحوار بأصحاب الجنة : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ ومن ثم يتوجهون إلى أصحاب النار :

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.
فيتدخل أصحاب الأعراف يخاطبون أهل الجنة : ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

ثم ينتقل الحوار إلى أصحاب النار : ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَغْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ. أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.
وعندها يندم المفرطون، فيسألون ويطلبون : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

فيأتيهم الرد بالتبكيك زيادة في ألمهم، من قبل أهل الجنة : ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾ (٢) الآيات.

النوع الثاني : من حوارات السنة :

لقد تعددت حوارات السنة وكثرت، حتى عد بعض الباحثين، اثنتين وسبعين قصة، اشتملت على مائة وأربع وستين صورة للحوار، استخرجها من تسعة مصادر من أمهات كتب السنة (٣).

١ - انظر أدب الحوار والمناظرة : ص ١٤٠ - ١٤١.

٢ - الأعراف : ٤٣ - ٥١. (وذكرت كلام أصحاب الأعراف هنا إماماً للآيات والقصص، والافليس لهم حوار في الآيات)

٣ - انظر رسالة : القصص في الحديث النبوي - محمد بن حسن الزير ص ٢٥٠، وتقدم في مقدمة هذه الرسالة ذكر العدد الذي وجدته من النماذج والأمثلة والشواهد للحوار.

وقد تقدم فى ثنايا هذا البحث عدد من هذه الحوارات، أشير الى بعضها بإختصار، وأذكر نموذجين منها كما جاءت فى الأحاديث. (١)

- ١ - فمنها : حوار ه ﷺ مع ضمام بن ثعلبة.
- ٢ - ومنها: حوار ه مع السعدين فى غزوة الأحزاب.
- ٣ - ومنها : حوار ه اللطيف مع عتبة بن ربيعة.
- ٤ - ومنها : الحوار بين الرب سبحانه وملائكته الطوافين الذى يتبعون مجالس الذكر. (٢)

- ٥ - ومنها : مذكره النبي ﷺ من محاجة بين آدم وموسى - عليهما السلام ..
- ٦ - ومنها : مذكره أيضا من حوار موسى وخضر - عليهما السلام ..
- ٧ - ومنها : ماجاء من حوار ه مع وفد عبد القيس حين قدموا عليه.
- ٨ - ومنها : حوار ه مع اليهودي، والذي تمثلت فيه آداب وصور للحوار فريدة، واذكر هذا الحوار كاملا كما فى صحيح مسلم (٣) فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال : كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر (٤) من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد! فدفعته دفعة كاد يصرع منها. فقال : لم تدفعني؟ فقلت : ألا تقول يا رسول الله! فقال اليهودي : انما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ : « ان اسمي محمد الذى سمانى به أهلى » فقال اليهودي : جئت أسألك. فقال له رسول الله ﷺ : « أينفعك شئ إن حدثتك؟ » قال : أسمع بأذنى. فنكت (٥) رسول الله ﷺ بعود معه.

-
- ١ - تقدم ذكر هذه الأمثلة ومن أخرجها فى عدة مواضع من البحث.
 - ٢ - أخرجه البخاري : الدعوات (٦٤٠٨)، مسلم : الذكر ٢٥، الترمذي : الدعوات (٣٦٠٠).
 - ٣ - انظر صحيح مسلم : ٢٥٢/١ كتاب الحيض : ٣٤ وتقدم شئ منه فى مبحث التواضع.
 - ٤ - الحبر : بالكسر والفتح : العالم (المصباح المنير ص ٤٥، شرح النووي : ٢٢٦/٥).
 - ٥ - نكت : أي جعل يخط بالعود فى الأرض ويؤثر به فيها، وهذا يفعلها المفكر. (النوي : ٢٢٦/٣).

فقال «سل» فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض
والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ : «هم فى الظلمة دون الجسر(١)» قال : فمن
أول الناس إجازة(٢)؟ قال : «فقراء المهاجرين» قال اليهودي : فما تحفتهم(٣)
حين يدخلون الجنة؟ قال : «زيادة كبد النون(٤)» قال : فما غذاؤهم على اثرها؟ قال
: «ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها» قال : فما شرابهم عليه؟
قال : «من عين فيها تسمى سلسبيلا» قال : صدقت. قال : وجئت أسألك عن شئ
لا يعلمه أحد من أهل الأرض. إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال : «ينفعك إن
حدثتك؟» قال : أسمع بأذنى. قال جئت أسألك عن الولد؟ قال : «ماء الرجل
أبيض وماء المرأة أصفر. فاذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة،
أذكرا بإذن الله. وإذا علا مني المرأة مني الرجل، آنتا(٥)» قال اليهودي : لقد
صدقت. وإنك لنبي. ثم انصرف فذهب.

فقال رسول الله ﷺ : «لقد سألتنى هذا عن الذى سألتنى عنه. ومالى علم بشئ
منه. حتى أتانى الله به».

٩ - ومنها : إخباره بقصة الغلام المؤمن ومافيه من الحوارات : بين الملك
والراهب، وبين الغلام وجليس الملك، وبين الغلام والملك، وغيره، ومما جاء
فيه : (فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ماهنا لك أجمع
ان أنت شفيتنى، فقال إنى لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله تعالى، فان آمنت
بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى، فأتى الملك
فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك : من رد عليك بصرك؟ قال : ربي. قال :
ولك رب غيري؟ قال : ربي وربك الله ... الخ الحديث(٦).

١ - أي الصراط : (النووي : ٢٢٦/٣).

٢ - الاجازة : الجواز والعبور : (النووي : ٢٢٧/٣).

٣ - التحفة : ما يهدى الى الرجل ويخص به ويلطف (النووي : ٢٢٧/٣).

٤ - النون : الحوت (الصحيح : ٢٢١٠/٦).

٥ - أذكرا : كان الولد ذكرا، آنتا : كان أنثى : (النووي : ٢٢٨/٣).

٦ - أخرجه مسلم : كتاب الزهد ٢٢٩٩/٤ رقم ٧٣ ، أحمد ١٧/٦.

النوع الثالث : من حوارات الصحابة :

- وهذه أمثلتها كثيرة أيضا، وقد تقدم بعضها مختصرا في ثنايا البحث ومنها :
- ١ - حوار عمر - رضي الله عنه - مع اليهود في عداوتهم لجبريل.
 - ٢ - حوارات الصحابة المتعددة في مسألة الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ.
 - ٣ - حوار علي مع اليهودي الذي أنكر على المسلمين اختلافهم في الخلافة وسعي بعضهم لها، ورد علي عليه بالإنكار عليه لما قالوه لموسى. ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (١).
 - ٤ - حوار حاطب والمقوقس إذ قال المقوقس مكذبا للرسول : (ونبي الله يغلب؟) فأجابه حاطب بقوله : (وابن الله يصلب؟).
 - ٥ - حوار ابن عباس للخوارج : وأعيد بعض وقائع هذا اللقاء لأهميته ولحسن أداء ابن عباس - رضي الله عنه - فأول ما دخل عليهم ابن عباس قالوا : مرحبا بك ابن عباس ! ماجاء بك؟ وما هذه الحلة؟ قال : ماتعيبون علي؟ لقد رأيت علي رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من هذه الحلل، ونزلت ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (٢) قالوا : فما جاء بك؟ قال : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ومن عند صهر رسول الله ﷺ، عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، وليس فيكم منهم أحد.
 - فقال بعضهم : لاتخاصموا قريشا فان الله تعالى يقول ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٣) وقال رجلان أو ثلاثة لو كلمتهم. قال : قلت أخبروني ماتنقمون على ابن عم رسول الله وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟ قالوا : ننقم عليه ثلاثا.
 - قال : وماهن؟
 - قالوا : أولهن أنه حكم الرجال في دين الله، وقد قال الله ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾ فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل. قال : قلت وماذا؟

١ - الأعراف : ١٣٨.

٢ - الأعراف : ٣٢.

٣ - الزخرف : ٥٨.

قالوا : وقاتل ولم يسب ولم يغنم، لئن كانوا كفارا لقد حلت له أموالهم ، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم قال : قلت وماذا ؟
قالوا : محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال : قلت أعندكم سوى هذا ؟

قالوا : حسبنا هذا .

قال أرايتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيه مالا تنكرون أترجعون؟
قالوا : نعم.

قال أما قولكم : حكم الرجال في دين الله، فإن الله تعالى يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ...﴾ إلى قوله ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (١) وقال في المرأة وزوجها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ﴾ (٢).
أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وإصلاح ذات بينهم أحق، أم في أرنب ثمنها ربع درهم، وفي بضع امرأة. وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال.

قالوا : اللهم في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم.

قال : خرجت من هذه؟ قالوا : اللهم نعم.

قال : وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتعسبون أمكم عائشة، أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (٣) فأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؟ فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا : اللهم نعم قال : وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بما ترضون، فإن رسول الله ﷺ

١ - المائدة : ٩٥ .

٢ - النساء : ٣٥ .

٣ - الأحزاب : ٦ .

دعا قريشا يوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتابا، فكتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان. فقال : اكتب يا علي هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال والله إنني لرسول الله حقا وإن كذبتُموني، اكتب يا علي : محمد بن عبد الله، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي - رضي الله عنه. وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه. أخرجت من هذه؟

قالوا : اللهم نعم. فرجع منهم ألفان، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة (١). فرحم الله ابن عباس وحواره البليغ.

٦ - ومن ذلك أيضا مدار من حوار طويل : بين عمرو بن العاص وملك عمان جيفر وأخيه عبد ابني الجلندي (٢).

قال عمرو : فخرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها، عمدت إلى عبد، وكان أحلم الرجلين وأسهلها خلقا، فقلت اني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك، فقال : أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك اليه حتى يقرأ كتابك، ثم قال : وماتدعوا اليه؟ قلت : أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ماعبد من دونه، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال : يا عمرو إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك، فإن لنا فيه قدوة؟ قلت : مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ، ووددت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام، قال : فمتى تبعته؟ قلت : قريبا فسألني أين كان كان إسلامك؟ قلت : عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم، قال : كيف صنع قومه بملكه؟ فقلت : أقروه واتبعوه، قال : والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت : نعم. قال : انظر يا عمرو ماتقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفصح له من الكذب، قلت : ماكذبت، ومانستحله في ديننا، ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي، قلت : بلى. قال : بأي شيء علمت ذلك؟ قلت : كان النجاشي يخرج له خرجا، فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ، قال : لا والله، لو سألني درهما واحدا ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، فقال له يناق أخوه : أتدع عبدك لا يخرج لك خرجا، ويدين دينا محدثا؟

١ - تقدم تخريجها في الباب الأول ص ٣٧.

٢ - انظر زاد المعاد : ٦٩٣/٣ - ٦٩٦.

قال هرقل : رجل رغب في دين فاختره لنفسه ما أصنع به، والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع، قال : انظر ماتقول يا عمرو، قلت : والله صدقتك. قال عبد : فأخبرني ما الذي يأمر به، وينهى عنه؟ قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنى، وعن الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. قال : ما أحسن هذا الذي يدعو اليه، لو كان أخي يتابعني عليه، لركبنا حتى نؤمن بمحمد، ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً، قلت : إنه إن أسلم، ملكه رسول الله ﷺ على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم، فردها على فقيرهم. قال : إن هذا لخلق حسن، وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال حتى انتهت إلى الابل. قال : يا عمرو : وتؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر، وترد المياه؟ فقلت : نعم. فقال : والله ما أرى قومي في بعد دارهم، وكثرة عددهم يطيعون بهذا، قال : فمكثت ببابه أياماً، وهو يصل إلى أخيه، فيخبره كل خبري. ثم إنه دعاني يوماً، فدخلت عليه. فأخذ أعوانه بضبعي، فقال : دعوه، فأرسلت، فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه، فقال : تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففص خاتمه، وقرأ حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه، فقرأه مثل قراءته، إلا أنني رأيت أخاه أرق منه، قال : ألا تخبرني عن قریش كيف صنعت؟ فقلت : تبعوه إما راغب في الدين، وإما مقهور بالسيف. قال : ومن معه؟ قلت : الناس قد رغبوا في الإسلام، واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الحرجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه، يوطئك الخيل، ويبيد خضراءك، فأسلم تسلم، ويستعملك على قومك، ولاتدخل عليك الخيل والرجال. قال : دعني يومي هذا، وارجع الي غدا، فرجعت الى أخيه، فقال : يا عمرو! إني لأرجو أن يسلم أن لم يضمن بملكه حتى إذا كان الغد. أتيت إليه، فأبى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أنني لم أصل إليه، فأوصلني إليه،

فقال : إنني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي، وهو لاتبلغ خيله هاهنا، وان بلغت خيلة ألفت قتالا ليس كقتال من لاقى. قلت : وأنا خارج غدا، فلما أيقن بمخرجي، خلا به أخوه، فقال : مانحن فيما قد ظهر عليه، وكل من أرسل اليه قد أجابه، فأصبح فأرسل الي فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا، وصدقا النبي ﷺ، وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عونا على من خالفني. (١) اهـ

فهذان حواران بليغان من ابن عباس وابن العاص، ظهر فيهما حسن الأدب في الحوار، وقيمة الالتزام بأصوله وضوابطه، العلمية والسلوكية، مما ألان لهما الخصوم، ورجعوا إلى صوابهم بإذن الله عز وجل.

النوع الرابع : من حوارات العلماء :

وهذه فوق الحصر، إذ لازال العلماء قديما وحديثا يتناظرون فيما بينهم من مسائل العلم كما ورد مثل هذا عن كثير منهم كالشافعي واسحاق وأحمد وغيرهم، كما كانوا يتحاورون مع مخالفيهم من الكفرة أو المبتدعة أو غيرهم، وسأختار بعضا من الأمثلة مختلفة في أزمانها ومناسباتها وموضوعاتها :

١ - مناظرة في خلق القرآن : وهي التي كانت بين أحمد بن أبي دؤاد - شيخ المعتزلة - وبين شيخ كبير من أهل السنة (١) وملخصها :

أنه أدخل هذا العالم على الخليفة فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال : لاسلم الله عليك. فقال : يا أمير المؤمنين، بئس ما أدبك مؤدبك قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾ (٢)

فقال ابن أبي دؤاد : الرجل متكلم. قال له : كلمه، فقال : ياشيخ ماتقول في القرآن؟

قال : لم ينصفني، ولي السؤال. قال : سل، قال : ماتقول في القرآن؟ قال : مخلوق.

١ - سير أعلام النبلاء : ٣١٣/١١، الاعتصام : ٢٤٢/١.

٢ - النساء : ٨٦.

قال الشيخ : هذا شئ علمه النبي ﷺ، وأبو بكر وعمر، والخلفاء الراشدون أم شئ لم يعلموه؟ قال : شئ لم يعلموه. فقال : سبحان الله! شئ لم يعلمه النبي ﷺ، علمته أنت؟ فحجل. فقال : أقلني، قال : المسألة بحالها. قال : نعم علموه، فقال : علموه ولم يدعوا الناس اليه، قال : نعم. قال : أفلا وسعك ماوسعهم؟ ففي هذا إقامة الحجة على الخصم وإفحامه.

٢ - وتناظر الشافعي واسحاق بن راهويه في كراء بيوت مكة وكان الشافعي يرى جواز ذلك، ويرى إسحاق المنع : فقال الشافعي : قول الله عز وجل : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ (١). نسب الديار إلى مالكيها أو إلى غير مالكيها؟ قال اسحاق بل إلى مالكيها. قال فقول النبي ﷺ يوم فتح مكة : «من أغلق دون بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» (٢). فنسب الديار إلى أربابها أم إلى غير أربابها؟ قال : واشترى عمر بن الخطاب : دار السجن من مالك أو غير مالك؟ قال : من مالك. قال : قول النبي ﷺ «وהל ترك لنا عقيل من دار» (٣) نسب الديار إلى مالكيها أو غير مالكيها؟ قال : إلى مالكيها. فقال إسحاق لكن فلانا وفلانا - من التابعين - يرون غير ذلك. فقال الشافعي. أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيهم؟ قال اسحاق : هكذا يزعمون. قال الشافعي : ما أحوجني أن يكون غيرك موضعك، فكنت أمر بعرك أذنيه. أنا أقول : قال رسول الله ﷺ، وأنت تقول : عطاء وطاوس وإبراهيم والحسن؟ وهل لأحد مع رسول الله ﷺ، حجة (٤).

٣ - وفي إحدى مناظرات الامام الباقلاني - وقد تقدمت له عدة حوارات :- قال له ملك النصارى : هذا الذي تدعونه في معجزات نبيكم من انشقاق القمر، كيف هو عندكم؟ قال : قلت هو صحيح عندنا وانشق القمر على عهد رسول الله - ﷺ - حتى رأى الناس ذلك، وإنما رآه الحاضرون ومن اتفق نظره اليه في ذلك الحال.

١ - الحج : ٤٠ .

٢ - أخرجه مسلم : الجهاد ١٤٠٥/٣ رقم ٨٤ ، أبو داود الأمانة ٣٠٢١ ، أحمد ٢٩٢/٢ .

٣ - أخرجه البخاري : الحج ١٥٨٨ ، مسلم ٩٨٤/٢ رقم ٤٣٩ ، ابن ماجه : الفرائض : ٩١٢/٢ رقم ٢٧٣٠ .

٤ - انظر مناقب الشافعي للبيهقي : ٢١٣/١ - ٢١٥ .

فقال الملك : وكيف ولم يره جميع الناس؟

قال : لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعده لشقوقه وحضوره.

فقال : وهذا القمر بينكم وبينه نسبة أو قرابة، لأي شيء لم تعرفه الروم وغيرها من سائر الناس؟ وإنما رأيتموه أنتم خاصة، وقد علمتم أنه في السماء غير مختص بكم!!

قال فقلت : فهذه المائدة بينكم وبينها نسبة؟ وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوس والبراهمة وأهل الالحاد وخاصة يونان جيرانكم، فإنهم كلهم منكرون لهذا الشأن، وأنتم رأيتموها دون غيركم!!
فتحير الملك، وقال في كلامه : سبحان الله.

ثم قال القاضي - الباقلاني - لقسيس لهم : ألسنت تزعم أن الأرض كروية؟ قال : نعم.

فقال : أفنتكر أن يرى في هذا الاقليم ما لا يرى في اقليم آخر، كالسوف يرى في موضع، دون موضع، وكواكب السماء ترى في موضع دون غيره، أم تقول إن السوف إذا وقع رآه أهل الأرض كلهم؟

قال القسيس : بل لا يراه إلا من كان في محاذاته.

قال قلت : فما أنكرت من انشقاق القمر إذا كان في ناحية لا يراه إلا أهل تلك الناحية، ومن تأهب للنظر له، فأما من أعرض عنه، ومن كان في الأمكنة التي لا يرى القمر منها، فلا يراه.

فقال : هو كما قلت، ما يدفعك عنه دافع، وإنما الكلام في الرواة الذين نقلوه، فأما الطعن في غير هذا الوجه فليس بصحيح.

فقال الملك : وكيف يطعن في النقلة؟

فقال القسيس : شبه هذا من الآيات إذا صح وجب أن ينقله الجم الغفير، حتى يتصل بنا العلم به، ولو كان كذلك لوقع عندنا العلم الضروري به، فلما لم يقع لنا العلم الضروري به، دل على أن الخبر مفتعل باطل. فالتفت الملك، وقال : هات الجواب.

قال القاضي : يلزمه فى نزول المائدة مالزمني فى انشقاق القمر، ويقال له : لو كان نزول المائدة صحيحا لوجب أن ينقله العدد الكثير، فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا ثنوي (١) إلا وهو يعلم بالضرورة، ولما لم يعلموا ذلك بالضرورة دل على أن الخبر كذب، فبهت النصراني والملك ومن ضمه المجلس. (٢)

٤ - وقد ذكر الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - مناظرة لطيفة بين عالم من علماء المسلمين ونصراني :

حيث قال النصراني للمسلم : ناظرني فى الإسلام والمسيحية أيهما أفضل؟ فقال المسلم : هلم إلى المناظرة فى ذلك.

فقال النصراني : المتفق عليه أحق بالاتباع أم المختلف فيه؟ فقال المسلم : المتفق عليه أحق بالاتباع من المختلف فيه.

فقال النصراني : إذن يلزمكم اتباع عيسى معنا، وترك اتباع محمد - ﷺ -، لأننا نحن وأنتم متفقون على نبوة عيسى، ونخالفكم فى نبوة محمد - عليهما السلام -.

فقال المسلم : أنتم الذين تمتنعون من اتباع المتفق عليه.

قال : وكيف. قال المسلم : لأن المتفق عليه الذي هو عيسى قال لكم : ﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ (٣) فلو كنتم متبعين عيسى حقا لاتبعتم محمدا - ﷺ - فظهر أنكم أنتم الذين لم تتبعوا المتفق عليه. فانقطع النصراني. (٤)

١ - الثنوي : نسبة إلى مذهب الثنوية وهو يقول بالهين اثنين. اله للخير واله للشر. (انظر الملل والنحل للشهرستاني (١/٢٤٤).

٢ - انظر ترتيب المدارك : ٥٩٤/٤ - ٦٠٠.

٣ - الصف : ٦.

٤ - انظر أضواء البيان : ١٠٨/٢ بتصرف يسير.

- وهناك العدد الكبير من مثل هذه القصص والحوارات والمناظرات التي يطول المقام بذكرها - كالمناظرة التي ذكرها الامام ابن القيم بينه وبين نصراني(١)، والتي بهت فيها الذي كفر - وغير ذلك.

- وانما المقصود أن نستنشق عبق الأدب الحسن والخلق الجميل، من خلال هذه الحوارات ونحوها، وأن تكون أماننا كنماذج واقعية، وأحداث حية، نسعى جميعا للاقتداء بآداب أصحابها والسير على نهجهم القويم، والحمد لله رب العالمين.

خاتمة البحث

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد:

فقد كان موضوع «آداب الحوار» موضوعاً شيقاً وممتعاً - ولله الحمد والمنة -، فقد دعاني البحث فيه إلى تدبر كثير من آيات القرآن، ومطالعة عدد من كتب السنة، وفي ذلك من الخير والفائدة واللذة ما فيه، ثم الإطلاع على شيء من السير وأحداث التاريخ وقصص السلف، وفي هذا - أيضاً - متعة عظيمة.

وبعد هذه الجولة في ظل الكتاب والسنة مع «آداب الحوار»، أخلص إلى الآتي:

أولاً : أهم النتائج :

١ - كمال هذا الدين وعظمته في جميع جوانبه، إذ لم يترك خيراً إلا ودل عليه، ولا شراً إلا وحذر منه.

٢ - وتبعاً لذلك فقد اهتم الإسلام إهتماماً بالغاً بأدب الحوار وأصوله وضوابطه، وقواعده وشروطه، ضماناً لسلامته من الشوائب، وسعيًا لتحقيق الأهداف المنشودة منه.

٣ - إن أهداف الحوار وغاياته متعددة كثيرة، إذ به تتحقق مصالح عظيمة للأمة وللأفراد، ويكفي أن الحوار وسيلة - لا يمكن الاستغناء عنها - من وسائل الدعوة، فعن طريقه يمكن عرض الإسلام وإقناع الآخرين بقضائيه، وكذا رد شبهات المعاندين وكيد الكائدين.

٤ - إن الأدب في الحوار، لا يقل أهمية عن الحوار نفسه، إذ فقدان الأدب، وعدم مراعاة الظروف والمواقف، قد يؤدي إلى نتائج سلبية، ويزيد التنافر والإختلاف بين المتحاورين، أو يقضي على الحوار ويهدمه من أساسه.

٥ - ينبغي للمسلم ألا يتجاسر على الحوار ويدخل فيه، ما لم يحقق الأهلية في هذا، ويتأكد من انطباق الشروط اللازمة عليه، ومن ذلك القدرة على إلزام آداب الحوار، مع التمكن من إدارة الحوار بالعلم والحكمة ونحوهما.

٦ - لقد احتوت نصوص الكتاب والسنة على أقوم الطرق، وأهدى السبل، وأفضل المناهج، في الحوار وآدابه، وعلى كل من أراد الحوار أن يسلك سبيلهما ليصل إلى مقصوده بأيسر طريق وأخصره.

٧ - لقد قام سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن العلماء والدعاة، والقادة والأمراء، بإجراء كثير من الحوارات العلمية والعقدية والفقهية، لتحقيق مصالح مختلفة، وسيرهم تفيض بالأدلة على هذا، وظهر من خلال تلك الحوارات: الأدب الرفيع، والخلق النبيل، والمنهج القويم في ضبط الحوار والوصول به إلى نتيجة.

٨ - إن آداب الحوار كثيرة وجوانبه متعددة، وعلى المحاور أن يجتهد في تحقيق والتزام ما يمكنه منها، وألا تصده كثرتها عن الإعتناء بها ومراعاتها، أو تؤدي به إلى اليأس منها وإهمالها، ولكن عليه أن يجتهد في ذلك، ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها^(١).

٩ - إن الحوار طريق صحيح ومهم إلى إصلاح كثير من الأوضاع السياسية والإقتصادية والاجتماعية وشئون الحرب والسلم وغيرها.

ثانياً : مقترحات :

١ - إعداد دعاة مؤهلين للحوار، ملتزمين بآدابه، يملكون قدرة على الإقناع والرد، خاصة في مواجهة المشككين من أعداء الدين؛ من أهل الكتاب والمستشرقين والمبتدعة والمنافقين وغيرهم، ويمكن تحقيق ذلك من خلال إقامة دورات علمية شرعية، وعملية تطبيقية، تساعد في استكمال الشروط اللازمة لذلك.

٢ - جمع وتحقيق ودراسة ما يمكن الحصول عليه من الحوارات القديمة والحديثة، وإبرازها في موسوعة أو مؤلف خاص، ترتب حسب موضوعاتها وأهدافها، مثل: أن تجمع الحوارات مع أهل الكتاب في قسم خاص، والحوارات الفقهية في قسم آخر، وهكذا، ليسهل تناولها، وتكتمل الفائدة منها.

٣ - لو أمكن أن تدرس - بالجامعات أو غيرها - مادة في قسم الدعوة تعنى بموضوع الحوار وآدابه، ووسائل تحقيقه، ففي ذلك نفع عظيم للدعوة.

٤ - توجيه مراكز البحوث وأقسام الدراسات العليا للعناية بهذا الموضوع، وإعطائه حقه من الدراسة والبحث ، لأهميته والحاجة إليه في وقتنا الحاضر.

٥ - عقد محاورات ومناظرات علمية نزيهة، بين الاساتذة في الجامعات أوغيرهم، تراعى فيها الأصول والآداب، ويكون الغرض منها، إعطاء مُثل للحاضرين من الطلبة وغيرهم، وتعويدهم على الحوار وآدابه.

هذا واسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع مجيب،
وصلّى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة للبحث

قائمة المراجع مرتبة حسب حروف المعجم

فهرس المصادر مرتبه حسب ترتيب حروف المعجم

<u>إسم الكتاب</u>	<u>إسم المؤلف</u>	<u>الطبعة والدار</u>
القرآن الكريم		
الإتقان في علوم القرآن	جلال الدين السيوطي	ط ٠ الثالثة ١٣٧١هـ مكتبة البابي الحلبي القاهرة ٠
اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء	محمد الخضري	دار الوفاء للطباعة والنشر - مصر
إحكام الأحكام	ابن دقيق العيد	دار الكتاب العربي بيروت
أحكام القرآن	ابن العربي	دار المعرفة ٠ بيروت لبنان
الأحكام في أصول الأحكام	ابن حزم الأندلسي	ط ٠ الثالثة ٠ مطبعة الإمام مصر
إحياء علوم الدين	أبو حامد الغزالي	ط ٠ الأولى ١٤٠٦هـ / دار الكتب العلمية ٠ بيروت
أخبار عمر رضي الله عنه	علي الطنطاوي، وناجي الطنطاوي	ط ٠ الثامنة ١٤٠٣هـ ٠ المكتب الإسلامي ٠ بيروت
آداب البحث والمناظرة	محمد الأمين الشنقيطي	دار ابن تيمية للطباعة والنشر - القاهرة
أدب الاختلاف في الإسلام	د ٠ طه جابر فياض لعلواني	ط ٠ الأولى ٠ مطابع الدوحة الحديثة - قطر ٠
أدب الحوار والمناظرة	د ٠ علي جريشة	ط ٠ الأولى ١٤١٠هـ دار الوفاء للطباعة والنشر
أدب الخلاف	د ٠ صالح بن حميد البخاري	مطابع جامعة أم القرى ط ٠ ١٤٠٠هـ مكتبة الأدب القاهرة
إرواء الغليل	محمد ناصر الدين الألباني	ط ٠ الثالثة ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي بيروت

استخراج الجدل من القرآن	عبدالرحمن الحنبلي	ط ٠ الثانية ١٤٠١هـ مطابع الفرزدق
أصول الحوار	الندوة العالمية للشباب الإسلامي	ط ٠ الثالثة ١٤٠٨هـ المطابع العالمية الرياض
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني	ط ٠ ١٨٥٣م ٠ دار الكتب العلمية بيروت لبنان
أضواء البيان أعلام الموقعين	محمد الأمين الشنقيطي ابن القيم الجوزية	عالم الكتب - بيروت ط ٠ الأولى ١٤١١هـ دار الكتب العلمية ٠ بيروت لبنان
الإعتصام	الشاطبي	دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت
الإعلام	خيرالدين الزركلي	ط ٠ الرابعة ١٩٨٦م ٠ دار الكتب العلمية - بيروت
آفات على الطريق	د ٠ السيد محمد نوح	ط ٠ الخامسة ١٤١٠هـ ٠ دار الوفاء للطباعة والنشر - مصر
آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة	سعيد بن علي القحطاني	ط ٠ الثالثة ١٤١١هـ ٠ مطابع الفرزدق التجارية الرياض
أفراح الروح	سيد قطب	ط ٠ الثالثة ١٤١٠هـ دار طية ودار ابن القيم
إقتضاء الصراط المستقيم إكمال إكمال المعلم على صحيح مسلم	شيخ الإسلام ابن تيمية لأبي عبدالله محمد بن خلفه الوشتاني الأبي المالكي	دار الحديث بالأزهر دار الكتب العلمية بيروت

الإنصاف في بيان أسباب

الخلاف

ولي الله الدهلوي

ط ٠ الثانية ١٤٠٤هـ

مؤسسة الرسالة ودار

النفائس - بيروت

أهمية الجهاد

علي بن نفيع العلياني

ط ٠ الثانية ١٤٠٥هـ دار

طبية للنشر والتوزيع

الرياض

بذل المجهود في حل أبي

داود

خليل أحمد

دار الكتب العلمية

بيروت

السهارنفوري

دار الكتاب العربي

ابن القيم الجوزية

بدائع الفوائد

بيروت

بدر التمام في اختصار

لأبي عبدالفتاح -

ط ٠ الأولى ١٤١١هـ دار

الإعتصام

محمد السعيد

الحنان الإسلامية إ ٠ ع ٠ م

الجزائري

الباقلانية

محمد بن عبدالعزيز

مؤسسة اسامة للنشر

الخضيري

الرياض

البداية والنهاية

الحافظ ابن كثير

ط ٠ الأولى ١٤٠٥هـ دار

الكتب العلمية - بيروت

البحر المحيط

أبوحيان محمد بن يوسف

مكتبة ومطابع النصر

النحوي

الحديثة - الرياض

تاريخ الطبري

لأبي جعفر بن جرير

ط ٠ الأولى ١٤٠٧هـ دار

الطبري

الكتب العلمية - بيروت

تحريف النصوص في مآخذ

أهل الأهواء في الاستدلال

بكر بن عبدالله أبو زيد

ط ٠ الأولى ١٤١٢هـ دار

العاصم - الرياض

تحفة الأحوزي في شرح

لأبي العلا محمد بن

ط ٠ الأولى ١٤١٠هـ دار

جامع الترمذي

عبدالرحمن ابن عبد

الكتب العلمية - بيروت

الرحيم المباركفوري

التحرير والتنوير	محمد الطاهر بن عاشور	ط ٠ ١٩٨٤م الدار التونسية
التعاليم وأثره على الفكر والكتاب	بكر بن عبدالله أبو زيد	ط ٠ الأولى ١٤٠٨هـ دار الرايه للنشر والتوزيع الرياض
التعريفات	علي بن حمد الشريف الجرجاني	ط ٠ الأولى ١٩٦٩م مكتبة لبنان - بيروت
تفسير القرآن العظيم	الحافظ ابن كثير	ط ٠ - دار إحياء الكتب العربية - مصر
تفسير القرآن المرتب	أحمد أسعد علي	ط ٠ الأولى ١٣٩٩هـ دار السؤال للطباعة والنشر دمشق
تفسير المراغي	أحمد مصطفى المراغي	ط ٠ الثانية ١٩٨٥م دار إحياء التراث العربي بيروت
تفسير النسفي	أبو البركات، عبدالله بن أحمد بن محمد النسفي	ط ٠ ١٤٠٢هـ دار الكتاب العربي - لبنان
التفسير الحديث	محمد عزة دروزة	ط ٠ ١٣٨١هـ مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة
التفسير القيم	ابن الجوزية	دار الكتب العلمية بيروت
ترتيب المدارك وتقريب المسالك	القاضي عياض بن موسى بن عياض، ت: أحمد بكر محمود	ط ٠ ١٣٨٧هـ دار مكتبة الحياة، بيروت
تقريب التهذيب	ابن حجر العسقلاني	ط ٠ الرابعة ١٤١٢هـ دار القلم - دمشق
تلخيص الحبير	ابن حجر العسقلاني	دار الكتاب الإسلامي - القاهرة

تهذيب التهذيب	ابن حجر العسقلاني	
تهذيب سيرة ابن هشام	عبد السلام هارون	ط ٠ العاشرة ١٤٠٥ هـ دار البحوث العلمية - بيروت المكتبة العلمية
تهذيب مدارج السالكين	ابن القيم الجوزية	تهذيب : عبد المنعم صالح العلي العربي
تيسير التفاسير	ابراهيم القطان	ط ٠ الاولى ١٤٠٢ عمان
تيسير العلام في شرح عمدة الأحكام	عبد الله بن عبد الرحمن ابن صالح آل بسام	ط ٠ الثالثة ١٣٩٣ هـ
تيسير الكريم الرحمن	عبد الرحمن بن ناصر السعدي	مطبعة المدني - بجدة
جامع الأصول	الإمام مجد الدين ابن الأثير الجزري	ط ٠ الثانية ١٤٠٣ هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان
جامع البيان عن تأويل القرآن	لأبي جعفر محمد بن حرير الطبري	ط ٠ الثالثة ١٣٨٨ هـ شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر
جامع بيان العلم وفضله	يوسف بن عبد البر القرطبي	دار الفكر
جامع العلم والحكم	ابن رجب الحنبلي	دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح	ش ٠ الإسلام ابن تيمية	مطبعة المدني ٠ السعودية
حوار الرسول مع اليهود	د ٠ محسن بن محمد بن عبد الناظر	ط ٠ الاولى ١٤٠٩ دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت

الحوار مع أهل الكتاب	خالد عبدالله القاسم	ط ١٤١١هـ جامعة الملك سعود - السعودية
خصائص القصة الإسلامية	د ٠ مأمون فريز جرار	ط ٠ الأولى ١٤٠٨هـ دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة
خطبة الحاجة	محمد ناصر الدين	ط ٠ الثالثة ١٣٩٧ المكتب الإسلامي - بيروت
خلاف الأمة في العبادات	الألباني شيخ السلام ابن تيمية ٠	ط ٠ الأولى ١٤١٠هـ دار الفاروق الطائف السعودية
خلق المسلم	علق عليها عثمان جمعه ضميرية محمد الغزالي	الإنحداد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية
الخلاف بين العلماء	محمد الصالح العثيمين	ط ٠ الأولى ١٤١١هـ دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة
الدر المنثور في التفسير باللائنور	جلال الدين السيوطي	ط ١٤٠٣ دار الفكر - بيروت لبنان
درء تعارض العقل والنقل	ش ٠ الإسلام ابن تيمية ٠ ت ٠ محمد رشاد سالم البيهقي	ط ٠ الأولى ١٤٠١هـ جامعة الإمام محمد بن مسعود ط ٠ الأولى ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية بيروت ٠
ربانية التعليم	د ٠ عبدالله يوسف الحسن	دار المنطق
الرد على المخالف	بكر بن عبدالله أبو زيد	دار الهجرة للنشر والتوزيع السعودية
الرسالة	لإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي	
رسالة في الحوار الفكري بين الإسلام والحضارة	محمد ابراهيم الفيومي	ط ١٩٨١م عالم الكتب القاهرة
حوار حول الحوار		

رفع الملام عن الأئمة الأعلام رياض الصالحين زاد المسير	تقي الدين أحمد بن تيمية لأبي زكرياء يحيى بن شرف النووي ابن الجوزي	ط ٠ الثالثة ٠ المكتبة السلفية القاهرة ط ٠ الرابعة ١٤٠١ هـ دار المأمون للتراث - دمشق ط ٠ الثالثة ١٤٠٤ هـ المكتب الإسلامي بيروت
زاد المعاد	ابن القيم الجوزية	ط ٠ الثانية ١٤٠١ هـ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر - الكويت
زبدة التفسير	محمد سليمان عبدالله الأسقر	ط ٠ الثانية ١٤٠٨ هـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت
سلسلة الأحاديث الصحيحة	محمد ناصر الدين الألباني	ط ٠ الثانية ١٣٩٩ هـ المكتب الإسلامي بيروت
سلسلة الأحاديث الضعيفة	محمد ناصر الدين الألباني	ط ٠ الأولى ١٤٠٨ هـ مكتبة المعارف - الرياض دار الفكر للطباعة والنشر
سنن ابن ماجه	الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني	ط ٠ ١٤٠٨ هـ دار الجيل بيروت
سنن أبي داود	سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي	ط ٠ الثانية ١٣٩٧ هـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي مصر
سنن الترمذي	لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة	ط ٠ الثالثة ١٤٠٩ هـ دار البشائر الإسلامية بيروت
سنن النسائي بشرح السيوطي	أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي	ط ٠ الأولى ١٣٥٤ هـ مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية - الهند
السنن الكبرى البيهقي	أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي	ط ٠ الثامنة ١٤١٢ هـ مؤسسة الرسالة - بيروت
سير أعلام النبلاء	للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	

السيرة النبوية الصحيحة	د. أكرم ضياء العمري	مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة
شرح أصول إعتقاد أهل السنة	أبو القاسم - هبة الله بن حسن بن منصور	دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض
شرح الأربعين النووية	ابن دقيق العيد	مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر جده
شرح السنة	للإمام المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي	ط. الثانية ١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي - بيروت
شرح العقيدة الطحاوية	ابن أبي العز الحنفي	ط. الثانية ١٤٠٨هـ مكتبة المويد - الطائف
شرح الكوكب المنير	محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الحنبلي المعروف بابن النجار	ط. الأولى ١٤٠٨هـ مطابع جامعة أم القرى - مكة
شمائل الرسول ﷺ	تحقيق د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماد	الحافظ ابن كثير ط. الثانية ١٤٠٩هـ دار القبلة للثقافة الإسلامية السعودية
الصحاح	إسماعيل بن حماد الجوهري	ط. الثالثة ١٤٠٤هـ دار العلوم للملايين بيروت
صحيح ابن خزيمة	لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة	ط. الثانية ١٤٠١هـ شركة الطباعة العربية السعودية - الرياض

صحيح ابن حبان		
صحيح البخاري	أبو عبدالله محمد بن اسماعيل	ط ٠ الخامسة ١٤٠٦هـ
	البخاري	عالم الكتب - بيروت
صحيح البخاري بشرح الكرمانى	محمد بن يوسف الكرمانى	مؤسسة المطبوعات الإسلامية - مصر
صحيح الجامع الصغير وزيادته	محمد ناصرالدين	ط ٠ الثانية ١٤٠٦هـ
	الألباني	المكتب الإسلامى - بيروت
صحيح مسلم	أبو الحسين بن الحجاج	دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت
صحيح مسلم بشرح النووي	القشيري النيسابوري	
	محيي الدين أبو زكريا	
	يحيى ابن شرف بن مري	
	الخزامي النووي	
صحيح سنن ابن ماجة	محمد ناصرالدين	ط ٠ الأولى ١٤٠٧
	الألباني	المكتب الإسلامى - بيروت
صحيح سنن أبي داود	محمد ناصر الدين	ط ٠ الأولى ١٤٠٩هـ
	الألباني	المكتب الإسلامى - بيروت
صحيح سنن الترمذي	محمد ناصرالدين	ط ٠ الأولى ١٤٠٨هـ
	الألباني	المكتب الإسلامى - بيروت
صحيح سنن النسائي	محمد ناصر الدين	ط ٠ الأولى ١٤٠٩هـ
	الألباني	المكتب الإسلامى - بيروت
صور من حياة الصحابة	عبدالرحمن رأفت الباشا	ط ٠ السادسة مؤسسة الرسالة ودار النفائس بيروت

صيد الخاطر	ابن الجوزي - راجعه	ط ٠ الرابعة ١٤٠٧هـ دار
ضعيف الجامع الصغير وزيادته	محمد ناصر الدين الألباني	ط ٠ الثانية ١٣٩٩هـ
ضوابط المعرفة	عبدالرحمن حسن حبيكة	ط ٠ الثانية ١٤٠١هـ دار
عمدة القاريء شرح صحيح البخاري	الميداني بدر الدين العيني	القلم - بيروت
عون الباري لحل أدلة البخاري	لأبي الطيب صديق حسن علي الحسين القنوجي البخاري	إدارة الطباعة المنيرية - بيروت
العواصم من القواصم	القاضي أبو بكر بن العربي	دار الرشيد - حلب
عيون الأخبار	ابن قتيبة الدينوري	مكتبة أسامة بن زيد بيروت
الغرائب الأولون	سلمان بن فهد العودة	دار الكتب العلمية - بيروت
غريب الحديث	لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي	ط ٠ الأولى ١٤١٠هـ دار الكتب العلمية - بيروت
فتاوى ابن تيمية	جمع: عبدالرحمن بن محمد قاسم العاصمي النجدي	لبنان
	الحنبلي	دار مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية

فتح الباري، ش، صحيح البخاري	الحافظ أحمد بن علي	دار المعرفة - بيروت
	بن حجر العسقلاني	لبنان
فتح البيان	صديق حسن خان	ط ١٣٠١ هـ مطبعة
		عيسى البابي الحلبي
		القاهرة
فتح القدير	محمد بن علي بن محمد	ط ١٤٠٣ هـ دار الفكر
	الشوكاني	الطباعة والنشر
		والتوزيع - بيروت
فقه السيرة	محمد الغزالي، تخريج: محمد	ط ١٩٧٦ م، السابعة
	ناصر الدين الألباني	دار الباز
فراصة المؤمن	إبراهيم بن عبدالله الحازمي	ط ١٤١٢ هـ دار الشریف
		للنشر والتوزيع
الفروق اللغوية	لأبي هلال العسكري ضبطه	ط ١٤١٠ هـ
	وحققه، حسام الدين القدسي	دار الكتب العلمية
		بيروت
فن الخطابة	دايل كارنيجي	ط ١٩٨٦ م، الثانية
		ومكتبة الهلال بيروت - لبنان
في ظلال القرآن	سيد قطب	ط ١٤٠٥ هـ، الحادي عشرة
		دار الشروق - القاهرة
القاموس المحيط	مجد الدين محمد بن	المؤسسة العربية للطباعة والنشر
	يعقوب الفيروز آبادي	بيروت - لبنان
القصص في الحديث النبوي	محمد بن حسن الزير	ط ١٤٠٠ هـ، الثانية
		دار اللواء
		الرياض
قل إنما أعظكم بواحدة	عبد العزيز بن ناصر الجليل	دار طيبة - الرياض

- كتابة البحث العلمي صياغة جديدة د. عبدالوهاب إبراهيم ط. الثالثة ١٤٠٨هـ
ابو سليمان دار المعرفة - بيروت
- الكشاف لأبي القاسم محمود بن ط. الأخيرة شركة مكتبة
عمر الزمخشري الخوارزمي ومطبعة مصطفى الحلبي
وأولاده - القاهرة
- كشف الظنون عن أسامي الكتب شهاب الدين النجفي المرعشي مكتبة المثنى - بغداد
والفنون
- كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر ديل كارنيجي دار الندوة الجديدة - بيروت
في الناس
- لسان العرب أبي الفضل جمال الدين محمد دار صادر - بيروت
بن مكرم ابن منظور
- لمحات في فن القيادة ج. كورتوا- تعريب: المقدم المؤسسة العربية للدراسات
الهيثم الأيوبي والنشر - بيروت
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الحافظ نور الدين علي بن أبي ط. ١٤٠٦هـ مؤسسة
بكر الهيتمي المعارف - بيروت
- مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن دار الكتب العلمية - بيروت
عبدالقادر الرازي
- مختصر تفسير المنار محمد رشيد رضا ط. الأولى ١٤٠٤هـ المكتب
الإسلامي - بيروت
- مختصر منهاج القاصدين ابن قدامة المقدسي ط. ١٣٩٨هـ مؤسسة
علوم القرآن للطباعة
والنشر - بيروت
- مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب ط. الرابعة ١٤٠٩هـ
دار الشروق - القاهرة

مذكرة أصول الفقه	محمد الأمين بن مختار	المكتبة السلفية - المدينة
	الشنقيطي	
المسند	أحمد بن محمد بن حنبل	ط ٠ الرابعة دار المعارف
	تحقيق : احمد شاكر	مصر
المسند	أحمد بن محمد بن حنبل	ط ٠ الرابعة المكتب
		الإسلامي - بيروت
المستدرک	الحافظ ابن عبد الله الحاكم	دار المعرفة - بيروت
	النيسابوري	
مشكاة المصابيح	محمد بن عبد الله الخطيب	ط ٠ ١٤٠٥هـ
	التبريري	المكتب الإسلامي - بيروت
مصبح الزجاجاة في زوائد	شهاب الدين البوصري	ط ٠ الأولى ١٤٠٣هـ دار
ابن ماجة	تحقيق محمد المنتقى الكشناوي	العربية للطباعة والنشر
		بيروت
المصباح المنير	أحمد بن محمد المقري	ط ٠ ١٩٨٧م مكتبة لبنان - لبنان
المصنف	عبدالرزاق الصنعاني	ط ٠ الأولى المجلس
	تحقيق: الأعظمي	العلمي - الهند
معالم الإنطلاقة الكبرى	محمد عبدالهادي المصري	ط ٠ الرابعة/ دار طيبة
		للنشر والتوزيع
معالم التنزيل	أبو محمد الحسين بن مسعود	ط ٠ الثانية ١٣٧٥هـ
	البغوي	مطبعة البابي الحلبي
		القاهرة

معالم في الطريق	سيد قطب	ط ٠ الثالثة ١٤٠٣هـ ٠
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن	محمد فؤاد عبدالباقي	دار الحديث - مصر
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي	الإتحاد الأمي للمجامع العلمية	ط ٠ ١٩٦٧م مطبعة بريل في مدينة ليدز
مفاتيح الغيب	فخرالدين محمد الرازي	ط ٠ الأولى ١٣٠٨هـ مطبعة الإمام بمصر
مفتاح دار السعادة	ابن القيم الجوزية	ط ٠ الثالثة ١٣٩٩هـ
مقدمة في أصول التفسير	ش ٠ الإسلام أحمد بن تيمية	مكتبة حميد والإسكندرية
مقدمة في أسباب إختلاف المسلمين وتفرقهم	محمد العبد وطارق عبدالحليم	دار الأرقم - الكويت
الملل والنحل	أبوالفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ٠ ت محمد سيد كيلاني	مطبعة البابي الحلبي - مصر
مناظرة بين الإسلام والنصرانية	مجموعة من العلماء	١٤٠٧هـ رئاسة ادارات البحوث العلمية
مناقب الشافعي	أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٠ ت السيد أحمد صقر	ط ٠ الأولى ١٣٩١هـ
		مكتبة دار التراث مصر

منهاج الجدل	د. زاهر عواض الألمعي	ط. الثالثة ١٤٠٤هـ مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
منع جواز المجاز	محمد الأمين الشنقيطي	عالم الكتب - بيروت
موارد الظمان	نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي	دار الكتب العلمية - بيروت
الموافقات في أصول الأحكام	أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي	المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة
الموطأ	الإمام مالك بن أنس	ط. الأولى ١٤٠٨هـ دار الريان للتراث - مصر
نزهة الفضلاء	محمد حسن عقيل موسى	ط. الأولى ١٤١١هـ دار الأندلس للنشر والتوزيع - جدة
النهاية في غريب الحديث والأثر	مجد الدين أبو السعادات «ابن الأثير» ت: طاهر زواوي ومحمود الطنباحي	دار الباز - مكة المكرمة
نيل الأوطار	محمد بن علي بن محمد الشوكاني	ط. ١٩٧٣م دار الجيل بيروت
وإذا قلت فاعدلوا	عبدالعزیز بن ناصر الجليل	دار طيبة - الرياض
ويكون الدين كله لله	د. محمد بن سعيد القحطاني	١٤١١هـ

المقالات في الصحف والمجلات والنشرات

عنوان المقال	اسم الكاتب	المصدر/العدد/التاريخ
الإجتهد ليس مباحا لكل أحد	د ٠ صالح الفوزان	مجلة اليمامة (١١٣٥)/ ٢ جمادي الآخرة ١٤١١هـ.
أدب الحوار	أحمد كمال أبوالمجد	مجلة المسلم المعاصر (٣) رجب ١٣٩٥
أدب الحوار	السيد تقي الدين	مجلة المنهل (٤٣٠) محرم وصفر ١٤٠٥هـ
أدب الحوار - المقومات - السلبيات	ندوة مشتركة	رسالة جامعة الملك سعود (٤٤٨) ذوالقعدة ١٤١١هـ
أسس الحوار بين الإسلام والاديان الأخرى	صلاح الصاوي	مجلة الدراسات الإسلامية (٣) رمضان ١٣٩٥هـ
أسلوب المحاور في القرآن الكريم	عبدالحليم حفني	المجلة العربية للعلوم الإنسانية (٣٢) ١٩٨٨م
الحوار «ملحق»	ندوة مشتركة	مجلة الفيصل (١٨٨)
الحوار بين الأديان	أنور الجندي	منار الإسلام (٣) ربيع الأول ١٤٠٨هـ
الحوار نافذة من نور	عمر بهاء الدين	المسلم المعاصر (١-٢) ربيع الأول والثاني ١٣٩٥هـ
الحوار والمعادلة المفقودة	محمد الصالح عزيز	مجلة الأمة (٦٢) صفر ١٤٠٦هـ
قضية الحوار كمبدأ في الإسلام	ندوة مشتركة	صحيفة الشرق الأوسط (٤٥٤٧-٤٥٥٣)

قضية القضايا وبقيّة القضايا	د. غازي القصيبي	صحيفة الشرق الأوسط (٤٣٧١)
		١٦-١١-١٩٩٠م
القيادة في الإدارة الإسلامية	د. عبدالرحمن إبراهيم الصحيا	مجلة الخدمة المدنية رقم ١١٧
المجازفة في القول جرتك إلى	د. صالح الفوزان	مجلة اليمامة (١١٦٨)
تقليد بعض الكتاب الجاهل		١١ صفر ١٤١٢هـ
من آداب الإجتهد والإختلاف	د. غازي القصيبي	مجلة اليمامة (١١٣٣)
في الإسلام		١٨ جمادي الأولى ١٤١١هـ
مناقشة ابن عباس للخوارج درس	معن عبدالقادر	مجلة البيان (١٢)
وعبر		شوال ١٤٠٨هـ
لقد حملوا على «عباد الله» وقسموا	د. عبدالله الحامد	مجلة اليمامة (١١٦٤)
		١٤ محرم ١٤١٢هـ
الناس إلى فريقين		
لم تعهدني فقيها ولكن تعال	د. عبدالله الحامد	مجلة اليمامة (١١٨١)
نتحاور		١٤ جمادي الأولى ١٤١٢هـ

أشرطة ومحاضرات

عنوان المحاضرة	إسم المحاضر
آداب السؤال	للشيخ سلمان بن فهد العودة
أدب الحوار	للشيخ سلمان بن فهد العودة
أدب الحوار	الشيخ : أحمد الصويان
أعذار العلماء	الشيخ: سلمان بن فهد العودة
الإنصاف في أدب الخلاف	الشيخ: محمد بن صالح العثيمين

الخلاف بين العلماء أسبابه

وموقفنا منه

الخلاف في الفرع لا يسبب خلاف

الشيخ سلمان العودة

الشيخ: عبدالله بن عبدالرحمن

البسام

الدكتور عبدالله مبارك الخاطر

الشيخ محمد بن صالح المنجد

الشيخ : محمد الحسيني

فن التعامل مع الناس

كيف تسأل أهل العلم

مايجوز وما لا يجوز الإختلاف فيه

فهرس الآيات مرتبة حسب السور

سورة البقرة

<u>آلاية</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>
وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ٠٠٠٠	١١ - ١٣	٢٩١
وإذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن ٠٠٠٠٠٠		
وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا		
وإذا خلوا إلى شياطينهم ٠٠٠ الله يستهزئ		
بهم ويمدهم ٠٠٠٠	١٤ - ١٥	٢٩٧
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ٠٠٠٠٠٠٠٠		
فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون	١٧ - ٢٢	٣٠٣، ٢٣٩
وإن كنتم في ريب مما نزلنا ٠٠٠	٢٣	٣٥٠
كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا	٢٨	٣٨٢
وإن قال ربك للملائكة إني جاعل		
في الأرض ٠٠٠٠٠٠٠٠ إنك أنت العليم الحكيم	٣٠ - ٣٢	٣٤٠، ٣٣٠، ٦٣
وإن قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا	٣٤	١٤٥
أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم	٤٤	١٤٥
يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي		
أنعمت ٠٠٠ وأتقوا يوما لا تجزي نفس ٠٠	٤٧ - ٤٨	٣٦٧، ٣٦٦
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في		
السبب ٠٠ ويريك ءايته لعلكم تعقلون	٦٥ - ٧٣	٣٨١، ٣٧٢، ٣٦٦، ٦٢، ١٠
وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما ٠٠	٨٠	٤٢٠، ٣٤٤
وقولوا للناس حسنا	٨٣	٦٤
ولقد ءاتينا موسى الكتاب ٠٠٠	٨٧	٤٢١
بشما اشتروا به أنفسهم ٠٠٠٠		
وإذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل الله ٠٠	٩٠ - ٩١	٨٠

		وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان
٢٦١	١١١	هودا.....
١٧٤	١٢٤	وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات
		فإن ءامنوا بمثل ماءءمنتهم به فقد
٧٣	١٣٧	اهتدوا.....
٢٣٣	١٤٠	أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
		سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن
٤٠٧، ٢٩٥	١٤٢	قبلتهم التي كانوا عليها.....
		يا أيها الذين ءامنوا استعينوا بالصبر
١٤٩	١٥٣	والصلاة إن الله مع الصابرين
		إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات..
٢٧٧	١٦٠-١٥٩	٠٠٠ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا
٢٤٧	١٦٤-١٦٣	وإلهمك إله واحد ٠٠٠ لآيات لقوم يعقلون
		ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن
٨٤، ٧٣	١٧٦	الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد
٣١١	١٨٩	يستلونك عن الاهلة قل هي مواقيت.....
		كان الناس أمة واحدة ٠٠٠ وأنزل معهم
٨٣	٢١٣	الكتاب بالحق ليحكم بين الناس ٠٠٠
		يستلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير
٣١٢	٣١٥	فللوالدين.....
		ألم تر إلي الملا من بني إسرائيل.....
١٧٥، ١٠٦	٢٤٩ - ٢٤٦	والله الصابرين
		تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض.....
٨٣	٢٥٣	ولكن اختلفوا فمنهم من ءامن.....

١١٨	٢٥٥	الله لا إله إلا هو الحي القيوم.....
		ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه.....
٢٤٠،٦٢،٥٤	٢٥٩-٢٥٨	أو كالذي مر على قرية وهي خاوية.....
٣٥١،٣٣٣،٢٦٥		وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى..... مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله
٣٠٤،٦٢	٢٦١- ٢٦٠	وإن كان ذو عسرة فنظرة الي ميسرة.....
١٠	٢٨٠	يا أيها الذين ءامنوا إذا تداينتم بدين.....
٨٠	٢٨٢ وأتقوا الله ويعلمكم الله
٣٧٥	٤٨٤	لله مافي السموات وما في الأرض

سورة آل عمران

		هو الذي أنزل عليك الكتاب.....
٢٧٧،٧٨،٤٦	٧	وما يذكر إلا أولوالألباب
١٣	٢٠	فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله
٣٠٨	٥٩	إن مثل عيسى عندالله كمثل آدم
٣٥١	٦١	فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم
٥٤	٦٤	قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء.....
٣٨٢	٦٥	يا أهل الكتاب لم تحآجون في إبراهيم.....
		هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم
٢٣٣،٥١،٤٨،١١	٦٦	فلم تحآجون فيماليس لكم به علم
		يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله
		وأنتم تشهدون. يا أهل اكتاب لم تلبسون
٣٨٢	٧١ - ٧٠	الحق بالباطل.....

١١٣	٧٥	ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيتكم من كتاب وحكمة.....
٣٢٢	٨١	ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه..
٤٢٦	٨٥	كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل.....
٢٦٢	٩٣	ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات.....
٨٤	١٠٥	ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا
١١٣	١١٢- ١١٣ ليسوا سواء..... وهم يسجدون ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون
١٨١	١٢٨	وسارعوا إلي مغفرة من ربكم.....الذين ينفقون في السراء والضراء.....
١٥٣، ١٥٠	١٣٣- ١٣٤	والله يحب المحسنين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مومنين
١٨٥، ١٣٦	١٣٩	فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك
١٧٣، ١٧٠، ١٢٩	١٥٩	وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينته للناس.....
٢٧٧	١٨٧

سورة النساء

٤١٢	٥	ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً
-----	---	---

		يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله
١١	٨	شهداء بالقسط ولا يجرمنكم ومن الذين قالوا إنا نصارى.....
٧٥	١٤	فتنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
٣٧٠	٢٠	نعمة الله عليكم إن جعل يا أيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
١٣٦، ١٣٠	٥٤	قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك.....
٢٩٨، ٢٨٠	٦٧	لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم.....
٥٤	٧٢	يا أيها الذين ءامنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم.....
٤٣٣	٩٥	يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتكم.....
٣٤٠	١٠٩	وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس إن كنت قلته فقد علمته.....
٣٧٤، ٥٥	١١٧-١١٦	

سورة الأنعام

٣٢٢	٣٠	ولو ترى إذ وقفوا على ربهم..... قل أريتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم.....
٣٦٧	٤٠ - ٤١	قل أرايتكم إن أخذ الله سمعكم..... قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين
٢٧	٥٥	وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار.....
٦٢	٦٠	قل من ينجيكم من ظلمات البحر..... لعلهم يفقهون
٣٦٧	٦٣-٦٥	وإن قال إبراهيم لأبيه أزر..... إن ربك حكيم عليم
٢٩٢، ٢٤٨، ٥٥، ١٣، ١٢، ١١	٧٤-٨٣	وحاجه قومه..... وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه.....
٢٩٢، ١٢	٨٣	أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقترده..... ثم نرهم في خوضهم يلعبون وهو الذي أنزل من السماء ماء.....
٤٢١، ٢٥	٩٠-٩١	انظرواإلى ثمره.....وهو بكل شيء عليم لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير
٤٢٢، ١٠	٩٩-١٠١	
٢٩٨	١٠٣	

		الذين أتخذوا دينهم لهما ولعبا ..
٤٢٩	٥١	وماكانوا بآياتنا يجحدون
٢٤٤، ١٨٠، ١٧٧، ٥٦، ٥٥	٥٩	لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال
		قال الملاء من قومه إنا لنراك ..
		قال يا قوم ليس بي ضلالة
١٥٤، ١٠٣، ٥٦	٦٣-٦٠	ولعلكم ترحمون
٣٨٩، ٢٩٣، ٢٣٤		
		وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم ..
٢٤٤، ١٥٤، ١٠٤، ٥٧، ١٣	٧٥-٦٥	... إنا بما أرسل به مؤمنون
٣٦٩، ٢٩٣، ٢٧٩، ٢٥٦		
١٠٣، ٥٦	٦١	قال يا قوم ليس بي ضلالة
		قال الملاء الذين كفروا من قومه
٢٩٣	٦٦	إنالنراك في سفاهة
٢٩٣، ١٠٤	٦٧	قال يا قوم ليس بي سفاهة
		قال قد وقع عليكم ... أتجادلونني
١٣	٧١	في اسماء سميتموها
		وانذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد
٣٦٩	٧٤	عاد
		قال الملاء الذين استكبروا من قومه
٥٧	٧٥	للذين استضعفوا لمن ءامن منهم ...
		ففقروا الناقة وعتوا عن أمر
٣٥٣، ٢٩٦، ٥٧	٨١-٧٧	ربهم ... بل أنتم قوم مسرفون
		وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم
٣٦٩، ٢٩٦، ٢٥٦، ٢٤٤	٨٦-٨٥	وانذكروا إذ أنتم قليل فكثركم

		قال الملاً الذين استكبروا من قومه
٢٠٣	٨٨	لنخرجنك يا شعيب.....
		وقال الملاً الذين كفروا من قومه لئن
٢٠٣	٩٠	اتبعتم شعيباً.....
		فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم
٣٥٤	٩٣	رسالات ربي.....
		وقال موسى يا فرعون اني رسول.....
٥٧	١٠٦-١٠٤	إن كنت من الصادقين
١٠	١٠٨	ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين
		وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا..
٤٣٢، ٤٠٨	١٣٨	... انكم قوم تجهلون
٣٣٣	١٤٣	ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه..
١٤٠، ١٣٨	١٤٦	سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
		وأكتب لنا في هذه الدنيا حسنة.....
١٦٦	١٥٦ورحمتي وسعت كل شيء.....
		وإن قالت أمة منهم لم تعظون قوما
٢٦	١٦٤	الله مهلكهم.....
		وأن أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
٣٢٢	١٧٢	ذريتهم.....
		وممن خلقنا أمة يهدون بالحق
١١٢	١٨١	وبه يعدلون
		يستلونك عن الساعة أيان مرساها
٣٤١	١٨٧	قل إنما عليها عند ربي.....

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن

الجاهلين

١٥٨، ١٥١

١٩٩

سورة الانفال

يا أيها الذين ءامنوا إن تتقوا الله

يجعل لكم فرقا
.....

٢٩٧

٢٩ - ٣٠

والله خير الماكرين

إن أنتم بالعدوة الدنيا
.....

٣٥٣، ٢٧

٤٢

ليهلك من هلك عن بينة
.....

٨٤

٤٦

وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا

ألا تقاتلوه قوما نكثوا أيمانهم

٢٩٧

١٣

وهموا بإخراج الرسول
.....

٢٩٧

٤٩

ومنهم من يقول أئذن ولا تفتني ...
.....

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون

٢١٩

٦١

هو أذن قل أذن خير لكم
.....

ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا

٣٨٣

٦٥

نخوض ونلعب
.....

كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم

٧٦

٦٩

قوة فاستمتعتم بخلاقكم

الذين يلمزون المطوعين من

٢٩٧

٧٩

المؤمنين في الصدقات
.....

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول

٢٩٧

٨١

الله
.....

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز

١٦٧

١٢٨

عليه ما عنتم
.....

سورة يونس

		وماكان الناس إلا أمه واحدة
٨٣	١٩	فاختلفوا.....
		قل من يرزقكم من السماء والأرض
	 فذالكم الله ربكم الحق ..
٢٤٠	٣٢-٣١ فأني تصرفون
		ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب
٣٢٠	٩٢	الخلد.....
٢٦٣، ٢٣٤	٦٩-٦٨	قالوا أأخذ الله ولدا..... لا يعلمون
		فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن
١٠٥	٧٢	أجري إلا على الله وأمرت.....

سورة هود

		وان استغفروا ربكم..... فأني أخاف
١٧٨	٣	عليكم عذاب يوم كبير
		أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر
٣٥٠	١٣	سور مثله.....
		أن لاتعبدوا إلا الله إني أخاف...
		فقال الملأ الذين كفروا من قومه
٣٦٨، ١٧٧	٢٧-٢٦	مانراك إلا بشرا.....
		قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة
٢٥٠	٢٨	من ربي وءاتني رحمة من عنده.....
		وياقوم لأستلكنكم عليه مالا إن أجري
١٠٤	٢٩	إلا على الله وما أنا بطارد.....

سورة الحجر

سورة النحل

		لاجرم ان الله يعلم مايسرون
١٣٨	٢٣	وما يعلنون انه لايجب المستكبرين
		ويجعلون لما لايعلمون نصيبا
٣٢٠	٥٦	مما رزقناهم.....

		وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين
٨٣	٦٤	لهم الذي اختلفوا فيه ٠٠٠٠٠٠٠
١١٠	٩٠	إن الله يأمر بالعدل والإحسان

		ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
٤٨٠٤٠٠٣٤٠٢٥٠٩٠٧	١٢٥	والموعظة الحسنة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٣٥٨٠٢٣٣٠٦٧		

سورة الإسراء

		وأما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من
٣٦٥	٢٨	ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً
٢٨٤٠٢٧٨٠٢٣٣٠٧٦	٣٦	ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع
١٤١	٣٧	ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن
١٠٣	٣٨	كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها
		وقالوا إذا كنا عظاماً ورفاتاً ٠٠٠
٣٥٩٠٦٥٠٥٩	٥٣-٤٩	وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن
		يستلونك عن الروح قل الروح من
٣٤١	٨٥	أمر ربي ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
		قل لئن اجتمعت الإنس والجن على
٣٥٠	٨٨	أن يأتوا بمثل هذا القرآن ٠٠٠٠٠
		ولقد آتينا موسى تسع آيات
١٩٢	١٠١	بينات ٠٠٠٠ إني لأظنك ياموسى مسحوراً
		قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب
١٩٣	١٠٢	السموات والأرض ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

سورة الكهف

		فلعلك باخع نفسك على آثارتهم إن لم
١٧٢	٦	يؤمنوا بهذا الحديث أسفا
٣٤١	٢٢	سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم.....
٣٤١	٢٦	قل الله أعلم.....
		وأضرب لهم مثلا رجلين..... فتصبح
٦٣، ٤١، ٤	٤٠-٣٢	صعيدا زلقا
		وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره
٦٣	٣٤	أنا أكثر منك مالا واعرز نفرا
		ودخل جنته وهو ظالم لنفسه.....
٦٣	٣٦-٣٥	وما أظن الساعة قائمة..... منقلبا
		قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي
٦٣، ٤١	٣٧	خلقك من تراب.....
		ولقد ضربنا في هذا القرآن للناس من كل
٣٧٥	٥٤	مثل وكان الإنسان.....
		وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين
٧	٥٦	ويجادل الذين كفروا بالباطل.....
		قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني
		مما علمت رشدا..... ذلك تأويل ما لم
١٧٥، ٣١	٨٢-٦٦	تسطع عليه صبرا
١٧٥	٧١	فأنطلقا حتى إذا ركبا في السفينة
		قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي.....
١٠٢	١١٠	ولا يشرك بعبادة ربه أحدا

سورة مريم

		قال ربي اني وهن العظم مني.....
٩٨	٥-٤	واني خفت الموالي..... ولما
		قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك
٩٠	١٩	غلاما زكيا
		قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى
٢٢٤	٢٠	بشر ولم أك بغيا
		إن قال لأبيه يا أبت لم تعب.....
٣٨٩، ٣٦٣، ٢٣٤	٤٣-٤٢	أهدك صراطا سويا
		يا أبت إنى أخاف أن يمك عذاب من
١٧٨	٤٥	الرحمن فتكون للشيطان ولما
		قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه
١٥٥	٤٧	كان بى حفيا
		أفرايت الذى كفر بأياتنا.....
٣٤٦، ٣٠٠، ٦٢	٧٨-٧٧	أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا

سورة طه

		وهل أتاك حديث موسى.....
٢٤٦، ٩٨، ٩٠	١٤-٩	وأقم الصلاة لذكري
		وما تلك بيمينك يا موسى.....
٩٤	٢٤-١٧	إنهبا إلى فرعون إنه طغى
		إنهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له
٣٥٩، ٢٤٦، ٦٧	٤٤-٤٣	قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى

		قال فما بال القرون الأولى
		قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل
٣٤١	٥٢-٥١	ربي ولا ينسى
		فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا
٣٥٣، ٣٠١	٥٨	وبينك موعدا
		قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر
٤٠١، ٣٥٣	٥٩	الناس ضحى
		قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على
٣٧١، ١٠٧	٦١	الله كذبا فيسحتكم بعذاب
		فألقي السحرة سجدا قالوا ءامنا
١٩١، ١٩٠	٧١-٧٠	قال ءامنتم له
١٩١	٧٢	قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا
٢٩٩، ٩٨	١٢١	وعصى آدم ربه فغوى

سورة الأنبياء

		لو كان فيهما ءالهة إلا الله لفسدتا
٣٠٩	٢٢	فسبحان الله عما يصفون
		ولقد ءاتينا إبراهيم رشده
٤٢٨، ٤١٧، ٣١٤، ٥٥	٦٩-٥١	بردا وسلاما على إبراهيم
		وذا النون إذ ذهب مغاضبا
١٥٥	٨٧	سبحانك إني كنت من الظالمين
١٧٣، ٦٦	١٠٧	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

سورة الحج

		ومن الناس من يجادل
٢٣٣، ١٤٢، ٥١، ٧	٩-٨ عذاب الحريق

قل لمن الأرض ومن فيها.....

٢٤١	٩١-٨٤	سبحان الله عما يصفون
		ادفع بالتي هي أحسن ٠٠٠٠٠ وقل رب
٦٥	٩٨-٩٦	أعوذ بك ٠٠٠٠٠٠٠٠ أن يحضرون

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ

١٢٠	١١	إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم
١٥٢	٢٢	وليعفوا وليصفحوا.....

ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق

٢٨	٣٣	وأحسن تفسيراً
		أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت
٧٧	٤٣	تكون عليه وكيلًا

لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين

٣٩٣، ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٥٦	٣٧-٢٣	قال فرعون وما رب العالمين ٠٠٠ لمجنون ٠٠٠٠٠٠٠ سحار عليم
		قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك
٢٦٧	٢٩	من المسجونين
٢٥٦	٣٠	قال أولو جثتك بشيء مبين
		قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم ٠
٣٩٤	٣٥-٣٤	يريد أن يخرجكم من أرضكم ٠٠٠٠٠٠٠

		فألقي السحرة ساجدين • قالوا ءامنا
٣٣٢	٤٨-٤٦	برب العالمين • رب موسى وهارون
	٥٠	قالوا لاضير إنا إلى ربنا منقلبون
		واتل عليهم نبأ إبراهيم •••••
٣٨٤، ٣٨٣، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٤٢	٨٢-٦٩	خطيئتي يوم الدين
		قال أفرايتم ماكنتم تعبدون •
٤١٤، ٣٨٤، ٢٧٥، ٢٤٢، ٢٢٤	٧٧-٧٥	••••• إلا رب العالمين
		إني لكم رسول أمين • فاتقوا الله
		واطيعون • وما أسئلكم عليه
٣٩٠، ٢٧٩، ١٠٥	١٢٧-١٢٥، ١٠٩، ١٠٧	من أجر ••••
	١٤٣-١٦٢، ١٤٥، ١٦٤،	
	١٨٠-١٧٨	
		فاتقوا الله واطيعون •
١٧٨	١٣٥-١٣١	••••• عذاب يوم عظيم
		اتأتون الذكران من العالمين •
٣٨٣، ٢٩٦	١٦٦-١٦٥	وتذرون ماخلق لكم ربكم
		وأنذر عشيرتك الأقربين • واخفض
١٢٩، ١٢٨، ٩٥، ٥٨	٢١٥-٢١٤	جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
		<u>سورة النمل</u>
		وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء ••
٤١٨	١٤-١٢	•• فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
		وتفقد الطير •••••
٢٨٦، ٢٣٥	٢٨-٢٠	فانظر ماذا يرجعون

قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر

إليك فأنظري ماذا تأمرين ٣٣ ١٠

قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية

أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ٠٠ ٣٤ ١١٦

قل لا يعلم من في السموات والأرض

الغيب إلا الله ٠٠٠٠٠٠٠٠ ٦٥ ٢٩٨

سورة القصص

وقال موسى ربي أعلم بمن جاء

بالهدى من عنده ٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٧ ٣٧٣

واستكبر هو وجنوده في الأرض

بغير الحق ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٩ ١٤٥

فلما جاءهم الحق من عندنا ٠٠٠

٠٠٠ قل فأتوا بكتاب ٤٩-٤٨ ٢٤٩، ١١٤

قال إنما أوتيته على علم عندي

٠٠٠ وما كان من المنتصرين ٨١-٧٨ ١٤٥

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين

لا يريدون ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٨٣ ١٣٧

سورة العنكبوت

قل سيروا في الأرض فانظروا كيف

بدأ الخلق ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٢٠ ١٠

وقارون وفرعون وهامان ٠٠٠

فكلا أخذنا بذنبه ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٤٠-٣٩ ١٤٥

وتلك الأمثال نضربها للناس وما

يعقلها إلا العالمون ٤٣ ٣٠٢، ٢٣٢

ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي

هي أحسن

٤٦

٢٧٠٠٢٠٤٠٠٩٠٧

٣٥٠٠٣٣٤

سورة الروم

وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده

وهو أهون عليه

فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت

الله التي فطر الناس عليها

٢٧

٦٢

٣٠

١٣٦

سورة لقمان

ولاتصغر خذك للناس

واقصد في مشيك واغضض من صوتك

١٩-١٨

١٤٢

سورة الأحزاب

النبي أولى بالمؤمنين من

أنفسهم

وإذ تقول للذي أنعم الله عليه

هو الذي يصلي عليكم وملائكته ..

..... وكان بالمؤمنين رحيما

ياأيها الذين ءامنوا لاتدخلوا

بيوت النبي إلا

يسئلك الناس عن الساعة قل

إنما علمها عندالله ومايدريك ..

إنا عرضنا الأمانة

الإنسان إنه كان ظلوما جهولا

٦

٤٣٣٠١٦٧

٣٧

٤٣٣٠١٦٧

٤٣

١٦٦

٥٣

١٠

٦٣

٣٤١

٧٢

٢٧٦٠١١٠٠٧٦

		قل من يرزقكم من السموات والأرض
٤١٩، ٣٧٤، ٢٤٩، ١١٥، ١١٤	٢٥-٢٤ قل لا تستولون عما أجرمنا
		قل أروني الذين ألحقتم به
٣٨٢	٢٧	شركاء كلا.....
		وإذا تتلى عليهم آياتنا
١٠٦، ٥١، ٣١، ٣٠، ٢٩	٤٦-٤٣	بينات عذاب شديد

سورة فاطر

أفمن زين له سوء عمله فرءاه		
حسنا ٠٠٠٠	٨	١٧٣
من كان يريد العزة فلله العزة		
جميعا ٠٠٠٠٠٠٠٠	١٠	١٨٣
ومن الناس والدواب والأنعام		
مختلف ألوانه ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٨	٢٣٢

سورة يس

		إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ
٩١	١٤	٠٠٠ إنا اليكم مرسلون
		وجاء من أقصى المدينة رجل
١٧٥	٢٠-٢١	يسعى ٠٠٠٠٠ اتبعوا من لا يستلکم أجرا ٠٠٠
		أو لم ير الإنسان أنا خلقناه
٣٧٨، ٣٠٩، ٦٠	٧٧-٨١	من نطفة ٠٠٠٠٠٠٠ وهو الخلاق العليم

سورة الصافات

فَأَسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَشَدَّ خَلْقًا ۝۝۝۝

فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ

٦٠ ١٩-١١

قال قاتل منهم إني كان لي

قرين..... فليعمل العاملون
فنظر نظرة في النجوم

فقال اني سقيم
٣١٥ ٨٩-٨٨

سورة ص

يا داود انا جعلناك خليفة في

الأرض.....

قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين
١٩٨ ٨٢

قل ما أسئلكم عليه من أجر وما

أنا من المتكلفين
٣٤٢ ٨٦

سورة الزمر

أمن هو قانت ءاناء الليل

قل هل يستوى الذين يعلمون

والذين لا يعلمون
٢٣٢ ٩

قل يا عبادي الذين ءامنوا اتقوا

ربكم..... إنما يوفى الصابرون

أجرهم
١٤٧ ١٠

ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء

متشاكسون.....

ويوم القيامة ترى الذين كذبوا

على الله..... اليس في جهنم

مثنوى للمتكبرين
١٣٨ ٦٠

سورة غافر

٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٥	٥-٤	ما يجادل في آيات الله إلا ٠٠٠ وجادلوا بالباطل ليدحضوا فلما جاءهم بالحق من عندنا ٠٠٠٠ أو أن يظهر في الآرض الفساد
٢٠٣	٢٦-٢٥	وقال رجل مؤمن من آل فرعون ٠٠٠٠٠ ان الله بصير بالعباد وقال رجل مؤمن ٠٠٠٠٠ ياقوم لكم الملك اليوم ٠٠٠٠٠
١١٦، ١١٥	٤٤-٢٨	مثل يوم الأحزاب الذين يجادلون في آيات الله وإذ يتحاجون في النار ٠٠٠٠٠ قال الذين استكبروا إنا كل فيها ٠٠٠ ان الذين يجادلون في آيات ٠٠٠٠ أكبر من خلق الناس ٠٠٠٠٠٠
٣٧١، ١٧٨، ١٤٥	٣٣-٢٩	وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ٠٠٠٠٠ سيدخلون جهنم داخرين ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون
١٣٨	٣٥	
١١	٤٨-٤٧	
٦١، ٤٥	٥٧-٥٦	
١٣٨	٦	
٤٥	٦٩	

سورة فصلت

٢٤٤	٦-٥	وقالوا قلوبنا في أكنة ٠٠٠ وويل للمشركين فأما عاد فاستكبروا في الأرض
١٤٦	١٦-١٥	

ولا تستوي الحسنة ولا السيئة

ادفع بالتى هي أحسن.....

وما يلقاها إلا الذين صبروا..

ومن آياته أنك ترى الأرض

خاشعة.....

قل أرأيتم ان كان من عند الله

ثم كفرتم به من أضل.....

٣٥٨ ، ١٥٣ ، ٦٥

٣٦-٣٤

٦١

٣٩

٢٥١

٥٢

سورة الشورى

وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه

إلى الله.....

والذين يحاجون في الله من بعد

ما أستجيب له حجتهم داحضة

ويعلم الذين يجادلون في آياتنا

مالهم من محيص

وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا

وأصلح فأجره على الله.....

ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم

الأمور

وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا

وحيا أو من وراء حجاب.....

٨٣ ، ٣٧

١٠

٤٥ ، ١٢

١٦

٤٥

٣٥

١٥٣

٤٠

١٤٧

٤٣

٢٨٩

٥١

سورة الزحرف

وقالوا ءأللهتنا خير أم هو

٤٣٢ ، ٤٨ ، ٤٦ ، ٨

٥٨

سورة الأحقاف

قالوا أجنثنا لتأفكنا عن...

..... تجهلون ٢٢-٢٣ ٣٤١

اولم يروا أن الله الذي خلق

السموات والأرض ولم يعي بخلقهن

٢٣ ٦١

سورة محمد ﷺ

فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم

الأعلنون ٣٥ ١٨٦

سورة الفتح

سيقول لك المخلفون من الأعراب

شغلتنا أموالنا وأهلونا..... ١١ ٤٠٧

سيقول المخلفون إذا انطلقتم

إلى مغنم لتأخذوها ذرونا... ١٥ ٤٠٧

محمد رسول الله والذين معه

أشداء على الكفار رحماء بينهم... ٢٩ ١٣٠

سورة الحجرات

يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم

فاسق بنبأ فتبينوا..... ٦ ٢٨٥

قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا

ولكن قولوا أسلمنا..... ١٤ ٣٧٤، ٢٩٤

سورة ق

رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا

كذلك الخروج ١١ ٦٢

أفيعينا بالخلق الأول بل هم في

لبس من خلق جديد

٣٢٨.٣٠٩.٦٢

١٥

سورة الذاريات

فورب السماء والأرض إنه لحق مثل

ما أنكم تنطقون

٣٢٠

٢٣

هل أتاك حديث ضيف إبراهيم

المكرمين

٩٤

٢٤

إن دخلوا عليه فقالوا سلاما

قال سلام قوم منكرون

٩١

٢٥

سورة الطور

فليأتوا بحديث مثله إن كانوا

صادقين • أم خلقوا من غير شيء

أم هم الخالقون

٣٥٠.٣٤٧.٣٢٨

٣٥-٣٤

سورة النجم

ولقد رآه نزلة أخرى

الذين يجتنبون كبائر الاثم

••• فلا تزكوا أنفسكم

٣٨٧.٢٩٨

١٣

٣٨٨.١٤٣

٣٢

سورة المجادلة

قد سمع الله قول التي تجادلك

ياأيها الذين ءامنوا اذا قيل

لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا

٤١٠.٨.٧.٤

١

٢٣٢

١١

سورة الحشر

ما أفاء الله على رسوله من أهل

القرى فله وللرسول •••••

٢٧٠.٢٦٣

٧

والذين جاءوا من بعدهم يقولون ٠٠

١٦٩ ١٠ ٠٠٠٠ ربنا إنك رؤوف رحيم

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل

٣٠٢ ٢١ لرأيتَه خاشعا متصدعا ٠٠٠٠٠٠

سورة الممتحنة

قد كانت لكم أسوة حسنة في

٢٢٤ ٤ إبراهيم ٠٠٠٠٠٠

سورة الصف

كبر مقتا عند الله أن تقولوا

٤٠٤ ٣ مالا تعلمون

وإن قال عيسى ابن مريم يابني

٤٣٩ ٦ اسرائيل إني رسول الله اليكم

سورة الجمعة

مثل الذين حملوا التوراة ثم

٣٠٣ ٥ لم يحملوها كمثل الحمار

سورة المنافقون

يقولون لئن رجعنا إلى المدينة

٤٢١ ٨ ليخرجن الأعز منها الأذل ٠٠٠٠٠

سورة التغابن

زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ٠٠

٣٢٠ ٧

سورة التحريم

وإن أسر النبي إلى بعض أزواجه

٢٥٩ ٣ حديثا ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

يا أيها النبي جاهد الكفار

والمنافقين وأغلظ عليهم..... ٩ ٢٠

سورة الملك

تكاثر تميز من الغيظ.....

..... ضلال كبير ٩-٨ ٣٢٣

ويقولون متى هذا الوعد.....

قل إنما العلم عند الله وإنما

أنا نذير مبين ٢٦-٢٥ ٣٤١

قل أرأيتم إن أهلكني الله

ومن معي أو رحمتنا..... ٢٨ ٣٧٣

سورة القلم

وإنك لعلى خلق عظيم ٤ ١٢٩

قال أوسطهم ألم أقل لكم.....

إلى ربنا راغبون ٣٢-٢٨ ٣٣٤

سورة نوح

وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم..... ٧ ١٤٥

فقلت استغفروا ربكم..... ٢٠-١٠ ٣٦٨

وقال نوح رب لا تذر على الأرض.....

..... إنك إن تذرهم يضلوا عبادك..... ٢٧-٢٦ ١٨٠

سورة النازعات

فقل هل لك إلى أن تزكى ١٨ ٣٥٩

سورة التكويد

ولقد رءاه بالأفق المبين ٢٣ ٣٨٧، ٩٨

سورة الإنشقاق

فسوف يحاسب حسابا يسيرا ٨ ٣٨٠

٣	١٤	إنه ظن أن لن يحور
		<u>سورة الطارق</u>
٢٩٨	١٧	فمهل الكافرين أمهلهم رويدا
		<u>سورة الغاشية</u>
١٠	١٧	أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت
		<u>سورة البلد</u>
		ألم نجعل له عينين • ولسانا
٣٧٨	١٠-٨	وشفتين • وهديناہ النجدين
		<u>سورة المسد</u>
٥٨	١	تبت يدا أبي لهب

فهرس الأحاديث والآثار مرتبة
حسب حروف الهجاء

رقم الصفحة

حديث

٤٦ ، ٨	إذا رأيتم الذين يجادلون فيه
٤٦	ابغض الرجال إلى الله الألد الخصم
٤٦	أنا زعيم بيت في ربض الجنة
٦٧	اتقوا النار ولو بشق تمره
٣٦١، ٩٩، ٧٠	ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء
	من كلام الناس
٨٤	«علي بن ابي طالب»
٤٣٤، ٤٠٥، ٣٣٧، ٢٥٢، ٤٢	اقضوا كما كنتم تقضون
	أنا عبدالله ورسوله لن اخالف أمره
	(الحديثية)
٢٨٩ ، ٧٦	إن الله لا يقبض العلم انتزاعا
٧٧	إن مما أخشى عليكم شهوات الغي
٢٧٤ ، ٩٢ ، ٥٩	أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر
٣١٨ ، ٢٤٣ ، ٩٠	أي يوم هذا؟
٩٦ ، ٥٨	أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا
١٠٣	إنما الأعمال بالنيات
١٢٠	«ابن عباس»
١٢٤	«ابن عباس»
١٢٤	إن صاحب الحق مقالا
١٢٥	أصبت بعضا واخطأت بعضا
١٣١	إن الله أوحى إلي أن تواضعوا
	إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة
١٣٢	الصائم
١٣٢	إن امرأة كان في عقلها شيء
٤٣٠، ٤١٨، ٣٣٨، ٢٥٣، ١٣٤	إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي
١٣٦	«مالك بن دينار»
	أو لك نطفة مذرة

١٣٩	ألا أخبركم بأهل الجنة
١٣٩ ، ١٢	احتجت الجنة والنار
١٤٤	أن من أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا
١٤٤	إن الله يبغض البليغ من الرجال
١٤٨	إن فيك خصلتين يحبهما الله
١٤٨	إن الرفق لا يكون في شيء
١٥٢	إنما الصبر عند الصدمة الأولى
١٥٤	إنما العلم بالتعلم
١٥٧	ألا تدعو لنا؟
١٥٨	إذا استقيم «معاوية»
٢٢٥	اعرف وكاءها وعفاصها
٢٢٦	أشد الناس عذابا يوم القيامة
٢٢٦	اتشفع في حد من حدود الله
١٦٣	إني لأعلم كلمة لو قالها
١٦٣	إذا غضب أحدكم فليسكت
١٦٣	إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس
١٦٣	إن الغضب من الشيطان
١٦٩	إنما يرحم الله من عباده الرحماء
	إن كان ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به
١٧٤	إني لست كهينتكم
١٧٩	أما بعد فإنه لم يخف علي شأنكم الليلة
١٧٩	إن الجمعة عزمة،اني كرهت أن اخرجكم «ابن عباس»
٢٧٢ ، ١٨٨	إنا كنا قوما في شر وضلالة «المغيرة بن شعبة»
٣٧١ ، ٢٦٨ ، ١٩٤	إنما كان يكفيك هذا
١٩٥	أنت بذاك
٢٤٢ ، ١٩٩ ، ٩٦ ، ٩٣ ، ٥٨ ، ٥٦	إني سائلك فمشدد عليك
٣٧٨ ، ٣٢٦	
٣٣٨ ، ٣١٣ ، ٢٠٠	أن ضامدا قدم مكة

٢٠٤	استنصت الناس	
٢٠٤	«عطاء بن أبي رباح»	إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له
٢٠٨	«أبوبكر»	إني وليت أمركم خيركم في نفسي
٢٠٨	«أبوبكر»	استخلفت على أهلك خير أهلك
٢١٢	«عمار بن ياسر»	أتؤذي محبوبية رسول الله
٢١٣	«علي بن أبي طالب»	إخواننا بغوا علينا
٣٦٤، ٢٢٣		إنك امرؤ فيك جاهلية
٢٢٤	«أبو سعيد الخدري»	أين الإبتداء بالصلاة؟
٢٢٤	«وكيع»	أقول قال رسول الله وتقول قال إبراهيم
٢٤٥، ٢٣٠		أنك تأتي قوما أهل كتاب
٣٣٧٢٨٨، ٢٥٧		إذا أستاذن أحدكم ثلاثا
٢٥٧		امرت أن اقاتل الناس
٢٥٨		إن الرقى والتمائم والتولة شرك
٢٧٣		إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا
٢٧٣		أرأيت هذا الرمل بالبيت
٢٧٦		أربع من كن فيه كان منافقا
٣٢٤، ٣٠٠، ٢٨٠		أيها الناس اطعموا الطعام
٢٨٤		إياكم والظن
٣٨٤، ٢٨٧		إن لزوجك عليك حقا
٢٨٨	«ماعز»	أحق ما بلغني عنك؟
٢٨٨، ٣٨٠		أصدق ذو اليمين؟
٣٠٥		أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم
٣٠٥		أخبروني بشجرة تشبه المسلم
٣٠٦		إن امرأتي ولدت غلاما أسودا
٣٠٦		إن أمتي نذرت أن تحج فماتت
٣٠٦		إن أمتي ماتت وعليها صوم شهر
٣٠٦		أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة
٣١٦		اشتكى ابن لابي طلحة

٣١٨	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر
٣١٩	إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه
٤٠٣، ٣٨٥، ٣٦٥، ٣٢١	إن مكة حرمها الله
٩١	أنت الذي لقيتني بمكة
٣٢٥	اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود
٣٣٦	أستطيع هؤلاء الشباب أن يقرؤا
٣٣٧	إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما
٣٣٧	إذا أم الرجل القوم فلا يقيم ٠٠
٣٤٢	أحسن البقاع إلى الله المساجد
٣٤٣	أقبح من ذلك أن أقول بغير علم
٣٨٥	إنك إن تذر ورثك أغنياء
	أتريدون أن تقولوا كما قال أهل
٣٧٥	الكتابيين
٣٧٥	ألا تصلون
٣٧٦	إذا جاء أحدكم الجمعة
٣٧٩	إن الله لا يستحي من الحق
٤٠٥، ٣٩٠	أما والله اني لأخشاكم لله
٣٦٢، ٣٠٧	أفرارا من قدر الله
٣٧٧	إن ناسا أعمى الله قلوبهم
٣١٦	اطلبوه في المسجد
٣٨٨	إن الرجل إذا ذهب يمدح نفسه
٣٣٥	أنتم اعلم بالآخبار
٤٠٢	أردت أن أسأل عمر
٤١٦	إننا لنكشر في وجوه أقوام
٤١٦	أن النبي أهديت له أقبية من ديباج
٢٩٩، ٢٦٠، ٩٩، ٤١، ١٢	إحتج آدم وموسى
٣١٤	ان في معارضض الكلام مندوحة
١٠٨	إن رسول الله خرج على حلقة من أصحابه

١٠٨		إن تصدق الله يصدقك
٤٦	«مسلم بن يسار»	إياكم والمرء فإنه ساعة جهل العالم
٤٦	بلال بن سعد	إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا
		إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه
١١١	«عبدالله بن المبارك»	لم تذكر المساوىء
٤٠٤	«مالك بن دينار»	إن العالم إذا لم يعمل بعلمه
٤٠٩	«المغيرة بن شعبة»	إن الخبيث كذب علي
٣٠٥		إنكم ترون ربكم
١٤١		بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به
١٦٧		بينما كلب يطيف بركية
١٧٣		بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم
٣١٩		بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله
٤١٥، ٣٥٩		بئس أخو العشيرة
١٢٥		تقوم الساعة والروم أكثر الناس
٥٢٨	«الشافعي»	التواضع من أخلاق الكرام
١٦٦		جعل الله الرحمة مائة جزء
٣٠٠، ٦٢	«خباب بن الأثر»	جئت العاص بن وائل
٢٥٨		جمع بين الظهر والعصر
٤١١	«علي بن أبي طالب»	حدثوا الناس بما يعرفون
٢١		الحكمة ضالة المؤمن
٨٥	«ابن مسعود»	الخلاف شر
١٣٤	«أنس»	خدمت النبي عشر سنين
٤٣٤	عمرو بن العاص	خرجت حتى انتهيت إلى عمان
١٣٥	مكحول	دعوه يتعلم التواضع
٢٢٦		دونك فانتصرى
٦٩		دخل اعرابي المسجد
١٦٨		الراحمون يرحمهم الرحمن
١٣٥	«عمار بن ياسر»	ربما اشتري قتا وحمله على ظهره

١٤٩	عروة بن الزبير	ربما كلمة ذل احتملتها
١٥٥		رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون
٤١٦	الشافعي	رضى الناس غاية
٣٨٩، ٢٣٦		سألوا سهل بن سعد من أي شيء المنبر
٢٢٥		سئل عن أشياء فكرها
٣٤٨	«ابن عمر»	سئل عن التمتع
٣٤٣	«مالك»	سئل عن ثمان واربعين مسألة
٣٥٤		سيخرج من ثقيف كذابان
٢٢١	«البراء بن مالك»	سل زيد بن أرقم فإنه خير مني
١١٨		صدقك وهو كذوب
١٤٩	«المستظهر بالله»	الصبر على الشدائد ينتج الفوائد
١٣٥	ابو هريرة	الطريق قد جاء الأمير
٨٣، ٢٦		فإنه من يعيش منكم فسيروا اختلافا
٢٨		فإنه جبريل أتاكم يعلمكم
٨٤		فكثر اللغظ وارتفعت الأصوات
٣١٢، ٢٨١		فأنت مع من أحببت
٢٨٩		فيه غرة عبدة أو أمة
٢٨٩، ١٩٤		فقدت أمة من بني إسرائيل
٣١٢		فإذا اضيغت الأمانة فانتظر الساعة
١٦٣، ١٥٦		فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله
٢١٣	«علي بن أبي طالب»	فمن هوأذن إن لم اكن أنا وطلحة
١٣١		فسمع جليس الملك
٣٢٥، ٣٢١		فيهم مخدج اليمين
٣٦٤، ٢٥٣		قم ابا تراب
٣٦٤، ٢٠٠		قل يا ابا الوليد اسمع
٢٠٧		قدم ركب من بني تميم
٥		كان إذا سافر يتعوذ من وعاء السفر
٢٠٦، ٨٣، ٤١٠، ٥		كانت بين أبي بكر وعمر محاورة

٣٥٤	«الآبار»	كنت بالاهواز
		كان رسول الله إذا أراد سفرا اقرع
٢٨٧، ٢٨٢، ١٣٥، ١٢٥، ١٠٠	الافك	بين نسائه
٣٠٧،		
١٣٢		كانت الأمة من اماء المدينة
١٣٣		كان ، في مهنة أهله
١٣٣		كان النبي يمر على الصبيان فيسلم عليهم
٢٨٤		كفى بالمرء كذبا أن تحدث
٢١٤	«معاوية»	كذلك كان ابو الحسن
١٧٤		كان يحب ما خف على الناس
١٧٤		كان يحب ما خف عليهم من الفرائض
٣١٨		كان اذا تكلم بكلمة اعادها ثلاثا
٣٢٩		كل ابن آدم خطاء
٣٣٦		كان يصبح جنبا
٣٦١		كلا كما قتله
٣٨٨	«عمر»	كيف تركت الأشعري
١٤٠		الكبرياء ردائي
٤٣	«عمر»	كان لعمر أرض بأعلى المدينة
٤٦	«أبو الدرداء»	كفى بك إثما ألا تزال مماريا
٤٧	«الأحنف بن قيس»	كثرة الخصومة تنبت النفاق في القلب
٣٣٥	«الشافعي»	كل ما قلته خلاف قولي
٦٨		لا تحقرن من المعروف شيئا
٧٠		ليس المؤمن بالطعان
٢٠٥، ١٤١		لا تحاسدوا ولا تناجشوا
٨١	«ابن مسعود»	لا يقلدن أحدكم دينه رجلا
٨١	«أحمد بن حنبل»	لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء
٨١	«أبو يوسف»	لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا
١٢٠		لاتسبه فإنه كان ينافح عن رسول الله

١٤٠، ١٣٩	لا يدخل الجنة من كان في قلبه
١٤٣	لا تزكوا أنفسكم
١٤١	لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره
١٤٩	لا تغضب
٢٢٦	لا تفضلوا بين الأنبياء
٣٢٧، ٣٩٠، ٢٠٨، ٢٠١	لا نورث ما تركنا صدقة
٢١٠	لا تهتكن سترا ولا تدخلن دارا «علي بن أبي طالب»
٣١٧	ليس المروزي هنا «اسحاق بن هاني»
٢٢٤	لا تمنعوا نساءكم المساجد
٢٥٨	لا صلاة بحضرة الطعام
٤٣٢، ٢٦٠، ٣٧	لما خرجت الحرورية
٤٠٥، ٢٧٠، ٢٦٣	لعن رسول الله المتنمصات
٢٧١	لعلك وجدت علي حين عرضت حفصه
٢٧١	لا يلبس القميص والعمامة
٢٨٠	لو كان رسول الله كاتما شيئا
٢٨١	ليس بأحق بي منكم
٣٨٦، ٢٨٧، ١١٧	لعل الله اطلع على أهل بدر
٢٩٠	لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس
٧٠	ليس المؤمن بالطعان
٣١٥	لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث
٣١٩	لا يأت الخير إلا بالخير
٣٤٢	لا تقل ذلك ألا تراه قال لا إله إلا الله
٣٥٩، ١٣١	لم يكن فاحشا ولا متفحشا
١١٩	اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا
٣١٥	لا تفعل فوالله لئن كان نبيا
٣٢٦، ٢٦٤	اللهم إني أول من احيا أمرك
١٤٦	لأن أبيت نائما وأصبح نادما «مطرف بن عبدالله»
١٤٩	لذة العفو اعذب من لذة التشفي «المنتصر بالله»

١٥٢	ليس الشديد بالصرعة
١٦٦	لله أرحم من هذه لولدها
١٦٩	الله أرحم بي من أبوي «حماد بن سلمة»
١٧٤	اللهم أهد دوسا
١٨١	اللهم اشدد وطأتك على مضر
١٨٩	الله ابتعثنا لنخرج من شاء «ربيع بن عامر»
١٩٣	لنحدثن بما سمعنا من رسول الله «عبادة بن الصامت»
٤١١	لولا قومك حديث عهدهم
٤١٥	لا يلدغ المؤمن
٣٦٠	لا يقولن أحدكم خبثت نفسي
٣٧٩	لقد وفق أو لقد هدي - تعبدالله ولا تشرك
٤٧	ليس هذا الجدل في الدين من شيء «مالك»
١٦٨	لا تنزع الرحمة إلا من شقي
٤١٢	لا تحدث بالعلم غير أهله «كثير بن مروة»
٤١٦	اللبيب العاقل هو الفطن «الشافعي»
٤١٦	ليس بحكيم من لم يعاشر «محمد بن الحنفية»
٢٨٤	ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع «مالك بن أنس»
٤٥٠٨	المراء في القرآن كفر
٤٦٠٨	ما ضل قوم بعد هدى إلا أتوا الجدل
٤١٠٩	ما مجادلة أحدكم في الحق
	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
٦٨	فليقل خيرا
	ما رأيت أحدا أكثر تبسما من
٦٨	رسول الله
٢٥٩٠٦٩	متى عهدتني فاحشا (السام عليكم)
٧٠	ما كان الفحش في شيء إلا شأنه
٣٧٨٠٣٦٠٠٩١	مرحبا بالقوم أو بالوفد
٢٣٢٠١٠٧	من سلك طريقا يلتمس فيه علما

٢٣٦	«وكيع بن الحراج	من طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنة
		ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لجهلهم
٢٦١	«الشافعي»	بلسان العرب
١٣١		ما نقصت صدقة من مال
١٣٢		ما شيء أثقل في ميزان المؤمن من
		حسن الخلق
١٤٠	«محمد علي الحسين»	ما دخل قلب امرئ من الكبر شيء
١٤١		ما منعه إلا الكبر!
١٤٨		ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب
١٤٨		من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه
١٦٠		ما خير بين امرين إلا اختار ايسرهما
٣٥٤	«عمر بن عبدالعزيز»	ما رأيت هذه الثياب
١٦٨		من لا يرحم لا يرحم
١٦٨		من لا يرحم الناس لا يرحمه الله
٧٨	«إبراهيم النخعي»	ما جعل الله في شيء من الأهواء ٠٠
٢٣٢		من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
٤١٢، ٢٧٧		من سئل عن علم فكتمه
٢٨٠		من حدثك أن النبي كتم شيئا
٢٨٥		من حدث عني بحديث يرى أنه كذب
٢٩٩		من صلى وجلس ينتظر الصلاة
٣٢٤		ما منعك يا أباي أن تجيئني
٣٦٠، ٩٢		مرحبا بأم هاني
٣٦٠، ٩٢		مرحبا بالراكب المهاجر
٣٦٠، ٩٢		مرحبا بابنتي
٣٦١		ماله ترب جبينه
٣٦٢		ما حملك على ذلك يرحمك الله
٣٧٦		مروا بأبكر فليصل بالناس
٣٨٠		من حوسب عذب

٩٠	ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه	
	ما سمعت أبي يناظر أحدا	«أبو عثمان بن
٣٩٧		الشافعي»
٤١١	من لقي الله لا يشرك به شيئا	
٤٣٧	من أغلق بابيه دونه فهو آمن	
	من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر	
٤٦	التنقل	«عمر بن عبدالعزيز»
٤٧	المراء في الدين يقسي القلب	«الشافعي»
١١١	معي ثلاثة خصال أظهر بها على الخصم	«حاتم الأصم»
٤١٠	ما أنت بمحدث قوما حديثا	«ابن مسعود»
٤١٠	ما حدثت أحدا بشيء	«عروة بن الزبير»
٣٣٤	من حق المناظرة أن يراد بها الله	«المزني»
٣٨٧	من زعم أن محمدا رأى ربه ٠٠٠	«عائشة»
٣٣٥	ما كابرنى أحد على الحق	«الشافعي»
٢١	نحن أحق وأولى بموسى	
٤٠١، ٣٨٥، ٢٠٨، ٢٢	نحن الأمراء وأنتم الوزراء (الخلافة)	
٣٤٣	نعم ما قال ابن عمر	«ابن عمر»
٦٠	نعم يمينك الله ثم يحييك	
١٠٠، ٥٦	هل تدري ما حق الله على العباد	
٤٠٨	هذا الرجل يهديني السبيل	«أبو بكر»
٧٨	الهوى كله ضلالة	«ابن عباس»
٣٢٧، ١٢٢	هذا مني وحسين من علي	
١٥٧	هي يا ابن الخطاب	«لعمر بن الخطاب»
٣٣٥	هل شعرت انه أوحى إلي	
٢٤٦	هجس في ضميري مسألة في التوحيد	«المزني»
٤٠٨-٣٥٥	هما امرأتان ذكرتا بسوء	«الباقلاني»
٤٠٩	هذا مزور	«الخطيب البغدادي»
٤٣٧	هذا الذي تدعونه	«الباقلاني»

٥		ومن دعا رجلا بالكفر
١٢		والقرآن حجة لك أو عليك
٤٣٧		وهل ترك لنا عقيل من دار
٦٠		والكلمة الطيبة صدقة
٦٨		وتبسمك في وجه أخيك صدقة
		ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا
٨٤		فهلكوا
١١٠	«الشعبي»	والله لو أصبت تسماً وتسعين مرة
١٤٦		وفد المسور على معاوية
٤٠٨	«علي»	وأنتم ماجفت أقدامكم من ماء البحر
٤٣٢، ٤٠٩	«حاطب»	وابن الله يصلب؟
٢٢٣، ١٥٦		ويل من يعدل إن لم أكن أعدل
١٢٣		وأما جده فصاحب الغار
		ويلك أو لست أحق أهل الأرض
١٢٤		أن يتقي الله
١٥٤		ومن يتصبر يصبره الله
١٧٦		وكان رحيماً رقيقاً
٢١٢	«عائشة»	والله إنك قوال بالحق
٢٢١	«أبو بزة لسلمي»	ويحك ومن مثل عائذ
		وكان كل واحد منهما مبجلاً لصاحبه
٢٢٢	عبدالرحمن بن اسلم	
٣١٩		ويل للعقاب من النار
٣٢٠		والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي يهودي
		والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم
٣٢١		حتى أكون أحب
٣٢١		والله إنني لاستغفر وأتوب إليه
٣٢١		والله لا يؤمن الذي لا يأمن جاره
٣٤٣	«علي بن أبي طالب»	وأبردها على الكبد

٣٨٨		ويحك قطعت عنق صاحبك
٨٤، ٧٠		يسروا ولا تعسروا
١٣٣		يا رسول الله هذارجل غريب يسأل عن دينه
٤٢		يا رسول الله أمر تحبه فنصنعه
١٣٩		يحشر الجبارون والمتكبرون
١٥٦		يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك
١٥٦		يا معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم
٢١١	«عائشة»	يا بني اتعقب بعضنا على بعض
٢٢٥		يا أيها الناس انكم منفرون
٣٣٩ ، ٢٨٣		يا أمنا بالصلاة والصدقة والصلة والعفاف
٢٨٣		يقسم خمسون منكم
٢٨٦		يا بني سلمة! دياركم تكتب اثاركم
٢٨٨		يا خالد ما حملك على ما صنعت
٣٢٣		يا معشر النساء تصدقن
٣٩٠ ، ٣٢٣ ، ٢٨٠		يا معشر الأنصار الم أجدكم ضلالا
٣٤٣	«ابن هرمز»	ينبغي للعالم أن يورث جلساءه
٣٤٢	«ابن مسعود»	يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به
٣٦٤		يا بلال أين ما قلت
٣٨٠		يا أبا المنذر أتدري أي آية
٣٨٠		يا بشير الك ولد سوى هذا
٣٦٢	«علي بن الحسين»	يا ابن عمي ان كنت صادقا فمغفر الله لي
٢٦٤ ، ٢٣٥		يا موسى إني على علم من الله

فهرس الاسماء والأعلام مرتبة
حسب حروف المعجم

فهرس الأعلام مرتبة حسب حروف المعجم

الاسم	رقم الصفحة
الألف	
ابراهيم عليه السلام	(١٢، ١٣، ١٦، ١٧، ٥٤، ٥٥، ٦٢، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٥٥، ١٧٤، ١٧٨، ١٩٢، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٨٤، ٢٩٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٥١، ٣٦٣، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٩، ٤١٤، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٢٨)
إبراهيم النخعي	(٤٣٧، ٣١٦، ٢٢٤، ٧٨)
إبراهيم الحازمي	(٤٠٨)
ابن ابزي	(٣٣٧، ١٩٣)
ابن أبي جمرة	(٩٢)
ابن الأثير	(٣١٣، ١٧٦)
ابن إسحاق	(٢٠١)
ابن بطة	(١٦٨، ٦٧)
ابن تيمية	(١٨، ٢٨، ٣٨، ٤٤، ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٥، ١١٢، ٢٣٦، ٢٦١، ٣٢٨، ٤١١)
ابن التين	(١٥٧)
ابن جرير الطبري	(تكرر ذكره كثيرا)
ابن الجوزي	(١٣، ١٨، ٣٢، ٩٠، ٩٤، ١١١، ١٤٠، ٣٩٦، ٤١٦)
ابن حبان	(١١٩)
ابن حجر	(٦٩، ٩٢، ٩٣، ٩٨، ١١٩، ١٢٤، ١٣٣، ١٥٠، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٤، ٢١٠، ٢١١، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٥، ٢٥٣، ٢٦٨، ٢٧١، ٣١٠، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٣٧، ٣٥٢، ٣٦٠، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٩١، ٤٠٣، ٤٠٥)
ابن حزم	(٤٩)
ابن دقيق العيد	(٣٦٥)
ابن عاشور	(٢٩١)

(٤٣، ٣٧)	ابن عبد البر
(١٨٠)	ابن العربي
(١٩)	ابن صدر الدين
(٤٢٤)	ابن قتيبة
(٦٨)	ابن قدامة
(٤٤، ٨١، ١١١، ١١٧، ١١٨، ١٧٢، ٢٧٢، ٣١٠، ٣٥٢، ٤٢٠، ٤٤٠)	ابن القيم
(تكرر كثيرا)	ابن كثير
(تكرر كثيرا)	ابن ماجه
(٢٧١)	ابن المنير
(٣٤٣)	ابن هرمز
(٢٧٩، ١٥٦)	ابن هشام
(١٩٣)	ابن الأشعث
(٢٢١، ٧٧)	ابو برزة الأسلمي
(٤٣٨، ٤٣٧، ٤٠٨، ٣٩٤، ٣٥٥)	ابوبكر الباقلاني
(٢٩٠)	ابوبكر بن عماره بن رؤيبه
(٥، ١٧، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٨٣، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ٢٠٦، ٣٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢١، ٢٥٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٧، ٣٠٥)	أبوبكر الصديق
(٤٣٦، ٤٠٨، ٤٠١، ٣٩٠، ٣٨٥، ٣٧٧، ٣٧٦، ٣٤٣)	
(١٤٩)	أبو جعفر محمد بن المتوكل
(٢٤٦)	أبو جهل
(٢٣٦)	أبو حازم
(٣٥٥)	أبو الحسن الأشعري
(٢٢٤)	أبو حنيفة
(تكرر كثيرا)	أبو داود
(٤١٦، ٢٠٦، ١١٨، ٤٦)	أبو الدرداء
(٣٦٤، ٣١٩، ٢٢٣)	أبو زر الغفاري
(١٣٣)	أبو رفاعه
(٢٦٠)	أبو زميل

(١٠٨، ٢٢٤، ٢٥٧، ٢٨٨، ٣٢٣، ٣٣٧)	أبو سعيد الخدري
(٢٨٢، ٢٨٣، ٣٣٩، ٤٣٤، ٤٣٧)	أبو سفيان
(٩٤)	أبو سليمان الدمشقي
	أبو شريح العدوي
(٣٢١، ٤٠٣)	«خويلد بن عمرو الخزاعي
(٢٧٣)	أبو الطفيل
(٣١٦)	أبو طلحة
	أبو العباس أحمد بن
(١٤٩)	المقتدي
(٤٣، ٢٠٧، ٣٠٧، ٣٦٢، ٣٨٥)	أبو عبيدة بن الجراح
(٢٢٥٧)	أبو عتيق
(٣٩٧)	أبو عثمان بن الشافي
(١٩٣)	أبو قلابة
(٥٨)	أبو لهب
(١٢٣، ١٢٤)	أبو مليكة
(٨٤، ٢٥٧، ٢٦٨، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٣٧، ٣٨٨)	أبو موسى الأشعري
(٦٨، ٦٩، ١١٨، ١٣٥، ١٧٤، ١٩٤، ٢٥٧، ٢٨٩، ٢٩٩، ٣٠٦، ٣١٢)	أبو هريرة
(٣٢٤، ٣٣٦)	
(٨١)	أبو يوسف
(٦٠، ٨٤، ٢٥٧، ٢٦٨، ٢٦٩)	أبي بن خلف
(٢٥٧، ٢٦٤، ٣٦٤)	أبي بن كعب
(٥، ١٨، ٣٧، ٦٨، ٧٠، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨١، ٩٦، ١٤٧، ١٧٤، ٢٢٣)	أحمد بن حنبل
(٢٦٤)	
(١٨، ٤٣٦)	أحمد بن أبي دؤاد
(٣٧، ١٦٣، ٢٦٤)	أحمد شاكر
	أحمد بن علي بن مسلم
(٣٥٤)	الآبار (أبو العباس)
(٣٦٣)	الاحنف بن قيس

آدم عليه السلام	(١٢، ١٦، ٤١، ٥٣، ٩٨، ٩٩، ٢٦٠، ٢٩٩، ٣٠٨، ٣٢٢، ٣٢٩، (٤٣٠، ٣٣١، ٣٣٠)
آزر	(٥٥)
اسامة بن زيد	(٢٢٤، ٢٢٦)
اسحاق بن راهويه	(١٨، ٩٧، ٢٢٣، ٤٣٦، ٤٣٧)
اسحاق بن هانيء	(٣١٧)
اسماء بنت أبي بكر	(٣٥٤)
اسماء بنت عميس	(٣٥٤)
اسماعيل عليه السلام	(٢٢٣)
الأصمعي	(٦)
اللمعي	(٤٧، ٤٠)
امرؤ القيس	(٦)
ام سلمة	(٤٠٥، ٣٣٦)
ام سليم	(٣٧٩)
ام مسطح	(٢٨٧)
ام هانيء	(٩٣، ٣٠٦)
ام يعقوب	(٢٦٣)
انس بن سيرين	(٣٨٧)
انس بن مالك	(٩٣، ١٣٢، ١٩٩، ٢٤٢، ٢٨٠، ٢٨١، ٣١٢، ٣١٦، ٣١٨، ٣٥٩، ٣٨٨)
الاوزاعي	(٨١، ٣٥٢)
أوس بن الصامت	(٣٦٢)
الباء	
البخاري	(تكرر كثيرا)
البراء بن عازب	(٢٦٤، ٣٢٦)
البريهاري	(١٠٩)
بريرة	(٢٨٧)
برة	(١٤٣، ٣٦٠)
البسام	(٤٠٣، ٣٢١)

البطرك (٣٥٥)

البغوي (٢٠١)

بكر ابو زيد (١٠١، ٧٣)

بلال بن رباح (٣٦١)

بلال بن سعد (٤٧)

بليقيس (١١٦، ١٧)

البوصيري (١٦٢)

البيهقي (٤٣٧، ٣٩٧، ٣٧)

التاء

الترمذي (تكرر كثيرا)

الثاء

ثوبان (٤٣٠، ٢٥٣، ١٣٤)

الثوري (١٦٩، ٧٨)

الجيم

جابر بن سليم (ابو جري) (٢٧٤، ٩٢، ٩١، ٥٨)

جبريل عليه السلام (٤٣٢، ٣٤٢، ٣١٩، ٢٩٨، ١٧٣، ٢٨)

جبريل بن مطعم (٣٤٢)

الجرجاني (١٧٥، ١١، ٧)

جرير بن عبد الله (٢٠٤)

جيفر (٤٣٤)

الحاء

حاتم الأصم (١١٠)

حاتم الطائي (٢٣٠)

حاطب بن أبي بلتعة (٤٣٢، ٢٨٧، ١١٧، ١١٦)

الحاكم (١٥٦، ٣٧)

الحباب بن المنذر (٤٣)

الحجاج (٣٥٤)

- (١٨٩) حذيفة بن محصن
- (٣٣٧) حذيفة بن اليمانى
- (٢٥٤، ١٥٧) الحربى قيس
- (٣٦٠) حزن
- (١٢١، ١٢٠) حسان بن ثابت
- (٤٣٧، ١٢٢، ٦٦، ٦٤) الحسن البصرى
- (٣٦٢) حسن بن حسن
- (٣٢٧) الحسن بن على
- (٢٧٠) حفصة
- (٣٢٧) حماد بن سلمة
- (٢١٣) حمزة بن ضرار الكنانى
- (٢٠٠) حمزة بن عبد المطلب
- (٣٣١) حواء
- (٢٨٣) حويصة
- الخاء**
- (٢٨٨، ١٢٥، ١٢٤) خالد بن الوليد
- (١١) خالد القاسم
- (٣٣٦، ٣٠٠، ١٥٧، ٦٢) خباب بن الأثر
- (١٢٣) خديجة بنت خويلد
- (٤٣٠، ٣٨٩، ٢٥٤، ٢٣٥، ١٧٥، ٦٣، ٥٣، ١٧) الخضر عليه السلام
- (١٢٤) الخطابى
- (٤٠٩، ٣٥٤، ١٥٤) الخطيب البغدادى
- (١٦٣) الخطيب التبريزى
- (٨) خولة بنت ثعلبة
- الدال**
- (٣٨٤، ٥٣، ١٧) داود
- (١٢٤) الداودى
- (٩٤، ٢٤) ديل كارنيجى

الذال

الذهبي (٦٨، ١٠٩، ١٥٦، ٢١٤، ٢٢٢)

ذو اليمين (٢٨٨)

الراء

ربيعي بن عامر (١٨٩)

ربيعة الرأي (٢٢٢)

رستم (١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠)

الزاي

زكريا (٩٨)

زليخا (٣٧٦)

الزمخشري (٤، ٣٢، ٣٤، ٤٩، ٩٠، ٩٤، ٩٧، ١٠٤، ١٠٦، ١١٢، ١١٤، ١٥٧)

(١٨٣، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٨)

زيد بن حدير (٣٣٦)

زينب (١٦٢، ٢٥٨، ٣٦٠)

زينب بنت جحش (٢٨٧، ٢٨٢)

السين

سارة (١٣٥، ٣١٦)

سالم بن عبد الله بن عمر (٣٥٤)

السدي (٦٠)

سعد بن أبي وقاص (١٨٧، ١٨٩، ٣٨٥)

سعد بن عباد (٤٣، ١٢٥، ١٦٩، ٤٣٠)

سعد بن معاذ (٤٢، ١٢٥، ٤٠٩، ٤٣٠)

سعد بن هشام بن عامر (١٢٠)

سعيد بن جبير (٦٠)

سفيان الثوري (٣٥٢)

سلمان بن فهد العودة (٣٥)

سلمة بن صخر الأنصاري (١٩٥، ٣٦٢)

(٢٨٦، ٢٣٥، ٥٣، ١٧)	سليمان عليه السلام
(١٦٣)	سليمان بن حرد
(٣٥٤)	سليمان بن عبد الملك
(٣٨٩، ٣٦٠، ٢٥٤، ٢٥٣، ٢٣٦)	سهل بن سعد
(٤٣٤، ٢٥٢)	سهيل بن عمرو
(١٥٠، ١٣٠، ١١٦، ١١٤، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٢، ٩٧، ٦٦، ٣٥، ٣٣)	سيد قطب
(١٥٣، ١٥٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ٢٨٥)	
(٣٠١، ٣١٦، ١٨٧، ١٩٢، ٢٣٩، ٢٥١، ٢٧٩)	
(٣٤٥، ٣٢٠)	السيوطي
	شـ
(٤٢٤، ٣٨١، ٢٧٨، ٨٣، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٦، ٧٥)	الشاطبي
(٢٣٦، ٢١٤، ١٢٨، ١١٠، ١٠٢، ٧٥، ٧٣، ٤٧، ٣٨، ٣٧، ١٨)	الشافعي
(٤٣٧، ٤٣٦، ٤١٦، ٤١٠، ٣٩٧، ٣٣٥، ٣٣٤، ٢٤٦)	
(٢٧٩، ٢٥٧، ٢٥١، ٢٤٤، ٢٣٥، ٢٠٣، ١٧٨، ١٠٦، ١٠٥، ١٧)	شعيب عليه السلام
(٤٠٤، ٣٩٠، ٣٦٩، ٣٥٤، ٢٩٦)	
(١٠٤، ٤٩، ٣٤)	الشوكاني
	الصاد
(٣٩٠، ٣٦٩، ٣٥٣، ٢٧٩، ٢٥٧، ٢٥١، ٢٤٤، ٢٣٥، ١٠٥، ٥٧)	صالح عليه السلام
(٢١٢، ٢٠٧، ١٠١، ٧٣، ٧١)	صالح بن حميد
(٢٢)	صالح بن فوزان الفوزان
(٩٢)	صديق حسن خان
(١٢٣)	صفية بنت عبد المطلب
(٢١١، ٢١٠)	صفية بنت الحارث
	الضاد
(٣٣٨، ٣١٤، ٣١٣، ٢٠٠)	ضمام
(٤٣٠، ٣٧٩، ٣٧٨، ٣٢٦، ٢٤٣، ٢٠٤، ١٩٩، ٩٦، ٩٣، ٥٨، ٥٦)	ضمام بن ثعلبة
(٦٨)	الضياء المقدسي

الطاء

- طارق بن عبد الحليم (٧٥)
 طه جابر (٧٣)
 طاووس (٤٣٧، ٧٧)
 الطبراني (٢٠٦، ٣٧)
 الطفيل بن عمرو الدوسي (١٧٤)
 طلحة بن عبيد الله (٢١٣، ٢٠٨)
 الطوفي (١٦٤)

العين

- عائذ بن عمرو (٢٢١)
 عائشة (٨، ١٨، ٤٦، ٦٩، ٧٠، ١٠٠، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٣٥،
 ١٦٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٩، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٤،
 ٢٢٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٨، ٢٩٩،
 ٣٠٧، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٥٩، ٣٧٦، ٣٨٧، ٣٩٠، ٤٠٨، ٤١١، ٤٣٣)
 (٦٠، ٦٢، ٣٠٠، ٣٤٦)
 العاص بن وائل (١٩٣)
 عبادة بن الصامت (٣٩٠، ٣٨٧، ٣٨٥، ٣٢٧)
 عبد الله بن احمد بن حنبل (٣٣٥)
 عبد الله التركي (٢٣٧)
 عبد الله بن حارث بن جزء (٦٨)
 عبد الله الحسن (٣٥٨)
 عبد الله بن حميد (٣٩)
 عبد الله بن خلف (٢١٠)
 عبد الله بن الزبير (١٨، ١٢٣، ١٢٤، ٢٠٧، ٣٧٧، ٤١١)
 عبد الله بن سهل (٢٨٣)
 عبد الله بن سلام (٢٧٩، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٢٤)
 عبد الله بن عباس (١٧، ١٨، ٣٧، ٤٣، ٥٨، ٦٦، ٧٨، ٩١، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤،
 ١٥٧، ١٧٩، ٢٠٠، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٧٣، ٢٧٤،
 ٣٠٦، ٣١٣، ٣٥٢، ٤٣٢، ٤٣٤، ٣٤٨، ٣٨٧)

(٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٩٠، ٣٠٥، ٣١٩، ٢٤٢، ٣٤٨، ٣٨٧)	عبد الله بن عمر
(١٣١، ٢٨٧، ٢٨٩، ٣٨٤، ٣٨٥)	عبد الله بن عمرو
(٣٩)	عبد الله بن قعود
(١١٠)	عبد الله بن المبارك
(٨١، ٨٥، ١٥٥، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٦٨، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٢، ٤١٠، ٤١١)	عبد الله بن مسعود
(٩٥، ٢٤٣)	عبد الرحمن بن ابي بكر
(٣٣٦)	عبد الرحمن بن الحارث
(٢٢٢)	عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
(تكرر كثيرا)	عبد الرحمن بن سعدي
(٢٨٣)	عبد الرحمن بن سهل
(١١٩)	عبد الرحمن بن شماس
(١٧، ٣٠٨، ٤٠١)	عبد الرحمن بن عوف
(٧٨)	عبد الرحمن بن مهدي
(١٩٧، ٢٢٠، ٣٨٦)	عبد الرحمن الميداني
(٣٩)	عبد الرزاق عفيفي
(١٦٨)	عبد الرزاق الصنعاني
(٢٠١)	عبد السلام هارون
(٣٩)	عبد العزيز بن باز
(٣٠، ٨٩، ٢٨٧، ٣٣٩، ٣٤٩)	عبد العزيز الجليل
(٣٢٩)	عبيدة السلماني
	عبد الملك بن أبي بكر بن
(٣٣٦)	عبد الرحمن
(٢٠٢، ٣٦٤، ٤٣٠)	عتبة بن ربيعة (أبو الوليد)
(٢٧٠، ٢٧٣، ٣٨٦)	عثمان بن عفان
(١١٩)	العجلي
(١٣٩)	العراقي
(١٨، ٦٠، ١٢٦، ١٤٩، ٢٩٠، ٤١٠)	عروة بن الزبير
(٣٧٧)	عروة بن مسعود
(٣٣٣)	عزيز

(٦٢)	عزیز مصر
(٤٣٧، ٢٠٤)	عطاء بن أبي رباح
(٦١)	عطية سالم
(٦٥)	عطية العوفي
(٤٣٧)	عقيل بن أبي طالب
(٦٠)	عكرمة (المفسر)
(٣٦٠)	عكرمة بن أبي جهل
(٣٣٦)	علقمة
٢٢١، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٢، ٢١٠، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨، ١٢١، ٨٤، ٤٣)	علي بن أبي طالب
٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٠، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٣	
٣٦٤، ٣٧٥، ٣٨٧، ٣٩٠، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١، ٤٣٢، ٤٣٤)	
(٦٦)	علي بن أبي طلحة
(١٩٧، ٢٢٠، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٦٩، ٤١٩، ٤٢٥، ٤٢٨)	علي الجريشة
(٣٦٢)	علي بن الحسين
(٤٢٦)	علي العلواني
(٣٧١، ٣٣٧، ٢٦٨، ٢١٢، ١٩٤، ١٣٥)	عمار بن ياسر
(٣١٤، ١٧٦)	عمران بن حصين
(٢١٢)	عمران بن طلحة بن عبيد الله
١٥٧، ١٢٦، ١٢١، ١١٨، ١١٧، ٨٤، ٨٣، ٤٣، ٤٢، ٤١، ١٧، ٥)	عمر بن الخطاب
١٩٣، ١٩٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٥٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨١	
٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٧، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٦٢	
٣٧١، ٣٧٦، ٣٨٧، ٣٩٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٩، ٤٣٢، ٤٣٦، ٤٣٧)	
(٣٥٤، ٤٦)	عمر بن عبد العزيز
(٣٢٧)	عمرو بن الأسود
(٤٠٣، ٣٦٥، ٣٢١)	عمرو بن سعيد العاص
(٤٣٦، ٤٣٥، ٤٣٤، ١٢٥، ١١٩)	عمرو بن العاص
(١٧)	عمير بن وهب
(٤٣٩، ٣٧٤، ٣٥١، ٣٠٨، ٥٥، ٥٤، ٥٣، ١٦)	عيسى عليه السلام
(١٥٧)	عينقبن حصن

الفاء

(٩٣، ١٢١، ١٦٢، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٥٣، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٥)	فاطمة
(١٤٥، ٣٠١، ٣٣١، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤)	فرعون
(٣٣٦)	الفضل بن عباس
	القاف

(١٧)	قارون
(٢٥٧، ٣٤٣)	القاسم بن عبيد الله
(٦٠، ١٧١، ٣١٤)	قتادة
(٤٧، ٥١، ٩٥، ٢٢١، ٢٩١، ٣٤٠، ٣٤٣، ٤١٠)	القرطبي (محمد بن احمد)
(٢١١)	القعقاع بن عمرو
(١٠٧)	قيس بن كثير

الكاف

(٤١٢)	كثير بن مروة
(٢٦٨)	الكرماني
(٢٧٢)	كسرى
(٢٨٩)	كعب الأحبار

اللام

(٤٧)	اللالكائي
(٣)	لبيب
(٢١٧)	لقمان
(٩٠، ٩٧، ١٠٥، ٢٧٩، ٢٩٦، ٣٦٩، ٣٨٣، ٣٩٠)	لوط

الميم

(تكرر كثيرا)	محمد ﷺ
(٢٨٨)	ماعز
(٤٧، ٨١، ١٧٤، ٢٨٤، ٣٤٣، ٣٨٨)	مالك بن انس
(١٣٥، ٤٠٤)	مالك بن دينار
(٩٣، ٦٠)	مجاهد
(٣٩)	محمد بن ابراهيم
(١١٩)	محمد بن أبي بكر

- محمد الأمين الشنقيطي (٧، ١٩، ٣٧، ٦١، ١٩٧، ٢٢٠، ٢٣٠، ٣٤٤، ٣٨٦، ٤١٠، ٤٢٢)
(٤٣٩، ٤٢٥)
- محمد بن حسن الزبير (٤٢٩)
- محمد بن الحنفية (٤١٦)
- محمد بن سعيد القحطاني (٢٢)
- محمد العبدية (٧٥)
- محمد بن علي الحسيني (١٤٠، ٧٤)
- محمد قطب (٢٣)
- محمد بن مسلمة (٢٨٩)
- محمد المصري (٧٢)
- محمد ناصر الدين الألباني (٢٩٩، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٧، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٤٨)
(٢٨٣)
- محيصة (٤١٦)
- مخرمة (٤١٦)
- مروان بن الحكم (١٣٠، ٢٢٤، ٣٣٦)
- المروزي (٣١٧)
- مريم عليها السلام (٩٠، ٢٢٤، ٢٣٤، ٤٠٨)
- المزني (٤١٠، ٣٣٤)
- المستظهر بالله (١٤٩)
- مسروق (١٢٠، ٢٨٠، ٣٨٧، ٢٩٨، ٢٩٩)
- مسلم بن الحجاج (تكرر ذكره كثيرًا)
- مسلم بن يسار (١٩٣، ٤٦)
- المسور بن مخرمة (١٢٦)
- مطرف بن عبد الله (٣١٤، ١٤٦)
- معاذ بن جبل (٥٦، ٨٤، ٩٩، ١٠٠، ٢٣٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٤١١)
- معاوية بن أبي سفيان (١٠٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٥٨، ١٩٣، ٢١٣، ٢١٤، ٤٠٩، ٢٨٩، ٣٢٧)
(١٣١، ١٢٦)
- معاوية بن الحكم (٧٠، ٩٩، ٣٦٠، ٣٦١)
- معاوية بن خديج (١١٩)
- المعتصم (٢٦٤)

(١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢٧٢، ٤٠٩)	المغيرة بن شعبة
(١٢٢)	المقدام بن معديكرب
(٤٣٢، ٤٠٩)	المقوقس
(١٤٩)	المنتصر بالله
(١٣٥)	المهلب
(٣١٧)	مهنى
١٢، ١٦، ١٧، ٢١، ٤١، ٤٣، ٥٣، ٥٧، ٦٣، ٦٧، ٩٠، ٩١، ٩٤	موسى عليه السلام
٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٧، ١٣١، ١٧٥، ١٦٣، ١٩٠، ١٩٢، ٢٠٣، ٢٢٦	
٢٣٥، ٢٤٦، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٣٢	
٣٣٣، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٢	
٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠١، ٤٠٨، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٠، ٤٣٢	
	النون
(٣٣٧)	نافع بن عبد الحارث
(٤٣٤، ٢٨١)	النجاشي
(٣٨٠)	النعمان بن بشير
(تكرر كثيرا)	النسائي
(٣٥١، ٣٣٤)	النمرود بن كنعان
١٨٠، ١٧٧، ١٥٤، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ٥٦، ٤٨، ٤١، ١٧، ١٦، ١٣	نوح عليه السلام
١٨١، ٢٠٢، ٢١٨، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٧٩، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٣٣	
(٣٦٨، ٣٦٩، ٣٨٩، ٣٩٠)	
(٤٣١، ٤٣٠، ٣٨٧، ٣٧٧، ٣٧٥، ٣٢٦، ٤١١)	النووي
	الهاء
(٦٧، ٩١، ٢٣٢، ٢٤٦، ٢٥٦، ٣٥٩)	هارون عليه السلام
(٤٣٥، ٣٣٩، ٢٨٢)	هرقل
(١٢٠)	هشام بن عروة
١٧، ٥٧، ١٠٤، ١٠٥، ١٥٤، ١٧٨، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١٨، ٢٤٤	هود عليه السلام
٢٧٩، ٢٩٣، ٣٤١، ٣٦٩، ٣٩٠)	
(١٤٥)	هامان

الـواو

وكيع بن الجراح (٢٢٤، ٣٣٦)

اليـاء

يحيى بن بكير (١١٩)

يحيى بن سعيد (٢٢٢، ٣٤٣)

يزيد بن عبد الملك (١٣٥)

يوسف عليه السلام (١٥٤، ١٨٦، ١٨٧، ٢١٤، ٢٣٥، ٢٤٥، ٢٥٠، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٦٣)

(٣٧٣، ٣٧٦، ٣٩٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤١٤، ٤١٨)

يونس الصدفي (٢١٤)

يونس عليه السلام (١٥٥)

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
المقدمة	
القسم الأول : تمهيد	١
الباب الأول : مدخل إلى الحوار	٢
المبحث الأول : تعريفات : الحوار، الجدل، المناظرة،	
المحاجة، ودلالاتها اللغوية والشرعية، والفروق بينها	٣
المبحث الثاني : أهمية الحوار وأهدافه :	
أهمية الحوار	١٥
اهداف الحوار	٢٥
المبحث الثالث : بين يدي الموضوع وفيه :	٢٩
أ - أصول وقواعد في موضوع الحوار :	
(١) أصل الموضوع في القرآن	٢٩
(٢) أصول وقواعد مهمة في موضوع الحوار	٣٦
ب - حكم الجدل والحوار	٤٠
ج - أركان الحوار	٥٠
١ - شروط المحاور المسلم	٥٠
٢ - شروط المحاور غير المسلم	٥٢
٣ - موضوعات الحوار	٥٣
المبحث الرابع : الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار	٦٤
المبحث الخامس : الكلام عن الخلاف وأنواعه وعلاقته	
بالحوار وفيه :	٧١
١ - علاقة الخلاف بالحوار	٧١
٢ - أنواع الخلاف	٧٢

٧٣	٣ - أسباب الاختلاف
	٤ - ضرورة وجود الخلاف مع التحذير منه شرعا،
٨٢	والتوفيق بين ذلك
٨٦	القسم الثاني : آداب الحوار
٨٧	الباب الثاني : آداب الحوار النفسية
٨٩	المبحث الأول : تهيئة الجو المناسب
١٠١	المبحث الثاني : الإخلاص وصدق النية
	المبحث الثالث : الإنصاف والعدل، والتفريق بين الفكرة
١١٠	وصاحبها
١٢٨	المبحث الرابع : التواضع وحسن الخلق
١٤٧	المبحث الخامس : الحلم والصبر
	المبحث السادس : الرحمة والشفقة بالخصم، والحرص
١٦٦	على اقناعه
١٨٣	المبحث السابع : العزة والثبات على الحق
١٩٦	المبحث الثامن : حسن الإستماع
٢٠٥	المبحث التاسع : المحبة رغم الخلاف
٢١٥	المبحث العاشر : الهدؤ والثقة بالنفس
٢٢٠	المبحث الحادي عشر : احترام الطرف الآخر
٢٢٣	المبحث الثاني عشر : الجرأة والغضب لنصرة الحق
٢٢٧	الباب الثالث : آداب الحوار العلمية
٢٢٩	المبحث الأول : العلم
	المبحث الثاني : البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع
٢٣٨	الاتفاق
٢٤٤	المبحث الثالث : التدرج والبدء بالأهم

٢٥٥	المبحث الرابع : الدليل
٢٦٩	المبحث الخامس : الوضوح والبيان
٢٧٦	المبحث السادس : الصدق والأمانة
٢٨٤	المبحث السابع : التثبت
٢٩١	المبحث الثامن : الرد على الشبه بما يناسبها
٣٠٢	المبحث التاسع : ضرب الأمثلة
	المبحث العاشر : العدول عن الإجابة باستخدام المعارض
٣١١	وأسلوب الحكيم
٣١٨	المبحث الحادي عشر : تأكيد القضية وتقريرها
٣٢٩	المبحث الثاني عشر : الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ
٣٤٤	المبحث الثالث عشر : الإحتمالات
	المبحث الرابع عشر : التحدي والإفحام وإقامة الحجة
٣٤٩	على الخصم
٣٥٦	الباب الرابع : آداب الحوار اللفظية
٣٥٨	المبحث الأول : العبارة المناسبة وحسن العتاب
٣٦٦	المبحث الثاني : التذكير والوعظ
٣٧٢	المبحث الثالث : التعريض والتلميح بدل التصريح
٣٧٨	المبحث الرابع : أدب السؤال
٣٨٤	المبحث الخامس : ذكر المبررات عند الاعتراض
٣٨٦	المبحث السادس : طلب الإنظار وعدم الإتهجال
	المبحث السابع : ثناء المحاور على نفسه أو على خصمه
٣٨٨	بالحق
٣٩٢	المبحث الثامن : مباغته الخصم وقطع الطريق عليه
٣٩٦	المبحث التاسع : محاذير لفظية

الباب الخامس : آداب ومباحث عامه تتعلق

٣٩٨	بالحوار
٤٠٠	المبحث الأول : الوقت المناسب
٤٠٤	المبحث الثاني : التزام المحاور بما يدعو إليه
٤٠٧	المبحث الثالث : الفراسة وحسن التصرف
٤١٠	المبحث الرابع : مراعاة الأفهام والعقول
٤١٤	المبحث الخامس : الحذر والمداراة
٤١٧	المبحث السادس : توقع المخالفة برغم الإقتناع
٤١٩	المبحث السابع : قواعد وطرق في الاستدلال
٤٢٣	المبحث الثامن : محاذير عامة
٤٢٧	المبحث التاسع : مناظرات وحوارات (نماذج تطبيقية)
٤٤١	الخاتمة :
٤٤١	١ - أهم النتائج
٤٤٢	٢ - المقترحات
٤٤٤	قائمة المراجع :
٤٦٢	فهرس الآيات :
٤٩٤	فهرس الأحاديث والآثار
٥٠٧	فهرس الأعلام
٥٢٢	فهرس الموضوعات